جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص : علم اجتماع و أنتروبولوجيا

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه "ل-م- د" في علم الاجتماع و الأنتروبولوجيا تحت عنوان :

تعليم الأمازيغية و مسألة الهوية في المدرسة الجزائرية

****

مقاربة سوسيو- أنثروبولوجية بمنطقة القبائل

من إعداد الطالب

حمـــــــدي عيسى

تحت إشراف الدكتور :

بلخـــــير بومحراث

أعضـــــــــاء لجنة المناقشة

أ. د. سيكوك قويدر	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	رئيسا
د. بومحراث بلخير	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة وهران 2	مشرفا و مقررا
د. مرڤومة منصور	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	مناقشا
د.إسعد زرهوني فايزة	أستاذة محاضرة قسم أ	جامعة مستغانم	مناقشا
د. مالك الشيخ توفيق	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة وهران 2	مناقشا

السنة الجامعية:2017 –2018

قال القاضي عبد الرحيم البيساني في رسالة بعث بها إلى العماد الأصفهاني يعتذر فيها عن كلام استدركه الأخير عليه:

" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا لَعَمْرِي من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

شكر و تقدير

لا يفوتني في هذه المناسبة أن أقدم تشكراتي الخالصة للأستاذ الدكتور سيكوك قويدر، الذي لم يدخر جهدا لتوجيهنا و التكفل بانشغالاتنا فجزاه الله عنا خير الجزاء و كذا أستاذي المشرف الدكتور بومحراث على توجيهاته القيمة و صبره علينا طيلة هذه المدة ، كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني من أساتذة البويرة و تيزي وزو و كذا مدير اتصالات الجزائر لولاية البويرة و كافة زملاء الدفعة الذين تشرفت بمعرفتهم.

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد لوالدايا الكريمين و إلى زوجتي التي صبرت كثيرا معي و إلى مهجة فؤادي و فلذة كبدي أبنائي أحمد ياسين ، ياسمين و راحيل .

إلى كل من يريد أن يشعل شمعة لتضيء ظلمة الجهل و الجهالة ، و إلى كل من يصبو إلى غد أفضل يكون فيه الإنسان مصونا في كرامته و إنسانيته.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقولة	أ
شكر وتقدير	ب
إهداء	ت
ملخص الدراسة (باللغة العربية)	ز
ملخص الدراسة (باللغة الفرنسية)	س
ملخص الدراسة (باللغة الإنكليزية)	ش- ص
فهرس المحتويات	ث
فهرس الجداول	د
تمهيد	ض
الفصل الأول : الإطار المفاهيمي للدراسة	
مقدمة	1
أسباب اختيار الموضوع	3
الهدف من الدراسة	4
أهميةالدراسة	5
الدراسة الاستطلاعية	6
طرح الإشكال	8
الإطار المفاهيمي للبحث	11
تحديدالمفاهيم	13
الأسس المنهجية للبحث	19
اختيار العينة	20
مجالات الدراسة	21
الفصل الثاني: إثنوغرافيا منطقة القبائل .	
جولة في تاريخ البربر والجدل القائم حول أصولهم	23

عن الجدل القائم حول تسميتهم	27
وصف منطقة القبائل و معنى كلمة " القبائل"	30
التنظيم الاجتماعي و السياسي لمنطقة القبائل	33
البنيات الاجتماعية التقليدية	36
تنظيم العلاقات الاجتماعية في المجتمع القبائلي	45
الطرق الصوفية و علاقتها في صياغة الخصوصية الدينية في منطقة القبائل	51
منطقة القبائل قبل الغزو الفرنسي	55
منطقة القبائل في الفترة الأولى من الغزو(الحكم الإمبراطوري – العسكري).	57
منطقة القبائل في الفترة الثانية من الغزو(الحكم المدني –التبشيري)	62
منطقة القبائل و عملية الفرنسة و تشكيل الكيان القبائلي	70
إستراتيجية التقسيم	75
خلاصة الفصل	77
الفصل الثالث : المسألة الهوياتية في الجزائر	
إشكالية الهوية في الجزائر	80
لمحة تاريخية عن تكوين الهوية الثقافية الجزائرية	81
القضية البربرية قبل الاستقلال	86
الهجرة إلى فرنسا	88
مرحلة الشحذ الهوياتي	90
بعض الوجوه البارزة في التيار الثقافوي البربري	91
الأزمة البربرية 1949	101
المسألة البربرية بعد الاستقلال	103
الحركة الثقافية البربرية MCB	106
" الحركة من أجل الحكم الذاتي في منطقة القبائل "« MAK »	110
علاقة اللغة بالهوية	116
اللغة والهوية الوطنية	118
ملخص الفصل و تعقيب	121

الفصل الرابع : الواقع اللغوي في الجزائر

الوضعية اللغوية في الجزائر	127
الازدواجية اللغوية	128
السياسة اللغوية	129
عن اللغة العربية و التعريب	131
وضعية اللغة العربية	133
وضعية اللغة الفرنسية	136
الفرنسة عن طريق المدرسة	141
السياسة التعليمية في القبائل	143
الدراسات حول اللغة البربرية	145
لمحة تاريخية حول تعليم الأمازيغية	147
تعليم الأمازيغية	150
الانتقال من الشفاهية إلى الكتابة	151
مسألة معيرة اللغة البربرية	152
كتابة الأمازيغية ، بين النفعية و الأدلجة	156
ملخص الفصل و تعقيب	163

الفصل الخامس : الجانب التطبيقي

المقاربة المنهجية	167
الخطوات المتبعة في تحليل المحتوى	169
تحليلنتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي	181
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي:	183
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي	193
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي	196
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى متوسط	208
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة	210

الأولى متوسط	
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية متوسط	222
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية متوسط	224
218تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة متوسط	233
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة متوسط	236
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط	251
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط	254
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى ثانوي	266
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى ثانوي	268
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية ثانوي	278
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية ثانوي	280
تحليل نتائج جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة ثانوي	294
تحليل نتائج جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة ثانوي	296
تحليل نتائج الجدول العام للقيم و الأهداف	304
الاستنتاج العام	311
الخاتمة	322
قائمة المراجع	330

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجة منكتاب السنة الرابـعة ابتدائي	172
02	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي	181
03	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي	183
04	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجة منكتاب السنة الخامسة ابتدائي	185
05	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي	193
06	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي	195
07	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجةمنكتاب السنة الأولىمتوسط	198
08	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى متوسط	208
09	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى متوسط	210
10	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجةمنكتاب السنة الثانيةمتوسط	212
11	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية متوسط	221

12	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية متوسط	224
13	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجة من كتاب السنة الثالثةمتوسط	227
14	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة متوسط	233
15	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة متوسط	235
16	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجة منكتاب السنة الرابعةمتوسط	239
17	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط	251
18	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط	254
19	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجة منكتاب السنة الأولىثانوي	257
20	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى ثانوي	265
21	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الأولى ثانوي	268
22	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجةمنكتاب السنة الثانيةثانوي	270
23	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية ثانوي	277

24	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثانية ثانوي	280
25	يمثل أهم القيم و الأهداف منها المستخرجةمنكتاب السنة الثالثةثانوي	282
26	يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة ثانوي	294
27	يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الثالثة ثانوي	296
28	يمثل الجدول العام لتكرارات القيم و الأهداف المستخرجة من مجموع الكتب	299

ملخص :

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة، مطارحة قضية شائكة لا زالت تلقي بظلالها منذ ما قبل الاستقلال ، و ذلك وفق مقاربة سوسيو آنتروبولوجية في دراسة وصفية تحليلية استكشافية تندرج ضمن البحوث الكيفية . هذه القضية هي سؤال الهوية في منطقة القبائل ، الذي تبلور عبر الزمن و تغلغل في العديد من المجالات الحيوية للمجتمع، الثقافية منها و الاجتماعية و السياسية، و ذلك منذ ما قبل الاستقلال، لتعرف الحركة الوطنية أولى انتكاساتها نهاية أربعينات القرن الماضي مما أوجد نوعا من التشنج بين قادة الحركة و أصبحت تهدد أركان الدولة-الأمة ما بعد استعمارية. و بعد استعادة السيادة الوطنية ، اتخذت الحركة المطالباتية طابعا ثقافيا لِتُركز على المطلب اللغوي بكونه أبرز تجليات الهوية البربرية . و لقد عرف المجال اللغوي في الجزائر صراعات كبيرة بين الفرنسة و التعريب ليعرف المثقفون اصطفافات بحسب لغة تكوينهم الأكاديمي و كانت المدرسة الجزائرية بكونها أحد الأجهزة الايديلوجية للدولة مسرحا للسجال الهوياتي الذي اتخذ من اللغة رأس حربة لتمرير توجهات هذا الفريق أو ذاك ، بينما بقيت اللغة البربرية خارج نطاق المنظومة التربوية حتى تسعينات القرن الماضي ، إذ قررت الدولة أن تتصالح مع بعد رئيسي من أبعاد الهوية الوطنية و هو البعد الأمازيغي . و نظرا للظروف التي جرى فيها إقحام اللغة الأمازيغية في المدرسة فإن الكثير من النقائص شابت هذه العملية على العموم. و من هنا ارتأينا أن نستقصي هذه المسألة و نضيء بعض نقاط الظل التي تحيط بحيثيات هذه المسألة الشائكة و ذلك بمحاولة التركيز على إثنوغرافيا منطقة القبائل من حيث التاريخ و النسب ، و البُنى الاجتماعية التي ميزت هذه المنطقة و كذا خصوصيتها الدينية . كما حاولنا استكشاف الدور الذي لعبه الاستعمار في إثارة هذه الإشكالية عبر النظام التعليمي مما أنتج نخبا قبائلية بنزعة بربرية مما أسس لحراك ثقافي منذ الاحتلال ينادي بضرورة الاعتراف بالشخصية البربرية و بالهوية البربرية للجزائر. ثم تعرضنا للواقع اللغوي الجزائري و ما عرفه من صراعات ايديلوجية شديدة نظرا لكون اللغة حاملة لمشروع اجتماعي مميز ، لننتهي إلى تحليل مقررات كتب اللغة الأمازيغية عبر جميع أطوار المدرسة الجزائرية و ذلك في محاولة لاستكشاف أهم القيم الهوياتية التي تحاول هذه المقررات غرسها لدى تلاميذ المدارس و إيجاد أجوبة للأسئلة التي تمت صياغتها في إشكالية البحث ليكتمل بذلك عملينا البحثي و الخروج بنتائج و استنتاجات ثرية و ذات دلالة علمية عالية.

Résumé :

A travers cette étude, nous avons tenté d'aborder une question épineuse qui demeure d'actualité depuis l'ère coloniale, et ce suivant une approche socio-anthropologique dans une démarche descriptive analytique et exploratoire qui s'inscrit dans les recherches qualitatives. Cette question n'est autre que la quête identitaire en Kabylie, qui s'est cristallisé à travers le temps, et a envahi plusieurs champs vitaux de la société, culturel, social et politique et ce bien avant l'indépendance ce qui a engendré le premier revers au saint du mouvement national fin des années quarante du siècle dernier ce qui a donné naissance à des altercations entre les dirigeants du mouvement nationaliste et menace par la suite les fondements de l'Etat-nation postcolonial .

Après la restauration de la souveraineté nationale, le mouvement revendicatif prit un aspect culturel pour se focaliser sur la revendication linguistique qui représente l'une des principales manifestations de l'identité berbère. En Algérie, le champ linguistique a connu des conflits entre la francisation et l'arabisation ce qui a engendré des alignements de nos intellectuels selon leurs langues de formation académique, et l'école algérienne en sa qualité d'appareil idéologique de l'Etat a été le théâtre pour ces duels identitaires qui ont fait de la langue leur fer de lance pour acheminer les tendances de ce groupe ou de celui-ci. Alors que la langue berbère est restée en dehors du système éducatif jusqu'aux années 90 du siècle dernier, ou l'Etat a décidé de se réconcilier avec une dimension principale de l'identité nationale qui est la dimension Amazigh.

Et vu les conditions qui ont accompagné l'introduction de langue amazigh dans l'école, plusieurs lacunes ont caractérisé ce processus, à partir de là on s'est vu d'explorer cette question et d'éclairer quelques zones d'ombre qui cernent cette question épineuse et ce, en mettant l'accent sur l'ethnographie de la Kabylie historiquement et généalogiquement, les structures sociales ayant marqué cette région

ainsi que sa spécificité religieuse. On a aussi tenté d'explorer le rôle qu'a joué le colonialisme dans le soulèvement de cette problématique à travers son système d'enseignement qui a donné naissance à une élite Kabyle berbériste , chose qui va engendrer une certaine dynamique culturelle depuis l'ère coloniale qui appeler à la nécessité de reconnaitre la personnalité berbère et de l'identité berbère de l'Algérie .

Par la suite on a abordé la réalité linguistique algérienne et ce qu'elle a connu comme conflits idéologiques atroces vu que la langue est véhiculaire d'un projet social bien déterminé , pour arriver en fin à l'analyse des programmes de Tamazigh tous paliers scolaires confondus dans une tentative d'explorer les valeurs identitaires essentielles que vise à ancrer chez les élèves l'école algérienne à travers ces programmes.et de trouver des reposes aux questions formulées dans la problématique de recherche pour parachever notre recherche et sortir ainsi avec des résultats et des conclusions riches d'une certaine valeur scientifique.

Abstract :

In this study, we have tried to solve a thorny issue that has been darkening since pre-independence, according to the Socio-anthropological approach in a descriptive, analytical,and exploratory study that falls within qualitative research.

This issue is the question of identity in the Kabylian area, which crystallized over time and penetrated into many vital areas of society, cultural, social and political, and that since before independence, to know the national movement first setbacks in the late 1940s, Between the leaders of the movement and became threatening the pillars of the post-colonial nation-state.

After the restoration of national sovereignty, the claims movement took on a cultural character to focus on the linguistic demand as the most prominent manifestation of Berber identity. The linguistic field in Algeria has known great conflicts between Francization and

Arabization so that the intellectuals know the alignments according to the language of their academic composition. The Algerian school, being one of the ideological organs of the state, was the theater of the identity record, which took the language as the spearhead to pass the orientations of this or that group. The scope of the educational system until the nineties of the last century, as the state decided to reconcile with a major dimension of national identity is the Amazigh dimension. Due to the circumstances in which the Amazigh language was introduced into the school, many of the shortcomings of this process were generally felt. From here, we decided to explore this issue and illuminate some of the shadow points that surround the crux of this thorny issue by trying to focus on the ethnography of the Kabylian region in terms of history and descent, the social structures that characterized this region and its religious specificity. We also tried to explore the role played by colonialism in raising this problem through the educational system, which produced Kabylian tribes with a berberist tendency, which established a cultural movement since the occupation. It calls for recognition of Berber character and Berber identity of Algeria.

Then we presented the Algerian language reality and what it has known from severe ideological conflicts because the language carries a distinctive social project. We conclude with an analysis of the courses of the Amazigh language books throughout the Algerian school, in an attempt to explore the most important identity values that these courses attempt to instill in schoolchildren , Answers to the questions that were formulated in the problem of research to complete our research and to produce results and conclusions rich and highly scientific significance.

تمهيد :

إن العالم الثالث عامة والعالم العربي خاصة يعاني من عقدة التبعية الثقافية والاقتصادية و السياسية للغرب فإذا ما حاولنا النظر إلى التبعية بشيء من الموضوعية والعمق وجدناها قد اتخذت بعدا نفسيا وتربويا يشكل أخطر حالات التبعية الحضارية حيث تعمل التربية الاستعمارية أو تربية التبعية على تكوين نفسية الإنسان المتخلف فتحارب فيه كل محاولة تحررية وتقضي على أي مبادرة استقلالية تربطه بشخصيته الأصيلة. وسرعان ما تتحول هذه التبعية إلى ذهنية تغمر المجتمع وتطبعه ببصماتها البارزة فتنشأ فيه عدة ظواهر كالشكلية والتقليد واللامبالاة والتبذير والانحلال الخلقي و"كثيرا ما تظهر الأبعاد النفسية للتبعية في شكل هذا الوعي الحضاري وصمود للجهد الجماعي الفاقد لمبرراته عندئذ تنشأ في الحياة العامة ظواهر كالتقوقع في الأغراض الشخصية وتفشّي اللا-إنتمائية التاريخية الحضارية وظهور النزعة العرقية و الجهوية والوطنية والقومية بمعانيها الضيقة وغيرها من التناقضات وهذا ما ذهب إليه كثيرون منهم مالك بن نبي وارلوند توينبي" [1]. من هنا فإنه من السهل على أي باحث في العلوم الاجتماعية أن يلاحظ ما آلت إليه مجتمعاتنا من انسداد في الآفاق وضياع المعالم والمرجعيات وازدواج في الشخصية وقطيعة بين الوعي الجماعي والسلوكيات الممارسة على أرض الواقع ، وإذا ما سلّطنا الضوء على مشكلات مجتمعنا الجزائري نجد أنَّه قد تفشَّت فيه هذه الروح الانهزامية المولعة بتقليد الغالب والممعنة في جلد الذات والانسلاخ عن هويتنا ، كما تفشت فيه ثقافة الإقصاء والقهر ، مما أنتج العديد من مظاهر الاضطراب كالاكتئاب والمطالبة والمغالبة والمقاومة والعدوانية والعنف وكل هذه المظاهر تتقاسم عامل الكبت الذي يمكن اعتباره ملازما لمشاكل الجزائريين. فإلى ما يعود كل هذا ؟ أهو قصور في منظومتنا السياسية أم في منظومتنا الثقافية أم أن مجتمعنا يعرف اختلافا وتباينا ثقافيا تفرضه عوامل طبيعية كاللغة والدين والعرق ، وإن وجود ثقافات فرعية إثنية ضمن إطار الثقافة الوطنية أو السياسية السائدة لا يؤثر سلبا في تماسك الجماعات الوطنية و تلاحمها ولا يُقوّض وحدتها الوطنية بل يثريها ويغذيها . ولكن برغم هذا فإن الساحة السياسية والثقافية يسودها العنف والعنف المضاد والتحريف و التحريف المضاد ، فكل طرف يقرأ تاريخ البلاد وفقا لمواقفه الاديولوجية و أهوائه السياسية ، فبالنسبة للسلطة -حتى عهد قريب- فإن تاريخ

[1] ع مدني: **مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية**، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، ص05

الجزائر عربي إسلامي ، أساسا يبدأ من مجيء الإسلام وإن كان ما قبل ذلك لم يُقْصَ نهائيا لكنه هُمِّش . ويساندها في موقفها هذا تيار واسع من العروبيين والإسلامويين ، أما دعاة الأمازيغية فيؤكدون على الماضي البربري ، والتاريخ عندهم يكاد يتوقف عند الفتح الإسلامي، إذ تمر الجزائر بقرون من الفراغ حتى العهد الاستعماري الذي برز فيه البعد البربري من جديد.و هناك فئة ثالثة انغمست في الثقافة الغربية وانسلخت عن جلدتها ولا ترى من وجود وطني إلا في ظل الثقافة الفرنسية ، فهي مازالت تفكر بعقلية "**الأهالي**" وتتعالى على الشعب ومقوِّماته ومرجعياته القيمية والفلسفية ، و بهذا يقصي كل طرف جزءا هاما من التاريخ.إن جنوح النخب الجزائرية إلى الاكتفاء بالبعد العربي الإسلامي متجاهلة مراحل ما قبل الإسلام أدّى إلى تشدّد مطالب الهوية التي جاءت هي الأخرى إقصائية لأنها تنتقي فترات بعينها من التاريخ ، والحقيقة أن تاريخ الجزائر كلٌّ لا يتجزّأ و مراحله المتداخلة هي التي صقلت الهوية الوطنية بمقوماتها المتعددة .فما العمل إذن لمواجهة هذه المشكلات التي تنخر جسد المجتمع وتهدد كيانه ووحدته و تعطل بذلك عجلة التنمية ؟ لاشك إن الحل يجب إن يكون شاملا وجذريا يأخذ بعين الاعتبار مشروع المجتمع المراد بناؤه ، ونحن بصفتنا باحثين في علم الاجتماع و الأنتروبولوجيا رأينا أنه من الضروري مطارحة هذا الموضوع ولكن من الزاوية التربوية فلقد خصّصنا هذا البحث التحقيقي لمسألة الهوية في منطقة القبائل عبر المنظومة التربوية وهو محاولة جد متواضعة للكشف عن مدى مساهمة المنظومة التربوية كجهاز من أجهزة الدولة الايديلوجية في مطارحة مسألة الهوية الثقافية البربرية في بعدها السياسي والثقافي و الاجتماعي و التاريخي والديني و ذلك نظرا للدور الخطير الذي تلعبه المدرسة و المنظومة التعليمية ككل في تشكيل الوعي الجمعي للناشئة وفقا لسياسات الدولة الثقافية و السياسية . و لقد قسمنا عملنا إلى خمسة فصول ، حيث خصصنا الفصل الأول للإطار المفاهيمي للدراسة و المقاربة المنهجية ، و خصصنا الفصل الثاني لإثنوغرافيا منطقة القبائل حيث استعرضنا تاريخ البربر و سماتهم عبر الأدبيات الاثنوغرافية الفرنسية المتوفرة ، و كذا التنظيم الاجتماعي لمنطقة القبائل ثم خصوصيتهم الدينية ثم عرجنا إلى دور الاحتلال الفرنسي في بلورة سؤال الهوية في هذه المنطقة ، أما الفصل الثالث فخصصناه لكل ما يتعلق بالمطلب الهوياتي البربري في المنطقة تاريخيا من حيث سيرورة الأحداث و من الفاعلين ، أما الفصل الرابع فتناولنا فيه المشهد اللغوي في المعاش الجزائري و في السوق اللغوية الجزائرية ثم ختمنا

بالفصل الخامس و هو الدراسة التطبيقية و التي تمثل العمل الميداني للدراسة حيث تناولنا بالتصنيف و التحليل لمختلف نصوص الكتب المدرسية لمادة اللغة الأمازيغية للأطوار الدراسية الثلاثة و هي من السنة الرابعة ابتدائي إلى السنة الثالثة ثانوي.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي و المنهجي للدراسة

1- مقدمـة

إن الجزائر بحكم موقعها الجيو- إستراتيجي شكّلت عبر التاريخ ، ملتقَى لروافدَ حضارية و ثقافية متعددة و متنوعة قد تفاعلت كلُّها مع ثقافة "**الأمازيغ**" ، لينتج عن ذلك مسارات ثقافية غنية و متنوعة قد **وَصَمت** هوية هذه المنطقة. و بحكم امتداد بلاد البربر جغرافيًا من غرب مصر إلى المحيط الأطلسي و من البحر الأبيض المتوسط إلى عمق دول الساحل، و تَنَوُّعِ قبائلها في لغاتها وأنماط عيشها ، نجد أن منها من انصهرت مع الثقافة الوافدة ، و منها من بقيت مُتَمَترِسةً بثقافتها و بهويتها في وجه المحو الثقافي و السلخ الهوياتي المفروض عموما من الثقافة الغالبة الوافدة، و تجلى ذلك في مدى الاحتفاظ بعامل اللغة و الثقافة و بنظمها السياسية و الاجتماعية المتمحورة حول القرابة و علاقات الدم داخل العائلة و القبيلة. فنجد أنالقبائل التي كان نمط عيشها شِبْهَ بَدويٍ و التي اتخذت من الهضاب العليا و الأراضي الزراعية مواطن لها ، قد اختلطت مع القبائل العربية فتعربت لسانًا و ثقافةً ، وأما القبائل التي كانت مستقرة و منغلقة على نفسها في حيزها الجغرافي ، خاصة في الجبال ، فقد حافظت إلى حدٍّ ما على خصوصيتها و على شخصيتها الجماعية. و من بين هذه القبائل الأمازيغية التي حافظت إلى حدّ ما على تماسكها و انسجامها و خصوصيتها نجد قبائل "**الزواوة**" أو ما اصطُلح على تسميتها "**منطقة القبائل**" و ذلك بالحفاظ على لغتها و مؤسساتها الاجتماعية القديمة . هذه المجموعة البشرية التي كُتِب لها الصّدام الدائم مع الدُّخلاء ، قد اضطرت لبلورة فلسفة مجابهاتية ، أهمُّ ما ميّزها هو التشبُّث بمنظومة قيمية صارمة ترتكز على تمجيد "**الانتماء إلى الأرض**" و"**الحرية**" و "**النيف**" و "**الحرمة**" والمقاومة " **للبراني**"، ضمن نظم اجتماعية رمزية مميزة استطاعت أن تحافظ على هوية المنطقة لقرون . و لقد تعاملت ساكنة هذه المنطقة مع مختلف الثقافات الوافدة وفق ثنائية (تحدي- استجابة) بحسب تعبير "**آرنولد توينبي** " بحسب طبيعة كل وافد و أغراضه. و مع الفتح الإسلامي ، و بعد مقاومة طويلة و شرسة ضد الفاتحين ، تَقبّلت المنطقة تعاليم الرسالة الجديدة لروحانيتها و لسمو القيم التيتدعو إليها ، ما جعل ساكنتها يستدمجون قيم هذه الثقافة الوافدة لإنتاج نظام اجتماعي جديد أساسه" الجامع" أو المسجد و الشيخ و الزاوية بعد ذلك . هذا الاحتكاك أوجد وضعيةً تثاقفيةً وضعت اللغة الأمازيغية **الشفوية** في وجه اللغة العربية **المكتوبة** الناقلة للمعرفة المقدّسة و الدنيوية ، ما أدَّى إلى اندماج المنطقة في التراث الحضاري العربي الإسلامي و تَعَرُّبها ثقافيا مع الحفاظ

على وظيفية الأمازيغية كوعاء للتعامل اليومي و كمُقوِّمٍ للحفاظ على العادات و التقاليد. و مع الصَّدمة الحداثية التي جاء بها الاحتلال الفرنسي و رغم سنين من النمذجة و التنميط عبر مدرسة "**جول فيري**" و الترويج لمفهوم " **الأسطورة القبائلية** " ***Le Mythe Kabyle*** حسب تعبير "**شارل روبير آجرون**" ، و محاولات الطمس الهوياتي نجد أن ساكنة هذه المنطقة قد انتفضت عدة مرات في وجه الاستعمار و لكن باسم ثنائية (**الإسلام و العربية**) في وجه (**المسيحية والفرنسية**)رغم ما عُرِف بأزمة 1949 أو "**الأزمة البربرية**".و مع استرجاع السيادة الوطنية و بعد تضحياتٍ جسام ، و مع ما تطلّبَه بناء الدولة الوطنية ، وجدت منطقة القبائل أو بالأحرى النخبة القبائلية نفسها في وجه نظام جزائري أحادي و مركزي، قد فرض نظرته الاختزالية لهوية المجتمع الجزائري،و كانت المدرسة من أهم آليات التأحيد اللغوي و الثقافي و الإيديولوجي بحكم أن المدرسة هي المسؤولة في إعادة الإنتاج الفعلي للنظام الاجتماعي ، ما أنتج تشنجات في الحقل الثقافي و التربوي و السياسي بسبب تباين الرؤى حول مشروع المجتمع و مكانة الثقافات المحلية و لغاتها ، ما عَطّل عملية التنمية و البناء الحضاري. هذه النظرة التأحيدية و الاختزالية للهوية من طرف الدولة قابلها ردٌّ فعلٍ تأحيدي و متطرف أيضا "**من طرف النخب البربرية**"التي تعاملت بانتقائية مع التاريخ و حاولت التنصُّل من خيارات الأجداد ، و كأنّهم بصفةٍ ما لم يحسنوا الاختيار" ما أدى إلى تفشّي اللا-إنتمائية التاريخية الحضارية وظهور النزعة العرقية و الجهوية والوطنية والقومية بمعانيها الضيقة وغيرها من التناقضات[1]" التي تُهدِّد وحدة الأمة و انسجامها. إلى غاية عام 1995 ، و بعد تضحية أطفال المدارس بسنة بيضاء من مسارهم التعليمي ، تقرّر الاعتراف بالأمازيغية و إدراجها في المنظومة التعليمية.هذا الإدراج في التعليم الذي بدأ بست عشرة ولاية في بادئ الأمر ثم تقلَّص لينحصر في المناطق الناطقة بالقبائلية فقط و بطابع اختياري ، سرعان ما كشف عن إشكالات موضوعية تقتضي الالتجاء لمختلف الحقولالمعرفية من آنثروبولوجيا و علم الاجتماع و اللسانيات و التاريخ و السياسة للوقوف على حقيقتها و استكشاف أغوارها. و بصفتنا باحثين في علم الاجتماع و الآنتربلوجيا ارتأينا مطارحة هذا الموضوع المُلَغَّم نظرا لأنه - لا تنمية بلا وحدة وطنية و لا وحدة وطنية بلا مواطنة و لا مواطنة بدون تنوع لغوي و ثقافي.

[1] مدني ع: مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، دار الشهاب للطبعة والنشر باتنة ص05

2- أسباب إختيار الموضوع :

إذا تحدثنا عن أسباب اختيارنا لموضوع الدراسة، فإننا لن نجد لها حدودا تتوقف عندها، باعتبار كثرتها و تشعبها. غير أننا حين نركز فيما هو أهم، فيمكننا تحديد بعض الأسباب الذاتية و أخرى موضوعية. و كلها تدفع بالباحث ليروي فضوله العلمي ، و بالتالي تستوقفنا أولا تلك الأسباب الذاتية ، التي تدفع بنا كل مرة إلى محاولة التعرف أكثر على تقنية مهمة جدا في الدراسات الاجتماعية ألا و هي تقنية تحليل المحتوى التي تبدو الأكثر ملاءمة لهكذا دراسات .و كذلك من جهة أخرى تجتاحنا رغبة خاصة جدا في الاطلاع على مضامين الكتاب المدرسي للغة الأمازيغية ، و رغبة منا في الحد من فكرة نجاحه من عدمه لاتخاذ موقف علمي موضوعي في ذلك ، و منه اكتساب معرفة علمية حول ظاهرة حقيقية و واقعة بالفعل . و منه يكون بإمكاننا إثراء المناقشات اليومية التي تشغل الرأي العام و التي تغلب عليها الأحكام القيمية و الاصطفافات الايديلوجية و السياسية ، لمجرد فقط كون الأفراد المتناقشين حول الموضوع ينتمون لمنطقة بعينها ، أو لمجرد أن هناك من يؤيد فكرة تعليم أو تدريس اللغة الأمازيغية و من يناهض ذلك ، و منه فإن وضع حد علمي جاد لمثل هكذامناقشات من بين أهم أسبابنا الذاتية لتناول هذا الموضوع .

هذا و قد أخذت الأسباب الموضوعية حيزا كبيرا أيضا في دفعنا لمثل هذا البحث ، حيث تشعبت المشاكل في مجتمعنا في الآونة الأخيرة ، و أصبح ما هو سياسي لا ينفصل عما هو اجتماعي و حتى عما هو اقتصادي أو ثقافي ، لذلك أصبحت المشكلة الواحدة يمكنها أن تشكل أزمة طويلة المدى ، بالتالي أصبحت الأفكار و الأحكام في المجتمع وليدة لحظات غضب أحيانا و وليدة انتماءات في أحيان أخرى ، و قد لا يخفى علينا أيضا ، أن تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية كان ثمرة سنة كاملة من مقاطعة التلاميذ لمقاعد الدراسة في بعض المناطق الجزائرية و في منطقة القبائل بالخصوص ، ما ولّد نوعا من التفكير في وجود أزمة إثنيات و ليست أزمة هوية كما هو مفترض ، إلا أن هذا الانقطاع قد أفضى إلى قرارالدولة بإدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية ، قرار قُوبل بالترحيب و التثمين من طرف البعض و الامتعاض و الرفض من الطرف الآخر ، و ذلك نتيجة لاختلافات في المنطلقات و الرؤى سيكون لها منحى بحثي آخر و هذا ما يعزز رغبتنا في تناول هذا الموضوع الذي يعد مفتاحيا في فهم الصراعات التي تنخر المجتمع الجزائري و هذا ما يدفعنا

إلى الرغبة في التعمق و التحليل في مقررات الكتاب المدرسي للغة الأمازيغية و الذي يخص شريحة اجتماعية غاية في الأهمية ، و هي شريحة الأطفال باعتبارها أرضية خصبة و قاعدة تُعد من خلال الأفكار و القيم التي تُغرس فيهم و تُلقن لهم في المدرسة ، كأهم مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، و كل هذا يشير إلى دافعنا الكبير لاختيار هذا الموضوع الشائك و المُلغَم الذي يحمل في طياته الكثير من الظواهر الاجتماعية المتشابكة و المتشاكلة ، و التي يصعب الفصل بينها مما يجعل منها قنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر بمجرد إهمال إحدى تفاصيلها.كما نود الوصول أيضا من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن حقيقة الاهتمام بهذه اللغة التي يمكن أن تكون في أذهان التلاميذ تعبيرا عن هويتهم الوطنية و الثقافية ، كما يمكن أن تكون محاولة لغرس أفكار مغايرة لا تتناسب و حقيقة وجودها كلغة في حد ذاتها ، باعتبار أنها قد أُدرجت كمادة غير أساسية في البرنامج المدرسي الوطني إذ اختصت بها بعض المناطق دون غيرها و هذا ما يطرح إشكالا موضوعيا في حد ذاته .

3- الهدف من الدراسة :

نسعى في البحث العلمي دائما إلى تطوير ما يسمى بالنقد العلمي البنَاء الذي يهدف إلى اكتشاف الأخطاء التي يمكننا الوقوع فيها لتصحيحها أو التي يمكن أن تكون آفاقا أخرى لتطوير البحث العلمي في دراسة ما. لذلك نقول أن التخطيط لوضع مادة جديدة للتدريس في البرنامج التعليمي لم يكن خبط عشواء ، و إنما خضع أولا لدراسة علمية و تخطيط جاد ، غير أن هذا لا يمنع من وجود سلبيات و نقائص فيه يمكننا التوصل إليها خلال دراستنا هذه ، و وضع أيدينا على تلك الفراغات و الاختلالات التي يمكن أن تكون ذات وزن و وقع كبيرين لا يمكن إغفالهما أو تجاهلهما . و من جهة أخرى ، يمكن لهذه الدراسة أن تكون نافذة جديدة لعالم المعرفة من منظور آخر ف :" يمثل البحث العلمي أهمية كبرى في تحقيق النجاح و الرفاه للمجتمعات الحديثة ... لذلك اقترن تقدم الشعوب و الأمم بالاهتمام بالبحث العلمي كأهم مصدر للمعرفة "[1]. فمن خلال هذا البحث ستتضح لدينا أهم معالم الكتاب المدرسي باللغة الأمازيغية ، و حقيقة مساعيه من خلال القيم التي يحملها ليطبعها و يسكبها في التلميذ بمختلف أطواره التعليمية ،مع الاهتمام بسنه و مستواه الدراسي و حقيقة التناسب بين النضج العمري و المعرفي لتقبل هذه الأفكار أو تلك

[1] عبد المجيد (إبراهيم)، أسس البحث العلمي، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2000، ص 40

، كما نهدف إلى معرفة حقيقة ما إذا كان هناك انتقاء صحيح و صائب ، و حدود هذا الانتقاء للنصوص المدرجة فيه ، مع تناسبها و الثقافة الخاصة بالطفل الجزائري ، باعتبارها تنقل ثقافة شعبية و قيم و حكم اجتماعية تبني جزءا مهما من شخصية الفرد و هو في مرحلة التعليم .

إذن نهدف من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤال مُلح و ضروري يتمحور حول ماهية القيم الهوياتية التي يحملها الكتاب المدرسي للغة الأمازيغية في مختلف الأطوار الدراسية ، من الابتدائي إلى المتوسط فالثانوي ، و كذلك أهمية هذه القيم في بناء شخصية التلميذ من خلال الوصول إلى تحديد أهداف معينة يصبو إليها التعليم ككل ، و هذه القيم بصفة خاصة .كما سنحاول الكشف عن إمكانية تحقيق هذه الأهداف في ظل مجتمع متعدد الثقافات الفرعية و الإثنيات ، مع تأثير الفكرة الهوياتية المتأصلة في منطقة القبائل و تكيفها مع العقلية الاجتماعية بصفة عامة . و ربما تبدو لنا من الوهلة الأولى أن الإجابات سهلة و واضحة حول كل هذه التساؤلات ، غير أن علم الاجتماع و الإناسة كما هو معروف يعملان على إثارة ما هو عادي لدى كل الناس و جعله غير عادي ، و ذلك من خلال إثارة النقاط الخفية و إبرازها للوصول إلى تلمُّس الظاهرة الحقيقية ثم العمل و البحث من أجل الوصول إلى نتائج علمية ، و ذلك من خلال إثارة المفارقات المجتمعية و محاولة إعدامها ، و الانطلاق مما هو عادي للوصول لما هو غير عادي و من السهل إلى المعقد و المركب .

4- أهمية الدراسة:

مما لا شك فيه أن لأي دراسة أكاديمية أهميتها التي تدفع الباحث لسبر أغوارها ، و محاولة التوصل إلى نتائج تجيب عن تساؤلاته ، و يكون طريقه في ذلك الأدوات المختلفة للبحث العلمي و مناهجه مع استخدامها بطريقة علمية موضوعية. و البحث العلمي في علم الاجتماع يسعى إلى تحقيق هدفين رئيسيين أولهما نظري و الثاني عملي ، أما النظري فيتم من خلاله التعرف على طبيعة الحقائق و العلاقات الاجتماعية ، و النظم الاجتماعية ، و أما الهدف العملي فيمكن الاستفادة منه في وضع خطة للإصلاح على أساس سليم وفق ما يرتضيه التطور الطبيعي للمجتمع[1].

[1] محمد شفيق : البحث العلمي – الخطوات المنهجية لاعداد البحوث الاجتماعية، الإسكندرية، المكتبة الجامعية الحديثة، 1998، ص55

وتكمن الأهمية النظرية للدراسة الراهنة في أن هناك دراسات أجريت حول المدرسة و الهوية و لكن كلا على حدة ، إلا أن هذا البحث يسعى إلى الدمج بين المدرسة كفضاء تربوي و علاقته بسجالات الهوية من خلال إدراج الأمازيغية كمادة تعليمية . و تأتي الأهمية العملية في أن التنمية العامة للمجتمع تمر حتما بالاتفاق على مشروع المجتمع ، و هذا لا يتأتى إلا بالاتفاق على هوية هذا المجتمع . لذاكان من الضروري التعرف على مساهمة المدرسة في صهر جميع الرؤى ضمن الهوية الكلية الحاضنة مع الاعتراف بالتنوع ضمن ثقافة و هوية مجتمعية واحدة من أجل محاولة إعداد البرامج العلاجية و الوقائية و التوعوية لرأب الصدع بين مختلف فئات المجتمع و إعادة اللحمة لها و تجنب انزلاقات " الهويات القاتلة " على تعبير " أمين م علوف " .

5- الدراسة الاستطلاعية:

في البحوث الاجتماعية عامة و في علم الاجتماع و الإناسة على وجه الخصوص، يُعتبر البحث الاستطلاعي من بين الخطوات الأولى و المهمة جدا ، و التي يجب على الباحث عدم تجاوزها ، باعتباره أول خطوة في سلسلة البحث الاجتماعي ، حيث من خلاله يمكن إضافة معلومات جديدة أو تنقيح معلومات موجودة فعلا من أجل المواصلة في البحث أو تعديل المسار النظري و المنهجي . و بالتالي نشير و نؤكد على ضرورة البحث الاستطلاعي من أجل التأكد من الوجود الفعلي للظاهرة المراد دراستها ، حيث يقول في هذا الصدد محمد عاطف غيث : " ... هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق غايات ، مثل توضيح بعض المفاهيم ، و معرفة أولويات المسائل و الموضوعات الجديدة للبحث "[1].من هنا نلمس أهمية الدراسة الاستطلاعية في البحوث العلمية باعتبارها دليلا نسترشد به في الخطوات الأولى للبحث، و تتجلى أكثر ضرورته في التأكد من حقيقة وجود الظاهرة المراد مناولتها ، لهذا قسمنا هذه الدراسة إلى شقين أو محورين مهمين هما على التوالي :

[1] غيث محمد (عاطف) ، **محاضرات في البحث الاجتماعي** ، بيروت ، مكتبة جردية إخوان ، 1972 ، ص 41

1-5 : المحور الأول :

لا يمكننا الاستغناء عن البحث الوثائقي في كل دراسة كأول خطوة في البحث العلمي ، فبمجرد أن تراود أذهاننا فكرة بحث ، فإن أول ما نقوم به هو محاولة البحث في أرشيف ذاكرتنا عن كل كتاب له علاقة بموضوع الفكرة ، و بالتالي نخطو فعلا أول خطوة في البحث المكتبي ، بحيث نحاول البحث و الحصول على مختلف المصادر المكتوبة من كتب و مجلات و جرائد و بحوث سابقة و التي يمكننا من خلالها إثراء معلوماتنا حول الموضوع المقرر دراسته ، و بالفعل بعد بحث طويل أمكننا الحصول على عدد منها ، و قد ساعدتنا كبداية على تحديد وجهة الموضوع ، كما تمكنا من التحكم في بعض الأفكار ، و من جهة أخرى تعرفنا على أفكار جديدة لم تكن لدينا من قبل ، و هكذا عملنا على محاولة الحصول على مصادر جوهرية إلى حد ما بالنسبة لموضوع بحثنا .

2-5 المحور الثاني :

بعد الإلمام بأهم الأفكار النظرية من خلال البحث النظري البيبليوغرافي أو المكتبي ، نزلنا إلى الميدان ، فالبحوث الاجتماعية كيفما كانت ، لا يمكنها بأي حال من الأحوال الاستغناء عن الواقع الملموس الذي يعج بحقائق غير ظاهرة للعيان ، و التي لا نتوصل إليها عبر القراءات النظرية ، و استنطاق الواقع ضرورة من أجل الوصول إلى نتائج أكثر واقعية و كذلك من أجل التعرف على الظاهرة عن كثب و اكتشاف خصائص الميدان ، حتى نتوصل إلى تحديد الملامح الأساسية ، و منه يكون لنا دفعا معرفيا في تخصيص سؤال الانطلاق .و كما هو ملاحظ فإن طبيعة موضوعنا لا تلح كثيرا على النزول إلى الميدان ، كوننا اعتمدنا على تقنية تحليل المحتوى لمجموعة نصوص مأخوذة من الكتاب المدرسي في مادة اللغة الأمازيغية بالنسبة لجميع الأطوار التعليمية .إذن كانت أولى خطواتنا في الميدان قبل أن تتحدد فكرة البحث ، حيث حاولنا الاحتكاك ببعض تلامذة السنوات المختلفة المعنيينبدراسة اللغة الأمازيغية في بعض المؤسسات التعليمية القريبة من منطقتنا ، كما قمنا ببعض المقابلات غير المحددة الأسئلة لكنها محددة الفكرة مع أساتذة المادة و كذا بعض المفتشين في المادة كذلك ، بالإضافة إلى مجموعة من الفاعلين الذين هم على صلة بالعملية (سياسيين و حقوقيين و رجال ثقافة) ، ما سمح لنا بالخروج بفكرة عامة لكنها أدق حول الموضوع ، و هذا ما ساعدنا على التوجه نحو الكتاب المدرسي و قد تصفحناه في الوهلة الأولى ، ثم و بعد

الاطلاع على نصوصه و التمعن فيها زادت فكرتنا تحديدا و اتضحت لدينا الرؤية العلمية البحثية ، و منه توصلنا إلى دراسة و تحليل هذه النصوص محاولين بذلك الكشف عن خبايا القيم التي تحملها عن مقومات الهوية .

6- طرح الإشكال :

لقد كانت "**منطقة القبائل**" محلَّ اهتمام الوافدين على شمال إفريقيا و موضوعا للدراسات الاجتماعية و الآنثروبولوجية ، وذلك بفعل تَمَيُّزها اللغوي و نظام العيش لساكنتها و تَعطُّشِهم للحرية و تقديسهم للأرض و انغلاقهم على أنفسهم. و بحكم الصِّدام الدائم مع الدخلاء فإن " القبائل" قد اختاروا الانسحاب إلى أعالي الجبال و الاستقرار في تجمعات سُكَّانية كثيفة للحفاظ على وجودهم و ضمان استمرارية جنسهم عبر الأجيال.و " على غرار كافة تنوعات "البربر"، و منذ عهود غابرة ، نجد أن"القبائل" يترددون في الظهور كفاعلين مستقلين في التاريخ و يُفَضِّلون العيش تحت راية الآخر المهيمن "الغالب" و تحت عباءته ، مُجَندين لخدمة لغته و ثقافته و ديانته و ايديلوجيا مشروعه السياسي ، و في الوقت ذاته ، مُتَجذِّرِون في ذاكرتهم الخاصة و تضامنهم الفريد و وفائهم لأجدادهم و لأرضهم" [1].إنها وضعية مفارقاتية بامتياز ، ففي الوقت الذي تُشكِّل فيه هذه القرى على امتدادها و على كثرتها ما يصطلح عليه ب " بْلادْ قْبَايلْ " بالتعبير الدارج أو" بلاد الزواوة " بتعبير ابن خلدون ، نجد أنَّ كل قريةٍ تمثل كيانًا مستقلاً في حدود جغرافيتها المعروفة من حيث قوانينها التنظيمية. و لكن مع ذلك ، حافظت هذه القرى على مُقَوِّمات شخصيتها و هُويتها الثقافية و تَميُّزها الثقافي و الاجتماعي دون أن يمنعها ذلك من التواصل و التفاعل و التضامن مع جوارها من ساكنة الجزائر، و كمثال علىذلك ما حدث في" شتاء 1867 عندما أخذ سكان منطقة "دَلَّسْ" على عاتقهم إيواء و إطعام ساكنة المناطق الناطقة بالعربية بكل رحابة صدر ضاربين بذلك أسمى مثال للتضامن"[2] ، بعكس ما ذهبت إليه معظم كتابات الفرنسيين التي تُصِرُّعلى وجود عداوة بين "القبائل" و "العرب" .

و لقد بقيت هذه المنطقة مُغْلقةً بإحكام في وجه كل تأثير غير إسلامي ، بحيث " عُورِضَت المدرسة الفرنسية بشدَّة ، على عكس الزوايا أو المدارس القرآنية التي حَضِيَتْ

[1] *Ferhat Mehenni :**Algérie : la question kabyle** ,2004, Paris, Éditions Michalon, p7*
[2] *Hanoteau et letoutneux :**la kabylie et les coutumes kabyles**,1893,paris,challamel,3 vol,p57*

بقبول كبير" [1]عند أبنائها ما جعل الفرنسيين يسمونها " **جبال المعرفة** " . و كانت الأمازيغية و العربية في تكامل وظيفي لا في تعارض وجودي ، حيث أن الأمازيغية قد حافظت على وظيفيتها كوعاء للتعامل اليومي و كمُقوّمٍ للحفاظ على العادات و التقاليد ، بينما كانت العربية لغة المعرفة الدنيوية والدينية بصبغة مقدسة . ومع الصدمة الحضارية التي جاءت مع الاستعمار الفرنسي الذي فرض الفرنسية كلغة تداول على الجزائريين ، نجد أن المنطقة قد انتفضت في وجه الاحتلال تحت رايةِ ثنائيةِ (إسلام و عربية) كبعدين أساسيين لهوية المنطقة في وجه الثنائية (مسيحية فرنسية) المفروضة من قبل الفرنسيين. و بعد سلسلة التهجيرات التي تَعرَّض لها سكان المنطقة و الانتشار التدريجي للمدارس الفرنسية ، الذي فُرِضَ كأمرٍ واقع ، و تَبَلوُرِ الفكرة الوطنية لدى النخبة الوطنية ، و عند محاولة تَصَوُّرِ الدولة الجزائرية المستقلة ، خرج إلى الوجود إشكال الهوية بما عُرِفَ آنذاك بالأزمة البربرية التي تمَّ احتواؤها إلى ما بعد الاستقلال. و مع استرجاع السيادة الوطنية و ما يقتضيه بناء الدولة من تأحيد لغوي و ثقافي و سياسي و بحث في مسائل العيش المشترك ، رُفِعَ شِعارُ " تعميم التعليم و توحيده و تعريبه و جزأرته" قصد توحيد الجزائريين حول مدرسة جزائرية تُعزِّز المشترك بينهم عبر المناهج و المقررات. و هنا برز الصراع بين النخب المثقفة الفاعلة حول هوية مجتمع ما بعد الكولونيالية ، و كانت اللغة من أهم تَجَلِيات الِاصْطِفافات و التَمَوقُعَات السياسية و الفكرية التي أفرزت تيارين رئيسيين ، تيار فرانكفوني و تيار عروبي.إذ كان التيار الفرانكفوني يُركِّز على البعد المتوسطي وعلى البعد الأمازيغي الذي كان بالفعل مَنْسيًا كَمُكوّنٍ من مُكوّنات الهوية الوطنية ، أما على الصعيد السياسي فركّز على التبشيربااللائكية نتيجة الربط الوثيق في تصور الإيديولوجية الفرانكفونية بين العربية والإسلام. بينما التيار العروبي لم يكن يَتَصَوَّرُ الهوية الوطنية خارج إطار العروبة و الإسلام. ما دفع بالنخبة المثقفة الفرانكفونية القبائلية إلى مقارعة السلطة الحاكمة لافتكاك الاعتراف و إعادة الاعتبار للبعد الأمازيغي لهوية الشعب الجزائري و الذي كانت اللغة الأمازيغية أَهَمَّ مُقَوّماته. .بدأ الصراع بمساءلة الذاكرة الجماعية و التاريخية لمنطقة " القبائل" وبالحفر في الواقع الثقافي والاجتماعي للشمال الإفريقي ككل و ذلك بهدف إثبات

[1]*Charveriat francois : **huit jours en kabylie. A travers la kabylieet les questions kabyles**, 1889-paris ,librairie plon, p221*

التمايز و المغايرة عن الرؤية الرسمية للسلطة السياسية، ما أدَّى إلى قراءات مُجْتَزَأة و مُبْتَسَرة و تفسيرات مُؤَدْلَجَة لتاريخ الجزائر الثقافي و السياسي و الاجتماعي مما يوحي بأزمة هوية خانقة لدى النخب الفاعلة في المجتمع. و بعد تضحيات شريحة كبيرة من مُثَقَّفي منطقة القبائل ، تَمَّ الاعتراف بالبعد الأمازيغي للهوية الجزائرية ثم بالأمازيغية كلغة وطنية ليَتَقَرَّرَ بعد ذلك إدراجها في المنظومة التعليمية في المناطق التي ترغب في تعلُّمها و كانت منطقة القبائل أهمها على الإطلاق. و تأسيسا على ما سَبَق و بعيدا عن الطرح الايديلوجي الذي يحاول دوما لَيَّ أعناق الحقائق و في محاولة لقراءة الواقع كما هو كائن ، فإن إشكالنا يتمحور حول سؤال رئيسي هو:

"ما هي القيم الهوياتية التي تسعى المدرسة الجزائرية لترسيخها لدى تلاميذ المدارس من خلال مضامين مادة اللغة الأمازيغية للأطوار الدراسية الثلاثة ابتدائي ، متوسط و ثانوي" ؟

و كتساؤلات فرعية:

1. إلى أي مدى أثَّر "السياسي" على "الثقافي" في وضع تصور للهوية من خلال هذه المضامين؟
2. هل يوجد تصور موحد للهوية التي يراد ترسيخها من خلال مضامين اللغة الأمازيغية؟
3. هل تسعى هذه المضامين إلى تعزيز الانتماء للوطن ككل أم لمنطقة القبائل فحسب؟

و سعيا منا للإجابة عن هذه التساؤلات فإننا قد تجنبنا صياغة الفروض حول الموضوع ، و هو تصور أو اقتراب تتبناه العديد من المقاربات الاجتماعية المعاصرة في البحث و هو استئثار العمل بأسئلة الإشكالية كإطار موجه للبحث، عوض صياغة فروض و التقيد بالمجال الذي تحدده ، و هذا ما يجعل هذه الدراسة استكشافية تحليلية تطرح التساؤلات من منطلق استنطاق الظاهرة و تفادي توجيه البحث لأن " كل تحديد هو نفي" ، و ذلك نظرا لكون المعرفة الاجتماعية و الانتروبولوجية المتوفرة حول هذا الموضوع ، لا تمثل مخزونا معرفيا يسمح بصياغة الفروض . فباستثناء بعض الكتابات المرجعية ، فإن الأدبيات التي تناولت بالدراسة و التمحيص القضية البربرية ، إما أنها انعكاس للخطاب الهوياتي للحركة البربرية و إما انعكاس للخطاب المعادي ، و بالتالي يمكننا القول أنه لم يتم تناول قضية التأكيد الهوياتي « *affirmation identitaire* »البربري بصورة نقدية

، إذ أن معظم الأدبيات أو على الأقل المتوفرة لدينا و التي اطلعنا عليها ،كانت إما لمتحمسين للقضية الأمازيغية من نشطاء مناضلين ، و إما لمعارضين لها شكلا و مضمونا من تيارات ايديلوجية مناهضة للطرح البربري ، بينما كان من المفروض توسيع رقعة التفكير في سبل الخلاص بمطارحة مسألة الهويات الثقافية بعيدا عن توصيات الأسلاف أو الأجداد المقدسين أيا كانت مشاربهم. وبالتالي فإننا آثرنا طرح التساؤلات بهدف استنطاق الظاهرة، دون توجيه البحث بشكل مسبق. و تجدر الإشارة إلى كون هذه الدراسة استكشافية وصفية تحليلية و هي تندرج ضمن الدراسات الكيفية و تستدعي الاغتراف من العديد من التخصصات العلمية كالتاريخ و السياسة و الانتربلوجيا و علم الاجتماع و اللسانيات في مناولة هوليستية للموضوع.

7- الإطار المفاهيمي للبحث :

لا يمكننا التطرق لدراسة سوسيلوجية أو آنتروبولوجية بصورة علمية مؤكدة من دون وضعها في إطار نظري معين ، و الذي يتم من خلال منظومة مفاهيمية لا تكون مختارة من طرف الباحث و إنما تُفرض عليه من خلال حاجة علمية معينة . فيجد الباحث نفسه ملزما بتوجيه تفكيره إلى وجهة علمية معينة ، و هي ما نسميه في اللغة العلمية بالنظريات ، و هذه الأخيرة متعددة و مختلفة أيضا في العلوم الاجتماعية عموما ، و وضع البحث في قالب نظري يتماشى و إشكالية بحثنا يُعد أيضا ضرورة منهجية ، و تطبيق النظرية ليس بالأمر الهين الذي نتوصل إليه من مجرد دراسة النظريات و تعلمها و حفظها عن ظهر قلب ، و إنما يكمن السر في ذلك في تعلمنا التفكير نظريا كما يقول « ***Langaid*** » :" ... أن نفهم النظرية هو مسألة تتعلق بتعلم التفكير نظريا أكثر منه تعلم النظريات ذاتها "[1].

1-7 المقاربة النظرية :

إن مفهوم الهوية ، حديث النشأة ، و هو مفهوم غاية في التعقيد و المُشاكلة ، ظهر مع ظهور مفهوم " الدولة-الأمة "« ***Etat – Nation*** » . و التعاطي مع هذا الموضوع يستدعي تبني مفاهيم خاصة تبنتها نظرية ما ، و لقد بحثنا في كتب اللغويين و في مجالات الدراسات اللغوية خلال فترة الاحتلال الفرنسي و بعد الاستقلال ، فوجدنا بعض الدراسات تناولت

[1] أيان (كريب) ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، تر: حسين غلوم (محمد)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، الكويت ، 1978 ، ص 24 .

التعريب و أخرى بحثت في الانقسامية و الصراع بين النخب الجزائرية المثقفة ، إلا أننا لم نقع على نظرية تنطبق تماما على موضوع بحثنا كي نتبناها كإطار موجه في عملنا ، و ذلك رغم " توصل الباحثين في علم الاجتماع اللساني إلى تعميمات عن العلاقة بين الألسن و التي لخصها« ***Boyer.H*** » في التعميم التالي :" يؤدي كل اتصال بين اللغات إلى وضعية صراعية ، و الصراع حول اللغة يدخل عموما في إطار الصراعات الإيديولوجية السياسية ، فالهيمنة السياسية تسير جنبا إلى جنب مع الهيمنة اللغوية "[1]. و بالتالي فإن الهوية دائما يحددها محور الصراع، و جميع أنواع الصراع مبناها على الهوية. كما أن الأشياء تتمايز بضدها. ولهذا ارتأينا أن المجال الأنسب لدراسة هذا الموضوع هو علم اجتماع الصراع ، و ذلك لكون الهوية مفهوما متحركا و ديناميكيا، و لا تتأكد في تنوعها و تعقدها إلاَّ في وضعية التغير الاجتماعي بمعنى إلا في حالة أزمة ثقافية ، و هذا ما دفع « ***Lipiansky*** » إلى القول :" أن الهوية لا تبرز كهوية إلا في وضعية أزمة "[2] ، بسبب الصراع مع الآخر. و لقد ارتأينا مناولة الموضوع وفقا لمقاربة نظرية للصراع في جزء منها ، و ذلك تماشيا مع نظرية " رالف داهرندورف " .

2-7 نظرية الصراع :

لقد أحدثت نظرية الصراع ثورة في الموروث الفكري الإنساني الحديث، مما أثار اهتمام العديد من العلماء ، و لكن لم تتفق رؤاهم كلها حول هذا الموضوع ، فنجد منهم العالم " داهرن دورف" قد استخدم مفاهيم " ماركس" في دراسة النظام الاجتماعي الرأسمالي الحديث و لكن بشكل مختلف عن الصراع الطبقي .إذ كان ينظر إلى العالم على أنه في حالة صراع مستمر ، و كان يرى أن السلوك الاجتماعي لا يحسن فهمه و إدراكه إلا في سياق الصراع و التناقض و التوتر بين الجماعات المتنافسة من دون أن يكون بالضرورة عنيفا ، إذ يمكنه أن يتخذ شكل النزاع بين مختلف الجماعات الاثنية أو الدينية. و بالتالي لم يعد الصراع ينحصر في الظاهرة الطبقية و إنما أصبح جزءا من المعاش اليومي لدى كل المجتمعات.و لقد اعتمد في تحليله للمجتمع على نظريتي التكامل و القهر ، بحيث ترى نظرية التكامل أن هنالك تواصلا إلى مستوى ما و ثباتا من حيث بناء العناصر المتكاملة في

[1] ولد خليفة محمد العربي: **المسألة الثقافية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2003 ، ص 355

[2] *Lipiansky E.M « identité subjective et interaction », In Stratégies identitaires, PUF, Paris, 1990 ,P 10*

المجتمع، بحيث تكون لكل عنصر وظيفة يسهم بها في ضمان ديمومة النسق المجتمعي الذي يسوده نوع من التجانس و التوافق بين أعضائه .بينما ترى نظرية القهر أن كل مجتمع و في كل فترة يعرف نوعا من الصراع و النزاع، بحيث يسهم كل عنصر في منع تكامل النسق الكلي. و لقد اعتبر أن الصراع بكونه ظاهرة اجتماعية طبيعية في كل المجتمعات قد تكون له وظائف ايجابية يمكن أن تؤدي إلى التغيّر، فهو لا يعترف بمفاهيم التنسيق الوظيفي والتكامل والاستقرار ، كما لا يعترف بوجود المجتمع في ضوء الصراع الطبقي الاقتصادي المادي كما يراه ماركس. و إنما يرى بضرورة توجيه علم الاجتماع إلى إشكالات التغيّر والصراع والقهر التي يطرحها البناء الاجتماعي. إذن فالصراع في نظر " داهرن دورف " يدور في الحقل السياسي وليس في الحقل الاقتصادي و هو بذلك يستبدل الحتمية الاقتصادية بالحتمية السياسيةومن علاقات الملكية لوسائل الإنتاج الى علاقات السلطة، ومن تعارض المصالح الى استمرار الصراع، ومن الصراع كوسيلة ضرورية للتغيّر الى البحث في وظائف الصراع في الكل الاجتماعي و هو القوة الخلاقة التي تصاحب التغير. ومن هنا يمكننا أن نستعين بهذه النظرية و لو جزئيا لفهم الواقع الاجتماعي وما يشوبه من صراع حول فرض رؤية معينة للهوية دون أخرى ، ومحاولة الإقصاء و الإقصاء المضاد وما تتسم به النخب المثقفة والسياسية من صراع المصالح على حد قول " ماركس " في التعامل مع هذه القضية الشائكة. و من منطلقنا نحن ، لفهم الظاهرة فإنه يمكننا القول أن ظاهرة الصراع قد ساهمت في طرح تصور معين للهوية الجزائرية بنوع من الاستبداد و الإقصاء ما أدى إلى ظهور المطلب الهوياتي لدى فئات مختلفة من المجتمع بالخصوص عند التيار البربري .

8- تحديدالمفاهيم:

من الضروري من الناحية المنهجية أن نحدد المفاهيم التي سترد طيلة هذه الدراسة، و سنتعرض لمجموعة من المفاهيم نظرا لكونها تحتمل معاني و دلالات مختلفة حسب الباحث و حسب مجال البحث.

أ- مفهوم الهوية :

يُشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير " هو " أما مصطلح "الهو-هو " المركب من تكرار " هو " فقد تم وضعه كاسم معرف ب "ال: ومعناه " الاتحاد بالذات[1] ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيئ " هوهو " أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتمييزه عن غيره فهو وعاء الضميرالجمعي لأي تكتل بشري ومحتوى لهذا الضمير في نفس الوقت بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها[2]، وتأسيسا على المقاربة الفلسفية فإن الهوية تعبر عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره كما تعبر عن خاصية المطابقة ، وبالتالي فان الهوية الثقافية لأي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات [3] . وتؤكد الدراسات السوسيولوجية أن لكل أمة أو جماعة مجموعة من الخصائص والمميزات الاجتماعية والنفسية و المعيشية والتاريخية المتماثلة التي تعبر عن كيان ينصهر فيه قوم منسجمون ومتشابهون بتأثير هذه الميزات التي تجمعهم ، ومن هذا الشعور القومي ذاته يستمد الفرد إحساسه بالهوية والانتماء ويحس بأنه ليس مجرد فرد نكرة وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المكونات والأهداف وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز والصور [4] . وفي حالة انعدام شعور الفرد بهويته نتيجة عوامل داخلية أو خارجية يتولد عنده ما يسمى بأزمة الهوية التي تفرز بدورها أزمة وعي تؤدي إلى ضياع الهوية نهائيا فينتهي بذلك وجوده . ويرى معظم الباحثين السوسيولوجيين أن الهوية تتغذى بالتاريخ وتشكل استجابة مرنة تتحول مع تحول الأوضاع الاجتماعية والتاريخية، وبالتالي فهي نسبية وديناميكية تتغير مع حركة التاريخ وانعطافاته ولقد أثبتت المجادلات العلمية إن هوية أي مجتمع ليست أمرا ثابتا بل يرتبط بالمؤثرات الخارجية وبالتداول العلمي للأفكار والثقافات. كما يرتبط بالصراع على السلطة ولعبة التوازنات. والهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير ويعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وتقاليد وقيم وطرق تفكير قابلة للتغير في الشكل الايجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعلاته مع المحيط الخارجي ومن أهم مكونات الهوية

---

[1] - عباس الطائ. «**آفات اللغة والهوية**» مقالة منقولة عن الموقع www.ahwastudies.org)

[2] - عباس الجراري: **مكونات الهوية الثقافية المغربية** ، كتاب العلم ، السلسلة الجديدة ، ط1 1988، -ص22)

[3] - عباس الطائي ، المرجع السابق

[4] - بشير خلف « **سؤال الهوية وصدمة العولمة**www. Difaf.net»

الإنسانية: مجال جغرافي و وطن تاريخي مشترك ، أساطير وذاكرة تاريخية مشتركة ، ثقافة شعبية مشتركة ، منظومة حقوق و واجبات مشتركة و اقتصاد مشترك مرتبط بمناطق معينة [1] . إذن فالهوية و المنظومة المعرفية الذاتية بعناصرها العقائدية و الثقافية ، تشكل عنصرا أساسيا لتوازن الكيان المجتمعي لأي شعب من الشعوب .بحيث أن وجود أي خلل في هذه المسألة يعني على المستوى العلمي بداية الانحطاط الحضاري. و ليست الهوية كيانا جامدا ستاتيكيا، و إنما هي ديناميكية و متطورة ، و نجدها كمفاهيم و قيم و أطر تمتد في الوسط الاجتماعي و تلقي بقيمها و أنماطها و أنساقها هذه على مجمل تفاصيل الحركة الاجتماعية. هذه الحركة الاجتماعية المعتمدة في علائقها و حراكها و تدافعها على هذه الهوية الحضارية ، تقوم بدورها بعملية معكوسة حيث تغذي الذات الحضارية و تزيد من شموليتها و تعمق أبعادها و تضفي بلونها على كل شيء. فوظيفة الهوية الأساسية هي صياغة الكيان المجتمعي بما ينسجم و المنطق العقائدي و التاريخي للجماعة البشرية و في كل الحقب التاريخية التي مر بها الإنسان[2] . و تُعتبر الهوية حوصلة لمجموعة من أنساق العلاقات و الدلالات التي يستقي منها الفرد معنًى لقيمته و يضع لنفسه في صورتها نظاما يشكل في إطاره هويته، بحيث يتسنى له بذلك تحديد ذاته داخل الوسط السوسيو-ثقافي ، منها ما نجدها في المراجع الفيزيائية كالاسم و الملامح المورفلوجية و القوة الإقتصادية و المعرفية و الفكرية و الجسدية. أو في المراجع التاريخية التي تمثل الأصول،القرابة،الأساطير و الحقب التاريخية الهامة فيتطور المجتمع ، المثاقفة و العادات و التقاليد و الأعراف . أو في المراجع الثقافية الاجتماعية المتمثلة في المسلمات الثقافية ، الأديان ، الإيديلوجيا و الفنون المختلفة. و بهذا تتشكل الهوية و تصبح منبعا للأفعال و التصرفات كأنظمة ضابطة للسلوك ،بحيث أن كل سلوك قصدي للإنسان ينطوي على معنىً معين و يأتي وليدا لاختيار مسبق و انطلاقا من التمثلات التي يُكَوّنها الفرد عن ذاته و القيمة التي يعطيها لنفسه في إطار التقويم الذاتي. إن أهمية مفهوم " الهوية "يكمن أيضا في إدخاله البعد الشخصي في تحليل الظواهر الاجتماعية بتوضيح مهمة التفاوض التي يخوضها الفرد بصفة دائمة و غير مستقرة مع محيطه طوال حياته من الولادة إلى الوفاة من خلال مراحل التنشئة الاجتماعية[3]. فالهوية إذن هي ذلك الإطار النفسي الاجتماعي الذي يتكون من جميع الأنماط السلوكية و أنواع

[1] - برهان غيلون : **اغتيال العقل** ، موقم للنشر ، الجزائر ، 1990 ، ص84

[2] - محمدمحفوظ : **الإسلام،الغربوحوارالمستقبل**،المركزالثقافيالعربي،بيروت،ط1 ، 1998،ص 147 -

[3] *-Boudon (R) et autres,**Dictionnaire de sociologie**,Larousse,Paris,3 Ed, 1999,P117.*

الاتجاهات التي اكتسبها الفرد أو تبناها من خلال احتكاكه ببقية أفراد الجماعة من خلال التنشئة الاجتماعية . و من الناحية الاجتماعية فإنها لا تتكون إلا من خلال وضعية التفاعل التي يعيشها الفرد مع محيطه عن طريق ما يسمى" التقمص ***identification*** " و الذي يعني التماثل و الاندماج مع القيم و المعايير و الأدوار الاجتماعية المتصلة بشخص أو بأشخاص آخرين و التعبير عنها بالسلوك و التصور الذاتي. و بالتالي فالهوية هي مجموعة من السلوكيات و الخصائص الشخصية التي يكون من خلالها الفرد قابلا للتعرف عليه كعضو متميز في جماعة الانتماء من جهة، و من جهة أخرى هي نوع من اعتراف الفرد بتمسكه بقيم و معايير معينة كنوع من الوعي الثقافي الذي يعني استيعاب الماضي و إدراك الحاضر، و وعيا بالتاريخ و استشرافا للمستقبل . و منه فإن بناء الهوية يتطلب من الفرد حركة من الوعي بقيم و معتقدات المجتمع وتجسيدها في الواقع الاجتماعي على شكل أنماط سلوكية معينة تهدف في النهاية إلى تحقيق الاندماج و التوافق الثقافي و الاجتماعي. و تُعَبِّر الهوية عن أنماط معينة لجماعة معينة، كطريقة تفكيرها و علاقتها مع الطبيعة، مع الإنسان، إبداعاتها الفنية و السلوكيات الانفعالية التي توجهه االتحولات الاجتماعية و أنماطها في نسق القيم و الإيديلوجيا و الأعراف الاجتماعية عند كل مجتمع، و عند كل ظرف تاريخي قد يظهر إطار خاص قادر على تحديد الهوية ، فالوعي بالانتماء إلى جماعة يبرز في مواجهة الآخر الغريب و المختلف عنا. و الهوية رغم أنها عامل وحدة و تجانس إلا أنها لا تنفي الاختلاف الثقافي و الديناميكية المركبة بين قوى الاندماج و قوى الاختلاف،بين حركة الانفتاح و حركة الانغلاق، و بين الثبات و التغير و الحداثة و الأصالة. و قد تعاني الهوية في المجتمعات التي مرت بتجارب قاسية كالاستعمار و آثار المثاقفة المكثفة ، حيث تجد نفسها مشغولة بقضية الحفاظ على الهوية الثقافية في معركة البقاء و الوجود ككل.
و **كتعريف إجرائي** في هذا البحث لمفهوم" الهوية "فنقصد به الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري و التي تشكلت عبر العصور و التي تشمل العادات و التقاليد و القيم و الدين و أنماط التفكير و السلوك و اللغات و المركبة أساسا من الأبعاد المتفق عليها في الدستور الجزائري (الأمازيغية – العروبة – الإسلام).

ب-مفهوم القيم :

لقد شاع في حقل العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، استخدام مفهوم القيم بالخصوص في المجال التربوي و الثقافي و ذلك دون أن يكون هنالك أدنى إجماع بين المتخصصين في شتى

هذه الحقول حول إيجاد تعريف جامع لهذا المفهوم ، و هذا ربما يعود لتعدد المنطلقات الفكرية للباحثين و لانتمائهم لهذه المدرسة الفكرية أو تلك ، و بحسب موضوع الدراسة أيضا ، مما أفرز هذا التباين و الاختلاف في التعاطي مع هذا المفهوم. و سنحاول استجماع بعض المقاربات التي تناولت هذا المفهوم .

القيم لغة :

مفردها قيمة تم اشتقاقها من الفعل " قام" الذي يحمل عدة معاني منها: اعتدل ، ظهر ، استقر ، دام ، ثبت و تحددت قيمته ، و كلمة القيمة في اللغة العربية أيضا تحمل عدة أوجه منها :" القدر ، الثمن ، الثبات و الدوام . و القيّم هو السيد الذي يقوم بشأن القوم و يسوس أمرهم، و الأمر المستقيم ذو قيمة"[1] . و نلاحظ في هذه التعريفات المختلفة أن معنى الثبات و الدوام قد ورد عدة مرات ، و هذا ما استخلصه و أكده البحاثة في مختلف حقول المعرفة أن الثبات و الاستمرار من ميزات القيم ، كما أنها تحمل أيضا معنى السياسة و القيادة . و هذا ما أدى بعلماء النفس و الاجتماع إلى اعتبار القيم تساهم بقسط كبير في توجيه سلوك الفرد و المجتمع لتحقيق الأهداف المجتمعية ككل.بمعنى أن القيم بتشكلها في منظومة قيمية يتواضع الناس عليها ، ستشكل نظاما يساهم في ضبط و توجيه السلوكات و العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد و بين مجتمع و مجتمع آخر.

القيم اصطلاحا :

لعل مفهوم القيمة من أهم القضايا الفلسفية التي استجدت اهتمام الفلاسفة منذ القدم ، و لكن بالرغم من ذلك فهي ما تزال تشكل موضوعا محوريا للتباين بين مختلف المدارس الفلسفية ففي هذا يقول الفيلسوف التربوي " جون ديوي " : " إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية ، بأن ما يُسمى قيما ليس في الواقع إلا إشارات انفعالية ، أو تعابير صوتية ، و بين الاعتقاد في الناحية الأخرى بأن القيم و المعايير ضرورية ، و يقوم على أساسها كل من الفن و العلم و الأخلاق "[2] .و لقد تمحورت القيم لدى الفلاسفة القدامى حول قيم رئيسية ثلاث هي الحق و الخير و الجمال ، على ضوئها يتم بناء الاتجاهات و تحديد سلوكات الفرد في الحياة . و لقد اختلفوا كثيرا في تحديد مصدر هذه القيم ، و في هذا يرى الفيلسوف " كانط " أن مصدر كل من العلم أي الحق ، و الخير أي

[1]- إبراهيم أنيس و آخرون : **المعجم الوسيط** ، دار إحياء التراث العربي ، ط2، بيروت ، لبنان ، 1972 ، ص 769

[2]- محمد عماد الدين إسماعيل و آخرون : **التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية** ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، مصر ، 1982 ، ص 223

الأخلاق ، و كذلك الجمال ، هو العقل ، ذلك لأن العقل هو الذي يعطي للخبرات الحسية شكلها الخاص الذي ندركه ، حيث أن التركيب الداخلي للعقل يحتوي على مفاهيم هي مقولات الفكر ، و هذه المفاهيم موجودة في العقلوجودا مستقلا عن الخبرة "[1] .من هنا يمكننا القول أن القيم هي التي تسمح لنا بالتمييز بين الجوانب الثلاثة التي تتمحور حولها الخبرة الإنسانية و هي الحق و الخير و الجمال .و لقد تعددت التعريفات باختلاف الرؤى و المدارس و لعل أهم تعريف هو ما ذهب إليه كل من " شافير" و " سترونغ " إلى كون القيم " هي المقاييس و المبادئ التي نستعين بها للحكم على قيمة الشيء ، و هي المعايير التي نحكم من خلالها على الأشياء ... بأنها جيدة و قَيِّمة و مرغوبة ، أو بالعكس بأنها سيئة و بلا قيمة أو قبيحة "[2].

ت-مفهوم الثقافة :

لقد عُرّف مفهوم الثقافة بعدة تعريفات ، و هو من بين المفاهيم الأكثر التباسا و مُشاكلةً في حقل العلوم الاجتماعية ، و لقد تعددت و تنوعت هذه التعريفات لتشمل عدة جوانب ، منها من يحدد الثقافة على أنها الإنتاج الفكري و العلمي لأي مجتمع ، ومنها من يحددها على أنها مجموع النشاطات الشعبية والرسمية أو مجموع السلوكيات التي يسلكها الفرد مع المجتمع ومع الطبيعة. و لكن يمكن إدماج مجمل هذه التعريفات في تعريف"**تايلور**" الذي نشر عام 1871 في كتاب أصبح فيما بعد مرجعا أساسيا في موضوع الثقافة وهو " الثقافة البدائية " فيعرف الثقافة على أنها " ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل القدرات والمعارف التي اكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع ويتضح من ذلك أن أعضاء المجتمع يتبادلون فيما بينهم أكثر مما يتبادلون مع غيرهم من الجماعات " .[3] و انطلاقا من هذا التعريف تفرّعت عدّة تعاريف فرعية ، وفي سياق ربط الثقافة بالهوية الوطنية لأي شعب كان " **هيدلر** " أول من استخدم الثقافة بمعنى" السمات التي تميز أمةً عن غيرها من الأمم فأصبحت تعني الهوية القومية وارتبطت بها "[4] ، كما أن الثقافة جاءت من لفظ ثَقف ثقفا، بمعني صار حاذقا فطنا. أما ثقّف الشيء فمعناه أقام المعوج منه، وثقف الإنسان معناه أدّبه وهذّبه وعلّمه ، ومن ثمّ فإن

[1]- محمد عماد الدين إسماعيل و آخرون ، نفس المرجع ، ص 228

[2]- ماجد زكي الجلاد : تعلم القيم و تعليمها ، دار المسيرة ، الإمارات العربية المتحدة ، 2005 ، ص 105

[3]- برهان غيلون : مرجع سبق ذكره ، ص84

[4]- نفس المرجع ، ص84

الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق فيها ،واشتقت كلمة " ***cultura*** "اللاتينية ومشتقاتها في اللغات الأوربية الحديثة من لفظ الثقافة "***agriculture*** " الفلاحة و" ***culte*** " أي العبادة ، وهذان المعنيان يمثلان الركنين الأساسيين لمعنى الثقافة. ففلاحة الأرض تعني العناية بها وتهذيب تربتها و تشذيب أشجارها ورعاية براعمها وعلى الجانب الآخر تنهض الثقافة بمهمة صقل العقل وتهذيب النفس وتنمية الأخلاق وشحذ الطاقات الخلاقة على الإبداع ، أما نحن في بحثنا فنعني بالثقافة حصيلة الموروث الثقافي للشعب الجزائري الذي تشكل عبر التاريخ بمركباته الثلاثة وهي الأمازيغية والإسلام و العروبة .

9- الأسس المنهجية للبحث :

إن معظم البحوث الاجتماعية ترتكز في دراستها على محاولة الإلمام بكافة حيثيات ظاهرة اجتماعية ما و محاولة الكشف عن أسباب وجودها، و مدى تأثيرها على المجتمع.و من الأمور المسلمة بها سلفا أن المقاربات المنهجية تختلف من موضوع لآخر بحسب طبيعة الموضوع و بحسب الأهداف المتوخاة منه و بالتالي فإن الدراسة العلمية لموضوع ما تخضع إلى منهج معين يتوافق مع متطلبات الدراسة العلمية و بالتالي كانت طرق الاقتراب المنهجي لتحليل الظواهر مختلفة و متباينة من موضوع لآخر ، و بالتالي تختلف مناهج و أساليب البحث العلمي باختلاف الظواهر و المشكلات المدروسة ، و يمكننا القول أن ما يصلح منها لدراسة ظاهرة معينة قد لا يصلح لدراسة ظاهرة أخرى ، و السبب في ذلك مرده إلى اختلاف الظواهر المدروسة في خصائصها و مواضيعها .إن تَبَنِّي منهاج معين في البحث العلمي ضرورة علمية و منهجية ، فهو أسلوب للتفكير و العمل ، يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره و تحليلها من أجل عرضها في النهاية من خلال التوصل إلى نتائج مقبولة حول الظاهرة المدروسة إذ " .... لا نستطيع أن نفكر البحث عن حقيقة، إذا ما كنا سنبحثها بدون منهج، لأن الدراسات و الأبحاث بدون منهج تمنع العقل من الوصول إلى حقيقة "[1].و بما أن البحث الذي بين أيدينا يعتمد أساسا على التصنيف ، أي تصنيف النصوص المختارة للتحليل و الملاحظة ، أي ملاحظة كل صنف من أصناف الكتاب المدرسي باللغة الأمازيغية حسب كل طور تعليمي ، و ملاحظة الفروق الكيفية بين هذه الأطوار من خلال

[1]- عبد المجيد إبراهيم (مروان)، أسس البحث العلمي ، مؤسسة الوراق ، عمان ، ط1 ، ص 60

مضامين الكتب ، فإنه لا يسعنا إلا أن ندرجه ضمن المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعتبر أكثر مناهج البحث ملاءمة لمثل هذه الدراسة كطريقة مجدية للفهم باعتبار أن المنهج الوصفي يُستخدم في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها ، أشكالها و علاقاتها و العوامل المؤثرة في ذلك و " ... يقوم المنهج الوصفي ... من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى و المضمون، و الوصول إلى نتائج و تعميمات تساعد في فهم الواقع "[1] . و لأن المنهج الوصفي يشمل أساليب عديدة و متنوعة ، فإننا اعتمدنا في دراستنا هذه ، على أسلوب تحليل المحتوى الذي يقوم على وصف منظم و دقيق لمحتوى نصوص مكتوبة و مأخوذة من كتاب مدرسي ، و بالتالي حددنا موضوع الدراسة و هدفها و حتى تعريف مجتمع الدراسة المراد دراسة مضامينه . كما أننا طَعَّمنا تحليلنا بالاعتماد على المنهج الجدلي طيلة المناولة النظرية للموضوع و ذلك نظرا لكوننا تبنينا مقاربة الموضوع وفقا لمنظور الصراع و " المنهج لا ينفصل عن موضوعه ، إنه المضمون في ذاته و ما يكمن في هذا المضمون من جدل هو الذي يحركه "[2] ، فحاولنا طيلة البحث أن نطرح الفكرة و الفكرة المضادة لنحاول في النهاية الوصول إلى تركيب الأجزاء المتناثرة لإعادة بناء الحقيقة قدر المستطاع.

10- اختيار العينة :

يُعتبر اختيار العينة خطوة جد مهمة و حتى أنها من أهم خطوات البحث العلمي الرصين، حيث يجب أن تتوافر عناصر العينة على أهم خصائص مجتمع البحث ككل ، و هذا ما نسميه في البحث المنهجي بالعينة الممثلة لمجتمع البحث ، و من أجل الحصول على عينة صحيحة تمثل حقا المجتمع المراد دراسته ، توجب علينا المرور على مجموعة من الخطوات المهمة ، و هي ما نسميه بالمعاينة ، فبعد أن انتقلنا إلى المؤسسات التعليمية (ابتدائيات ، متوسطات و ثانويات) طرحنا بعض الأسئلة العامة حول الموضوع المراد تناوله على التلاميذ و معلمي المادة ، قررنا تصفح الكتاب المدرسي للغة الأمازيغية و إلقاء نظرة على النصوص المقررة فيه ، و بالتالي حاولنا البحث عن أهم الأفكار المتعلقة بالهوية الأمازيغية النابعة من روايات و أشعار و نصوص تنقل ثقافة شعبية على صلة مباشرة أو غير مباشرة بمنطقة

[1]- مصطفى عليان (ربحي) و محمد غنيم (عثمان) ، "أساليب البحث العلمي "، عن : عبيدات محمد و آخرون ، **منهجية البحث العلمي** ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 2 ، 2008 ، ص 52

[2]- د . إمام عبد الفتاح إمام، **المنهج الجدلي عند هيجل** ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 2007 ، ص 302

القبائل .و لا تفوتنا الإشارة إلى أن استعمال تقنية تحليل المحتوى يجعل أمر الحصول على عينة الدراسة أمرا صعبا، حيث لا نجد للعينة حجما مثاليا،و في هذا يقول عبد الحميد محمد: " ... ترتبط بأهداف الدراسات و الإطار الزمني لها و تعدد المصادر و فئات التحليل "[1] .إن أهم شيء في العينة ، أن يكون تمثيلها صادقا للمجتمع ، و بالتالي وقع اختيارنا على تحليل جميع النصوص الواردة في الكتاب المدرسي لمادة اللغة الأمازيغية لجميع السنوات للأطوار التعليمية الثلاث و لذلك كانت عينتنا قصدية .

11- مجالات الدراسة:

يُعدُّ تحديد مجالات الدراسة من أهم الخطوات المنهجية التي لا يمكن لأية دراسة إغفالها ، فمن خلالها يتمكن الباحث من تحديد المنطقة التي ستُجرى فيها الدراسة ، و الأفراد الذين سيتضمنهم البحث،بالإضافة إلى الفترة الزمنية التي ستستغرقها الدراسة،و قدأجمع الباحثون في مناهج البحث على أن لكل دراسة مجالات رئيسية ثلاثة و هي المجال البشرى و الزمني والجغرافي[2] و هى كالتالي:

1 -المجال البشرى: تتضمن دراستنا في مجالها البشربعينة من أساتذة اللغة الأمازيغية في مختلف الأطوار التعليمية (الابتدائية و المتوسطة و الثانوية) و كذا بعض مفتشي التعليم لنفس المادة على مستوى المقاطعات ، بالإضافة إلى نخبة من المثقفين و السياسيين الذين لهم صلة مباشرة بموضوع الهوية البربرية و الذين ينشطون في الساحة السياسية و الثقافية للمنطقة .

2 - المجال الزمني : و هى الفترة الزمنية التي تستغرقها الدراسة الميدانية و مرحلة جمع البيانات من مجتمع البحث و تفريغها ، و لقد قمنا بجمع البيانات من مجتمع البحث من شهر سبتمبر 2013 حتى نهاية شهرجوان2017 .

3 - المجال الجغرافي : لكي يتمكن الباحث من النجاح في مهمته ، لابد أن يكون لديه قدر كافٍ من المعرفة بالمجتمع الذي سوف تجرى فيه الدراسة العلمية للتوصل إلى نتائج و توصيات تساعد في التخطيط للمجتمع. و لقد شملت دراستنا الولايات الثلاثة الرئيسية

[1]- عبد الحميد (محمد)، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998 ، ص 91

[2]- محمدشفيق . مرجعسابق،ص211

المكونة لمنطقة القبائل و هي تيزي وزو , بجاية و البويرة بحكم أن الإشكالية تدرس سجال الهوية في منطقة القبائل.

الفصل الثاني

إثنوغرافيا منطقة القبائل

1- جولة في تاريخ البربر والجدل القائم حول أصولهم :

من واحة "سِيوَه" في أقصى صحراء **مصر** الغربية على حدودها مع **ليبيا** إلى جزر الكناري - الجزائر الخالدات - في المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات كما أُطلق عليه قديما و من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا حتى **موريتانيا** جنوبا تنتشر منذ قديم الأزل و حتى اليوم مجموعة من القبائل تسمى " **قبائل البربر** "[1]. و لقد اختلف المؤرخون و النسابة و علماء الآنثروبلوجيا حول موضوع تاريخ هذه القبائل و نسبها. هذه الأمة (**البربر**) التي تُعتبر من **"أقدم أمم العالم و أشهر أجياله .... ،معروفة بعز الجانب و إباية الضيم و الدفاع عن الشرف "**[2] تعرضت لسلسلة من الصدامات منذ فجر التاريخ مع أمم متعددة دون أن ينال ذلك من هويتها و من لغتها. و بحكم الصراع الدائم مع الدخلاء ، نجد أن البربر بلوروا فلسفة مجابهاتية عملياتية تهتم أكثر ما تهتم بالحاضر ، في صراع دائم على البقاء، و تُوطِّنهم على نسيان الماضي لاستشراف مستقبلهم و ضمان استمرارية جنسهم ، و هذا ما أدَّى إلى عدم تدوينهم لتاريخهم و سيرتهم الذاتية منذ آلاف السنين ، و كأنهم في غنىً عن شهادة اعتراف الآخر، فتركوا المجال بذلك لهذا الآخر الغالب"**كون التاريخ يكتبه المنتصر دائما**" ليكتب عنهم ما لم يكتبوه هم عن أنفسهم ،فما أكثر ما قاله الناس بخصوص تاريخهم و هم عنه سكوت. و لكن أقوال الناس و رواياتهم بخصوصهم تضاربت و اختلفت أحيانا و تناقضت أحيانا أخرى ، و فيما يلي عرض لأهم ما ورد في ذكرهم و ذكر أصولهم:

فرقة ترى أن البربر نشأوا بالمغرب و ليسوا منقولين من وطن آخر. **" و من هذه الفرقة " أفلاطون" من القدماء و "فورنال" من المتأخرين ... و فرقة تقول أنهم "إيجيون" من سكان ضفاف بحر "إيجه égée" و هو بحر الأرخبيل . و من هذه الفرقة "هيرودوتس" , "ديودور الصقلي" و "بلوتارك "** [3] . و فرقة ترى أنهم من **الفرس**، فروى المؤرخ الروماني "**سالوستس*salluste***" عن كتب فينيقية :**" أن الميد و الأرمن و الفرس جاؤوا إلى الأندلس في جملة جنود أحد ملوك اليونان ، فلما توفي ذلك الملك عَبَرَ هؤلاء الأقوام إلى إفريقيا الشمالية -و كانت عامرة بالجيتوليين و الليبيين - واختلط الأرمن (و هم من يافث) بالليبيين و كذلك الميد (إخوان الفرس) فغُيِّرت كلمة " الميد " بكلمة "المور " , و تنقل**

[1] - د نهى الزيني : **أيام الأمازيغ** ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر 2011 ، ص 11

[2] - دأبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الحديث** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر – الطبعة: الثالثة، 1982م ، ص 80

[3] - دأبو القاسم سعد الله : مرجع سبق ذكره ،ص82

الفرس في هذا الوطن فلقبوا أنفسهم " النوماد" و معناه الرحَّل . ثم استولوا على البلاد القريبة من "قرطاجنة " و استوطنوها فسُميت " نوميديا " نسبة إليهم، و اندمج من كان قبلهم بهذه الناحية فيهم وامتزج بهم و سمي باسمهم. ومثل هذه الرواية رواية من روى أن البربر من ولد " جالوت " فقد نسب "ابن خلدون" "جالوت" إلى فارس، و فرقة تقول إنهم من الهند، منهم "سترابون" من متقدمي المؤرخين "[1].أما " **ابن خلدون** " فأوَّلُ ما استوقفه لدى البربر هي لغتهم إذ يقول :"**و لغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها , و هي التي اختصوا من أجلها بهذا الإسم**"[2] . و بخصوص نسبهم فيروي عدة روايات منها : رواية تقول أن " **أفريقش** بن **قيس** بن **صيفي**" من ملوك التبابعة لما غزا المغرب و أفريقية - و باسمه زعموا سُمِّيت أفريقية - لما رأى هذا الجيل من **الأعاجم** و سمع رطانتهم ووعى اختلافها و تنوعها تعجب من ذلك و قال: ما أكثر بربرتكم فسُمُّوا بالبربر" ، و البربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة. و رواية ترى أن : البربر **يمنيون** و قالوا **أوزاع** من اليمن. و قال **المسعودي** من **غسان** و غيرهم ، تفرقوا عندما كان من سيل العرم. و قيل تَخَلَّفهم **أبرهة** ذو المنار بالمغرب و قيل **لخم** و **جذام** كانت منازلهم بفلسطين ، و أخرجهم منها بعض ملوك **الفرس** فلما وصلوا إلى **مصر** منعتهم ملوك **مصر** النزول، فعبروا النيل و انتشروا في البلاد. و قال أبو **عمر** بن **عبدالبر** :" إدَّعت طوائفُ من البربر أنهم من ولد النعمان بن حِمْيَرْ بن سَبَأْ " [3] . و رواية تقول أن **البربر** من وُلد " **حام** بن **نوح** بن **بربر** بن **تملا** بن **مازيغ** بن **كنعان** بن **حام** " ، و قال " **الصولي** ": " هم من ولد **بربر** بن **كسلاجيم** بن **مسرائيم** بن **حام** . و قيل من العمالقة من **بربر** بن **تملا** بن **مارب** بن **قاران** بن **عمر** بن **عملاق** بن **لاود** بن **إرم** بن **سام**، و على هذا القول فهم عمالقة. و قال **مالك** بن **المرحل** : " **البربر** قبائل شتى من **حِمْير** و **مُضَر** و **القِبْط** و**العمالقة** و **كنعان** و **قريش** تلاقوا بالشام و لغطوا فسماهم **أفريقشالبربر** لكثرة كلامهم " [4] ، و رواية ترى على لسان **سالم بنسليم المطماطي** و **صابي بن مسرور الكومي** و **كهلان بن أبي لوا** و هم نسابة البربر أن البرانس بُتر ، و هم من نسل **مازيغ** بن **كنعان** , و يرى آخرون أن "**البتر**" من ولد **بَرّ** بن **قيس** بن **عيلان** و "**البرانس**" بنو **بربرسحو** بن **أبزج** بن **جمواح** بن **ويل** بن **شراط** بن **ناح** بن **دويم**

[1] نفس المرجع ، ص83

[2] عبد الرحمان إبن خلدون : موسوعة العلامة ابن خلدون ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر ، ج 6 ، 1999 ، ص 116

[3] - عبد الرحمان إبن خلدون : موسوعة العلامة ابن خلدون ، مرجع سبق ذكره ، ص 122

[4] - نفس المرجع ص 123

بن **داح** بن **مازيغ** بن **كنعان** بن **حام** و هذا هو الذي يعتمده نسابة البربر "[1]. و لقد انتقد ابن خلدون هذه الروايات انتقادا شديدا و قدم في ذلك الحجج و البراهين إذ يقول موسوعته التاريخية :" و اعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة و بعيدة من الصواب ، و أما القول بأنهم من ولد **جالوت** أو العماليق ، و أنهم نُقلوا من ديار الشام و انتقلوا ، فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة ، إذ مثل هذه الأمة المشتملة على أمم و عوالم ملأت جانب الأرض، لا تكون منتقلة من جانب آخر و قطر محصور. و البربر معروفون في بلادهم و أقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. و **أفريقش** الذي يزعمون أنه نقلهم قد ذكروا أنه وجدهم بها، و أنه تعجب من كثرتهم و عجمتهم ، و قال : ما أكثر بربرتكم. فكيف يكون هو الذي نقلهم؟ و أما القول أيضا بأنهم من **حِمْيَرْ** من ولد **النعمان** أو من **مُضَر** من ولد **قيس** بن **عيلان** فمُنْكَرٌ من القول، و قد أبطله إمام النسَّابين و العلماء " أبو محمد ابن حزم "، و قال في كتاب "الجمهرة " : " ادَّعت طوائف من البربر أنهم من اليمن و من **حِمْير** ، و بعضهم يُنسَب إلى **بر** بن **قيس**، و هذا كله باطل لاشك فيه. و ما علم النسَّابون **لقيس** بن **عيلان** ابنًا اسمه **بر** أصلا ، و ما كان **لِحِمير** طريق إلى بلاد البربر إلا **في تكاذيب مؤرخي اليمن**. والحق الذي لا ينبغي التعديل على غيره في شأنهم أنهم من ولد **كنعان** بن **نوح** كما تقدم ، و أن اسم أبيهم **مازيغ** و إخوتهم **أركيش** و **فلسطين** إخوانهم بنو **كسلوحيم** من **مصرايم** بن **حام**، و ملكهم **جالوت** سمة معروفة له.....فلا يقعن في وهمك غير هذا، فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه"[2]. أما الدراسات التاريخية و الآنتروبولوجية الحديثة فقد ذهبت إلى القول بأصلية البربر في شمال أفريقيا منذ القدم و ذلك استنادا إلى الدراسات الجينية ***(la génétique)*** الحديثة ، التي ترى أن أقدم حفريات لهيكل عظمي بشري قد تم اكتشافه في أفريقيا، و هذا يعني أن انطلاقة البشرية كانت منقارة إفريقيا من نواحي اريتيريا و تانزانيا إلى باقي نواحي العالم . و من بين أهم المؤرخين المعاصرين المختصين في تاريخ شمال أفريقيا نجد المؤرخ الفرنسي " ***Bernard lugan*** " الذي يؤيد الفكرة القائلة بأن: "البربر ، هذا الشعب المنسي من التاريخ – في نظره- ينتمي إلى العائلة الكبرى الآفرو- آسياوية و هم أفارقة أصليون انطلقوا من إريتيريا " الحبشة سابقا" بعد تعرض المنطقة لظاهرة التصحر ، و يذهب أبعد من ذلك في طرحه

[1] - نفس المرجع ص 124

[2] - نفس المرجع صص 127-128

حين يقول أن "**الفراعنة**" أفارقة أيضا ، و هم من أصل **بربري** و هذا استنادا منه إلى دراسات البروفسور الأنتروبولوجي الفرنسي " ***Gérard Lucotte***"[1] و هو مختص في الأنتروبولوجيا الجينية ، و هذا ما يدل على تعرض التاريخ للأدلجة و تفسيره وفق المركزيات الإثنية المختلفة (***ethnocentrisme***) من مركزية أوربية الى مركزية عربية الى مركزية أفريكانية. انطلاقا مما سبق , نلاحظ أن آراء المؤرخين قد نَحَتْ مناحي مختلفة حول أصل البربر و لكنهم اتفقوا جميعا على كون البربر هم أقدم جنس سكن شمال أفريقيا ، فمنهم من قال بأن البربر هم السكان الأصليون لشمال أفريقيا (***autochtones***) و لم يأتوا إليها من أية منطقة أخرى و هم **أفلاطون** و **فورنال** و علماء الجينية (***la génétique***) المحدثين و الذين يؤكدون أن " إفريقيا هي مهد الإنسانية جمعاء"،و منهم من قال أن البربر من أصل عربي و هم النسابة العرب ، و منهم من قال أن البربر من أصل أوربي و هم "**هيرودوتس**" ، "**ديودورالصقلي**" و "**بلوتارك** ، و منهم من قال أن البربركنعانيونو هم نسابة البربر و هم "**سالم بنسليم المطماطي**" و "**صابي بن مسرور الكومي**" و "**كهلان بن أبي لوا**" و في هذايقول القديس "**أوغستين**" في بعض كتاباته: " سألت أهل بونة "عنابة" من أين أتيتم ؟ قالوا أتينا من أرض كنعان"[2] و هذا ما ذهب إليه ابن خلدون. إذن و على ضوء ما سبق نرى أنه من البديهي أن نثير بعض التساؤلات التي تبدو لنا مشروعة و هي:

1. هل قام هؤلاء المؤرخون بدراسات مَسْحِية لكافة قبائل البربر ،علما بأن هذه القبائل تنتشر من واحة **سيوة** إلى غاية الأطلسي أو بحر الظلمات كما يسميه العرب سابقا ، أم أنهم اكتفوا بإجراء دراسات مُجْتَزَأَة و مُبْتَسَرَة ، و ذلك نظرا لشساعة الحيز الجغرافي الذي تنتشر فيه القبائل البربرية و نظرا لاختلاف اللغة و انعزال كل قبيلة في حيزها.

2. مع مرور الزمن و في حالة الانهزام و الانكسار و في سبيل الحفاظ على حياتهم في وجه الغزاة ، ألا يُحتمل أن يتبنى البربر أصول مستعمريهم دفعا منهم لشرهم و تماهيا معهم لحد التوحد معهم . و لقد أشار إلى هذا الجنرال " هانوطو" إذ قال:" أن للبربر ميل غريب لنكران أصولهم و تبني أصول عربية"[3] . و نحن لا نقول فقط أصول عربية بل جميع أصول الوافدين على شمال إفريقيا.

---

[1] *Bernard lugan : « **la génétique et les berbères** » youtube.com*

[2] - أبو يعلى الزواوي : **تاريخ الزواوة** ، منشورات وزارة الثقافة ، الجزائر، ط 1 ، 2005 ، ص28

[3] *Jean Perier : **des races dites berbères et de leurs ethnologie** , Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France , P 41*

3. علما أن القبائل البربرية كانت كثيرة العدد و انضمت إليها أمم شتى ألا يمكن أن يكون كل مؤرخ قد احتك بإحدى هذه الأمم الوافدة و اعتبرها بربرية فحكم عليها أو أخذ منها مادته التاريخية دون أن يحتك بالبربر الأصليين.

4. ثم أنه في علم الأنتروبولوجيا الحديثة ألا يُشترط أخذ المادة العلمية من أفواه الفاعلين الاجتماعيين الحقيقيين و تسجيلها كما يرونها هم دون أي تأويل أو تحوير أو تخمين، فلماذا لا يُؤخذ بقول نسابة البربر الذين يُقِرُّون أنهم من كنعان بأرض فلسطين ، و أنهم من نسل حام بن نوح ؟ و هذا يمكن أن يفسر لماذا قاوم البربر كل الأجناس التي وفدت عليهم إلا الفينيقيين و ذلك لكونهم جاؤوا من كنعان مثلهم.

2- عن الجدل القائم حول تسميتهم:

إن تاريخ شمال إفريقيا كان و لا يزال محل جدال كبير و موضوع صراع بين مختلف الإمبراطوريات الاستعمارية إن قديما أو حديثا ، و التي أسست لفكرة مفادها أن التاريخ الشمال - إفريقي لم يبدأ إلا مع قدوم الفينيقيين و الرومان لتكرس فكرة أن شعوب هذه المنطقة قاصرة و تعيش على هامش التاريخ.و لقد رأينا في العنصر السابق مدى اختلاف آراء المؤرخين حول أصل و موطن البربر " **محلقي الرؤوس** ، **آكلي الكسكس و لابسي البرنس** " ، و تفننهم في صنع تاريخ بديل عملا بالحقيقة التاريخية الراسخة أن " التاريخ يكتبه المنتصر دائما " الذي يُسَخّر في القديم أقلاما رسمية معادية في غالب الأحيان تنطق بلسان قادة الحرب ، كما يُسَخّر حديثا أقلاما مؤدلجة انتقائية تخفي ما يتعارض و توجهها و تبدي ما يتوافق معها ، و هذا نظرا لكون الذي يملك التاريخ يملك الماضي و المستقبل ، و بواسطة التاريخ يتم بناء الجهاز العقائدي و رسم معالم الطريق للأجيال اللاحقة. و لذلك يكون التاريخ محط أنظار كل المستعمرين و الغزاة و الفاتحين ، فنجد " أن العبيديين أحرقوا كل الكتب التي دُوّن فيها تاريخ الأمة الإفريقية خوفا من أن تتذكر ماضيها ، و ليس هذا العمل الوحشي هو الوحيد ، فقد دشن الرومان دمار قرطاج بحرق مكتبتها " [1].

و في العنصر التالي سنعرض آراء هم المختلفة حول تسميتهم. و لقد تبين لنا أن الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التعريف بالخطوط العامة لشمال أفريقيا هم على التوالي

[1] - حسن الوزان (ليون الإفريقي) ، **وصف افريقيا** ، ج1، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص 69.

الإغريق ، الرومان و العرب. و لكن أول إشارة إلى السكان الذين يُسمَّون منذ الفتح العربي "**بربر**" ، تعود إلى العهود الفرعونية ، فقد كان المصريون على احتكاك مباشر بجيرانهم من جهة الغرب ، و كانوا يسمونهم **الليبو *lebou*** أو الليبيون ، **التحنو** أو **التمحو** ، أو **المشوش**.

أما تسمية **إمازيغن** في اللغة « البربرية » فهي صيغة جمع، مفرده :**أمازيغ**،و هو الإسم الذي يُسمِّي به « البربر » أنفسهم . مؤنث" أمازيغ" هو" ثامازيغث"، يُطلق على المرأة و على اللغة، عند قبائل **التوارڤ** اَلمنتشرة في قلب الصحراء الكبرى ، يُسكَّن حرف الزاي في « أمازيغ » و يقلب إما هاءً و إما شينا أو جيما ، بحيث تنطق اللفظة « أماهغ » عند التوارڤ الجزائريين ، و « أماشغ » عند **التوارڤ** اَلماليين ، و « **أماجغ**» عند **التوارق** النيجيريين "[1] . إذن يمكننا القول أن كلمة "**أمازيغ**" ، من حيث صيغتها اللغوية " مشتقة من الفعل «**يوزغ**» المنطوق « **يوهغ** » عند "**التوارڤ**" الذي معناه غزا ، أو أغار . و يرى بعض اللغويين أن «**أمازيغ** » مشتق من فعل آخر اعتبروه مُماثلا في اللهجات كلها ، قد يكون هو الفعل « إزيغ » أو الفعل« يوزاغ و هو افتراض انبنى على الخلط بين ثلاثة أفعال أخرى ، هي « ياغ » بمعنى أصاب أو اعترى ، و « ياغ » أو « يوغ » بمعنى أخذ أو نال أو سقط أو اشتعل أو أضاء ، و « يووغ » بمعنى رعى في معنى انتجع ، و على أي حال ، « **أمازيغ** » اسم مُشرب بمعنى النبل و الشهامة و الإباء ، سواء في المغرب أو عند التوارڤ . و قد يكون ذلك ناتجا من مجرد الاعتزاز بالنفس من قبل "**إمازيغن**" ، لأن الشعوب تتخذ عادة أنسابها عنوانا للعزة و المناعة ، و هو ما نعتقده "[2]. و تسمية« **البربر** » أنفسهم باسم الأمازيغ أو «**إمازيغن**» ضاربة في التاريخ ، و بها عرفهم أقدم جيرانهم و هم المصريون القدماء ، و لكن مع تحريف بسيط في النطق ثم في الكتابة ، له مبرراته اللغوية . فلقد كان " المصريون القدماء في عهد « **رامسيس** » الثالث يسمونهم« **ماشوش** » لأن اللغة المصرية في ذلك الوقت كانت تقلب الزاي شينا ، و الغين شينا أيضا ، بعد قلبه خاء ، و تفصل في الكتابة بالواو (بواو فارقة بين الحرفين المتجانسين) ، و قد ذكر المؤرخ اليوناني " هيكاتايوس - ***Hekataios*** " تسمية " **إمازيغن**" في القرن السادس قبل الميلاد باسم "**مازييس*Mazyes***" وذكرهم "**هيروضوتوس*Herodotos***" في القرن الخامس ق .م . باسم

[1] - محمد شفيق : **ثلاثة و ثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ** ، ص 8

[2] - محمد شفيق : **مرجع سبق ذكره** ، ص 8

"**ماكسييس *Maxyes***" ، أما المؤرخون اللاتينيون فقد أوردوا الاسم نفسه محرفا إلى " **مازاكس *Mazax***أو***Mazaces*** " أو إلى" **مازيكس**،***Mazikes*** " و هي أسماء جموع بمعنى واحد ، أطلقوها على **الشعب النوميدي "** [1] . و لقد نقل المؤرخون القدامى و منهم " **هيروضوتوس "** أن أول قبيلة أمازيغية كبرى احتكت بقدماء المصريين احتكاك حرب (1227ق .م) كانت تسمى « **ليبو** » و كانت مستوطنةً لأراضي ليبيا الحالية ، و هذا ما أدى إلى تداخل الأمر على المؤرخين ليسموهم تارة " **إمازيغن "** و تارة الليبيين . أما المؤرخون الاغريق و اللاتينيون فإنهم كانوا يسمون "الأمازيغيين " ب« **الأفارقة** » و يقسمونهم إلى" **ليبيين" في ليبيا الحالية و "نوميديين "**في تونس و الجزائر و"**موريين" في المغرب و موريتانيا** ،انطلاقا من الشرق و انتهاء بالمغرب . و هناك من يفصل أكثر في ذكر تسميات مختلف القبائل الأمازيغية المنتشرة عبر " ثامازغا " أو الوطن الأمازيغي من أمثال المؤرخ " ديزانج " الذي يرى أن قبيلتا" ماسايسيلي أوماسايسولي، " ***Masaisuli,*** ***Masaesyli*** " و " بانيورايي، ***Baniurae*** " تستوطنان شماليٌ المغرب الأقصى ، و كانت قبيلة " أوتولولي، ***Autololes*** " منتشرة في السهول الأطلنتية بين بوراكَراكَ و تانسيفت الحاليتن . و كانت قبيلة "كاناريي، ***Canarii*** " نازلة بناحية فيكَيكَ الحالية ، و في المغرب الأوسط كانت القبائل النوميدية ***Numidia*** مستقرة أو شبه مستقرة في شرقي البلاد ، بينما كانت قبائل «كَايتولي، » Gaetuliaتنتجع في الأنجاد العليا ***Les Hauts plataux*** وقبائل« أيثيوبيا، ***Aethiopia*** » تشغل المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الصحراوي ، و في تونس الحالية كانت القبائل النوميدية نفسها منتشرة في غربيٌ البلاد من الساحل المتوسطي إلى ناحية القيروان الحالية ، ممثّلة أحسن تمثيل في قبيلة « ماسيلي، , ***Massyli***«***Massili***أو« ماسولي.. .أما أراضي " زاوكَيتانا أو زاوغيتانا،***Zeugitana*** " و " بيزاكينا أو بيزاقينا، ***Byzacena*** " فكانت خاضعة للنفوذ القرطاجي ، قبل الاحتلال الروماني لها...و في ليبيا نجد ، قبيلة " فازانييي،***Phazanii*** " من الجهة الجنوبية الغربية للجبال المعروفة الآن بجبل نفوسة، ثم نجد بالتتابع على مقربة من الساحل المتوسطي، و انطلاقا من الغرب تجاه الشرق ، قبيلة " ماكايي،أو ماقايي،أو ماغايي***Macae*** " ،فقبيلة" ناسامواني، ***Nasamones*** " ، فقبيلة " مارماريداي،" ***Marmaridae*** " ثم قبيلة "

[1] - محمد شفيق : **نفس المرجع** ، ص 9

ماريوتاي،***Mareotae*** " ، و هي الأخيرة من جهة الشرق ، تمتد مواطنها إلى بحيرة قرب دلتا النيل كانت تسمى باسمها . و في عرض الصحراء الليبية ، حيال الخليج من جانبه الغربي ، كانت توجد مواطن قبائل " كارمانتي،أو غارامانتي ،أو جارامانتي،***Garamantes***. " [1].

و من المعلوم عند البحاثة ، أن الشعوب قديما كانت قليلة التواصل بينها ، كما أن اللغة كانت تمثل العامل الرئيسي لتصنيف الشعوب لبعضها البعض ، إذ تعتبر معظم الشعوب أن من لا يفصح عما يريد في لغتها هي لا يمكن أن ينعت إلا بالعُجمة أو البرابرة .و عند الفتح الاسلامي ، أخذ العرب عن "الروم" كلمة " بارباري، «***Barbari*** و جعلوها "بربر" و لقد ظل الأوروبيون يسمون أفريقية الشمالية » باربارياء ***Barbarie,Barbaria*** " ، أو الدول البارباري، «***Etats Barbaresques***،إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي) و لما احتكوا بأهالي المغرب و الجزائر الناطقين بالعربية العامية ، سمعوا منهم اسم »لبرابر « منطوقا براءين مرقّقتين و نقلوه إلى لغاتهم في شكل ***Berbers***أو ***Berbères*** . و لقد كانت من جهة الأمازيغيين في القديم ، ردود فعل على ما سموا به بعد الفتح الإسلامي من التسميات ، فلقبوا العرب ب "**إكَزّام** "المعاول " ، و « **إكشوضن** » الحطب ، و" **إزاكارن**" أو " إيزوكار" الشُرط، جمع شريط في نوع من الازدراء أو الاحتقار و الامتهان.

3- وصف منطقة القبائل و صفات ساكنتها:

إن من بين أهم من ذكر وصف منطقة القبائل هو العلاَّمة ابن خلدون ، و سماها قبيلة " الزواوة " و لقد توسَّع في ذكر نسبها و شمائلها و المناطق التي تتوزع فيها فقال :" فأما زواوة فهم من بطونهم (البرابرة البتر) و نسابة البربر إنما يعدونهم من ولد سمكان بن يحي بن ضري بن زحيك ابن ماذغيس الأبتر. ....و لهم بطون كثيرة : بنو مجسطة و بنو مليكش و بنو كوفي و مشداله و بنو زريقف و بنو كوزيت و كرسفينة و وزلجة و خوجة و زكلاوة و بنو مرانه ... و من قبائلهم المشهورة لهذا العهد بنو بحرو و بنو مانثلات و بنو بترون و بنو ماني و بنو بوعدران و بنو تورغ و بنو بو يوسف و بنو عيسي و بنو بو شعيب و بنو صدقة و بنو غبرين و بنو قشتولة. و مواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة و صنهاجه .....و جبلهم ما بين بجاية و تدلس و هو أعظم معاقلهم و أمنع حصونهم " [2] .

[1] - نفس المرجع ، ص ص 10- 12

[2] - إبن خلدون ، نفس المرجع ، ص ص 168 -169

أما بخصوص شمائلهم و خصالهم فيقول :" و أما تخلُّقهم بالفضائل الإنسانية و تنافسهم في الخلال الحميدة ، و ما جُبِلُوا عليه من الخُلق الكريم مرقاة الشرف و الرفعة بين الأمم و مراعاة المدح و الثناء من الخلق ، من عِزّ الجوار و حماية النزيل ، و رعي الأذمة و الوسائل و الوفاء بالقول و العهد و الصبر على المكارم و الثبات في الشدائد و حسن الملكة و الإغضاء عن العيوب و التجافي عن الانتقام و رحمة المسكين و بر الكبير و توقير أهل العلم و حمل الكَلِّ و كسب المعدوم. و قِرَى الضيف و الإعانة على النوائب و عُلو الهمة و إباية الضيم ومُشَاقة الدول و مقارعة الخطوب و غِلاب المُلك و بيع النفوس" [1]. فهو بهذا يشهد لهم بكريم الشِّيم و رفعة الأخلاق و علو الهمم بين الشعوب و الأمم، رغم أنه لم يتنقل إليها و ذلك ربما لوعورة تضاريس المنطقة و انعدام الأمن و جهله بلغتهم .

أما بالنسبة للبحاثة الفرنسيين فكان الأمر مختلفا تماما، إذ تنقلوا عبر قرى و مداشر المنطقة بهدف استكشاف المنطقة بتضاريسها و ثرواتها و ساكنتها بنظمها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية بهدف التحكم بها و في هذا يقول " طوكفيل " نملك الآن البيوغرافيا الحقيقية و الدقيقة لكل العائلات القوية ، ونعلم في النهاية أين هي مناطق النفوذ الحقيقية "[2].

و لقد توسع الفرنسيون في وصف المنطقة جغرافيا و تبيان حدودها بدقة ، فيقول أحدهم في وصف المنطقة أنها تقع " في مجموعة من المرتفعات التي تقسمها جرجرة إلى قسمين ، و التي تمتد من بجاية إلى وادي يسر ، يعيش شعب ليس هو الشعب العربي ، لا في تقاليده و لا في طبعه و لا في عاداته و له طابعه المتميز. إنه القبائلي الذي عرف عبر القرون كيف يحتفظ بحريته و استقلاليته دون أن يذوب في الحضارات التي عايشته "[3]. و توغلوا في وصف القرى و المنازل التي تتشكل منها كل قرية و المناخ الاجتماعي العام فيقول أحدهم :" لا تزال تشهد [يقصد المنازل و القرى] أن العائلات كانت دائما مستعدة لنقض العهود القديمة التي تجمعهم... و لا يستتب الأمن إلا بتوازنات إعجازية ... و من هنا تكون حياتهم مظلمة و محفوفة بالمخاطر و الشبهات و الأحقاد، بدون أي استجمام أو متعة، و منحصرة في الزراعة و الحرب ... ثم " أسسوا لسلالة من العائلات المسالمة و العالمة [يقصد المرابطين] في وسط عائلاتهم [يقصد القبائل] الجاهلة و المحاربة ... لقد أرادوا على عكس القرآن

[1] - إبن خلدون ، نفس المرجع ، ص 136

[2] -Tocqueville A : ***Rapport sur l'Algérie*** , http://bibliotheque.uqac.uquebec.ca/index.htm , p 5

[3] - Charles Farine : ***A travers la Kabylie*** ,Ed DUCROCQ,Paris , 1865 , , p 149

ذاته، أن تُحرم النساء من الميراث، أو على الأقل لا يرثن أبدا الأراضي، و ذلك للحفاظ على تجانس عائلاتهم على أرض يحصلون عليها و يحافظون عليها بمشقة "[1]. إذن نجد أن هؤلاء البحاثة قد تعمقوا في وصف كل ما يتعلق بالرأس مال المادي أو المعنوي للمنطقة و ذلك بهدف إطفاء مقاومتها للاحتلال و تشريح الواقع الاجتماعي للقبائل بتفكيك أجزاء نظامه الاجتماعي ليتبين لهم أن " مقاومة القبائل لم تتخذ يوما شكلا قوميا ، لأن الأمة القبائلية لا وجود لها "[2]، و هذه نتيجة غاية في الدقة .و بخصوص صفاتهم الدينية يقول " آجرون " :" " إن القبائل يحترمون " المرابطين المسيحيين " كفرنسيين، و كرجال الله، و لكنهم سرعان ما يثورون ضدهم إذا ما حدّثوهم عن احتيال محمد ... و القبائلي عامل كادح ، له روح المبادرة و حس عملي ، مليء بالحيوية ، صادق ، متفائل ، فضولي و في أعماقه قليل من التدين "[3]، و هم في هذا حاولوا التأكيد على التمايز بين تدين القبائل و تدين العرب فيقول أحدهم :" " القبائلي بعكس العربي ، لا يؤمن بالعين و بصورة أقل بالتمائم ، ما كتبه الله سيحدث و لا شيء يمكن أن يمنعه ... و لكنه يؤمن ببعض الخرافات منها : من أراد السفر فعليه أن يسافر يوم الإثنين ، الخميس أو السبت ، لا تقاتل أبدا يوم الثلاثاء ، زف العروس يوم الخميس فهذا فأل جيد لأنها ستستيقظ صبيحة الجمعة و هو عيد المسلمين ، لا تبكوا على من مات في رمضان ، أن ترى ثعلبا مع الصباح فأل سعيد ، أو ترى غرابين حين تنطلق في سفرك علامة على سفر سعيد ، أو ترى أرنبا في المساء فهو فأل سيئ ، أو ترى غرابا واحدا في أول الطريق فذاك علامة على القلق ، و هو يؤمن بوجود الشياطين طول السنة إلا في رمضان ، و يخاف الشياطين و لا يخرج من بيته ليلا إلا و هو يستعيذ بالله منهم ..... "[4]. أما بخصوص صفاتهم القتالية فيقول أحدهم :" إن القبائل ,هذا الجنس الأصلي ,اتسعت منطقتهم بانضمام كل المنشقين المهزومين على التوالي في شمال أفريقيا إليهم ،جبليون مستقرون ، كادحون ، عاشقون للحرية و المساواة المطلقة ...."هذه الجبال المعمورة (الآهلة)، كخلية النحل بجنس محارب، فقير و شديد البأس "[5].أما بالنسبة لصفاتهم الفيزيائية فيجمع البحاثة على أن " الكثير من القبائل لديهم عيون زرقاء و شعر

[1] - *Jules Liorel : **Races Berbères Kabylie du Djurdjura** , Paris , Ernest Leroux, 1892 , PP 12-14*
[2] - *Jules Liorel : OP.CIT , P15*
[3] - *Ageron : **Les Algeriens Musulmans et la France** , pp 271-276*
[4] -*Jules Liorel : ibid , p 29*
[5] - *Emile Carrey : **Récits de Kabylie , campagne de 1857** , Paris , Michel Levy frères , 1858 , pp 25-27*

أشقر و هم على العموم أكثر بياضا من العرب ... وجه العربي بيضوي الشكل و رقبته طويلة ، بينما القبائلي وجهه مربع الشكل و رأسه أقرب إلى كتفيه ... يحلق لحيته حتى سن العشرين أو الخامسة و العشرين ، في هذا السن يصبح راشدا فيتركها تنمو "[1].

أما عن صفاتهم الاقتصادية فيقول أحد الباحثين الذي بحث في السبل التي ستسهل عملية إدماج القبائل في المؤسسات الفرنسية أن القبائلي عنيد جدا " غير أن طابعه الكادح ، وحبه في الربح واكتنازه كانت أسبابا كافية لربط القبائل بمؤسساتنا ...و القبائلي متعلق بشغاف قلبه بمنزل آبائه ، بقريته ، بحقله ، بأشجار التين ، و لا يوجد مزارع بريتوني أو نورماندي يتمسك بأرضه كالمزارع القبائلي .... أفضل أن أرى رجلا ميتا و لا أرى شجرة مقطوعة يقول أحد القبائل للكولونيل لاباسيت "[2] ،وحتى في هذه الصفة حاولوا أن يعقدوا مقارنة مع العربي لإظهار الفرق بينهما فيقول أحد الكتاب " القبائلي بعكس العربي يكدح كثيرا و في كل المواسم ، و يعتبر العطالة و الخمول عارا .... و هو لا يزرع كثيرا من الحبوب ، و لكنه يهتم أكثر بالبستنة ، و هو يقضي حياته في الغرس و التطعيم "[3] . و من هنا نلاحظ أن البحاثة الفرنسيين قد تعمقوا في دراسة هذه المنطقة و حاولوا الإحاطة بكل مناحي الحياة الاجتماعية لساكنة المنطقة و ذلك بجرد جميع نقاط الضعف و نقاط القوة لهذه المنطقة بهدف السيطرة عليها باقل التكاليف .

4- التنظيم الاجتماعي و السياسي لمنطقة القبائل:

مما لا شك فيه أن المجتمع القبائلي، مجتمع قروي " ريفي يتميز بسيطرة نسبية للحِرَف الزراعية، و بالعلاقة الوثيقة بين الناس و البيئة الطبيعية ..و بصغر تجمعاته... و بدرجة عالية من التجانس الاجتماعي "[4] ، يعتمد في تنظيمه أساسا على علاقة القرابة فلا " يمكن لأية مقاربة نظرية تهدف إلى دراسة الواقع التنظيمي الاجتماعي للمجتمع القبائلي ، الاستغناء عن ذكر الدور الذي تلعبه القرابة في هذا المجتمع و التي لا يمكن فصلها عن البنية العمرانية و شكل العائلة "[5]. و هذه القرابة ترتكز على بنية " آخام "أو " عايلة " ،

---

[1] - *M.DAUMAS et M.FABAR : **la grande Kabylie , études historiques** , librairie de l'université royale de France , 1847, pp 26-27*

[2] - *Liorel Jules : ibid , pp 552-560*

[3] - *Liorel Jules : ibid , p 30*

[4] قاموس مصطلحات الاثنلوجيا و الفولكلور، تأليف إيكة هولتراس، ترجمة د .محمد الجوهري و د.حسن النامي ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1973 ، ص310

[5] - *Mohend Khelil, **la Kabylie ou l'ancêtre sacrifié**, ed l'Harmatan , Paris , 1984 , p 33*

كنواة أولى لبنيان متماسك يتشكل من دوائر متراتبة ، تأتي من بعدها بنية " ثخروبث " أو " خروبة " بالتعبير الدارج التي تضم مجموعة من الأسر الأقرب إلى الجد الأول ، ثم تليها بنية " آذروم " أو " دشرة " و تضم مجموعة من بنيات " ثخروبث " و مجموع هذه البنيات بدورها تشكل التنظيم الاجتماعي و السياسي للقرية و المسمى " ثاجماعث " أو جماعة القرية ، و تتكون من الرجال و الشيوخ و العقال الذين يمثلون الشخصية المعنوية للقرية ككل ، و التي غالبا ما تكون محل صراع بين مختلف العائلات المكونة للقرية للظفر بمنصب " لمين القرية " .

و هذه القرابة و الانتماء للأصل الواحد أو الجد الواحد لمعظم سكان القرى القبائلية كفيل بتنمية الانتماء الجمعي لدى الأفراد مما يضمن و حدتهم و تواصلهم الدائم و استمرار وجودهم ، في ظل نماذج تنظيمية مختلفة بحسب البنية أو التركيبة السكانية لكل قرية.و يمكن التمييز بين ثلاث نماذج مختلفة للتنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل، قد أفرزت منظومات قيمية اجتماعية تُعتبر ترجمة للواقع الاجتماعي و ذلك على شكل قيم وقوانين تنظم شؤون المجتمع في جميع مناحي الحياة . و لعل هذه التنظيمات هي التي أسهمت في الحفاظ على استقلالية هذه المنطقة سياسيا منذ القديم فهذا " الاستقلال السياسي الذي تتمتع به منطقة القبائل لم يكن ظاهرة عفوية أو ظرفية ، و إنما تعود جذوره إلى عصور قديمة في التاريخ و التي صمدت أمام العديد من الحملات الأجنبية "[1]، و لكن المفارقة أن هذه التقاليد التنظيمية لم تسهم في تطوير دولة أمازيغية أو قبائلية مركزية . و عند مناولتنا لموضوع النظام الاجتماعي و السياسي في منطقة القبائل ، وجدنا أنفسنا أمام حقيقة الصراع على النفوذ بين مختلف مكونات القرى القبائلية ، فوجدنا أن القرية التي تخلو من فئة " المرابطية " تنقسم عادة إلى صفين " الصف العلوي أو الصف أوفلا " و " الصف السفلي أو الصف أوڤادا " ، و هم دائما في صراع على منصب أمين القرية " لمين نتادارث " ، و كذلك الصراع على مستوى أدنى بين مختلف العائلات المشكلة لبنية " آذروم " أو " دشرة " على منصب " الطامن " فلا يمكن أن يكون إلا في العائلة الأكثر عددا من حيث الرجال .

أما بالنسبة للقرى التي تضم فئة " المرابطية " فالصراع غالبا محسوم لصالح " المرابطية " الذين يمارسون السلطة الدينية و بالتالي يمكننا القول أن هذه الارستقراطية الدينية " لا

[1] *Emile de Carette,* ***la Kabylie proprement dite*** *, imprimerie nationale , Paris , 1844 , p 447.*

تمارس تأثيرا واضحا إلا في القبائل المرابطية أين يكون رجل الدين هو الممثل الحقيقي للسلطة السياسية "[1]. و هذا رغم الدراسات الغربية العديدة التي أجريت على المنطقة و التي تصر على كون السلطة السياسية القبائلية تقوم على مبدأ التناوب و الاختيار للأفراد المكونين لنظام " ثاجماعث " على أساس العقل و الحكمة بما تمليه الروح الديمقراطية التي يتميز بها القبائل في نظرهم .

و لكن هذا الحكم و الصورة النمطية (الايجابية) التي يراد إلصاقها بالقبائل ، يكذبه الواقع الاجتماعي في القرية القبائلية ، إذ أن السلطة على المستوى الأول أي مستوى العائلة ، تكون عادة للأب أو الجد أو الإبن الأكبر ، أو الإبن الذي له أكبر عدد من الذكور في تكريس للنمط البطريقي ***patriarcal*** ،أما على المستوى الأعلى فبين العائلات عادة ما تكون السلطة في يد العائلة التي تَعُدُّ أكبر عدد من الرجال و كذلك الأمر بين بنيات " إذرمان " و بالتالي فالسلطة في نظرنا لا تمليها الروح الديمقراطية كما تراه أدبيات البحاثة الغربيين ، و إنما يمليها منطق " العصبية القبلية " بتعبير إبن خلدون ، هذا بالنسبة للقرى القبائلية التي سُميت لائكية فقط لكونها ليست من فئة " المرابطية " ، أما القرى التي تضم فئة " المرابطية " فالمنطق مختلف تماما ، فالسلطة لا ينازعهم فيها أحد و ذلك نظرا لميل القبائل لتقديس الأولياء و الصالحين و الشخصيات الأسطورية و بالخصوص المرابطين " فالنظرة التقديسية تثير حماس القبائل ، بحيث إذا طلب منهم أي مرابط إلقاء أنفسهم في النار أو في البحر فإنهم يقبلون بذلك ، و حتى بداية الموسم الفلاحي فإنهم لا يبدؤون أعمالهم إلا بإيعاز من قبل لمرابطية..... و ذلك خوفا من اللعنة و سخط السماء على منازلهم "[2] . و من هنا يمكننا القول أن الفكر الأسطوري و أحيانا حتى الخرافي يسيطر على الوعي الجمعي لساكنة منطقة القبائل كباقي مناطق الجزائر الأخرى ، بعكس ما تروجه الكتابات الفرنسية الاستعمارية و التي أُنجزت ضمن سياق " الاكتشاف العلمي للجزائر الذي يُعتبر وظيفة مميزة للاستعمار ، بحيث أن التوسع الاستعماري يقوم على أساس توسع هذا الاكتشاف العلمي "[3].إذن يمكننا أن نخلص إلى القول أن النظام الاجتماعي في منطقة القبائل كباقي مناطق الوطن ، مبني على أساس القرابة ، و الحاضنة الأولى لهذه القرابة هي العائلة و قديما كانت العائلة الموسعة أو الممتدة ، في نظام أبوي كانت السلطة الروحية فيها تعود للأب أو الجد

---

[1] *Emile de Carette , Op-cit , P474*
[2] *Emile de Carette , Op-cit , P474*
[3] *P.Lucas et J.L.Vatin, **l'Algérie des anthropologues** , Ed François Maspero , Paris , 1982 , P 13.*

الذي يحافظ على استمرارية التراث العائلي أبا عن جد و يعمل على تثمين و إنماء رأسمالها الاجتماعي و الثقافي بين العائلات الأخرى ليضمن مكانة العائلة في القرية .و نظرا لعدم تقسيم العمل الاجتماعي آنذاك بين مختلف أفراد العائلة لتشابه الأدوار و محدوديتها ، فإن التضامن الآلي هو الذي يفرض نفسه على مختلف العلاقات الاجتماعية ، مما يجعل الفرد يخضع لقهر الجماعة ، بدءا بقهر العائلة بالخصوص ، إذ رغم امتعاض الفرد من حكم الأب الروحي أو من التفاف غالبية أفراد العائلة حول رأيه ، إلا أنه لا يمكنه التمرد عليهم خوفا من فقدان الظهر الذي يحميه بحرمانه من كل شيء في العائلة و عزله كلية ، فيصبح خمَّاسا ذليلا لدى العائلات الأخرى ، لأن من لا عائلة له لا يملك حق الكلمة في المشهد الاجتماعي للقرية و هذا من أثقل صور القهر الاجتماعي و العنف الرمزي .

5- البنيات الاجتماعية التقليدية :

رأينا فيما سبق أن العائلة هي التي تميز الحياة الاجتماعية في القرية القبائلية كباقي مناطق البلاد ، و هي بذلك تعتبر الأساس الاجتماعي للمجتمع القروي ككل ، و تسمى هذه الخلية أو الدائرة المركزية ب " آخام " أو دار آث فلان و تضم الأب و الإخوة المتزوجين و أبناءهم ، و الجد و الأعمامالمتزوجين و أبناءهم إلى غاية ثلاثة و أربعة أجيال في بيت واحد كخلية للنحل ، و عندما يكثر العدد و لا يستطيع البيت استيعاب الجميع تنقسم هذه العائلة " الجذع " الكبيرة جدا إلى عائلتين أو ثلاث لتشكل الدائرة الثانية في البناء الاجتماعي و هي دائرة " ثاخروبث " و التي يمكن أن تصل إلى خمسة أو ستة أجيال يشتركون في جد واحد . ثم تأتي بعد ذلك دائرة " آذروم " أو " دشرة " و هي بنية يمكن اعتبارها كبينية " ثاخروبث " و لكن بصورة أكثر تعقيدا ، فقد يكون مكونا من مجموعة من بنى " ثاخروبث " تنحدر من جد واحد و أصل واحد ، كما يمكن ألا يكون لهم جد واحد و إنما يكون التحالف في هذه الحالة بين عائلة غريبة تأتي لتستند إلى العائلات الأولى الأصلية في القرية ، ليكون لها موضع قدم بين سكان القرية ، فتتحالف معها في كل شيء ، و تكون سلما لمن سالمت و حربا لمن حاربت ، فتتقوى الرابطة ليصبح البنيان الاجتماعي بعد مرور الأجيال و كأنه تربطه علاقة الدم أو الرابطة الدموية و ليس مجرد تحالف موضوعي أملته الظروف.

و من الملاحظات الهامة أنه من الضرورات الاجتماعية و الدينية أن يكون لكل بنية أو تشكيلة " آذروم " جامع أو مسجد يُنسب دائما لهم فيُقال جامع " آث فلان " نسبة إلى

الإسم الذي يُطلق على هذا أو ذاك ، **و بالتالي نلاحظ أنه بقدر ما نجد من بنيات " آذروم "أو" دشرة " نجد الجوامع في نفس القرية الواحدة .**

هذا " الجامع " الذي لا تخلو منه أية قرية من قرى القبائل كما قلنا ، بالعكس غالبا ما نجد أكثر من جامع واحد في القرية الواحدة ، لا يؤدي الوظيفة الدينية التعبدية فحسب بل يتعداها لأداء وظيفة اجتماعية و سياسية . فنجد أنه بالإضافة إلى تأدية الصلوات فيه، فإنه يمثل المكان الأمثل لاستقبال ضيوف القرية من الأعراش المجاورة عندما تقتضي الضرورة (كاجتماع لفض نزاع بين قريتين و إقامة مجالس الصلح بين قريتين أو عرشين الخ ، كما يتم فه إيواء عابري السبيل ، و كذا احتضان اجتماعات مؤسسة " ثاجماعث " لمدارسة أوضاع القرية و مستجداتها ، و بهذا يكون الجامع هو الفضاء العمومي الوحيد في القرية و لهذا يكتسي كل هذه الأهمية في المحيط الاجتماعي و السياسي و الديني لأي قرية من قرى القبائل .

و عندما تجتمع مجموعة من بُنى " آذروم " أو" دشرة " نتحصل على بنية أكبر و هي بنية " ثادارث " أو " فرقة " . ثم تأتي بعد ذلك بنية " ثاجماعث " أو" لجماعة " و التي تتكون من مجموعة من الأفراد ممثلين عن كل العائلات المكونة لمجموع بنيات " إذرمان " مجموع " أذروم " و كل ممثل يُسمى " الطامن " عن كل " آذروم " ثم مجموع هؤلاء " الطمان " ينتخبون رئيس الجماعة و يُسَمى " لَمين نتادارث " .و تمثل هذه " لجماعة " السلطة السياسية و الاجتماعية في القرية في حين يمثل " الجامع " السلطة الدينية و الروحية فيها .

و تحالف مجموعة معينة من بنى " ثادارث " تعطينا ما يُسمى " ثاقبيلت " أو" عرش" . و تحالف مجموعة من بنى " ثاقبيلت " بدوره يعطي البينة الأكبر على الإطلاق في النظام الاجتماعي و السياسي لمنطقة القبائل و هو " كونفدرالية " أو" بلاد " ، رغم أن هذا الإسم لا ينبع من اللغة القبائلية الصرفة فهو في ظاهره مُستعار من اللغة الفرنسية ، و هذا في نظرنا يعود إلى كون الفرنسيين هم أوائل من تناولوا النظام الاجتماعي و السياسي لمنطقة القبائل بالدراسة و التمحيص لضرورة الاستعمار الاستيطاني . و فيما يلي نعرض لكل بنية اجتماعية على حدة و باختصار:

«5-1 خام أوثالويرث عايلة »: Axxam » ou « Grande Famille »:

من الجدير بالذكر أن النظام العائلي هو الحاضنة الطبيعية للفرد القروي ، و يتمتع بسلطة اجتماعية كبيرة ، إذ تُعتبر العائلة حجر الزاوية في البناء الاجتماعي القروي التقليدي ، و هي

النواة للخلية البشرية لبنية " آخام - ثالويرث" أو العائلة القبائلية على غرار كل العائلات عبر الوطن الجزائري . و نقصد ب " ثالويرث" العائلة الأولى التي تستقر في مكان ما لتعطي إشارة الانطلاق لتشكل القرية ككل و هي غالبا تضم الوالدان مع أبنائهم في نظام أبوي صارم يكون للرجل فيه الدور المفصلي و الحاسم في تسيير شؤونها ، فهو الذي يفرض القانون على الجميع ، و يوفر الأمن و الحماية أفراد أسرته و الحفاظ على تراثها المادي و المعنوي ، كما يسعى في إشباع حاجيات الأسرة المادية منها و المعنوية . كما تضم الجد و الجدة و الأعمام بأبنائهم في بناء معقد تتصارع فيه الرؤى و تتنازع فيه الأهواء حول من تكون له الغلبة للاستحواذ بالرمزية الروحية للعائلة ككل إن داخليا أو على مستوى القرية أو العرش. هذا كله في إطار العائلة التقليدية الممتدة لتي كانت ميزة المجتمعات التقليدية الزراعية ، أما في عصرنا الحالي و بفعل التغيرات و التحولات الاجتماعية ، السياسية و الاقتصادية ، فقد تأثرت بنية العائلة كباقي البنيات الاجتماعية الأخرى ، وتعرضت لانشطار فظهرت الأسرة النواتية (بتعبير الدكتورة صباح عياشي) ، لتتغير فيها العلاقات التي تحكم استقرارها و استمرارها و كذا علاقة السلطة .

« 2-5 ثاخروبث أو خروبة» : « Phalange »:

تُعتبر بنية أعلى من بنية " **العايلة** " و هي ائتلاف لمجموعة من العائلات الممتدة التي انقسمت بعد تكاثر عددها ، و تنحدر من أصل أو جذع واحد ، تتفاعل و تتماسك فيما بينها على أساس رابطة الدم و الانتماء للمرجعية الروحية المشتركة التي يمثلها الجد الأول . كما يمكن أن نجد تشكيلات أخرى من بنية " **ثاخروبث** " لم تتشكل على أساس قرابة دموية أو بالمصاهرة و إنما على أساس المجاورة و التساند أو التحالف بين عائلات مختلفة [تحالف عائلات وافدة تسمى **"إمسوناذ"** مع العائلة الأولى " **ثالويرث"** ، و هذا ما يفسر ربما وجود عائلات قبائلية و أخرى مرابطية في نفس التشكيلة .و هنا و على هذا المستوى من البناء الاجتماعي القبائلي تظهر الرابطة المكملة أو البديلة لرابطة الدم في بناء التحالفات لضمان البقاء و الاستمرار في محيط عدائي لا يسمح للضعيف المنفرد أو المعزول بالبقاء.

نعلم أنه عندما تأتي العائلات الوافدة " **إمسوناذ**" لينضموا إلى العائلة الأولى التي استقرت في مكان ما ، فإنهم يدفعون ثمنا رمزيا مقابل قبولهم في العائلة أو في القرية ، و هو حق رمزي لكي يسكنوا في القرية ، و هذا الحق الذي يُدفع هو في الحقيقة مقابل ما يقوم به أهل القرية من بناء المنازل على حسابهم للعائلات الجديدة . و في انتظار الانتهاء من بناء

المنازل ، يتم إيواء هذه العائلات الوافدة على القرية ، في " **آخام ن السبيل أو بيت السبيل** " ، و غالبا ما نجد بنية " ثاخروبث " تتشكل من تحالف خمسة عائلات .

«3-5 آذروم- دشرة - sous- fraction » :

تتشكل بنية " **آذروم** " من تحالف مجموعة من بنيات " **ثيخربا أو ثيخربين** " جمع " **ثاخروبث** " ، من بين معانيه القلعة أو الحصن في إحالة إلى الحماية و السلطة الرمزية التي يتمتع بها هذا البناء في تسيير و سياسة شؤون القرية، و ذلك من خلال تفويض ممثلها في الجمعية العامة " **ثاجماعث** " أو " **أغراو نتادارث** "« assemblée du village » . عادة ما يتشكل بناء " آذروم " من تخالف و تساند خمسة من بُنَى " ثاخروبث " و هذا وفقا لعلاقة القرابة الدموية المكونة للعائلة الأولى في القرية التي تسمى " ثالويرث " ، أو كما رأينا من تساند عائلات وافدة مع العائلة الأولى دون أن تربطهم قرابة الدم ، و إنما تجمعهم المصالح المشتركة و الرغبة في العيش المشترك.

«4-5 ثادارث - فرقة - » Fraction:

و هي تتويج لتجمع خمسة وحدات من بُنى " **إذرمان أو إذارما** " جمع " **آذروم** " ، قد تربطها علاقة الدم و الانتماء لجد واحد ، كما يمكن أن تكون غريبة عن بعضها البعض ، و إنما تتحالف فيما بينها بحكم الضرورة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية لضمان الأمن و الاستمرارية ، و هذا بحسب ظروف تشكل النواة الأولى لهذا التسلسل العنقودي للبنى الاجتماعية المكونة لمنطقة القبائل . و تكون على رأس هذه القرية مؤسسة اجتماعية تتولى تسيير و سياسة شؤونها الاجتماعية و الاقتصادية و هي مؤسسة " **ثاجماعث أو أغراو نتادارث** " و هي بذلك تمثل السلطة العليا في التجمع السكاني . و تتكون من مجموعة من الممثلين عن كل بنية " **آذروم** " المكونة للقرية ، و يشترط فيهم أن يكونوا من الذكور ، بحكم أن المجتمع القبائلي مجتمع باترياركي، يُختارون من بين الرجال الذين لديهم رصيد و رأس مال رمزي وفق المنظومة القيمية للمجتمع القروي ، و لعل أبرز المعايير التي يُنظر إليها هي معيار الحكمة و التدين ، و كذا معيار الانتماء للأسر العريقة الأصيلة في القرية في توليفة جدلية دائمة بين " **المتدين و اللا متدين** " و بين " **الأصيل و الدخيل** " في القرية . و هذا كله لتمكين الممثلين من فرض السلطة المعنوية على العامة و الرقابة الاجتماعية على كافة أفراد القرية . وغالبا ما يكون على رأس هذه المؤسسة الاجتماعية رجل كبير في السن ذو تجربة في الحياة و ذو سمعة طيبة داخل و خارج القرية و يُسمى " **لمين** " أو " **مزور** " أو "

أمغار " أو " **أمقران** " بحسب كل منطقة . و يتكون مجلسه من مجموع ممثلي وحدات " **إذرمان** " الذين يُسمون " **الطمّان** " جمع " **الطّامن** " .

«5-5 ثاقبيلت - العرش – Tribu »:

غالبا ما يتكون من تحالف خمسة قرى لتشكل ما يُسمى " **آذْني ن توذرين** " ، و هو يمثل سلطة أعلى من سلطة " **ثاجماعث** " الخاصة بكل قرية ، و يتألف من مجموعة من القرى و العشائر المختلفة في النسب العائلي و لكن تربطها علاقات المصاهرة و بالتالي فإن العرش يتسع ليشمل كل الوحدات القروية التي تتحالف في حلف لتشكل " **صفا** " واحدا ، لغرض الدفاع عن مصالحها الوجودية مادية كانت أو معنوية . و كل " **عرش** " يتميز عن غيره من الأعراش بخصوصيات تتجلى في قوانينها العرفية المتعلقة ببعض العادات و التقاليد التي تميز مثلا بين الناس فيما يخص علاقات الزواج ، إذ أن " **المرابطية** " مثلا، لا يقبلون بتزويج بناتهم لغير المرابطين في نوع من تكريس الاستعلاء و الرفعة لجنسهم مقابل الجنس القبائلي و هي إحدى **تجليات الصراع الطبقي** في هذا المجتمع القروي التقليدي . و يعود ظهور تشكيلة " العرش " في منطقة القبائل بحسب البحاثة الفرنسيين إلى عوامل تاريخية و دفاعية بحتة في الصراع من أجل البقاء و الوجود ، و هي تتشكل في وجود خطر داهم يهدد الجميع ، و في هذا يقول " **إميل ماسكوري** " : " **أن العرش في منطقة القبائل هو تلك الوحدة السياسية و الدفاعية التي تتشكل بصورة مفاجئة و بالتالي يبقى تكوينها غير مكتمل ، و تزول بزوال الدافع أو الخطر المسبب لنشأتها** "[1] . تحتفظ هذه التشكيلات باسمها و لكن دون الاحتفاظ بفعالية قوامها ، و هذا ربما يكون السبب الرئيسي و القاتل الذي استثمرت فيه السلطات الاستعمارية لفرض سيطرتها على المنطقة ، إذ أنها تنبّهت لانعدام استمرارية تشكيلة العرش على أرض الواقع بل بالعكس لقد نخر جسد هذه البُنى نقص التجانس بين مختلف الوحدات المكونة لها ، مما جعلها لقمة سائغة في يد الاستعمار الذي استغل هذه النزاعات لتكريس الفرقة بين ساكنة منطقة القبائل و تجمع هذا العرش ممتلكات و مصالح جماعية كأراضي " المشمل " و هي مناطق مشتركة بين مجموع القرى المكونة لهذا العرش أو ذاك ، مما يعكس شعورا اجتماعيا بروح الانتماء المشترك لنفس المنظومة القيمية المميزة للبعد الثقافي للعرش . أما في وقتنا الحالي فقد عرفت هذهالبُنى

[1] *Emile Masqueray : **formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algerie, Kabyles du Djurdjura , chaouia de l'Aures , Bni Mzab** , Ed edisud , Aix en Provence , 1983 , p 95*

تحولات عميقة بفعل التغير الاجتماعي ، ما جعلها تفقد الكثير من شحنتها و حمولتها الثقافية والاجتماعية و السياسية و من سلطتها الرمزية على أفراد القرى المكونة لها .

« 6-5 ثامياويث ثاسنرخسيث – بلاد – » confédération:

و هو ما يسمى أيضا " **آذني لّعراش** " و هو أعلى سلطة و تشكيلة عرفتها منطقة القبائل منذ الوجود ، و هو غالبا يتكون من تحالف خمسة " **أعراش** " تربطهممصالحمشتركة و يوحدهم الشعور بالخطر أو التهديد من عدو مشترك ، و هو بالتالي تحالف براغماتي تمليه الظروف الاقتصادية والسياسية و الصراع من أجل البقاء ، سرعان ما يزول بزوال الظروف التي أدت إلى ظهوره . و تحكم هذا التحالف هيئة عليا تدعى " أغراو ن لعراش" يكون على رأسها " أمزوَرُ ن وذني لعراش " و تتكون من رؤساء كل عرش أو ممثل عن كل عرش . و يتولى هذا المجلس سياسة الأمور العامة بين كافة الأعراش المكونة له ، و يسن القوانين العرفية الضابطة لشؤون التكتل السكاني الذي يمثله ، و كذا فض النزاعات بين مختلف الأعراش حين تحدث كالنزاعات على منابع الماء و الأراضي و قضايا الدم و الثأر. إذن كخلاصة لما رأيناه يمكن لنا أن نخلص إلى استخلاص و فهم الطريقة التي تكونت بها القرى و التجمعات السكانية في منطقة القبائل و كذا سر تماسكها الاجتماعي و السياسي على مر العصور . فوجدنا أن الخلية الأولى لتشكل أو ظهور القرية هي العائلة الأولى التي تُدعى " **ثالويرث** " و هي التي تبني أول بنيان في القرية . ثم مع مرور الوقت إما أن تتكاثر هذه العائلة فتنقسم إلى عائلات بعد الجيل الثالث أو الخامس فتتشكل بنية " **ثاخروبث** " التي تكون متجانسة أي تنحدر مباشرة من جد واحد فيربطها هذا الشعور بالانتماء لجذر واحد ، و إما أن تنضم عائلات دخيلة لتلتحم مع العائلة الأولى لتشكل نوعا آخر من بنية " **ثاخروبث** " التي تختلف عن الأولى من حيث التركيبة فتسمى العائلات الوافدة ب " **إمسوناذ** " « agrégés » فنجد فيها اختلافا في النسب كأن نجد تساند عائلات مرابطية مع العائلة الأولى القبائلية ، أو حتى بعض العائلات التي تنتمي لفئة العبيد " **آكلان** " مع العائلة الأولى ، و غالبا ما تتكون هذه البنية من تلاحم و تساند خمسة عائلات . و تجدر الإشارة أنه عندما تحضر العائلات الوافدة التي ترغب في مجاورة العائلة الأولى ، فإنها تدفع مبلغا رمزيا مقابل القبول بهم في القرية و هو حق رمزي للسكن و الاستقرار في القرية ، و هذا الحق هو في الحقيقة مقابل ما يقوم به أهل القرية من بناء منازل على حسابهم للعائلات الوافدة و ذلك بتنظيم عملية " **التويزة** " و في انتظار ذلك يتم إيواء الوافدين في" **آخام ن**

السبيل " أو " **بيت السبيل** " الذي يعتبر أول فضاء عمومي في القرية ريثما ينتهي بناء المنازل الجديدة و يمثل هذه التشكيلة في مجلث القرية " **الطامن أو أمقران** " . ثم مع مرور الوقت و تكاثر العائلات تتكاثر بنى " **ثيخربين أو ثيخروبين** " لتشكل بنية " **آذروم** " ، و كذلك بدورها هذه البنى حين تتحالف تتشكل بنية " **ثادارث** " و تكون على رأسها جمعية تسمى " **أغراو نتادارث** " يرأسها " **لمين أو أمغار أو أمزوار ، أو أمقران** " بحسب تسمية كل منطقة . و تحالف مجموعة من بُنى " **ثادارث** " يعطينا بنية أكبر تسمى " **آذني** " و يمكن تمييز نوعين من هذه البنية الأول هو " **آذني أوفوس** " يعني تجمع أو تكتل خماسي مكتمل إشارة إلى أصابع اليد الواحدة ، و الثاني يدعى " **آذني إيضوضان** " و هو التكتل غير الكامل و الذي لم يبلغ عدد أصابع اليد الواحدة و الذي يجب إكماله .ثم يأتي تشكيل أكبر و أعلى و هو تشكيل بنية " **العرش** " الذي يتكون من تحالف مجموعة من بنى " **إذنيان** " و هو جمع " **آذني** " و بدورها هذه البنية عندما تتحالف مع بُنى أخرى مثلها يتشكل بناء ما يسمى " **آذني لعراش**" و في الأخير تحالف مجموعة من هذه البنى الأخيرة يعطينا ما يُسمى بالكونفدرالية أو " **ثاماوية ثاسنرخسيثثاقبايليث** " و هي أعلى تكتل في البناء الاجتماعي و السياسي عرفته منطقة القبائل . و هنا نستشف أن كل هذا البناء مبني على القبيلة التي حافظت على بقاء و تماسك هذا الجنس عبر الزمن برأي **جيرمان تليون** في دراستها لمنطقة **الأوراس** . و يمكن تمثيل كل هذا البناء العنقودي في المخطط التالي :

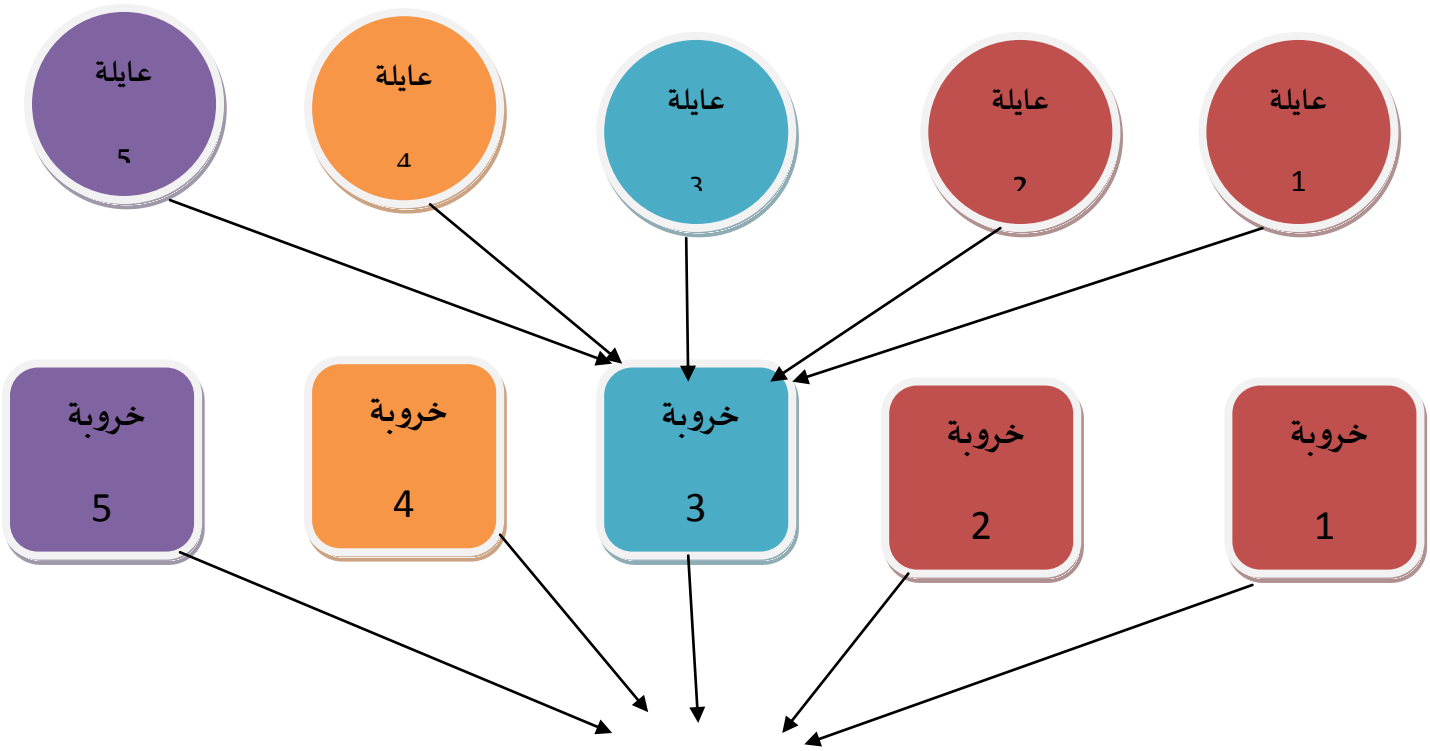

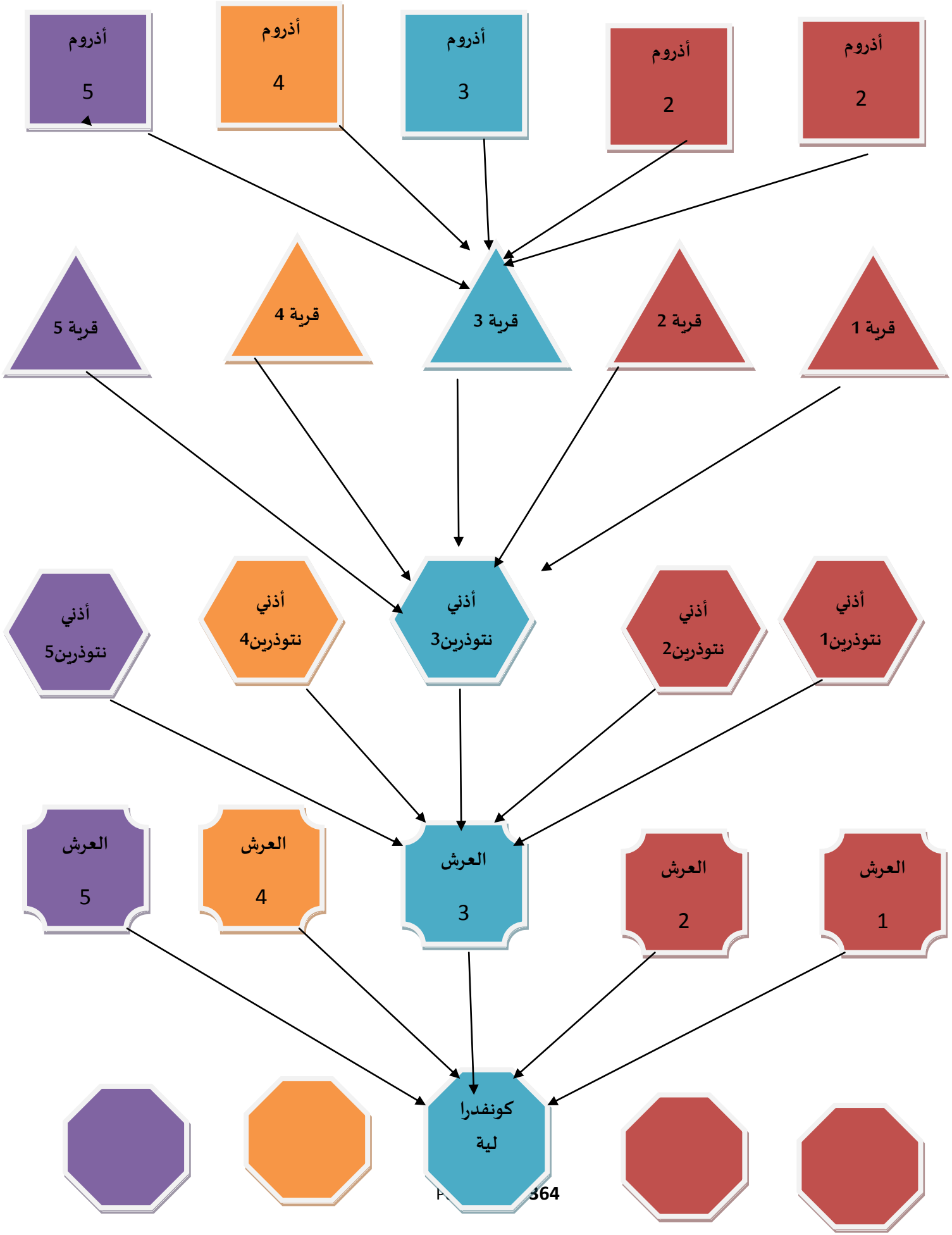
أذروم 5
أذروم 4
أذروم 3
أذروم 2
أذروم 2
قرية 5
قرية 4
قرية 3
قرية 2
قرية 1
أذني نتوذرين5
أذني نتوذرين4
أذني نتوذرين3
أذني نتوذرين2
أذني نتوذرين1
العرش 5
العرش 4
العرش 3
العرش 2
العرش 1
كونفدرا لية

[1]Schema « 1 »

و ربما يتقابل هذا البناء مع بناء القبيلة العربية التي تذهب من الأسرة إلى العشيرة إلى الفخذ إلى الفصيل إلى البطن إلى العمارة ثم القبيلة.

و لقد أسست ساكنة منطقة القبائل نظام ضبط اجتماعي صارم ، يحمي حقوق الفرد و الجماعة ، و يرسي روح المساواة بين جميع أفراد القرية أمام القانون العرفي مما يقوي الشعور بالانتماء للبنية الاجتماعية بحسب دائرة الانتماء . و تتجلى هذه الروح " روح المساواة " في عدة مظاهر نذكر من بينها :

- كل فرد لديه الحق في الاحتكام للجمعية إذا ما هُضمت حقوقه
- لكل فرد الحق في الحماية من طرف القرية
- الحق في طلب الحماية أو ما يسمى **" لعناية "** بدون أي شرط أو قيد، فليس من حق أي أحد أن يطلب ممن يطلب حق الحماية أو الاستجارة ، من يكون أو لماذا يطلب الاستجارة أو لماذا اختار هذه القرية أو تلك ، و لهذا السبب يُقال أن **" لعناية أَم ربي "** أي الاستجارة مقدسة كقداسة الله ، و أنها كالله تكفي نفسها أي **" لعناية أَم ربي ثكفا إمانيس "** و تنقسم إلى نوعين ، خارجية و داخلية أما الخارجية فعندما يستجير أي غريب بأهل القرية فيكفي أن يمنحها إياها أحد سكان القرية لتصبح ملزمة لكل القرية و تقوم الحروب على الإخلال بهذا المبدأ المقدس ، أما الخارجية فتخص القبائلي الذي ينتقل إلى خارج بلاد القبائل ، فإذا تعرض لأي مكروه سواء كان سرقة ، مرضا أو اعتداءا ، فإذا ما التقى بأي قبائلي مثله فإنه من الواجب المقدس أن يُعينه و ينصره و إذا لم يفعل فإنه من حق الذي تعرض للمكروه أن يشكوه لجمعيته لتتم معاقبة من تقاعس عن نصرة أخيه أو إعالته في محنته و ذلك بتدمير منزله و في هذا تُتناقل قصة ذلك الحاج القبائلي الذي تعرض للسرقة في الحج فالتقى بثلاثة رجال عرفهم من لغتهم القبائلية فطلب منهم المساعدة بمبلغ من المال فأجابوه **" إن تحتّم الأمر علينا ، حملناك على أكتافنا حتى قريتك أما النقود فلا يُتحدث عنها "** و هذا ما يدل على وجود نظام تضامني صارم يحمي الفرد أينما حل أو ارتحل.

[1] - *Youcef Alioui,* ***Les Archs tribus Berbères de Kabylie*** *, Ed l'Harmattan , Paris , France , 2006 , p 200*

- أما على الصعيد الاقتصادي فتتجلى في ما يسمى " السبيل "، و هو نوع من الدخل القومي إن جاز تسميته كذلك في عصرنا الحالي و هو يقضي على البطالة و ذلك بتسخير الأراضي و الأشجار لمن لا يملك شيئا في القرية لخدمتها و الاسترزاق منها ، و هذا قضى على ظاهرة التسول في القرى القبائلية ، فالبطالة عار من المنظور القيمي القروي و كذا التسول .

- أما على الصعيد التنظيمالسياسي فيتجلى ذلك في بنية الكونفدرالية القبائلية " **ثامياويث ثاسنرخسيث ثاقبايليث** " ، و هي بنية معقدة ، تضم عددا كبيرا من الأعراش المتقاربة و المتجاورة ، غالبا ما تتشكل لمواجهة خطر داهم يتهدد المنطقة ، تستمر باستمرار الخطر و تزول بزواله . و يكون على رأسها " لمين الأمناء" ، الذي يتم انتخابه من بين كل أمناء كل عرش .و لكن الأساس في هذه العائلة السياسية الكبرى ، هي وحدة " آخام أو عايلة أو الحارة " و هي العائلة السياسية لغاية الجيل الثالث ، ثم تأتي وحدة " ثاخروبث " لتمثل العائلة السياسية لغاية الجيل الخامس ، ثم بعد ذلك تأتي وحدة " آذروم " و هو العائلة السياسية حتى الجيل الثامن .و تجدر الإشارة إلى " " إنه لم يُحفظ التنظيم الاجتماعي البربري إلا في منطقة القبائل "[1]

6- تنظيم العلاقات الاجتماعية في المجتمع القبائلي :

من خلال مناولتنا للتنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل، يمكننا تمييز عدة نماذج تنظيمية في مختلف القرى القبائلية ، و التي تميز التجربة التنظيمية ككل .فهناك نموذج تساهم فيه الفكرة الدينية في صياغة القوانين الاجتماعية، و هو مبني على إعادة إنتاج النسق القيمي و علاقة القرابة المرابطية الشريفة المستقرة في المنطقة . بحيث تكون فكرة الانتماء لشخصية دينية و كاريزماتية مشتركة ، هي المحرك الأساسي للاجتماع القروي في إطار نظام " ثاجماعث " ،التي تصوغ قوانين اجتماعية تقوم مرجعيتها على الفكرة الدينية للأسرة الشريفة و التي ترتكز على مجموعة من الاعتقادات السائدة و المتمحورة حول شخصية الولي الصالح الأول الذي يعتبر كذلك الجد الأول لكل القرية .

و في هذا التنظيم ، تخضع تشكيلات " إذرمان " لفكرة الانتماء للولي الصالح المشترك ، بحيث أن كل " أذروم " يعبر عن وجود تشكيلة اجتماعية تعكس الفكرة المتعلقة بروح الانتماء المشترك إلى الجد الأول ، و كل " أذروم " يحمل إسم أحد أبناء الجد الأول ، و

[1] *Kanoun Kabyles , sans auteur , ni edition ni année , p 6 , source bfn.fr.*

بالتالي يكون عدد هذه التشكيلات بعدد أبناء الجد الأول ، هذا في حالة ما إذا لم تنضم إليها عائلات وافدة من خارج القرية لتستقر عندهم و تتحالف معهم لتتشكل بنيات أو وحدات أخرى . و يمكن تلخيص هذه الفكرة في الشكل البياني التالي :

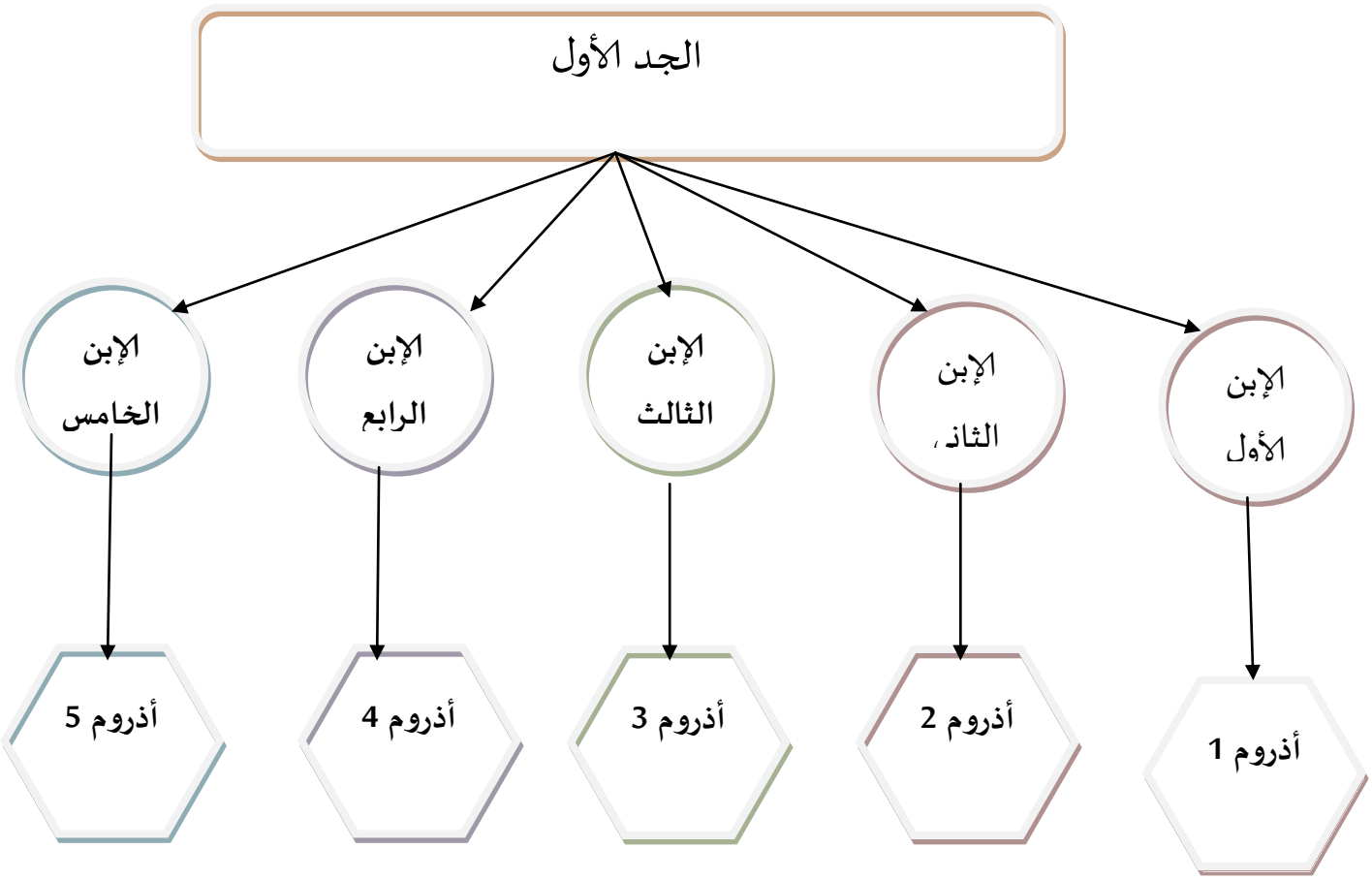

تُنَصَّب قُبَّة تضم ضريح الولي الصالح و الجد الأول ، لتكون مزارا تحيطه هالة من الطقوس ، و يقصده الناس من جميع أبناء القرية و حتى القرى المجاورة إذا ذاع صيته بين الأعراش الأخرى بكراماته و بركاته و تقواه و ورعه. و في هذه القبة يجلس الشيوخ المسنون بجوار الضريح لقراءة الفاتحة و الدعاء لمختلف الزوار الذين يطلبون الدعاء لقضاء حاجاتهم بالتوسل بهذا الولي. و بهذا تتجسد هيمنة الفكرة الدينية على الاجتماع القروي ككل ، حيث يُحاط هذا الولي بنوع من التقديس و الإجلال ، ما يجلب لهذه القبة العديد من الهبات و العطايا ، تستفيد منها القرية .

و في العادة تفتتح الجلسات بقراءة فاتحة الكتاب من طرف الإمام و جماعة الشيوخ ، و كل فرد لديه الحق في التدخل و لكن بعد أن يستفتح كلامه بالصلاة و السلام على الرسول ، هذا ما يُميز هذه العائلات الشريفة بامتيازات اجتماعية و سياسية و اقتصادية يُؤهلها للقيام بأدوار ريادية في تنظيم الشؤون الاجتماعية للقرى القبائلية ، و ذلك نتيجة تمسكها الشديد بقيمها الدينية و الأخلاقية المتوارثة أبا عن جد. و في هذا يتجلى لنا كيف تدرج تموقع الدين من ظاهرة خلواتية توغل في الزهد و التعبد و اعتزال الناس في الأول إلى منظومة تسيطر على كل مناحي الحياة الاجتماعية ، الاقتصادية و السياسية في القرى القبائلية ، حيث تمكن هؤلاء الشرفاء من فرض أنفسهم على الساحة الاجتماعية كبديل لا يمكن الاستغناء عنهم ما سمح لهم بامتلاك الأراضي التي تهديها القبائل لهم تقربا منهم إلى ولهم الصالح ما أرسى دعائم سلطتهم في الميدان ، إذ تورم نفوذهم بتحالف الدين مع المال و لكن بصورة سلمية سلسة ، إذ فُرضت صورة المرابطي العالم الورع المسالم الذي يسعى لفض النزاعات بين الناس و بين القرى و الذي يحظى ببركات و كرامات ، في وجه صورة القبائلي الجاهل و غير المتدين و المحارب في غالب الأحيان . و هذا ما أتاح لهم فرصة التوغل في مؤسسات " ثاجماعث " التي أصبحت سلطة اجتماعية و دينية في آن واحد ، و تحكمها منظومة من القوانين الاجتماعية التي تميزها عن باقي القرى الأخرى التي تخضع لنظام ثاجماعث التقليدي . و هذا ما يؤكد أن الأديان ظاهرة اجتماعية مميزة لكل المجتمعات السابقة و الحاضرة و اللاحقة[1].و هذا ما ذهبت إليه إسهامات " مالينوبسكي " و " دوركهايم " في ميدان السوسيلوجيا الدينية . و هذا ما يجعل الدين مركز قوة و ضغط و تأثير اجتماعي ، لا يمكن إهماله ، ما دفع بالعالم الاجتماعي " دورهايم " للقول : " أنه لا يمكن تصور وجود مجتمع ما بدون وجود مجموعة من الرموز الدينية و المعتقدات و المشاريع الجماعية التي تمكن من خلق وحدة المجتمع و شخصيته "[2] .بينما يرى " طوكفيل " أن الأديان معطى طبيعي لدى الإنسان ، و هي بذلك بمثابة دافع و قوة روحية للأفراد[3].

و عادة ما تجتمع القرية بأكملها في المناسبات و الأعياد الدينية ، كعيد الفطر و عيد الأضحى و عاشوراء و المولد النبوي الشريف ، ذلك ما يساهم في تقوية الروابط الاجتماعية و

[1] ريمون بودون و فرانسوا بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع

[2] *Emile Durkheim, **les formes élémentaires de la vie religieuse**, Ed P.U.F, Paris, 1968, pp 609-610*

[3] *Tocqueville A, **de la démocratie en Amérique** , Ed Enag , 1991, p 27*

الروحية بين الأفراد و بين مختلف التشكيلات الاجتماعية المكونة للقرية ، و هنا تكمن الأهمية السوسيلوجية لهذه المناسبات ، إذ تساهم في تغذية الروح الجماعية و الانتماء المشترك و تقوية روح الانتماء للجماعة مما يسهل الحفاظ على المنظومة القيمية القائمة و ضمان استمراريتها عبر الزمن بضمان إعادة إنتاج نظامها .إذن هذا النظام الديني الكاريزماتي يأتي ليكمل النظام أو النموذج التقليدي العرشي و الذي تسميه الأدبيات الفرنسية ب" اللائكي " ، و هو النموذج الأصل في المنطقة منذ عصور غابرة . و هو نموذج يقوم على منظومة صارمة من القيم و الأعراف و التقاليد ، تعكس الروح الجماعية للعرش ، و يتم توارثها مشافهة و أبا عن جد. و هو نتاج العامل الدفاعي لتشكيلة الصف مما جعل من الصراع محركا رئيسيا في بلورة النظام العرشي و هذا ما كرّس استقلالية كل عرش عن الأعراش الأخرى. الشيء الذي أدى إلى خلق صور تضامنية اجتماعية و أخرى صراعية ، و ذلك لعدم استقرار هذه الأعراش و اختلافها باختلاف الظروف و الدوافع التي أدت إلى نشأتها. و هذا ما جعل الحياة في هذه القبائل لا تخلو أبدا من الصراع و التناحر ، بسبب الطبيعة الدفاعية و الأمنية لهذه الأعراش ، و التي تجعل من جاهزيتها للدخول في الصراع و النزاع أمرا واردا في كل حين ، و هذا ما يفسر عدم تشكل نظام مركزي يضم كافة القرى و الأعراش المنتشرة في منطقة القبائل.و لعل الحاجة إلى الأمن و الاستقرار و الحفاظ على استمرارية المنظومة القيمية لكل عرش ، هو ما جعل من الصراع حتمية تاريخية ، و ضرورة اجتماعية ، ما يجعل من الصراع مفهوما سوسيلوجيا يساهم في تفسير و فهم هذه المنظومة الاجتماعية للمجتمع القروي القبائلي.

و تلعب مسألة تنظيم علاقات القرابة دورا رئيسيا في بلورة التنظيم الاجتماعي القروي في هذه المنطقة ، إذ تقف وراء إنتاج تلك المنظومة القانونية الصارمة التي يجسدها القانون العرفي ، و ذلك لإعادة إنتاج علاقات القرابة التقليدية و الحفاظ على الرأسمال المعنوي و المادي لكل قرية ، في إطار وعي اجتماعي " يشير إلى مجموعة من التصرفات و السلوك الاجتماعية و طرق التفكير و الأحاسيس الخارجة عن الفرد ، و التي تمارس الإلزام على كافة الأفراد و هي بذلك تفرض وجودها عليهم"[1].

[1] *Emile Durkheim* ***, les règles de la méthode sociologique*** *,ed P.U.F , 23 éme édition , Paris , 1987 , P 8*

و هذا الوعي الاجتماعي يعبر على أرض الواقع بالمنظومة القيمية و الممارسات الجماعية التي يتبادلها أفراد المجتمع ، و يمكننا القول أن البنية القروية بأكملها ما هي إلا نتاج هذه المنظومة القيمية و القانونية الصارمة ، ليصبح التنظيم الاجتماعي في قرى القبائل ضرورة اجتماعية لضمان استمرارية العادات و التقاليد المتوارثة أبا عن جد ، مما يضفي عليها نوعا من القداسة الروحية نظرا لكون الحفاظ عليها هو نوع من التعبير و الوفاء للانتماء للآباء و الأجداد ، ما يقوي من الانتماء للذاكرة المشتركة بالحفاظ على الوعي المشترك لكل قرية على حدة .و هذا ما يقف وراء تنوع و اختلاف أشكال تنظيم القرى ، مما يؤدي غالبا إلى صراع القيم داخل العرش الواحد . و منه يمكننا تفسير وجود بعض القرى تتبع نظام " ثاجماعث " و أخرى تتبع أنظمة حديثة كنظام الجمعية ، أو نظام جمعية القرية ***comité*** « ***de village*** « لتتجلى بذلك مظاهر الصراع بين الأصالة و الحداثة ، و بين مستلزمات و مستحدثات الدولة الحديثة و آلياتها في تنظيم المجتمع المدني في وجه التنظيم القبلي التقليدي ، مما يفرض صراعا حادا بين القيم التقليدية الدينية غالبا و بين القيم الحداثية اللائكية ، و هذا ما يفسر في السنوات الأخيرة استبدال غالبية القرى لنظام " ثاجماعث " بنظام " جمعية القرية " ، و هو مفهوم و آلية حداثية جاءت بها أدبيات الدولة الحديثة ، و هو من أهم تجليات المؤسسات التنظيمية للمجتمع المدني الحديث ، و الذي لقي رواجا كبيرا خاصة مع التفتح السياسي الذي عرفته البلاد و السماح بإنشاء الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي و الثقافي و السياسي ، و هذا ما ساهم في إذكاء الصراع بين البنى الذهنية التقليدية و التشكيلات الذهنية الحديثة التي تفرضها المدنية الحديثة .و هذا ما يضع النسق الاجتماعي ككل، في أزمة وجودية، بحيث أن النسق التقليدي يصارع من أجل البقاء بين مختلف التشكيلات الاجتماعية التي تشكل القرية الواحدة أو العرش الواحد، و المبنية أساسا على الصراع بين العائلات و الصفوف.أما حديثا فقد استبدل الصراع بين الحداثة/الأصالة الذي كان في الأساس بين الدين / اللائكية ، بحيث ظهرت الفكرة السياسية التي فرضت اصطفافا سياسيا ايديلوجيا، فرضته الأحزاب المسيطرة على المنطقة و ذلك في وجه البنية التقليدية المحافظة التي يعتبرونها موغلة في التدين و التحفظ.

إذن من خلال ما رأينا ، يمكننا القول ، أن تشكل القرية يكون عبر الاستقرار على الأرض وفقا لعلاقات القرابة ثم اختيار المراكز المرتفعة و هذا يحمل دلالات سوسيو- ثقافية .

تجدر الإشارة أن هذه الترتيبات للتثبت على الأرض قد سُجلت في بعض القرى في منطقة الأوراس ، و لقد أُنجزت دراسات عديدة حول البنية الاجتماعية في منطقة القبائل و خلصت إلى نتيجة بارزة و هي أنه في الماضي ، " كان النظام يرتكز على مستويين للانتماء يربطان الوحدة الاجتماعية الأصغر و هي العائلة بتنظيمات سوسيو سياسية أكبر. جماعات القرابة و الجيرة و التأثير تجد نفسها متلاحمة ببعضها البعض إلى درجة يصعب تفسير العائلة أو المجتمع ككل بجهل أحدهما " [1] .و في نفس السياق قام ***Bourdieu*** بوصف نفس التنظيم الاجتماعي الذي يخضع لنظام من الدوائر المتراكزة . كل دائرة يقابلها مستوى من التنظيم و الذي يتحدد بتجميع الدوائر الأخرى الواقعة في المستوى الأدنى، و مجموع عدة وحدات دنيا تعطي وحدة من المستوى الأعلى:" و من سلسلة التشابكات المتتالية تنتج وحدة المجتمع الكلي "[2] . و هذا ما ذهب إليه أيضا عبد المالك صياد في دراسة حول البنيات العائلية في " آث يني " حول نفس التنظيم ، بقدر ما يكون التقارب من مركز هذا النظام من الدوائر المتراكزة ، بقدر ما يشتد الشعور بالانتماء للعائلات . في المحصلة و انطلاقا من بعض هذه المعطيات ، يمكن لنا أن نشدد على وجود روابط قرابة و مصاهرة وثيقة تجمع العائلات بقوة فيما بينها ، و بينها و بين وحدات اجتماعية أكبر و أوسع . و الفرد بذاته لا مكان له في الجسد الاجتماعي إلا بواسطة جماعته العائلية[3] . أما بالنسبة لاختيار المواقع العالية ، فإن الارتفاع يعطي الهيبة للأشياء ، و يحتل مكانة مميزة في المخيال الاجتماعي لمختلف الثقافات :" أليس كل تقييم هو نوع من العمودية ***verticalisation*** بتعبير " غاستون باشلار " ، فالصعود نحو الأعلى يعني أولا الصراع ضد قوة الجاذبية ، و تسلق موقع عالي يعطينا صورة عمل مُخَلّص و يعطينا انطباعا بالسيطرة على العالم عندما نكون على قمة الجبل "[4] . أما على الصعيد الاجتماعي فإن الصعود للقمة يُترجم بالولوج لمراكز أعلى. ففي تحليله للبيت القبائلي تمكن " بيار بورديو " من إبراز ذلك التقابل بين الأعلى و الأسفل ، " أين كل نشاط اجتماعي إيجابي يحتل المكانة العليا في السلم القيمي . و كمثال على هذا ، الإسطبل المخصص للحيوانات يوحي بهذا ، إذ أن موقعه يكون دائما أسفل أرضية الدار المخصصة للبشر . و على عكس الأماكن التي تكون في الأسفل أو في

[1] - *Boutefnouchet Mustapha, **La famille algérienne, évolution et caractéristiques récentes**, Alger, Editions SNED, 1982, p 316.*
[2] - *BOURDIEU (Pierre), **Le sens pratique,** Paris, Editions de Minuit, 1980. P*
[3] - *Boutefnouchet M , OP.CIT , p 321*
[4] - *ARNHEIN (Rudolph), **dynamique de la forme architecturale** ,Bruxelles, Editions, Edition Pierre Mandago, 1977, 284 P*

المصب ، فهي تأوي المياه الراكدة و التي تكون مسكنا للجن و الأرواح الشريرة و هي خطرة جدا " و لهذا يتم احتلال الأماكن المرتفعة دائما "[1]. كما أن اللجوء للأماكن العالية يكون لدواعي أمنية و هو للتمترس في الجبال و المرتفعات للاحتماء من الأعداء ، و كذلك للحفاظ على السهول القليلة الصالحة للزراعة و استغلالها لضمان لقمة العيش.

7- الطرق الصوفية و علاقتها في صياغة الخصوصية الدينية في منطقة القبائل

مما لا شك فيه أن الظاهرة الدينية على العموم قد لقيت اهتماما كبيرا من لدن البَحَاثة الآنثروبولوجيين و علماء الاجتماع الذين حاولوا معايشتها عن قرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية تَصطبغ بها كل ثقافات الشعوب ، فالدين يُعتبر اللبنة الأساسية في تشكيل الأطر و الأنظمة الاجتماعية البدائية منها أو التقليدية و حتى المعاصرة.

و لا يمكن لأي باحث أن يدرس ثقافة مجتمع ، دراسة رصينة دون اللجوء إلى العناصر الدينية التي تؤثر في تكوين تلك الثقافات ، و لا يكاد يُستثنى أي نسق ثقافي أو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي و حتى البيئي من احتوائه على معتقدات دينية . هذا ما ذهبت إليه العديد من الأبحاث الآنتروبولوجية ، فمن خلال دراسات " جيمس فريزر "في كتابه" الغصن الذهبي" حاول أن يفسر لنا علاقة السحر بالدين ، ليبين من خلالها مدى تأثيره على البنية الايكولوجية في ثقافةالبدائيين الذين كانوا يعتقدون في وجود الأرواح .

أما " دوركايم "مؤسس علم الاجتماع فقد حاول البحث لمعرفة أصل الدين في دراسته حول " الطوطم " محاولا بذلك طرح منهج ملائم لدراسة الظاهرة الدينية . أما" مالينوفسكي " فإنه و من خلال بحوثه قد أعطى دفعا قويا للمنهج الانثربولوجي ، و للدراسات الحقلية بتطبيق تقنية الملاحظة بالمشاركة ، و في دراسته للقبائل الأسترالية تناول جميع الأطر التي تؤسس هذا المجتمع القبلي حيث اعتبر الدين أحد أهم اهتماماته ، كما اهتم كل من" راد كليفبراون "و"إيفانز بريتشارد "بتقديم تفاسير للظاهرة الدينية في أبحاثهم التي كانت تركز على المعتقدات و الطقوس و الأساطير .و الجدير بالذكر أن هذه الدراسات تتفق من حيث التعريف على أن للدين جانبين ، جانب ظاهري يتجلى في مجموعة من الطقوس و الشعائر

[1]- *LACOSTE – DUJARDIN (Camille),* ***Le conte kabyle, étude ethnologique****, Alger, Editions Bouchene, 1991, 536 P*

و الممارسات ، و جانب باطني تمثله تلك النزعة الروحية التي تربط الإنسان بخالقه ففي هذا يقول " جيمس فريزر:" " الاعتقاد في الأرواح العلوية "[1].

أما الباحثة " منال عبد المنعم جاد الله " فذهبت إلى القول بأن " :الدين ليس إيمانا و معرفة فحسب ؛ بل هو فوق ذلك التفاف روحي متبادل و هو رباط من الطاعة و الولاء و من الرعاية بين المتدين و بين الحقيقة العليا التي يؤمن بها و التي يجوز أن يطلق عليها "التجربة الدينية "التي تشمل الجانب الداخلي الباطني لعلاقة الإنسان بالله و تفكره فيه و توجهه إليه[2]

إذن من خلال هذه المقدمة يتبين لنا مدى أهمية دراسة الظاهرة الدينية التي لا غنى لأي باحث في الإناسة أو الاجتماع لفهم البُنى الاجتماعية و الثقافية و السياسية لأي مجتمع كان. و في هذه الأوراق سنحاول التطرق إلى موضوع النظرة التي كانت تنظر بها المؤسسة الاستعمارية للبنى الدينية و التنظيمات الدينية في الإسلام في الجزائر عامة و في منطقة القبائل خاصة و ذلك بهدف تفكيك هذه البنى و ابتلاع المجتمع ثقافيا و سياسيا و دينيا .لقد عكف البحاثة الفرنسيون على درس و تحليل الظاهرة الدينية في إطار السياسة الكولونيالية العامة ، و ذلك للوقوف على أدق التفاصيل التي تشكل الأنساق الاجتماعية للمجتمع الجزائري ، فتبين لهم أن الدين الإسلامي يمثل العائق الرئيس في وجه العملية الاستعمارية ، فكثفوا بذلك دراساتهم بهدف تفكيك البنى الدينية القائمة بشتى الوسائل ، فخلصوا إلى نتيجة عامة و شاملة ترى أن " الفكرة الوحيدة المشتركة و التي يمكن أن تشكل رابطا بين جميع القبائل المحيطة (بالمعمرين) هي فكرة الدين "[3] و ذلك نظرا لكون " هذه الديانة لا تملك فقط نزوعا إلى تكثيف إعلان الجهاد و قتل الكفار و لكن أيضا لا تترك أدنى مجال للحرية ، خاصة و أنها لا تعترف بالنظم المختلفة لأنها تسير في آن واحد مجال الأخلاق و السياسة و القضاء و الاجتماع "[4] ، و بالتالي توجب العمل على تجفيف منابعه ، و هذا ما دفع ببعض منظري الإدارة الاستعمارية إلى محاولة إفراغ المنظومة الدينية القائمة آنذاك من المؤطرين المتعلمين من قضاة و أئمة و ذلك نظرا " لكون الميول الدينية القرآنية المعادية للمسيحيين فينبغي أن نطفئها في الخرافة و الجهل ....علما بأنه في يومنا هذا نجد

---

[1] سيرجيمسفريزر : **الغصنالذهبي**،ترجمةكمالأحمدأبوزيد،الهيئةالمصريةالعامةللتأليفوالنشر،الجزءالثاني،197 ص

[2] منالعبدالمنعمجادالله : **التصوففيمصروالمغرب** ،نشأةالمعارفبالإسكندرية،ب. ت،ص84 :

[3] *Alexis de Tocqueville, travail sur l'Algérie, p 8 , www.uqac.ca*

[4] *Alexis de Tocqueville, notes sur le coran, p 29 , www. uqac.ca*

أن المتسولين المتعصبين الذين ينتمون لجمعيات سرية (هنا يقصد الصوفية) و هي نوع من السلطة الدينية الغير قانونية و الجاهلة ، هم من ألهبوا عقول الجماهير لخوض الحرب ضدنا "[1] و بالتالي يتوجب العمل على محاربة هذه التنظيمات بكل الوسائل الممكنة السلمية و العنيفة .

و في دراساتهم للدين الإسلامي ، حاول البحاثة الكولونياليون و انطلاقا من الخلفية الثقافية الغربية التي استحدثتها فلسفة الأنوار أن يسقطوا منظومتهم المفاهيمية و أُطُرَهم النظرية على هذا المجال المعرفي الخام الذي يمثله الدين الإسلامي فخلصوا إلى نتيجة مفادها أن " هذا الدين يدير ظهره للمستقبل ، للتقدم و للديمقراطية ، ما من شأنه أن يؤدي بالحضارة الإسلامية إلى الوقوع تحت الهيمنة "[2]. و بالتالي فإن هذا الدين في نظرهم يمثل عقبة في تفتح القدرات الإنسانية و تحررها ، و يساعد على تشكل الأنظمة الشمولية المطلقة و الاستبدادية " فالاستبداد و على عكس ما يراه " مونتيسكيو" يرتكز في الأساس على الدين و ليس على الخوف من مقاومته ، و هذا ما يطيل من حياة الأنظمة المطلقة "[3] .

و من هنا بدأت العملية الاستعمارية الشاملة لتفكيك هذه الأنظمة الدينية التي تمثل النسيج الأساسي لبنية المجتمع الجزائري آنذاك، و الذي تمثل فيه الفرق الصوفية الفاعل الرئيس.

لقد تنبه البحاثة الفرنسيون إلى انتشار الزوايا في منطقة القبائل مشكلة نسيجا مترابطا امتزج بالمعاش اليومي لساكنة المنطقة ، ففي إحصاء" كوبولاني و ديبون "الذي أنجزاه سنة 1897 نجد أن عدد الزوايا بالجزائر بلغ 349 زاوية ، منها 177 زاوية خاصة تابعة للطريقة الرحمانية وحدها أي ما يفوق نسبة 50 بالمائة"[4]. و لقد حاول البحاثة الفرنسيون أن يستثمروا في خصوصية هذه المنطقة لتكريس سياستهم الكولونيالية و تأكيد النظرية الاستعمارية القائلة بأن الطريقة الرحمانية تمثل تجسيدا لانتصار القبائل و استقلالهم عن العرب دينيا و يتجسد هذا في تبنيهم لهذه الطريقة التي أسسها شيخ ينتمي إلى بطون هذه المنطقة فأصبح يمثل رمز التصوف ببلاد القبائل و هذا ما ذهب إليه الضابط دينوفو ***De Neuveu*** و العقيد "ترميليه" في دراساتهم التي رأوا فيها أن هذا الشيخ قد "

---

[1] *Alexis de Tocqueville, op-cit , 50*
[2] *Alexis de Tocqueville, ibid , p51*
[3] *Ibid , p 52*
[4] *O Depont et X Copollani* ***: Les confréries religieuses musulmanes****, Alger, Adolphe Jourdan, 1897; P 389.*

أعطى للطريقة الرحمانية الصبغة الوطنية لبلاد القبائل ، و أنها تمثل التصوف القبائلي ، و هي الطريقة الجزائرية الوحيدة ، و التي أنشأها مواطن من الجزائر و لم تأت من الخارج "[1] ، بمعنى أنها الوحيدة الأصيلة من بين الفرق الصوفية المنتشرة عبر ربوع التراب الجزائري و محاولة ربطها بأصالة منطقة القبائل التي تركز عليها الكتابات الفرنسية . و بذلك أراد المؤلفان اعتبار الطريقة الرحمانية طريقة خاصة بمنطقة القبائل ، و ادعيا أن القبائل رأوا في الشيخ محمد بن عبد الرحمن وليهم الوطني و عرض" ترميليه "دور الزاوية العلمي في حياة ابن عبد الرحمن الأزهري و هو الدور الذي أهمله دينوفو و لم يشر إليه كما ركز ***DE NEVEU*** كثيرا على الدور السياسي الذي تلعبه الطريقة الرحمانية في الثورات المختلفة التي تقوم ضد الاحتلال الفرنسي ، و لعل آخرها كانت ثورة الشيخ الحداد التي بينت أن الطريقة الرحمانية كانت دائما في مواجهة الوجود الفرنسي و مقاومته .

فحاول هؤلاء البحاثة التأثير على السلطات العسكرية لإضعاف هذه الطريقة و ذلك ب " زرع الفتنة و العداوة بين بعض القبائل ، و رغم محدودية هذه الظاهرة إلا أنها وجدت بفعل التسويات التي كانت تقوم بها سلطات الاحتلال عقب القضاء على بعض الثورات ، حيث تنزع الأراضي من بعض القبائل و توزعها على قبائل أخرى مثلما حدث بعد ثورة المقراني" [2] . أما نحن فنعتقد أن انتشار هذه الطريقة في منطقة القبائل يعود إلى عدة أسباب نذكر منها :

1- أن هذا الشيخ قد " أسس زاويته بموطنه الأم قشتولة و شرع في الدعوة إلى طريقته الرحمانية التي تعرف شهرة كبيرة بالجزائر ، و تحديدا ببلاد القبائل ، و التي قامت بدور هام في الثورات منذ دخول الاحتلال الفرنسي .و نظرا لأهميتها فقد سعى الأمير عبد القادر إلى كسب ودها و جعلها تحت قيادته "[3].

2- شرف الرجل و انتمائه إلى آل البيت :و نحن نعلم مدى تأثير هذا العامل في جزائر القرن 18 و19 حيث أن الأشراف احتلوا مكانة سامية في أعلى هرم المجتمع الجزائري . و ما تتمتع به شخصية الشيخ محمد بن عبد الرحمن ، من استعداد روحي ديني و فقهي لنشر العلوم و المعارف ، و حرصه الدائم و عمله المتواصل لنشر أوراد الطريقة

---

[1] *De Neuveu:* ***les Khouans ordres religieux chez les Musulmans****، Jourdan ، Alger،1913. P 112.*

[2] بسامالعسلي :**محمدالمقرانيوثورة1871** ،دارالنفائس،بيروت،ط 1981 ، 1،ص196

[3] *Colonel Corneille Trumelet* ***: l'Algérie légendaire , en pèlerinage aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'Islam ,Tell et Sahara*** *,Jourdan , Alger,1892, P 341.*

و كسب المزيد من المريدين و الأتباع .كما نستطيع أن نضيف عامل البساطة و التواضع الذين أديا إلى انتشار الطريقة بين أوساط الطبقات الفقيرة و المتواضعة. و مجاورته للأزهر الشريف حتى أنه لقب بالأزهري لطول مجاورته للأزهر.

3- لقد استثمر في حب ساكنة منطقة القبائل و توقيرهم لآل بيت النبي صلي الله عليه و سلم و هذا ربما يعود لتغلغل الدعوة لمذهب أل البيت من طرف أبي عبيد الله دون أن يفصح بذلك و هذا يتجلى في تسمية التوائم بالحسن و الحسين و تسمية الأنثى بفاطمة و الاحتفال بعاشوراء و تسمية الذكور باسم علي و جعفر و آخرها هو حرمان النساء من الميراث ربما عملا بالحديث المتواتر عند الشيعة و الذي مفاده أن النساء لا يرثن .

4- و من الناحية السوسيلوجية فنرى أن السبب الرئيس هو تجنب هذه الطريقة التدخل في شؤون القرى و عدم فرضها للشرع الإسلامي أمام العرف القبائلي و هذا في نظرنا أيضا يتماهى مع الفكر الشيعي الذي لا يدعو لإقامة الشريعة الإسلامية في ظل غياب إمامهم .

5- أنها تتخذ من الأماكن المنعزلة مقرا لها و غالبا ما تكون بين الحدود بين عرشين و لا تتدخل إلا لفض النزاعات و مباركة الأعمال الجماعية الخيرية و إصلاح ذات البين .

6- و السبب الأهم هو كون الصراعات و النزاعات دائمة بين مختلف القرى و الأعراش و بالتالي تحتاج دائما لوسيط يسعى بينها لفض النزاعات و يكون محايدا و ذا سيط عالي يسمع له الجميع و يتحاكم إليه الجميع علما أن ساكنة القبائل معروفون بالانقياد للعلماء و الشرفاء و المرابطين و الصلحاء .

8- منطقة القبائل قبل الغزو الفرنسي:

يجمع علماء الاجتماع والإناسة ، أن أهم ما جاءت به الحداثة الغربية هو مفهوم الدولة التي تقوم على مبدأ التوحيد و التأحيد، و ذلك بتوحيد الجهود و المساعي لبناء الدولة بتأحيد النظم الفكرية ، القانونية ، الثقافية ، الاجتماعية و السياسية وحتى الدينية.

هذه الدولة التي غيَّرت بنية المجتمعات التقليدية الغربية من مجتمعات زراعية وإقطاعية لمجتمعات صناعية ليبرالية قامت على **مركزية الإنسان الغربي**، الذي أعطى لنفسه الحق في التصرف في مصير المجتمعات غير الغربية و"**الوحشية**" في نظره بدعوى "**مهمة**

التمدين"«***Mission Civilisatrice***»، فكانت الجزائر من أولى هذه الدول التي تعرَّضَتْ لصدمة الاستعمار الاستيطاني.

و أمام هذا الوضع الجديد، و جد المستعمِر الغربي المتفوق ثقافيا وحضاريا ، نفسه أمام مجتمعات مجهولة المعالم، مما يستدعي دراسة مُعَمَّقة و شاملة لبناه الفكرية ، الاجتماعية ، السياسية و الدينية، بغرض إحكام السيطرة عليه . ومنه نجد أن الاستعمار الفرنسي قد شكَّل لجانا للاستكشاف العلمي للجزائر و لساكنتها. و لكن قبل ذلك وجدنا أن أولى الدراسات أو بالأحرى التقارير التي قُدّمت حول الجزائر و بالخصوص حول منطقة القبائل هي التي قام بها الرحَّالة الفرنسيون خلال القرن الثامن عشر و ذلك لاستكشاف البلاد والعباد.

ففي تقرير للرحَّالة "***Peysonnel***" قدَّمه في 19 جوان1725 يقول :" مررنا عبر ثلاث قرى عصرية يسكنها "عرب" يُسَمَّون (قبايل) ، ليس لها لا زعيم ... و لا قائد عسكري ، كل واحد منهم سيِّد و حُرٌّ في اختياراته، و هم في غالب الأحيان " لصوص" أو بالأحرى حيوانات ضارية (***bêtes féroces***) تسكن تلك الجبال ... و الزواوة ليسوا إلا (قبايل)، أو هذا الصنف (espèce) المتوحش و هم رجال لا يُروَّضون"([1]) ، ويضيف بعيدا في تقريره:" كل "عرب" هذه البلاد (و هو يقصد القبائل) يسكنون في أكواخ"([2]).

أما الرحَّالة (***Desfontaines***) فيصف أحوال جبال جرجرة وحالة اللاأمن التي تسود فيها في تقرير بعثه في 18سبتمبر1785 بقوله:" لكي لا نعرض أحدا من قافلتنا للسرقة من طرف قبائل جرجرة الذين لا يُرَوَّضون ... و للعرب (و هو يقصد القبائل) هنا عدد كبير من القرى....و هم يقاتلون بشجاعة ولا يدفعون شيئا للأتراك ويسلبون القوافل"([3])..

من خلال هذين التقريرين المعروضين على سبيل المثال لا الحصر ، نستخلص أن نظرة الفرنسيين للمجتمع الجزائري قبل احتلال الجزائر كانت شمولية و تجهل المكونات السوسيو- ثقافية للشعب الجزائري، إذ كانت تنطلق من عقدة الموروث التاريخي الغربي الذي يضع العرب المسلمين برسالتهم الحضارية الغالبة آنذاك، في وجه الغرب الصليبي المغلوب ،فكان الغرب ينظر إلى العالم الإسلامي كوحدة **حضارية** مُوَحَّدة دينيا و لغويا و

[1] *A Berbrugger,**voyage au camp d'Abdelkader**,bibliothèque royale, Paris, 1839, p 65*
[2] *A Berbrugger , OP.CIT, P 75*
[3] *A Berbrugger , IBID, p 76*

سياسيا و لا يُفَرِّق بين مختلف العناصر الإثنية التي اندمجت لتشكل فسيفساء الأمة الإسلامية .

كما أن نظرتهم "**للقبائل**" بالخصوص يشوبها الضيم، و أقل ما يمكن قوله هو كونها أحكام قيمية تعميمية تفتقر إلى أدوات المنهج العلمي، إذ كيف يمكن تعميم صفة "التوحُّش" وخاصة"اللُّصوصية" التي يقول عنها "**آجرون**" :" كانت لِلُصوصيةِ "القبائل"شهرة كبيرة"([1]) - على كافة " **القبائل**" ، دون القيام بدراسات مسحية تشمل كافة سكان هذه البطون، و ذلك عِلمًا أن الكثافة السُكَّانية كانت عالية في هذه المناطق ما يعطي عددا كبيرا من القرى و المداشر، و ثانيا تَوزُّعها على مساحات جبلية وعرة و شاسعة تتطلب إمكانات مادية و إطارا زمنيا كبيرا.

9- منطقة القبائل في الفترة الأولى من الغزو(الحكم الإمبراطوري – العسكري):

لقد أفرز الغزو الفرنسي للجزائر حالة من التشنج و الاضطراب لدى ساكنة الجزائر، التي انتفضت غيرَ ما مرة في وجه "**الرومي** " الذي شرع في ابتلاع البلاد شيئا فشيئا. ولقد كانت إستراتيجية الاحتلال الفرنسي تندرج ضمن مشروع "**نابليون الثالث**" الذي يقضي بإنشاء المملكة العربية في الجزائر، و يظهر هذا جليا في العديد من كتاباته و خطاباته لجنرالاته ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، خطابه الذي أرسله لأحد جنرالاته و هو " **ماكماهون**" يقول فيه :" إن الجزائر مملكة عربية ، مستعمرة أوروبية و معسكر فرنسي " و في رسالة أخرى موجهة لنفس الجنرال بعنوان " سياسة فرنسا بالجزائر" زَكَّى فيها "**نابليون**" نظام المملكة العربية و هذا ما يؤكِّده "***Tournier*** " بقوله :" إن الفكرة الاستعمارية الوحيدة المطبقة ميدانيا ، تمثَّلت في تأسيس المملكة العربية في الإمبراطورية الفرنسية (le ***royaume arabe dans l'empire Français***)،لقد تركنا في نفس الأرض التي نحيا فيها فريقا من المستوطنين أغلبهم فرنسيون دون اندماج من جهة ، و من جهة أخرى فريقا من العرب بأخلاقهم و عاداتهم و إسلامهم و أفكارهم المسبقة عنا "([2]) ، و في هذه المرحلة التي

[1] *Ageron Ch R, les **Algériens musulmans et la France (1871-1904**),T1,PUF,2005 ,p 885*
[2] *Tournier(CH), **« le cardinal Lavigerie, documents inédits sur le conflit entre le cardinal et Mac mahon »**, R.H.M, 2eme année ,N°1, Mars, 1925, p 428*

امتدَّت من الغزو إلى غاية سقوط الإمبراطورية ، تولى العسكر تسيير شؤون الجزائر ، و أمام رغبتهم في إحكام السيطرة على كافة التراب الجزائري و ترويض شعبه، تَحَتَّم عليهم دراسة البُنى الفكرية ، الاجتماعية و السياسية لهذا المجتمع " **الأهلي**" مما استدعى استنفار الباحثين الأكاديميين منهم و العسكريين لكشف اللثام عن هذا المجتمع " **المتوحش**" و الوقوف على نقاط ضعفه لاستغلالها و تضخيمها ، و على نقاط قوته لإطفائها أو للحدِّ من فاعليتها .فتوالت الدراسات حول الشعب الجزائري عامة و منطقة القبائل خاصة، إذ نجد العديد من الباحثين قد اِستَهوَتهم هذه المنطقة لما تحمله من خصوصيات ثقافية و اجتماعية، و من أهم الدراسات التي أُجريت على **منطقة القبائل** نجد كلا من:

1. *Daumas : la grande **Kabylie** étude historique 1847*
2. *Carette : étude sur la **Kabylie** proprement dite 1848.*
3. *Deyaux : les **Kbails** du Djurdjura 1859*
4. *Warnier : l'Algérie devant l'empereur 1865*
5. *Duval : la politique de **Napoléon** en Algérie 1866*
6. *Chatelin : en Algérie, en **Kabylie** et les oasis 1886*
7. *Charveriat : huit jours en **Kabylie** 1889*
8. *Hanoteau et letourneux:la **Kabylie** et les coutumes kabyles 1893*

هذا بالإضافة إلى الدراسات التي قام بها، "**ماسكوري**" ، "**روني باسي**"و " **غابريال غامبس**" و آخرون فيما بعد.و هي دراسات قامت على الإثنولوجيا و الاثنوغرافيا لسكان الجزائر عامة و ساكنة **منطقة القبائل**بالخصوص . و تهدف هذه الدراسات إلى التعمق في فهم المعاش القبائلي بغرض إدماجها في الكيان الفرنسي، وفي هذا يقول أحد المنظرين الاستعماريين "لكي تخضع لنا منطقة القبائل معنويا، علينا أن نعرف تاريخها، عاداتها، أعرافها للتمكن من الحكم عليها و فهم طباع من يجب علينا ربطهم بفرنسا بشدة " ([1]) .و لقد تأخر غزو هذه المنطقة لعدة أسباب استراتيجية ، لعل أهمها هو التضاريس الوعرة ، الكثافة السكانية الكبيرة في هذه المناطق و "الطابع العدائي لساكنة هذه المناطق للغرباء المَقرُونِ بالكره الديني الذي يكنونه للمسيحيين الذين يجهلون لغتهم ، قوانينهم و عاداتهم" ([2]) .ومنه بدأ التفكير جِدِّيًا باحتلالها، ففي هذا الشأن يقول ***Liorel***:" من 1830 لغاية 1857 لم نحتل فعليا منطقة القبائل، و بقي القبائل في استقلالية مثيرة للقلق، هذه

[1] *Liorel (jules) : **Kabylie du Djurdjura**, paris, Ernest Leroux éditeur, 1898 , p 26*
[2] *Tocqueville A**, lettre sur l'Algerie**,http://bibliotheque.uqac.uquebec.ca ,p 5*

الاستقلالية هي التي يجب تحطيمها إن كنا نريد الغزو الكلي للجزائر([1]) . رغم أن هذا الإداري محسوب على التيار القبائلوفيلي***Kabylophile*** ، إلا أن ذلك لم يمنعه من إبداء رغبته الصريحة في تدمير منطقة القبائل لإرساء دعائم الحكم الاستعماري في الجزائر.و في هذه المرحلة بدأ الترويج لما سمي " بالوهم القبائلي " ، رغم أن هذه الفكرة قد سبق إليها الراهب " راينال " سنة 1826 ، حيث ركز على الخصوصية البربرية ،كاللغة الأصيلة و الفقيرة جدا ، و الاستقرار على الأرض لهؤلاء السكان الجبليين ،و الحب الشديد للحرية ، كما أسس للمواضيع الرئيسية التي سيرتكز عليها الوهم القبائلي لاحقا " الأصل النوردي ***Nordique*** للبربر ، باعتبارهم ينحدرون مباشرة من الوندال ، وسيمو الملامح ، بعيون زرقاء و شعر أشقر والتدين الفاتر المزعوم المستبدل بإجلالهم للمرابطين ، واستقلاليتهم المطلقة التي طالما تنعموا بها "([2]) . وبدأ التركيز على إظهار التمايز بين العربي و البربري القبائلي بالخصوص، و ذلك بمحاولة التأسيس لفكرة أن الشعب القبائلي أوروبي الأصل و هو بذلك أقرب إلى الحضارة من ذاك العربي الذي ، في نظرهم يصعب جلبه إلى حضيرة التقدم و الرقي بسبب تدينه المتطرف ، وفي هذا يقول العسكريان "فابار" و "دوما": "الشعب القبائلي في جزء كبير منه، جرماني الأصل، بعد ما عرف المسيحية، لم يتغير كثيرا مع ديانته الجديدة"([3])".ولقد تقاربت الرؤى والتقارير حول سمات ساكنة هذه المنطقة إذ أجمعت أغلب الدراسات على وصف القبائلي بسمات خاصة فيقول " لادي هربرت " : " عِوض "العربي" الملفوف في برنوسه و القابع على باب مقهى أو على مدخل خيمته و الخامل دائما، وجدنا أنفسنا عند جنس عامل(يقصد القبائل) ، صبور ، مثابر ، يمارس الزراعة ، قنوع ، يكره حياة البداوة ، يحب منزله ، متعود على الأعمال الشاقة و يُظهر إتقانا مذهلا للفنون الصناعية ،... لا تثبط عزيمته العراقيل التي يواجهها، يحب جباله بشغف ، مضياف و حريص على الغرباء، و لكنه لا يقبل بمن يشتمه أو يسيء معاملته ... و هو عادة لا يتزوج إلا بامرأة واحدة و يحب أولاده كثيرا، و مكانة المرأة عنده متدنية... و هو شديد الغيرة على زوجته و الويل لها إن كلَّمت رجلا أو نظرت إليه ... و استقبال غريب بين أفراد العائلة في البيت يمثل علامة صداقة و ثقة يقدمها رب العائلة للضيف...و القبائلي يبدي احتراما كبيرا

[1] *Liorel (jules) : **Kabylie du Djurdjura**,OP.CIT , p 526*
[2] *Ageron Ch R : OP.CIT , P 268*
[3] *Ageron Ch R : OP.CIT, P 269*

للقانون وللسلطة وخاصة القانون العرفي"([1]). و في وصف آخر لباحث آخر :" إذا كان "العربي" رحَّالا ، فإن "القبائلي" على العكس ، مقيم (مستقر) و يبني مساكنَ ثابتةً تجتمعفي قرًى على قمم الجبال كأنها أعشاش النسور و ذلك للاحتماء بها ضد الأعداء "([2]) . من خلال هذه الدراسات و غيرها، حاول هؤلاء البحاثة أن يتحرَّوا الصدق في تقاريرهم قدر الإمكان و ذلك نظرا لما تُمليه الضرورة العسكرية التي تقتضي وصف أدق التفاصيل عن هذا المجتمع "**العدو**" الذي يجب ترويضه لابتلاعه ثقافيا و حضاريا و عسكريا.و لقد تعمَّقت الدراسات لتشمل الأصول العرقية و الصفات الفيزيولوجية للقبائل . و في هذا الشأن ، عادة ما يوصف "القبائلي" بكون " لون بشرته فاتحا يميل إلى الأحمر أو الأشقر أو الأصهب ، له أطراف قوية و هو في ذلك يشبه الأوروبيين ...بينما المقارنة مع "العربي" فلا مجال للشك "([3]). بمعنى أنه يوجد شبه كبير بين القبائل و الأوربيين من حيث الخِلقة بينما مع العرب فلا يوجد أي شبه بنظره.من خلال هذه الدراسات، نلاحظ أن التقارير قد ركَّزت على الخصائص الثقافية التي تتميز بها منطقة القبائل مقارنة بالمناطق الأخرى، و ذلك من حيث اللغة و العادات و التنظيم السياسي و الاجتماعي و لعل أهم ما يمكن استخلاصه هو عقدهم الدائم للمقارنة بين "**القبائلي**" المستقر على الأرض « ***sédentaire*** » و "**العربي**"البدوي الرحَّال« ***nomade*** » و ذلك دون التفريق عند"**العرب**" بين "**حضرهم**" و "**بدوهم**" و هذا ما يثير بعض التساؤلات حول هذه الدراسات و ما يعتبر خطأً منهجيا جسيما.

أما من حيث تعامل الإدارة العسكرية مع "**القبائل**" فكان عبر ما سُمِّي "**بالمكاتب العربية**"« ***bureaux arabes*** »و لم يكن يختلف في شيء عن تعاملها مع بقية الشعب الجزائري، إذ مارست معه مختلف أساليب القمع و التقتيل و التجويع و الترويع و سلب الأراضي و إفقار السكان و اضطرارهم إلى النزوح من قراهم لطلب لقمة العيش أو الهجرة إلى فرنسا أو النفي إلى مستعمرات فرنسا النائية و خاصة بعد انتفاضة 1871 التي قادها شيخ الطريقة الرحمانية " **المقراني**".

---

[1] *Herbert lady, **Algérie contemporaine illustrée**, Victor calmé, rue des saints pères, 76 Paris, 1881, PP 178-184*

[2] *A pomel, **des races indigènes de l'Algérie, arabes kabyles maures et juifs**, Oran, typographie et lithographie veuve dagorn, Rue trobriand 28,1871 ,P 51*

[3] *A pomel : OP.CIT , P 48*

إذن في هذه المرحلة من الاحتلال الفرنسي و التي تميَّزت بمحاولة إرساء دعائم النظام الكولنيالي و بسط سيطرته على كافة مناطق البلاد ، نلاحظ أن الدراسات الاثنولوجية و الاثنوغرافية قد ركَّزت على التمايز الذي يطبع المشهد الثقافي الجزائري بين "**عرب**" و "**قبائل**" من حيث الواقع و المعاش السوسيولوجي دون أن يكون ذلك حافزا للإدارة العسكرية آنذاك لانتهاج سياسة خاصة إزاء "**القبائل**"، إذ كانت يد القمع و التقتيل لا تستثني أحدا من " **الأهالي المسلمين** " كما تسميهم أدبيات الإدارة العسكرية آنذاك، رغم تلك المحاولات بإقامة مدارس لاستقطاب أطفال "**القبائل**" ،و جعل المدرسة أداة طيعة في يد الادارة الاستعمارية لتطبيق سياستها الكولونيالية و ذلك نظرا للدور الخطير الذي تلعبه المدرسة في نمذجة البنى الفكرية للناشئة و ترويض عقولهم ليسهل إدماجهم فيما بعد و في هذا يقول أحد منظري الاستعمار: "عندما يرى القبائلي أنه في المدرسة نتعلم حرفة تُدر أرباحا طائلة ، و أننا نُكوّن مزارعين مُؤَهلين لممارسة كل أنواع زراعتنا ، سيكون الأول من يبعث إبنه عند المدرس الفرنسي ... بإمكان القبائلي أن يخدمنا كثيرا ، باعتبار مصلحته في تنمية وسائل عيشه الحسن ، و سيندمج بقوة و بصفة حميمية مع حياتنا ، سيتبنى عاداتنا ، و سيفكر مع مرور الوقت مثلنا ، و سيصبح متسامحا تجاهنا ، هكذا فقط يمكن أن تكون مهمة إدماجه منتهية "([1]). و لقد ركزت هذه المدارس على تعميق الهوة بين مكونات الشعب الجزائري بالتأسيس الممنهج لسياسة تفريقية بين العرب والبربر وذلك بصياغة مناهج مكيفة لغرض الإدماج وفي هذا يقول جول ليورال: "بكلمة واحدة، يجب أن نعلمهم حوليات بلادهم التاريخية، منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا، كي يتفطنوا لكون العرب هم من اضطهدهم، وأننا الأكرم والأقوى من غزاتهم ... هذا ما يجب أن يكون قاعدة للتعليم التاريخي... تلك هي الطريقة المثلى الواجب اتباعها بصفة عامة لتقريبهم منا، بفصلهم عن العرب وذلك باستغلال كرههم واحتقارهم للبدو الرحل"([2]) ، ولكن هذه المدارس لم تنجح لكونها كانت موجهة لأبناء من كان مواليا للإدارة الفرنسية من "**قياد**" و"**باشاغات**" أما السواد الأعظم من الشعب فلم يتحمَّسوا لتدريس أبنائهم في تلك المدارس وذلك نظرا: أوَّلا "لكون العربية ما زالت تفرض نفسها لدى القبائل لِشرف المنزلة التي تحتلها كلغة للوحي ، ونظرا لكون التَكلُّم بها يرفع من الاعتبار لدى القوم ، و هذا ما يفسر دوام و استمرار وجود المدارس القرآنية شبه السرية في العائلات و القرى المسماة "

[1] *Liorel (jules) : OP.CIT ,P 526*
[2] *Liorel (jules) : OP.CIT , P 566*

مرابطية" في منطقة القبائل"([1])، وثانيا مَخَافَةَ التعرض للمسخ الهوياتي ، وثالثا لحاجتهم لكل يدٍ عاملةٍ تساهم بقسطها في أداء عملها في البنية الكلية لخلية النحل (العائلة الممتدة).

10-منطقة القبائل في الفترة الثانية من الغزو(الحكم المدني –التبشيري):

مباشرة عقب الحرب البروسية- الفرنسية 1870 و سقوط النظام الإمبراطوري، تولى المدنيون مقاليد الحكم .و بدأت الانتقادات تتوالى على الإدارة العسكرية السابقة وما اقترفته من أخطاء جسيمة و"**قاتلة**" في تسييرها لشؤون المستعمرة وبخاصة في منطقة القبائل، التي انتفضت في وجه الاستعمار عدة مرات وكادت أن تُقَوِّض أركانه سنة **1871**. و في هذا الشأن يقول (***Liorel jules***)وهو من عشاق منطقة القبائل (***kabylophile***): "إن الخطأ يرجع في المقام الأول إلى الإدارة (يقصد العسكر) التي لم تميز في تعاملها بين "القبائل" و "العرب"([2]),و يَخْتِم تحامله على العسكر بنصيحة وجَّهَها للإدارة المدنية الجديدة: "يجب ألا نخلط بين "العربي" و "القبائلي"، و يجب ألا نعاملهم بنفس الطريقة "([3]) .ويذهب أبعد من ذلك ، ثلاثين عاما بعد انتفاضة **1871** ، بالقول أن" القبائلي ذلك القنوع، النزيه، المثابر، المقتصد، والذي عَبْر كل الأزمنة عرف كيف ينتج فوق هذه الصخور، وسط هذه الأدغال و الأشواك ، محاصيل انتزعها لطبيعة شِحِّيحة ، سيصبح العنصرالأمثلللاستيطان... وسيصبح "القبائل" العنصر الاستيطاني بامتياز، و الذيينبغي استغلاله لنجعل من الجزائر فرنسا حقيقية"([4]).

و من هنا نلاحظ أن منظري الإدارة المدنية قد وضعوا إستراتيجية بعيدة المدى لإحكام السيطرة على الجزائر بالتركيز على العنصر "**القبائلي**" الذي يمثل في نظرهم العنصر الأمثل للنهوض بالزراعة والصناعة التي تحتاج إلى اليد العاملة الخبيرة التي يفتقدها المعمِّرون «***les colons***»وحتى المزارع والمصانع في فرنسا الوطن الأم، "فلقد أوصى رئيس البعثة المالية القبائلية "آيت مهدي" منذ 1899 بهجرة العمَّال المزارعين "القبائل"...فنجد أن المئات من القبائل قد وصلوا إلى فرنسا بين 1906-1907 و ذلك لكسر إضراب العمَّال الإيطاليين الذين يشتغلون في معاصر الزيتون ومعامل التكرير في مرسيليا"([5])، وهذا استنادا إلى عدة

[1] *Ageron charles R : OP.CIT , P 884*
[2] *Liorel (jules) : IBID*
[3] *Liorel (jules) : OP.CIT , P 536*
[4] *Ibid , PP 530-543*
[5] *Ageron Ch.R : OP.CIT , P 865*

دراسات أنثربولجية أُجريت على سكان منطقة القبائل والتي ترى أن "القبائلي لا يخشى الذهاب خارج مواطنه طلبا للعمل لسد حاجيات عائلته"([1]) ، و هو بذلك يُقدِّم العنصر الأمثل لاستيطان هذه الأراضي الشاسعة بالمزارعين الأكفاء بدل "**العرب**" الذين لا يتقنون فن الزراعة، و بدل **الآسيويين** أو **المارونيين اللبنانيين** أو **اليهود** الذين تعرضوا للمضايقات في روسيا و الذين تمَّ اقتراحهم لاستجلابهم إلى الجزائر لتوفير اليد العاملة ولكن تمَّ الاستغناء عنهم مخافة إثارة القلاقل مع السكان الأصليين.من هنا بدأت تطفو على السطح ملامح إستراتيجية جديدة ذات وجهين تُجاه **"القبائل"** وذلك لأغراض اقتصادية بحتة ، ورغبة في تحقيق إدماجهم في النسيج الحضاري الفرنسي **بالمثاقفة** والتعليم والتعامل التجاري والاقتصادي ، الذي مع الوقت سيُخَفِّف من حدة العدائية التي يُكِنُّونها للفرنسيين و للمسيحيين .و لقد شرعت الإدارة الاستعمارية في سَنِّ ترسانة من القوانين لنزع الملكية و مصادرة الأراضي، خاصة بعد انتفاضة 1871، هذا بالإضافة إلى محاولة **تفكيك العائلات الممتدة** بفرض سجل الحالة المدنية على كافة الجزائريين، وذلك نظرا لكون النظام الاجتماعي يرتكز أساسا على العائلة ، ثم **لتسهيل نقل الملكية من القبيلة إلى العائلة ثم إلى الفرد** لتسهيل عملية البيع أو المصادرة و ذلك بغرض اقتلاع **"القبائلي"** من أرضه و قطع كل الجذور التي تربطه بها.

و في هذه المرحلة ، تمكنت الكنيسة من افتكاك الترخيص بالنشاط الحرّ في الجزائر عامة و في منطقة القبائل خاصة بعد أن كان نشاطها حكرا على بعض الأعمال الخيرية .و هنا نسجل تحالفًا بين الإدارة و الكنيسة و الإعلام ، فيقول الصحفي «***André Servier***» وهو من الماسونيين :" يجب علينا في كل مرة نستطيع ذلك ، أن نقسِّم الكتلة الأهلية ***bloc indigène***، أن نُفَكِّكَها و أن نَعزِل كلَ عنصرٍ على حِدَة ،علينا أن نقوم بالإدماج الفردي بانتزاع أحسن العناصر من الكتلة البربرية (يقصد القبائل) ...والمدرسة اللائكية لم تُوفَّق في ذلك ، فلنَدَع "الآباء البيض " يَتَوَلَّوْنَ ذلك"([2]).و بذلك أُطلِقَ العنان للمبشرين للتنظير **لمنطقة القبائل** و محاولة بناء صورة نمطية عنها لخدمة مشروعهم التنصيري . و في هذا الشأن يقول القسّ «***Baunard***»في وصف منطقة القبائل:" إنها منطقة رباعية الأضلاع، تمتدُّ على مساحة 900 ألف هكتار في الضِفَّة اليمنى لوادي " ***بِسَّر Isser***" قبل " دَلَّس ***Dellys***" حتى "بجاية" على امتداد ساحل البحر المتوسِّط ، إلى "سور الغزلان ***Aumale*** "

[1] *A pomel : OP.CIT , P 56*
[2] *Ageron Ch R : OP.CIT, P 887*

و"سطيف" جنوبا... إنَّه عِرْقٌ مُدهش له اسمه، تاريخه و مميزاته. لم يتغير منذ 15 قرنا. عِرْقٌ مختلف تمام الاختلاف عن العرق العربي الإسلامي من حيث اللغة، العادات، الحياة المدنية والدينية. هذه الفئة أعرضت عن مقاتلة العربي و لكنها لم تنقطع عن كرهه ، إنه عرق كان سَلَفًا مسيحيا جعل من هذه الجبال حصنا لعقيدته و التي يرى فيها "لافيجري" مبعثا للكنيسة الإفريقية " ([1]).

ومن الجدير بالذكر أن فرنسا المسيحية أرادت بعث أسطورة القبائل المسيحية و إبراز هذه المنطقة ككيان متميّز عن المناطق العربية بالجزائر. فنجد أن الكاردينال **"لافيجري"** يرى في "ساكنة منطقة القبائل مجتمعا قابلا للتَنَصُّر كون أصولِه مسيحيةً و يتمسك بعاداتٍ و تقاليدَ مسيحية بارزة كرَّستها الدراسات الأنثروبولوجية"([2]) .ويضيف في موضع آخر قائلا: "يوجد في الجزائر شعبان، بالأحرى عرقان، من جهة هناك البربر أو القبائل و هم السكَّان الأصليون ، و من جهة أخرى العرب و هم الشعب الغازي . فمنذ حلولنا بالجزائر لاحظنا أن القبائل يكرهون العرب الذين سيطروا عليهم بالقوة. و لقد فرض العرب عليهم القرآن و تعاليمه ، و هم في الحقيقة لاتينيون و مسيحيون قدامى. وحتى إن لم يكن مستحيلا إيجاد بعض الآثار المسيحية في ثنايا عاداتهم ، فإننا نؤكد أنهم كانوا أبناءًا للذين درَّسهم القديس "أوغسطين" "([3]) ،و هو بذلك يحاول أن يؤسِّس لفكرة الكيان القبائلي المنفصل عن باقي المناطق الجزائرية، لقد كان من أشد المنتقدين للنظام العسكري الذي بنظره لم يُفَرِّق بين "**القبائل**" و"**العرب**" حيث يقول: "و عِوَض ذلك (ويقصد عِوَضَ نشر المسيحية)، فإننا لم نُميز بين " العرب" و "البربر" (يقصد القبائل) ، و ضربنا الإثنين معا، و بالتالي وحَّدنا صفوفهم لمواجهة عدوٍّ واحد هو نحن، و هذا ما تمثل جليا في ثورة الإخوان الرحمانيين سنة 1871 "([4]) و هو يقصد ثورة المقراني.

ولقد حاول هؤلاء المبشرون أن يُروَّجوا لمجموعة من الأوصاف الخاصة **بالقبائل**، وذلك محاولة منهم تعميق الهوة بينهم و بين إخوانهم في الوطن "**العرب**" بوصفهم غزاة ومعتدين ومحاولة تقريبهم من الجنس الأوروبي المتحضر انطلاقا من المركزية الإثنية الغربية. فلقد وصفوا **القبائل** بالتسامح الديني، وحب العمل، والتفتُّح الفكري، وهم بذلك أقرب إلى الفرنسيين وفي هذا يقول الجنرال «***Daumas***»: " كلما حفرنا هذا الجذع القديم، وجدنا

[1] *Baunard(M), **le cardinal lavigerie**, T1, librairie poussielgues, Paris, 1898, PP 399-400*
[2] *Baunard(M) : OP.CIT , P 553*
[3] *Renard(edmond), **le cardinal Lavigerie**, Ed spes, Paris,1926 , PP 129-130*
[4] *Lavigerie (CH) , **œuvres choisies**, T2, librairie poussielgues, Paris, 1884 , P 404*

تحت القشرة الإسلامية الأصول المسيحية. وعند ذلك ندرك أن القبائلي القديم كان مسيحيًا و لم يتحوَّل كُلِّيةً إلى دينه الجديد"([1])بمعنى الدين الإسلامي.كماحاولوا توظيف التاريخلاستنهاض الروح المسيحية لدى **"القبائل"** باعتبارهم كانوا مسيحيين قبل مجيء **"العرب"**.و لقد تكثَّفت الإرساليات التبشيرية إلى هذه المنطقة لإعادتها إلى الحظيرة المسيحية. فنجد مثلا الدكتور «***Warnier*** » من الذين "نادوا بتنصير "القبائل" و من المشجعين لخلق كيان قبائلي مستقل ، بحيث اعتبر البربر (القبائل) هم السكان الأصليين للبلاد ، و رغم كونهم تقبَّلوا الدين الإسلامي، إلا أنهم يبدون استعدادا كبيرا للرجوع إلى المسيحية"([2]) ..

و حاولوا في كل كتاباتهم التركيز على العامل العرقي، بالتأكيد على تمايز الجنسين "**العربي**" و"**البربري**"، لكنهم اختلفوا فيما يخص أصل الجنس البربري، فنجد«***George Elie***» و هو إداري سابق يرى أن "**البربر**"ينحدرون من الشعوب الشمالية «***Nordiques*** » لكون الكثير منهم شُقر و عيونهم زرقاء. و هم لا يختلفون بذلك عن القرويين الفرنسيين من حيث حب العمل و الدقَّة فيه و حب الأرض و اكتسابهم لمفهوم الاقتصاد و الصراحة والذكاء. ويذهب أبعد من ذلك حين يقول :" خذوا أية جماعة بربرية (و هو يقصد القبائل) و انزعوا من أعضائها البرانس و ألبسوهم اللباس الأوروبية فإنكم ستجدون أمامكم مجلسا بلديا يتكوَّن من فرنسيين"([3]) .في حين أن الكاردينال "لافيجري"صرّح أن "القبائل" والفرنسيين ينحدرون من سلالة واحدة و هي سلالة الرومان "([4]) . وهنا نلاحظ تضاربا في دراساتهم و رؤاهم حول أصل "**القبائل**" .أما أستاذ الحقوق بجامعة الجزائر «***Charveriat*** »فيرى: "أن القبائل خليط من أجناس اندثرت تحت وابل الأحداث. هذه الأجناس امتزجت لتشكِّل مزيجا في غاية التماسك مثل صخور الغرانيت "([5]) ، و هذا الخليط في نظره متكوِّن من إنجليز وباسك ونورمانديين (نرويج) ومصريين . و في نفس السياق يقول **"ماسكوري "** : "ولكن وجوههم (و هو يقصد القبائل) مختلفة إلى درجة يصعب التكهُّن بمن كانوا آباءهم ، فالجرماني يصطدم بالروماني و الكنعاني بالهندي والعربي" "([6])، انطلاقا من هذه

---

[1] *Goyau G , **un grand missionnaire : le cardinal Lavigerie** , librairie plan, Paris,1925 , P 268*
[2] *Ageron Ch-R.: **« l'Algérie algérienne , de napoléon lll à de gaulle** » ,sindbad , 1980- P 270*
[3] *Elie G : **la Kabylie du Djurdjura et les pères blancs**, ED Louis de Soye, Paris, 1923 , P 23*
[4] وعلي م ، **التعليم التبشيري في الجزائر [1830-1904]، دراسة تاريخية تحليلية** ، منشورات دحلب، الجزائر،1997 ، ص 58
[5] *Charveriat (François) : **à travers la Kabylie et les questions kabyles**, paris, librairie plon. 1889 , P 130*
[6] *Liorel (jules) : OP.CIT , P 2*

التوصيفات نستنتج أن "**القبائل**" في نظر هؤلاء الفرنسيين ، جنس هجين و ليس جنسا صافيا و هنا نلمس هذا التناقض الصارخ مع دراسات سابقة ترى أن " **القبائل**" هم أكثر القبائل البربرية التي حافظت على نقائها العرقي نظرا لكونها لم تتعرض لأي غزو عسكري مباشر منذ الرومان حتى الفتح العربي ، إذ بالرغم من كونهم مسلمين إلا أنهم بقوا أحرارا ، و حافظوا على بناهم الفكرية ، الاجتماعية و السياسية و بخاصة على لغتهم الأصلية التي تمثل علامة لتميُّزهم واستقلاليتهم و هذا ما يقدح في مدى علمية دراساتهم و فروضهم و استنتاجاتهم و منه نخلص إلى عدة استنتاجات ، و لعل أولى الملاحظات التي يمكن استخلاصها هي إن تعامل فرنسا مع منطقة القبائل قد تَدَرَّج عبر ثلاث مراحل ، مرحلة الاستكشاف (مرحلة ما قبل الغزو) ، مرحلة الاكتشاف (مرحلة الحكم العسكري)، ثم مرحلة تسخير البحوث العلمية لتحقيق الإستراتيجية الكولونيالية (مرحلة الحكم المدني). كما أن الاستعمار الفرنسي لم يكتف بالغزو العسكري لتكريس تواجده وفرض هيمنته على الجزائر،بل وظف استراتيجيات شتى و منها استراتيجية توظيف الصراع الدائم بين مختلف القبائل المكونة لمنطقة القبائل و ذلك لتفتيتها و تفكيك بنيتها الاجتماعية التي تعتبر "أكثر المؤسسات البشرية صلابة "([1]) رغم أنه حاول الإبقاء على المؤسسات الاجتماعية في منطقة القبائل وذلك لتفادي الصدام مع القبائل ونظرا لكون هذا النظام يمثل آلية تنظيمية صارمة تتحكم في جميع سكان القرى، و بالتالي التحكم فيها سيسمح بالسيطرة على المنطقة بأكملها ، فتدخلت السلطات في إحداث بعض التغييرات، وذلك بتعيين "خوجة" لكل "ثاجماعث" يتولى جمع الضرائب. و لكي تحافظ على التوازنات الهشة بين مختلف العائلات والصفوف في القرية ، فإنها استحدثت منصب "لوكيل" من الصف الخصم المعادي للصف الذي ينبثق منه " لمين ثاجماعث " ، كما اشترطت أن يعين على رأس كل " خروبة " ما يسمى " بالطامن " من طرف " لمين " الجماعة، و"عاقل" من طرف "لوكيل" ، ليحضروا مداولات الجمعية العامة ، لتتحول بذلك مؤسسة " ثاجماعث" العريقة إلى مؤسسة إدارية بحتة ، مع التركيز على العائلات الكبيرة و العريقة .داخل بنية القبيلة أو العرش حاول الاستعمار أن يوظِّف الصراع الدائم بين **"الصف العلوي"** و **"الصف السفلي"** اللذين يُكوِّنان البنية التقليدية لجميع قرى منطقة القبائل و كثيرا ما تمَّ الاستثمار في استقطاب قادة القبائل الموالين لفرنسا لاستغلال وضعهم للتأثير على القبائل التي لم تخضع بعد

[1] *Tocqueville A : OP.CIT , P 11*

للاحتلال الفرنسي. كما حاول الاستعمار أن يوظّف كذلك التركيبة البشرية المتكونة غالبا من طائفة " المرابطين " و باقي ساكنة منطقة القبائل و ذلك بتوظيف فئة "المرابطين" إذ أن" غالبية القيادات التي تم تعيينها في الفترة الممتدة ما بين 1840 و 1895 كانوا من فئة "المرابطية" ، ربما الاستثناءات الوحيدة كانت تفرض نفسها بقوة السلاح ، و هذا ما دفع جنرالات الجيش إلى توخي الحذر من اندلاع الانتفاضات و المرونة في التعامل مع الأوضاع ... و غالبا ما ينتظرون الموت الطبيعي لقيادات العائلات الكبيرة " اللائكية" ليتم استبدالها بشخصيات " مرابطية""([1]) .و في هذه النقطة بالتحديد لاحظنا أنَّ وصف القبائل "**باللائكيين**" ناتج عن هذا التقسيم المنهجي بين فئة " المرابطية " و باقي العائلات القبائلية غير "المرابطية" دون أن يكون لهذه التسمية أية علاقة بمفهوم اللائكية المتداول في الحضارة الغربية. و كذلك إنشاء ما سُمِّي "**بالمكاتب العربية**" و التي انتهج ضباطها سياسة " القبائل و العروش" و ذلك بالاعتماد على طائفة " المرابطية" التي تعرف المنطقة حق المعرفة و وضعهم في وجه العائلات القبائلية الكبرى غير "المرابطية" و التي وُصفت باللائكية . و نظرا لكون هذه الطائفة تتقن العربية قراءة و كتابة ، فهذا ما يُفسِّر لماذا تمَّ تعريب معظم أسماء العائلات و القرى و الأماكن و الوديان و الجبال و البنى الاجتماعية و حتى أسماء القيم التي تفتخر بها هذه المنطقة. (آث أصبح بني ، أذرار أصبح جبل ، إغزر أو ثاسيفث أصبح وادي ، قيم النيف و الحرمة إلخ) و هذا ما عزّز السلطة المعنوية لهذه الفئة بامتلاكها و تدوينها لتاريخ المنطقة و العائلات "و سمح لها باستعادة وجودها السياسي الذي فقدته "[2]، و" لقد ساهمت المكاتب العربية بقوة في المهمة الكارثية ، المتمثلة في السلخ الهوياتي (***débérbérisation***) للقرى القبائلية ..... لقد كان على رأسها ضباط فرنسيون حافظوا على تحّكُمهم المحكم بواسطة التأسيس لنظام السطو المُمَنهج و إثارة الانتفاضات المدبَّرة و ذلك لتبرير مصادرة الأراضي و القتل و الجباية لدى القبائل المنتفضة"([3])، و بالمقابل نجدأن" التعريب قد خطى في هذه المنطقة (منطقة القبائل) خطوات جبارة و ذلك بإقحام نظام إدارة على الطريقة العربية « ***administration à l'arabe*** » "([4])، إذ كان ضباط (هذه المكاتب) يعتبرون أنه يتعيَّن التحدُّث بالعربية دون تمييز في كامل شمال

[1] *Ageron CH R : OP.CIT , P 39*
[2] *Tocqueville A : OP.CIT , P 6*
[3] *Violard (e), **les villages algériens,1870-1890**, 2 tome, imprimerie administrative victor heintz, Alger, 1926 , P 10*
[4] *Liorel (jules) : OP.CIT , P 223*

إفريقيا ، حتى أن بعض العقول التي تشربت بالمقاربة الاستشراقية القديمة، "يتحدثون عن التعريب كمرحلة أوَّلية لحملة التمدين و التحضير المتبناة حيال الشعوب البدائية ... و لا يجب تعليم الفرنسية لهذه الجماعات البربرية (القبائل) إلا بعد مرحلة تعريبهم"[1].

كما تم التأسيس " للسياسة القبائلية التي تقوم على الاحتفاظ بالأشكال الجمهورية للقبيلة، و ذلك بتفويض السلطة لأمناء القبائل و الاستغلال المحكم لِمُعْطَى " **الصَّف**" في كل قبيلة علما أن في كل قرية نجد صَفَّين "**صف علوي** " و " **صف سفلي**" ، و كذا استغلال نفوذ العائلات الكبيرة ، و احترام القوانين العرفية القديمة للمنطقة و التي باعتقاد الفرنسيين ، أنها لا تتعارض في أي حال من الأحوال مع روح قانونهم العام. و لكن بالمقابل هنالك من كان يرى أحكام الشريعة الإسلامية أكثر إنسانية من هذه القوانين العرفية منهم "مدير الشؤون الأهلية «***Luciani***»و هو من المستعربين الذي يعترف سنة 1916 أنه لا يُكِنُّ لعادات القبائل المليئة بالخرافات و البربرية سوى الاحتقار وأنه مقارنة بهذه العادات، فإن الإسلام يمثل مرحلة أرقى من التحضر"[2]. و لقد قامت الإدارة الاستعمارية بتقسيم المنطقة إداريا و ذلك لتسهل عملية التحكم في الأهالي و لتفتيت منطقة القبائل و زرع الفرقة بين هذه الكيانات الإدارية و في هذا يقول حسين **آيت أحمد** :" نعلم يقينا أن تسمية "القبائل الصغرى" و " القبائل الكبرى" ما هي إلا تسميات جزافية و ضعتها الإدارة الاستعمارية سعيا منها لتقسيم سكان واجهتي جبال جرجرة "الشمالية والجنوبية"، هذا التقسيم قد ألحق منطقة الصومام بمقاطعة قسنطينة"[3] ، و ذلك ما يؤكده «***Morizot*** » في قوله : إن جبال جرجرة تشق منطقة القبائل المتجانسة اجتماعيا و لغويا و تقسمها إلى منطقتين في غالبية الأحيان متعاديتين ، الأولى تصد واجهتها للجزائر و الثانية لقسنطينة. و نحن من سمَّينا الأولى " القبائل الكبرى" و الثانية" القبائل الصغرى" ، و نظرا لكون هذه البلاد معروفة بجبالها المتشابكة اضطررنا للتمييز في " القبائل الكبرى" بين " القبائل العليا " و " القبائل السفلى" و في " القبائل الصغرى" بين قطاع " الصومام " و قطاع " ڤرڤور"[4] و لقد زرعت الفتنة بين المنطقتين بغرس فكرة أن القبائل الصغرى أكثر

[1] *Le glay,**l'école française et la question berbère** , direction générale de l'instruction publique , des beaux arts et des antiquités , rabat, 1921, P 11*
[2] *Ageron , CH R : OP.CIT , P879*
[3] *H.Ait Ahmed, **mémoires d'un combattant ,l'esprit d'indépendance 1942-1952**, sylvie messinger editeur, paris, 1983, P 71*
[4] *Morizot (j) : **l'Algérie kabylisée**, cahiers de l'Afrique et l'Asie, éditions j.peyronnet et cie, paris. 1962, PP 34-35*

تدينا و تعربا و كذا التسويق لفكرة أن القبائل هم الفرع الأسمى من على باقي الفروع الأمازيغية من شاوية و توارق و مزابية الخ .

و لقد أوغل البحَّاثة والكتَّاب، في الوصف الأسطوري لهذه المنطقة بمحاولة التأسيس لعلاقة تضاد بين الجنس القبائلي المقيم في الجبال، و بين الجنس العربي المنتشر عبر السهول و الهضاب. و ادعوا أنهم قد وجدوا أو اكتشفوا في الشعب القبائلي الذي يعتبرونه من أصل جرماني، آثار تَشَرُّبِ هذا المجتمع بالقيم المسيحية، كحب العمل و تقديسه ، و تقدير المرأة ، و الشغف بالمساواة و الأخوة و التضامن الآلي الخ.....و هذا الشغف بالمساواة يمنعهم من القبول بفكرة الزعيم أو القائد المطلق، و هذا ما استغلَّته الإدارة الاستعمارية بدهاء و حنكة.و نظرا لكون إدارة القرى القبائلية ديمقراطية ، فالحكمة تقتضي المحافظة على نفس نمط الإدارة و ذلك لتجنُّب إثارة القلاقل و الثورات ضد الإدارة الاستعمارية و ثانيا لكون هذا النمط أثبت نجاعته في الحفاظ على الأمن و السلم الاجتماعيين في هذه المناطق ربما أكثر مما توفِّره القوانين الوضعية الفرنسية ذاتها. إذن فالنظام القبائلي يستجيب لسياسة واقعية براغماتية وليس لسياسة عاطفية قبائلية ***politique Kabylophile*** ، و لقد سمحت بتفتيت البنى القبلية والقضاء على القيادات الروحية لكل قبيلة . و في الأخير و من المسلَّمات أن مباشرة أية عملية استعمارية تقتضي وضع سياسة ممنهجة تخص الشعب الذي يراد استعماره. والاستعمار الفرنسي لا يشذ عن القاعدة . ولقد لجأ لتوظيف المدرسة لمحاولة صياغة مشروع بعيد المدى ، متعدد الأبعاد ، أولها تغيير البنيات الذهنية للمجتمع القبائلي لإبعاده عن دينه ، ثانيا ليسهل إدماجه في الأمة الفرنسية و ابتلاعه ثقافيا وحضاريا . وفي هذا يقول ليورال جول: "لقد بدأت تظهر الأعراض الملائمة و المشجعة، على الأقل مدارسنا أكثر من مساجد الإسلام، ما يسمح لنا بصياغة طموحات جميلة "[1]. ولقد عملت على تشكيل نخبة قبائليةتولت مهمة التدريس، وشكلوا وقودا للحركة الوطنية والحركة النقابية والطلابية ، و انخرط معظمهم في الحركات اليسارية العمالية ، حتى ظهرت الأحزاب الوطنية التي تبنت أطروحة استقلال الجزائر وظهرت معها ضرورة وضع تصور للدولة الجزائرية المستقلة ، لتظهر أول تجليات التباين الهوياتي للدولة الجزائرية، وهو ما عرف بالأزمة البربرية، التي كان على رأسها مجموعة من الشباب المتعلم القبائلي، و الذي طرح لأول مرة فكرة " الجزائر الجزائرية ، في مقابل "الجزائر الفرنسية" التي

[1] *Liorel Jules : OP.CIT , P 16*

أرادها الاستعمار، و"الجزائر العربية المسلمة" التي أرادها التيار الوطني آنذاك. رغم كل هذا، يمكننا القول في النهاية، أن الاستعمار الفرنسي قد حاول أن يستثمر في الاختلافات العرقية والثقافية للمجتمع الجزائري ، وذلك بمحاولة تقريب القبائل إليه وتفضيلهم بالمدارس ولكن ليس لغرض آخر سوى السيطرة على كامل التراب الجزائري ، و تكريس مبدأ فرق تسد ، و لكن منطقة القبائل لم تساير هذا المشروع . فالسؤال الذي ينبغي أن يُطرح: هل يمكن القول أن منطقة القبائل قد تواطأت مع الاحتلال الفرنسي أم أنها بالعكس كانت شوكة في وجه مخططاته؟ هل عرفت هذه المنطقة نوعا من الامتيازات على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي واللغوي من طرف هذه الإدارة الاستعمارية التي يفُترض أنها تمارس هذه السياسة القبائلية أم العكس؟ هل كانت هذه المنطقة بمنأى عن آلة التقتيل والإبادة الجماعية للعائلات وتدمير القرى والمداشر وحرق المحاصيل والغابات ومصادرتها ؟ و الجواب هو العكس تماما فلقد عرفت المنطقة مصادرة الأراضي التي أدَّت إلى انتشار المجاعات و هلاك الآلاف. وتعرضت للمضايقات الجبائية الممنهجة والتعسفية من قبل المكاتب العربية وذلك لدفع ساكنتها للانتفاض لتبرير عمليات القمع والتقتيل أو النفي ثم مصادرة أراضي القبائل المنتفضة.وساهمت في تكريس التضاد بين الثنائيتين (عربية-إسلام) و (فرنسية- مسيحية) وأهملت كلية الأمازيغية ومكوناتها رغم الدراسات التي أقيمت هنا و هناك .

11-منطقة القبائل و عملية الفرنسة و تشكيل الكيان القبائلي:

إن تدخل الإدارة الاستعمارية بقوانينها المختلفة و بالخصوص في تهيئة الأقاليم ، قد ساهم بشكل كبير في تحديد الإطار الإقليمي لمنطقة القبائل ، و ذلك عبر التسهيل للمرور من الحقل العائلي أو الخاص إلى الحقل الاجتماعي أو العام ، عبر مختلف آليات التطبيع (***Socialisation***) الحديثة و التي فككت البنى الاجتماعية و التقليدية التي كانت حجر الزاوية في النظام الاجتماعي في منطقة القبائل (العائلة ، القبيلة) لصالح مشروع إعادة بناء كيان جديد ، يستجيب للرؤية الكولونيالية ، و التي تحاول أن تؤسس لانتماء لجهة أو لإقليم جديد أوسع من العائلة و من القبيلة و من العرش، و هو الانتماء لمنطقة كاملة تحدها الثقافة الواحدة و اللغة الواحدة و المنظومة القيمية الواحدة ، في محاولة للتأسيس لاستراتيجية تقوم على هذا الواقع الاجتماعي السياسي و الثقافي لساكنة منطقة القبائل و

استبداله بالتنظير لواقع مبني على الوهم القبائلي في مواجهة الآخر (العربي) و هذا كله من سياسة الأعراق التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية لتثبيت نظامها الكولونيالي بإحكام .

و لقد شجعت في ذلك عملية التمدرس من جهة ، و الهجرة داخل الوطن و إلى فرنسا من جهة أخرى ، و هذا ما فتح آفاقا جديدة لاكتشاف الآخر ، و من ثمّ اكتشاف الذات و إعادة بناء التمثلات الهوياتية ، و الاستثمار في الاعتزاز بالعرق القبائلي مقابل العرق العربي الذي يمثل الأخ في الوطن و الدين .إذن لقد ساهم الاستعمار في إعادة هيكلة منطقة القبائل و ذلك عبر مختلف القوانين التي أصدرتها تباعا، و هي محاولة تنظيم السكان في مؤسسات اجتماعية عصرية و مقاطعات إدارية حديثة، تحرر الفرد من قهر الانتماء للعائلة و للقبيلة ، لتلقي به إلى دائرة إنتماء أقوى و أوسع و هي الدولة في مختلف هيئاتها ، ليستقر وصف جهة بأكملها بصفة "القبائل " بدل دائرة الانتماء للقرية و العشيرة و العائلة الكبيرة ، و من هنا حدث الانتقال من الانتماء للخاص و للعائلة و القبيلة إلى ولادة وعي جمعي قبائلي ينادي بالانتماء لجهة بأكملها.

جدير بالذكر أنه في جزائر ما قبل الاحتلال ، كانت كلمة " قبايل " لا تحمل دلالة عرقية أو لغوية ، و إنما كانت كلمة تُطلق على سكان الجبال سواء كانوا عربا أو أمازيغا في مقابل سكان الحضائر ، فلذلك لم يكن سكان منطقة القبائل يُعرفون أنفسهم قبائلا و إنما يعرفون أنفسهم بحسب انتمائهم لهذا العرش أو ذاك ، فنجد مثلا آث يحي ، آث يراثن ، آث عباس ، آث وغليس ، آث منصور ، إمشدالن إلخ ....و لكن بعد الغزو الفرنسي ، تغيرت دلالة كلمة " قبايل " لتتحول إلى نقيض العربي خلال عملية إقرار السلام « ***pacification*** »"[1] في المنطقة .لتتحول فيما بعد إلى تسمية لمنطقة بعينها "« ***Kabylie*** » ، و هذا طبعا بفضل مساهمة البحاثة المدنيين منهم و العسكر ببحوثهم الاثنوغرافية حول المنطقة ، بكل خصوصياتها و ذلك من خلال الدراسة المعمقة لعادات و تقاليد المنطقة و مؤسساتها الاجتماعية السياسية و قوانينها الاجتماعية و نظامها القيمي ، و حاولت بعدها أن تجمع شظايا هذا المجتمع الواحد الذي يتكون من مجموعة غير منتهية من الجمهوريات المستقلة في كيان أكبر ، يوحد جميع ساكنة المنطقة حول وعي جمعي جديد في نظرة ثقافوية موحدة ، بمعنى توحيد الجميع في " كل " لم يلتفت إليه القبائل سابقا ، و تفكيك كل الأجزاء التي تمنع تشكل هذا الكل .

[1] *Camille Lacoste –Dujardin, **« l'invention d'une ethno politique :Kabylie-1844** » , Hérodote , 1986 , N° 42, P115*

و لكي يتم التسويق لتلك الفكرة كان من الضروري التفكير في وضع أسطورة معينة تعين على هذه المهمة ، فكان " الوهم القبائلي " لإضفاء صورة سحرية لكل ما هو قبائلي ، فبدأ " الوهم القبائلي " يرسم صورة مثالية و إيجابية للإنسان القبائلي ، لتنتقل العملية فيما بعد لتحديد الحيز الجغرافي الذي يتحرك فيه هذا القبائلي ، ليصبح كلاهما دليلا على الآخر.

و لقد توالت الكتابات في هذا الخصوص ، فكان كتاب " هانوطو " أول من رسّم هذه التسمية سنة 1873 لهذه المنطقة « ***Grande Kabylie*** »، لتتلقفها الإدارة الاستعمارية مباشرة و تضفي عليها قدرا من الرسمانية ، و في هذا يقول « ***Jean Morizot*** » و هو أحد قدماء الإداريين في الإدارة الاستعمارية :" إن تسمية " قبائل " هي بناء فرنسي عرف نجاحا باهرا ، فمن منطقة" القبائل المستقلة" ، انتقلت بسرعة إلى " منطقة القبائل بالمعنى الأصح " ثم إلى منطقة " القبائل " فقط في السنوات الأولى لخضوع المنطقة ، ظهر كتاب من ثلاثة أجزاء بعنوان (منطقة القبائل و الأعراف القبائلية) كان مؤلفها الجنرال " هانوطو " و المستشار لدى مجلس القضاء " لوتورنو " ، حيث تطرقا بعمق لنمط العيش و للتنظيم الاجتماعي لمجمل التجمعات السكانية القروية و الجبلية المستقرة بجانب الساحل و حول " جرجرة " ،" هذا الكتاب لا زال يتمتع بسلطته ليومنا هذا ... و هو الذي أنشأ نهائيا إسم « ***Kabylie*** » بالحرف " y " و الذي لا يجد له تفسيرا ، و اليوم حين نتحدث عن المؤسسات القبائلية ، عن الروح القبائلية ، عن المرأة القبائلية ، عن البيت القبائلي ، عن اللغة القبائلية فإننا نعود إلى " قبائل " " هانوطو " و " لوتورنو " "[1].

و جدير بالذكر أن هذا الكتاب قد تم تأليفه في سياق كان يخيم فيه " الوهم القبائلي " أو " الأسطورة القبائلية " على كامل أدبيات البحاثة الفرنسيين ، و تم تبنيه كمرجع رئيسي للتعامل مع منطقة القبائل ، و هو ما ساهم بشكل كبير في تشكيل وعي جماعي يعيد بناء الانتماء الفردي و الشخصي للإنسان القبائلي و ينزعه من انتمائه الفطري للعائلة و القبيلة بالخصوص ، ليغرس فيه شعورا بالانتماء لحيز جغرافي تم تحديده من طرف الإدارة الاستعمارية ، لتنتقل بذلك تمثلات الهوية من القبيلة إلى منطقة القبائل ككل ، و هذا في محاولة من الإدارة الاستعمارية إيجاد بدائل لبنية القبيلة التي كانت النواة الرئيسية و القوية التي يرتكز عليها النظام الاجتماعي التقليدي في المنطقة و هذا ما رأته « ***Germaine Tillion*** »، و التي قالت في إحدى كتاباتها ، بأن القبيلة هي من حافظت

[1] *Jean Morizot* ***, l'Algerie Kabylisée*** *, Paris , Pey ronnet , 1962 , P 34*

على النظام الاجتماعي في المناطق البربرية و بالتالي تفطنت الإدارة الاستعمارية لأهمية هذه البنية و مدى وقوفها حجر عثرة في وجه سياسة الاستيعاب و الترويض و الابتلاع التي أرادتها فرنسا ، و بالتالي كان من الضروري خلق أفق جديد يكون بديلا عن تلك البنية و يبتلعها كليا ، ليذوب " الجزء " في " كل " أوسع و أرحب (قبيلة / منطقة) ، و هنا يتجلى دور السلطة في فرض رؤيتها الرسمية للواقع الاجتماعي ، من خلال تهيئة الفضاء الجزائري و بالخصوص سياسة التحييز « ***territorialisation*** » ، هذا الحيز الجغرافي الذي أنشأته الإدارة الفرنسية و رسمت حدوده ، يضم فسيفساء من التجمعات القبلية و القروية ، و التي لم يكن لها أبدا وعي جمعي بالانتماء لكيان جغرافي أو سياسي بحدوده المعرفة هذه ، و كانت تنخرها الصراعات و النزاعات و الحروب القبلية ، و التي تفرض منطق الانطواء و التقوقع على العائلة و القبيلة ، رغم محاولة الإدارة العسكرية إعطاء الانطباع بأن المنطقة منسجمة ، بعد أن قسمت الفضاء الجزائري إلى مقاطعات : القبائل ، الجزائر ، قسنطينة ، وهران ، الأوراس إلخ ..... و من هنا نستشف أن الإدارة الاستعمارية قد تبنت التقسيم الثقافوي للمجتمع الجزائري لإعادة تهيئة الفضاء الجزائري ككل ، فاعتمدت على الثقافات الفرعية المشتركة لتحييز كل مقاطعة جغرافية على اللغة بالخصوص ، و الأعراف و العادات ، فنتج بذلك عدة معسكرات متمايزة منها منطقة القبائل و ذلك لتسهيل عملية السيطرة على المجتمع ، و في هذا يقول ***Charles Robert Ageron*** » : " لقد قررت الإدارة المدنية إنشاء المقاطعة الخاصة بمنطقة القبائل و التي ستضم جميع سكان الساحل ، الناطقين باللغة القبائلية ، بمعنى ليس فقط دائرة " دالّس" و إنما جزء من دائرة " عومال " البويرة حاليا ، و دوائر بجاية و " جيجل " و قايدات " " فرجيوة " و " ثاقينونت " ، و كان من المفروض أن تكون " بجاية " مقر هذه المقاطعة "[1] .

و لقد كانت هذه التقسيمات الإدارية تستجيب لحاجة براغماتية للتنمية الزراعية و الصناعية ، و في هذا يقول « ***Claude Collot*** » :" هذا التنظيم الإقليمي يهدف أولا لإيجاد هياكل تتجاوب مع حاجات النمو الصناعي و الزراعي في الدرجة الثانية لتحسين مشاركة المنتخبين أو الشخصيات المسلمة في تسيير الشؤون المحلية "[2]. و من هنا فرضت

---

[1] *Charles Robert Ageron* ***, les Algeriens musulmans et la France*** *, OP.CIT , P 282*

[2] *Claude Collot ,* ***les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962*** *, Alger , OPU , 1987 , P 63*

الإجارة الاستعمارية النموذج الإداري البلدي الفرنسي ، هذا التحديث الإداري يساهم في القضاء على النظام القبلي و تفكيكه ، و بالتالي تفكيك المجتمع ككل ، فلقد استحدثت فرنسا مفهوم " الدوار " الذي يضم عدة أعراش ، حيث يتولى " القايد " تسيير شؤون هذا الدوار ، ضمن البلدية المختلطة ، و هذا كله في محاولة للقضاء على القبيلة كفضاء أو كمرجع هوياتي .

و بهذا الشكل اقترنت التمثلات الهوياتية بالحيز الجغرافي ، لتتحول إلى تماه بين الفاعلين الاجتماعيين و بين هذا الفضاء الذي تم تحديده من قبل الإدارة الاستعمارية ، و الذي قسمته إلى " منطقة القبائل الكبرى " ، " منطقة القبائل الصغرى " و القبائل العليا و القبائل السفلى إلخ ..... فأصبحت هذه الهيكلة الايديلوجية لثنائية قبائل كبرى / قبائل صغرى تُستبطن لتتحول منطقة القبائل إلى ركام غامض لصورة " النحن " الجهوية التي رُسمت من قبل "[1]. و هنا نسجل رغبة تلك الإدارة في الانتقال من الانتماء للفضاء المحدود الذي تحتله القبيلة إلى الفضاء الأوسع الذي تمثله المنطقة ككل ، و هذا بطبيعة الحال رافقه تحول في أساليب الانتاج الزراعية و الصناعية ، مما أحدث انقلابا في نظام الإنتاج الاقتصادي و منه الثقافي و الاجتماعي .

و مع هذه السياسة الجديدة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية في المنطقة ، بدأت تترسخ هذه الفكرة في الوعي الجمعي لساكنتها ، و بدأ يتشكل نوع من المجتمع المدني " القبائلي " تحت تأثير المدرسة و " المكاتب العربية " و الهجرة الداخلية و الخارجية إلى فرنسا ، و الاحتكاك بالحركات الثورية و الثقافية ، و لقد ساير هذا الوضع إعادة تهيئة العمران ، فظهرت التجمعات السكانية و المدن الجديدة ، لتنافس القرى و تفرض نمط حياة جديد و مخالف لذلك الذي يسود في القرى ، ليُعوض المنزل العصري بذلك المنزل القبائلي التقليدي بكل ما يحمله من دلالات اجتماعية و تمثلات هوياتية في المنطقة ، و حتى قضية الوقت ، فإن الحداثة الاستعمارية قد اقتحمته فانتزعته من سلطة المقدس ، أي من سلطة الأذان ، لأن القروي كان يسير وقته وفقا لأوقات الأذان ، إلى سلطة الوقت الدنيوي المرتبط بالأعمال الذي يتعقبه مع عقارب الساعة التي يحملها في يده ، و بالتالي القضاء شيئا فشيئا على سلطة المقدس « Sacré » و استبدالها بالسلطة الوقتية و الزمانية « ***profane*** » ...و هذا ما أدى إلى اختلالات عميقة في البنى الذهنية و الهياكل الاجتماعية في

[1] *Omar Carlier « la production sociale de l'image de soi , note sur la crise berbériste de 1949 » annuaire de l'Afrique du nord , 1984 , P 358*

المنطقة . و هنا بدأت بوادر تغلغل الفكر أو العقل الغربي إلى المجتمع القروي القبائلي ، و هذا ما سيخلق تخندقات جديدة و تمثلات جديدة للذات الجمعية .

12-إستراتيجية التقسيم :

لقد رأينا فيما سبق أنه قد تم التسويق لفكرة أن منطقة القبائل أكثر المناطق استعدادا لتقبل عملية التمدين الفرنسية و استيعاب مزايا الحداثة الغربية ، و ذلك نظرا لما يتمتعون به من استعدادات فكرية و خلقية تؤهلهم لذلك ، و هذا كله تماشيا مع منظور " الوهم القبائلي " فطفت إلى الواجهة القضية القبائلية و بدأت تتبلور كرأس حربة لسياسة كولونيالية و في هذا يقول « ***N.Bibesco*** »:" نعم هناك قضية قبائلية في الجزائر ، قضية لطالما تم تجاهلها ، قضية تبحث عن مكانتها في مقابل القضية العربية . توجد قضية قبائلية لأن هنالك عرق حقيقي قبائلي أو بربري، و الذي احتفظ بطابعه على مر القرون "[1] . فبدأ يتبلور أكثر فأكثر خطاب إدماج القبائل بالتركيز على فكرة مفادها أنهم هم "السكان الأصليون" ، في مقابل العرب "الغزاة " ، و بذلك سيكونون العامل الأمثل لإعمار الجزائر و تطويرها ، و ذلك بالاعتماد على مميزاتهم القيمية كتقديس العمل و الحرية و الصدق و الشرف ، و هذا ما يتطلب نزولهم من الجبال إلى السهول لخدمتها و إعمارها ، و في هذا يقول « ***Saint Aymour*** » :" إن وسيلة التجديد في الجزائر يجب أن تكون قبائلية ، فالقبائلي هو من عليه لعب الدور الأبرز في إعمار شمال إفريقيا ، إن كانت لنا الحكمة لذلك ... علينا إذن أن نحاول إخراجهم من جبالهم ليستعيدوا الأراضي السهلية التي كانوا يحتلونها من قبل "[2] .و هذا ما أسس لخطاب ميال للقبائل « ***proKabyle*** » يدعو للإسراع بإدماجها في الجسد الفرنسي .

و لكن هذا لا ينفي أن يكون هنالك معسكر معادي لهذا الخطاب في صفوف المعمرين ، و حتى من إطارات الإدارة الاستعمارية ، و الذين انتقدوا هذه السياسة حيال القبائل و الرامية إلى إدماجهم و منهم « ***Francois Charveriat*** » الذي يقول :" إن إدماج القبائلي يبقى بعيدا و إلا فهو مستحيل ، لا الاحتكاك اليومي مع الموظفين الفرنسيين و لا الثقة المشهودة لهم ، و لا الخدمات المقدمة لهم استطاعت أن تغير طبائعهم المتمردة . فهو

---

[1] *N. Bibesco , **« les Kabyles du Djurdjura , la grande Kabylie au temps de la régence d'Alger , importance de la nationalité Kabyle** », revue des deux mondes , Mars 1866 , P 141*

[2] *Saint Aymour Caix (DE) , **arabes et Kabyles** , Paris , 1891 , P 155*

كله كالعربي من جنس الذئب الذي يبدي تقبله للعبودية و لكنه لا يُروض أبدا "[1]. و بعد سقوط الحكم العسكري اشتد الصراع بين الاتجاه المدني و العسكر في الجزائر ، مما اضطر الإدارة الاستعمارية إلى التخلي عن الوهم القبائلي شيئا فشيئا ، و استبداله بسياسة التقسيم العرقي المؤسساتي ، و ذلك بتشكيل " المفوضية المالية القبائلية "« ***Délégation financière Kabyle*** » ، دون أن يكون ذلك داعيا لأي تمييز اقتصادي للمنطقة و الاكتفاء بالاحتفاظ بعزلة المنطقة و التركيز على خصوصيتها الثقافية ، مع محاولة تصحيح بعض الأعراف التي كانت تبدو بربرية لدى البعض ، و استبدالها بقوانين أكثر تمدنا و تماشيا مع القوانين الفرنسية ، مما أثار استعداء الجماهير القبائلية و حتى النخب ، و في هذا يقول « ***Ageron*** » :" إن النخب القبائلية ، المفوضين الماليين منهم ، يرفضون هذه القوانين و يتهمون الإدارة بالسعي عن حصر المجتمع القبائلي في حالة من التخلف ، في حين أن الجماهير بقيت محتاطة للتغييرات التي استحدثها المشرع الاستعماري ، فالقبائل يعتبرون مثلا حق " الفدية " (قدر مالي تدفعه الزوجة للزوج إذا طلبت الطلاق) ضروريا لشرفهم ، لأن هذا القدر المالي يكون أكبر من الصداق "[2] .و بالموازاة مع هذا فإن الإدارة الاستعمارية قد ارتأت تسريع عملية الفرنسة اللغوية في المنطقة ، و ذلك بفرض تحرير كل العقود القضائية بالفرنسية عوض العربية ، مع محاولة عزل المنطقة عن المعسكر العربي الإسلامي ، و ذلك بإبعاد اللغة العربية قدر المستطاع عن المنطقة و في هذا يقول أحدهم :" لا توجد أية فائدة في تعليم القبائل اللغة العربية "[3]. في حين أنها حثت و اشترطت على الموظفين الفرنسيين في المنطقة أن يتقنوا اللغة القبائلية و يمارسوها مع الأهالي لتسهيل التقارب الثقافي و الإنساني ، و لقد تزامن هذا مع فتح شعبة للهجات البربرية في كلية الآداب بالجزائر العاصمة سنة 1885 ، أوكل أمر تسييرها لأحد الأهالي الموالين لفرنسا و هو " سي الهاشمي بن لونيس " الذي كان موظفا لدى مجلس قضاء بجاية آنذاك ، و يُتوّج هذا التعليم بشهادة إجازة في اللغة القبائلية و يتيح ذلك تلقي منحة سنوية تُقدّر ب 300 فرنك فرنسي "[4] .

الغريب في الأمر ، أن مع كل هذه الاستراتيجيات التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية ، إلا أن تقدم و تغلغل اللغة العربية في المنطقة لم يتوقف أبدا بل ربما اشتد أكثر ، كما ظهر ذلك

---

[1] *Francois Charveriat* ***, à travers la Kabylie et les questions Kabyles*** *, 1980 , P 101*
[2] *Charles Robert Ageron,* ***les Algeriens musulmans et la France*** *, OP.CIT , P 880*
[3] *IBID , P 881*
[4] *IBID , P 292*

في تحقيق أجراه كل من الأساتذة « ***Edmond Doutté et Emile Felix*** » « ***Gautier*** » إذ :" يؤكد " دوتي " استحالة النقل المباشر لمجموعات سكانية بربرية بدون وساطة اللغة العربية ، ما يحكم بقتل السياسة التعليمية التي من المفروض أن تُسهّل لنا عملية غزو منطقة القبائل "[1] . و من هنا نستشف الدور الخطير الذي أُنيط بالمدرسة و بالتعليم عموما لإحكام السيطرة على المنطقة ، و ذلك بالاعتماد على المدرسة كجهاز من الأجهزة الايديلوجية للدولة و دورها الفعال في تشكيل الذهنيات و المعتقدات على الناشئة في عمل طويل المدى لا تظهر ثماره إلا بعد أجيال متعاقبة .

13- ملخص الفصل :

في هذا الفصل حاولنا مقاربة و استجلاء بعض أوجه تاريخ البربر و نسبهم و أسمائهم و كذا سماتهم و بالخصوص سكان منطقة القبائل عبر الدراسات المتوفرة و كذا الاطلاع على التنظيم الاجتماعي و أوجه المعاش القبائلي و بعض الرموز المؤثرة في ثقافتهم و التي تشكل خلفية و منطلقا للكثير من المسلكيات المتوارثة لديهم حتى يومنا هذا. ولقد خصصناه لإثنوغرافيا منطقة القبائل عبر الأدبيات المتوفرة و ذلك تحريا منا لمبدأ الموضوعية في الطرح و ذلك لتقصي هوية و ثقافة و مميزات هذه المنطقة كما صورها من كتبوا عنها ثم محاولة مقارنة ما وجدناه بما تتضمنه الكتب المدرسية للأمازيغية . و لقد وقفنا على التباين الصارخ في التأريخ لنسب البربر ، و لاحظنا أن هنالك مركزيات تفسر التاريخ البربري فنجد أن الرومان يلحقونهم بالجنس الأوربي و العرب يلحقونهم بالأصل العربي و ابن خلدون يلحقهم بالأصل الكنعاني وفقا للمركزية اليهويدية التي جعلت من أرض كنعان منطلقا لكل الجماعات البشرية

في حدود 500 سنة قبل الميلاد فربطت تاريخ مصر العظيم بمصرائيم الذي ركب مع نوح و ربطت تاريخ البربر بيوشع الذي طردهم من أرض كنعان لما غضب الرب عليهم ، فأصبحت الرواية اليهودية مصدرا باعتبارها أقدم كتاب ، و ذلك في نظرنا لتكريس النظرة اليهودية للتنظير لعلم أصول البشرية ، و كذلك لبداية اللغات ، و ذلك في الرواية التي تروي كيف نزل الرب إلى بابل و بلبل لغاتهم بعد أن انتقم منهم لأن ملكهم كان يريد الطلوع للسماء. و لكن علم الوراثة السكاني الحديث يؤكد أن إفريقيا هي مهد البشرية و أن البربر و المصريين

[1] *Charles Robert Ageron , IBID , P 885*

القدامى هم من شجرة واحدة و هم أفارقة أصليون و أن الهجرات البشرية كانت من إفريقيا إلى باقي بقاع العالم. أما عن تسمياتهم فلقد تعددت كذلك من الليبو إلى التماهو إلى الجيتول و الغرامانت و الماسيسيل و الماسيل و المور و النوميديين و البربر عند ابن خلدون ببرانسهم و بترهم و لقد اشتهروا بصفات النبل و الشهامة و تقديس العمل و حماية النزيل و عشق الحرية . و سكان منطقة القبائل بكونهم فخذا من أفخاذ البربر هي قبائل كثيرة استقرت في جبال جرجرة و رسّختها الحاجة الاستثنائية و اللملحة للعيش و البقاء. و لاحظنا أنهم قد أسسوا نظاما اجتماعيا متماسكا أساسه قرابة الدم في تراتبية محكمة تنطلق من العائلة وصولا إلى الأحلاف أو الكونفدرياليات ، بنظام ضبط اجتماعي صارم حافظ على تماسك هذه الجماعات إلى يومنا هذا على غرار كل المجتمعات القبلية ما قبل الدولة. أما من ناحية تدينهم فوجدنا أن نظام لخوان على الطريقة الرحمانية هو المنتشر كثيرا و ذلك في نظرنا يعود لكون هذا النظام يشتغل بالروحانيات فقط و لا يقحم نفسه في الشؤون العامة للقرى إلى في إقامة الصلح و حضور المناسبات العامة لمباركتها. ثم عرجنا على تأثير الاحتلال الفرنسي على هذه المنطقة فوجدنا أنه قد استثمر في خصوصية هذه المنطقة ليس حبا فيها و إنما استجابة لسياسته الاستعمارية لاستغلالهم بأقصى حد ممكن ، و ذلك لكونهم مزارعين و حرفيين و مقدسين للعمل ، ثم فتحت لهم المدارس في بعض التجمعات السكانية الكبرى لتحدث تلك الصدمة الحضارية فيكتشف القبائل خصوصيتهم و امتدادهم التاريخي لتبدأ بذلك الصحوة الهوياتية لدى نخبة قليلة من المتمدرسين في المدرسة الفرنسية ، ثم تتوالى الأحداث بعد ذلك و كانت المدرسة هي المنفذ الذي أطل منه القبائل لإعادة اكتشاف ذواتهم و التأسيس بعد ذلك لنظرة هوياتية مغايرة للطرح السائد في صفوف الحركة الوطنية ككل و ذلك بإقحام التاريخ في السجال الهوياتي و هذا ما سنتطرق إليه في الفصل القادم .

الفصل الثالث

****

إشكالية الهوية في الجزائر

1- إشكالية الهوية في الجزائر :

إن التركيبة السكانية في الجزائر مكونة من الأساس من العرب و البربر ، تصاهروا و تمازجوا ، تعايشوا و تصارعوا منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا ، أو إفريقيا كما يسميها العرب آنذاك ، و بالتالي يصعب اليوم الحسم في التفريق بين عرق و آخر ، و بالتالي فإننا سنضع الطرح العرقي جانبا ، سواء كان العروبي أو البربري ، و ذلك نظرا لكون نقاء العرق في هكذا حالات صعب جدا و لا يُطلق إلا على الحصان بتعبير الدكتور أحمد بن نعمان ، و بالتالي فسنحاول مقاربة الموضوع ثقافيا . و بحكم الموروث التاريخي الاستعماري ، و ما نتج عنه من احتكاك بالثقافة الاستعمارية و باللغة الفرنسية بالخصوص ، فإن إشكالية الهوية في الجزائر قد ظهرت مقرونة باللغة دائما ، بمعنى لا يمكننا فهم إشكالية الهوية في الجزائر خارج الإطار اللغوي الذي يفرضه الحقل اللغوي المتكون من الفرنسية ، العربية الفصحى أو لغة المدرسة ، العربية العامية و الأمازيغية بمختلف لهجاتها و تنوعاتها . و لعل أهم تيار تبلور في الحقل الهوياتي هو تلك الحركة السياسية الثقافية التي جعلت من الأمازيغية مشروعا اجتماعيا سياسيا و ثقافيا ، فحاولت التأسيس لإثنوية « ***ethnicité*** »أمازيغية أو قومية أمازيغية إقتداءا بالقوميات الأخرى ، و ذلك نظرا لأن كون وجود تجمع بشري يتحدث بلسان ما في حيز جغرافي ما من حقه أن يُكَوِّن وَطَنًا . إذن نجد أن هذا التيار قد اصطف حول شعار " اللغة الأمازيغية " منذ نشأته إلى اليوم ، و وضع نصب عينه قضية مَعيرة اللغة و مأسستها و تدريسها في المدرسة و الجامعة و توسيع نطاق استعمالها وطنيا ، و بهذا الشكل اقترنت اللغة الأمازيغية بإشكالية الهوية في الجزائر و صارت أحد أهم مداخل الهوية الأمازيغية . و في منظورنا نحن ، فإن الإشكالية الهوياتية مقرونة بالتعدد اللغوي و الثقافي في الجزائر ، و أعمق من ذلك بالتعدد السياسي و مشكلة الهوية هذه متصلة بالصراع اللغوي و الذي تمثل المدرسة فيه ، الوعاء الذي ينبغي أن تتولى إدارته و تسييره بما يخدم مصلحة الوطن و المجتمع ، و ذلك بوضع سياسة لغوية رشيدة تحفظ النسيج الاجتماعي الجزائري الذي أنتجته التجارب السياسية و الثقافية و الاجتماعية عبر قرون مضت .

2- لمحة تاريخية عن تكوين الهوية الثقافية الجزائرية :

إن مناولة السيرورة التاريخية لتشكل الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري تستوجب الاستعانة بالتاريخ لرصد تسلسلها الزمني و تقصي مراحل تشكلها عبر القرون السحيقة " و عندما نتحدث عن مكانة الجزائر من الثقافة ، و عن صلة هذه الثقافة بثقافات جيرانها أو البلاد النائية عنها ، فإننا نجد أنفسنا مدفوعين للتساؤل متى أخذت الثقافة تتكون في الجزائر ؟ و ما هي المراحل التي قطعتها ؟ و ما هي العوامل التي نشطتها و دفعت بها إلى التطور و التبلور؟ " [1]. و عملية البحث في تشكل هذه الثقافة يستدعي تحديد الإطار الجغرافي و الإقليمي للجزائر و كذا التركيبة البشرية التي عمرت هذه الأقاليم .

مما لا شك فيه أن الجزائر تعتبر و بامتياز ، ملتقى حضارات عديدة و هي جغرافيا تنتمي إلى شمال إفريقيا و دول إقليم البحر الأبيض المتوسط ، و امتداد حضاري للشرق الإسلامي الذي كان منبعا لحضارات زاهرة و عريقة. أما بخصوص التركيبة البشرية التي استوطنت هذه الأقاليم ، فإننا نجد أنفسنا أمام إشكالية معرفية إذ أن " أقوال المؤرخين متضاربة في شأن أصل سكان هذه البلاد ، و الذي نُعَوِّل عليه هو أن شعب هذه المنطقة أصيل و عريق ، حيث بقي على مر الأحقاب متمسكا بأصالته ، و من طبيعته ألا يندمج في الجنسيات التي تحل ببلاده ، بل يبلعها فتصير جزائرية بتوالي الأيام " [2] . و لعل الصراع الناتج عن الاحتكاك الثقافي و تأثير الثقافة الغالبة الوافدة في كل مرة ، أدى إلى ظهور مقاومة ثقافية عنيفة من طرف الثقافة الأصيلة المغلوبة وفق استراتيجيات متعددة للحفاظ على معالم الشخصية و أصالتها ، كالانعزال في الجبال و الاحتماء بها كما الحال في منطقة القبائل و الأوراس. و لكن دون أن يكون ذلك مانعا للسكان الأصليين من الاتصال بالوافدين في إطار الاحتكاك الناعم الذي تفرضه المبادلات التجارية من أجل ضمان العيش و التطلع للأحسن فقد كان " للجزائري استعداد فطري لكل شيء جديد نافع ، فيسيغ و يستوعب كل ما أتى به أولائك الأجانب من ثقافة و أخلاق تواكب طبعه و تدفع به إلى الأمام في ميدان الحضارة و الرقي " [3]. هذه الاحتكاكات الناعمة أحيانا و العنيفة أحايين أخرى ، و على مر العصور أدت إلى تشكل هذا الشعب الذي سُمِي " البربر " و الذي تميز بثقافة خاصة و ابتكر لغة كانت الرافعة لهذه الثقافة ، و هي اللغة الأمازيغية التي تنتمي لعائلة اللغات الحامية ، و هي

[1] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، الوكالة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1983 ، ص 15

[2] محمد الطمار، نفس المرجع ، ص 32

[3] محمد الطمار، مرجع سبق ذكره، ص 32

مشتقة من الليبية القديمة ، و قريبة من اللغة المصرية القديمة ، و تفرعت منها ألسن أو لهجات متعددة منها القبائلية ، الشاوية ، المزابية ، الترقية ، الشنوية ، الشلحية ، الريفية إلخ ، تختلف من منطقة إلى أخرى بسبب الانقطاع التاريخي الذي حدث ، جراء اكتساح اللغات الدخيلة لفضاءات كانت تحتلها الأمازيغية فانعزل كل فصيل بلغته ، و عبر الزمن ظهرت هذه الاختلافات بين مختلف اللهجات . و لعل أول احتكاك ثقافي و حضاري بالأجناس الأخرى ، كان مع الفينيقيين الذين اعتمدوا على التجارة و الملاحة و لم يكونوا غزاة توسعيين أي امبرياليين بالمعنى الحديث ، " بل كانوا دعاة إصلاح ، حتى أن تقاليدهم التجارية هي أكبر جانب من ثقافتهم الجد متطورة التي انتشرت عبر كل أوربا ، هذا ما تقوله الأحداث الموضوعية عن الفينيقيين و قرطاجة "[1] فكانت استجابة البربر لهم إلى حد ما طيبة و إيجابية و ذلك وفقا لثنائية تحدي/استجابة . و مع الحرب الرومانية على قرطاج انتظمت ثقافة المقاومة مع ماسينيسا " بعبقريته و روح التنظيم و خاصة التأييد الشعبي الذي سمح له بقهر أعدائه و إرساء مملكة موحدة عاصمتها سيرتا و التي تضم بصفة تقريبية الجزائر حاليا " [2] . و لكن سرعان ما أعاد الرومان كرَّتهم على نوميديا الفتية ليحطموها ، و لكن ذلك لم يمنع ملكها ماسينيسا من المضو قدما في التأسيس لثقافة مجابهاتية أصيلة تحافظ على معالم شخصية شعبه فهو " رجل واع ، يعرف أن الثقافة هي نتاج العقل و القلب ، فلا بد من تثقيف الإنسان الجزائري و تربيته التربية الواعية ، تحثه على البحث عن الأفضل من جهة ، و عن الخير من جهة أخرى ، فهكذا يصبح لا يستأثر بثقافته بل ينزل بها إلى المجتمع فيستغلها الجميع و تأتي بأكلها المرتجى " [3].إذن في هذه المرحلة امتزج البربر بالفينيقيين في المدن و الأسواق و تصاهروا و ساهموا جميعا في بناء حضارة قرطاج ما أدى إلى تطور اللغة الأمازيغية التي دخلتها مصطلحات جديدة و لعل التزاوج بين اللغة البربرية و الفينيقية أدى إلى ظهور لغة جديدة هي اللغة البونيقية . و لكن مع استقرار الرومان للجزائر تغير الأمر ، و تغيرت الاستجابة بتغير التحديفحدث الانعزال الثقافي و اللغوي بين الجنسين البربر/الرومان و بالتالي " فإن الرومان لم يؤثروا في البربر في اللغة كتأثير القرطاجيين ، مع أن اللغة اللاتينية أوسع ، و السر في ذلك ، أن البربر لم يروا

[1] *A.Megherbi , **culture et personnalité Algérienne de Massinissa à nos jours** , ed ENAL , Alger, 1986 , p69*

[3] محمد الطمار، مرجع سبق ذكره، ص 42

في القرطاجيين مطامع استعمارية فأقبلوا عليهم ، بينما الرومان احتلوا أرضهم ليستغلوهم و يستعبدوهم فنفروا منهم " [1] . و هذا طبيعي في الاحتكاكات و التداخلات الثقافية ، فالثقافات تندمج و تتواصل مع غيرها بسهولة إذا كان دعاتها دعاة سلام و تعاون و رقي ، و تتنافر و تتصارع و تتخاصم إن كان دعاتها دعاة غزو و استعمار و استغلال و استعباد و هذا ما نلاحظه مع الرومان أنهم و من منطلق طبعهم الغازي ، قد دمَّروا و فككوا البُنَى الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و حتى الثقافية للبربر ، ما أدى إلى جمود الثقافة البربرية و انغلاقها على نفسها كاستراتيجية دفاعية طبيعية ضد كل خطر داهم . و استمرت هذه الاستراتيجية حتى مع العرب الفاتحين في الثمانين سنة التي تلت الفتح الإسلامي ، إلى أن تبين للبربر آنذاك أن رسالة الإسلام تدعو للإصلاح و الإخاء و المساواة و الحرية و الإنسانية و محاربة الاستبداد ، رغم أننا لا يمكننا اختزال الدين في إطار محدد و ذلك لأن الدين " نظام للقيم و المعايير ، و يتجانس مع أي ثقافة تبحث في جوهرها عن تحرير الإنسان من كل قيود العبودية " فالإسلام ليس فقط دينا بسيطا ، و لكن في الحقيقة هو نمط حياة و تصور للعالم ، فهو في الوقت نفسه سامي و ثابت و لكن في خدمة الإنسان من الولادة إلى الموت " [2]. إذن ، و بعد حروب طويلة استبسل فيها البربر و فقدوا فيها ملكتهم " ديهيا " و بدل الاستمرار في الحقد على العرب ، نجدهم قد تماهوا معهم و تبنوا رسالتهم و حملوا المشعل بدلهم إلى أمصار أخرى فنجدهم قد زحفوا إلى " المغرب الأقصى ثم إلى الأندلس ، ليس كجنود يمثلون أقلية في الجيش ، بل شكلوا أغلبية الفاتحين تحت قيادة القائد الجزائري الأول طارق ابن زياد "[3].هذا التفاعل الكبير مع الإسلام الوافد كان له الأثر الكبير في جوهر الهوية الثقافية الجزائرية ، و ذلك لكون هذا الدين الجديد منظومة قيمية متكاملة تطرح تصورا شاملا للعالم ، يؤثر في كل ثقافة يمتزج بها و يغيرها و يحوِّرها بحسب قيمه و معاييره ، و بالتالي يؤثر في أنماط التفكير لدى الناس ، و على نمط الحياة ككل و علاقة الإنسان بما حوله ، وهذا بالرغم من أن الإسلام لم يَسْعَ لإبادة الثقافات المحلية أو طمسها ، إلا أنه جاء لتنقيتها من " الضلالات و الجهالات " التي لا تتطابق و نظام قيمه و معاييره. و هنا تجدر الإشارة أن دخول الإسلام قد استقدم معه أنماط التفكير العربية و كذا اللغة العربية التي كانت وعاءه ، ليبدأ نمط حياة البربر في التغير بحسب مدى توغل

---

[2] *A.Megherbi , OP.CIT, P 35*

[3] أحمد بن نعمان ، **فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر** ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1991 ، ص 20

الإسلام في أوساطهم بفعل المثاقفة ، لتبدأ عملية تعريب البربر تدريجيا ، لتندمج الجزائر في خريطة جيوسياسية جديدة و هي العالم العربي الإسلامي و لكن بخصوصيتها دائما .فنجد أن البربر قد اختاروا الفكر الخارجي الذي يخرج على الحاكم ، ثم أقاموا مماليك تحكمها عائلات بربرية ، رغم تبنيهم للغة العربية بصفة آلية ، و شرعوا في بناء المساجد و الزوايا و المدارس ، و بدؤوا في التواصل الثقافي مع المشرق و مع الأندلس نظرا لإشعاعهما الثقافي و العلمي الكبير .و مع دخول الأتراك و تغير التعامل مع البربر ، اختاروا الانعزال في الجبال للنجاة من حكم العسكر و من الضرائب و الجباية التي أثقلت السكان ، مما منع عملية التثاقف بين الأتراك و البربر و بقيت الثقافة الجزائرية في إطار الثقافة العربية الإسلامية ، العالمة آنذاك مع الاحتفاظ بالثقافة البربرية الشفهية التي كانت متوغلة في كل مفاصل الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية للجماعات السكانية البربرية.

و مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، تبلورت فكرة خصوصية " الكيان الجزائري الذي له الحق في الوجود كأمة حرة مستقلة " [1] ، مثلها مثل الكيانات الأخرى في العالم ، " ذلك أن الأمة الجزائرية و الأمة الفرنسية لا يمكن أن تتعايشا في الجزائر ، لأنهما يعتنقان دينين مختلفين و تتكلمان لغتين مختلفتين و تلبسان ثيابا مختلفة و تمارسان تقاليد مختلفة "[2]. **و في هذه المرحلة تكرَّس الدين الإسلامي بلغته العربية** كخزان للتعبئة الثقافية ضد المستعمر بمسيحيته و لغته الفرنسية فتبلورت هذه الثنائية و تجسدت في معظم الثورات الشعبية التي قامت منذ حركة الأمير عبد القادر الذي استطاع أن يجمع الأهالي حوله و يؤسس لبناء دولة قوية بجيش حديث و مؤسسات توحد الشعب " كان الدين من أهم محركات هذه الحركة " [3]، و لحركات أخرى جاءت من بعد ، قد تولى قيادتها مشايخ ينتمون إلى الطرق الصوفية و أهمها القادرية و الرحمانية كالشيخ الحداد و المقراني . و لما تفطنت فرنسا لدور هذا الدين في الحفاظ على الشخصية الجزائرية ، أرادت تجفيف منابعه و ذلك بالقضاء على المدارس و الزوايا و **استولت** على الحبوس و الأوقاف ، فتقلص بذلك دور الإسلام و اللغة العربية في ميادين القضاء و الإدارة و الأحوال الشخصية و التعليم و التربية . كما قامت بتفكيك البنى الاجتماعية و الثقافية للأهالي بتهجيرهم و اقتلاعهم من بيئتهم الثقافية و الدفع بهم إلى منظومة ثقافية و اقتصادية مناقضة لشخصيتهم " عندئذ لجأ

[1] *Yver George,* ***Si Hamdan Benothman Khoja*** *, R.A.L , 1913 , p117-118*
[2] *Yver George, idem, p 111*
[3] *J.C Vatin* ***, l'Algérie politique : Histoire et société*** *, PFNSP, Paris , 1983 , p 89*

الجزائري إلى أعماق ذاته ، عقيدته الدينية و تقاليده "[1]. هذا القهر الفرنسي على الشعب الجزائري ، دفع إلى التمترس وراء "القيم الملجأ" أو « ***valeurs refuges*** » من دين و تاريخ و لغة مشتركة رغم عدم وجود وعي مشترك بالشخصية الجماعية للأمة الجزائرية حتى تعرضت للصدمة الاستعمارية و الاعتداء الكولونيالي الذي أيقظ ضميرها الوطني " فالاعتداء إذن كان عاملا حاسما في الحركة الوطنية الجزائرية ، لا لكونه قد خلقها و لكن لأنه أيقظها " [2].و رغم تشعب مذاهب و مشارب الحركة الوطنية إلا أنها قد " سجلت في برامجها -بصورة مبكرة - ضرورة إحياء الثقافة الجزائرية بلمسات مختلفة " [3]. و يمكننا هنا أن نعرض أهم الآراء التي طرحت أو أشارت إلى قضية الهوية الثقافية الجزائرية. لعل أول حركة سياسية ظهرت هي " حركة الشباب الجزائري " من أبرز روادها " الأمير خالد " ، انقسم أعضاؤها بين من يطالب بالتجنس دون الاهتمام بالأحوال الشخصية و من ينادي بالتجنس مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية ، و هذا في رأينا بلغ حدا من التماهي مع المستعمر رغم الإشارة إلى الأحوال الشخصية الإسلامية. ثم جاءت جمعية العلماء المسلمين متأثرة بالنهضة الإصلاحية في المشرق و التي قادها " جمال الدين الأفغاني " و " محمد عبده " ، كانت تؤمن بوجود الأمة الجزائرية و أن وجودها سابق للاحتلال الفرنسي و اختزلت تصورها لأسس الهوية الجزائرية في ثلاثيتها المعروفة " الجزائر وطني ، الإسلام ديني ، العربية لغتي " و بالتالي فإن معالم الشخصية الجزائرية عندها عربية إسلامية، وفق منظور سلفي يزدري" المدارس الصوفية و يضللها و يحاربها بكل الطرق السلمية منها و حتى العنيفة " [4]. ثم نجد " الحزب الشيوعي الجزائري " الذي يُعتبر امتدادًا للحزب الشيوعي الفرنسي و هو يسير وفق منظور الحزب الشيوعي السوفياتي الذي ينادي بالأممية العالمية و بالتالي لا مكان للقوميات مما أوقعه في مأزق ، إذ كان يرى أن " الجزائر أمة في طريق التكوين من خلال امتزاج بشري من أصل أوروبي ، عربي و بربري لتكون عنصرا جديدا هو العنصر الجزائري "[5] ، و كان لهم الدور البارز في تحديد السياسة الثقافية و طرح المسألة الثقافية فيما بعد . أما " حركة أحباب البيان " بقيادة فرحات عباس فلم تكن تؤمن أصلا بوجود الأمة الجزائرية ، رغم تراجعه فيما بعد و انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني . و من

---

[1] *B.BenKhedda,* ***les origines du 1er Novembre 54*** *, ed Dahleb, Alger , 1989 , p 35*

[2] سعد الله (أبو القاسم)، مرجع سبق ذكره ، ص 82

[3] *B.Etienne, J.Lecas,* ***culture et société au Maghreb*** *, CNRS , Paris, 1973 , p48*

[4] شهادة لتسعيني كان من أعضاء جمعية المسلمين في قريتنا و هو يروي كيف كانوا يحاربون الفكر الطرقي.

[5] *A.Yefsah* ***, la question du pouvoir en Algérie*** *, ed ENAP , Alger, 1991, P 20*

المفارقات أنه تولى رئاسة الحكومة الجزائرية المؤقتة مما يدل على إشكالية عميقة في المجتمع الجزائري. ثم نجد " حركة انتصار الحريات الديمقراطية " و التي تبنت فكرة الاستقلال التام و كان تصورها للأمة الجزائرية يشبه إلى حد ما تصور " جمعية العلماء المسلمين " فهي مرتبطة بالبعد العربي الإسلامي بنكهة ثورية حديثة إذ كانت تدعو إلى " محاربة الاستعمار المحلي و العالمي بكل أشكاله و صوره "[1]. إذن خلاصة القول، أن الحركة الوطنية تبنت المسألة الثقافية منذ ولادتها بالمطالبة بالحفاظ على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، و المطالبة بفتح المدارس لتعليم اللغة العربية. ثم تبلورت فكرة إقامة الدولة الجزائرية المستقلة و ضرورة نشر تعليم وطني مرتبط بالبعد العربي الإسلامي . فالثقافة إذن تمر عبر المدرسة وبإعادة بعث اللغة العربية، في إطار ثقافة عربية إسلامية غير محددة المعالم بشكل دقيق و علمي، باستثناء ربما " جمعية العلماء المسلمين " التي تبنت نهجا متكاملا في إعطاء البعد العربي الإسلامي للثقافية الجزائرية كعامل توحيدي و دافع للمقاومة. و لكن الجدير بالذكر أنه في تلك الظروف، ظهرت مشكلة مستحدثة و جديدة على الساحة السياسية و الثقافية الجزائرية و في المهجر و هي القضية البربرية، و التي لم تتم مطارحتها بشكل موضوعي و علمي لعدة أسباب. منها ثنائية (مُستعمِر/مُستعمَر) التي تفرض الوحدة لمجابهة العدو المشترك، و منها و ما يبدو لنا أكثر موضوعية، هو أن القضية البربرية آنذاك لم تكن تملك الحجة و البرهان و بالتالي كان من السهل تحييدها ، لأن طرحها في مفهومنا كان طرحا نخبويا و لم تتبناه الطبقات العريضة للشعب الجزائري.

3- القضية البربرية قبل الاستقلال :

لقد تدرج الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ عام 1830 ، بدءًا بالغزو العسكري ، الذي قضى على المقاومة التي قادها الأمير و المقراني و بوعمامة و غيرهم ، و نزع السلاح من الأهالي خاصة في منطقة القبائل بعد ثورة 1871 ، ثم مرورا بالمشروع الثقافي الذي كان يهدف إلى تكسير و تفكيك البنية الثقافية للشعب الجزائري و محو شخصيته و طمس تاريخه . و لقد كانت الخطط الإجرائية قد تجسدت في قوانين و إجراءات عملية ميدانية ، كانت تسعى في الأساس إلى زعزعة التوازن الاجتماعي و الانسجام الثقافي للشعب الجزائري من خلال التركيز على سياسة الأعراق بالسعي إلى " التفرقة بين العرب و البربر ، و تهيئة الظروف الملائمة

[1] أحمد الخطيب ، **حزب الشعب الجزائري** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 65

لتسريب الدعوة المسيحية و تنصير الجزائريين "[1]. إذن أول ما بدأ به الاحتلال هو تفكيك و تكسير البنية السياسية تدريجيا ثم شرع في تعميم النظام التربوي الفرنسي بمقابل محاربة التعليم التقليدي و ذلك بالتضييق على المدارس الحرة و المساجد و الزوايا ، التي كانت مراكز إشعاع للثقافة العربية الإسلامية بلسانها العربي ، و بالتالي مكوّن رئيس للهوية الثقافية الجزائرية. و في هذه المرحلة بالذات كان مشروع الاستعمار واضحا جليا إذ كان " يقوم على محاربة الإسلام و اللغة العربية و تشويه التاريخ ..... و لهذا كان المسعى الثقافي السياسي لبعض المسؤولين الفرنسيين مثل الأميرال ڤيدون ، يقوم على ترسيخ فكرة أن الفرنسيين و السكان القبائل يجمع بينهم نفس الدم و نفس الأصل الروماني ، و أن منطقة القبائل هي لبنان إفريقيا "[2] . و لقد استمرت هذه المحاولات مع المبشرين لتشكيل نخبة مثقفة مفرنسة من رحم منطقة القبائل مشبعة بالثقافة الفرنسية . و أول ظهور للنزعة البربرية كان ذا طابع ثقافوي فقط ، لتأخذ منعرجا سياسويا فيما بعد ، " فحتى 1945 جنَّدت النزعة البربرية في القبائل بالأساس مؤيديها في وسط المثقفين الفرانكفيليين الذين عملوا على إعادة الاعتبار للماضي البربري ، الموالين لفرنسا ، المتجنسين أو المتنصرين ، و قد كان دفاعهم عن الهوية البربرية يعاني من ضبابية في العلاقة بين البربرية و الفرانكفونية ، بل و حتى الفرنسية ، من بينهم سي سعيد بوليفة صاحب كتاب " جرجرة في التاريخ " 1925 و الذي كانأول ناشر لسي محند وامحند" [3] . و يُعتبر هذا المثقف كما سبق و أن رأينا ، أول مثقف و رائد النهضة الثقافوية البربرية دون منازع ، و ذلك ببحوثه الأكاديمية المختلفة عن التراث و الأدب الأمازيغي و القبائلي بالخصوص ، و تبعه في ذلك العديد فيما بعد ، و كانت دراساتهم تصب في بوتقة الحقل الثقافوي الذي يؤسس للخصوصية البربرية ، دون أن تكون لهم إيديولوجيا واضحة . و لكن بعد سنة 1945 ، و بعد الحرب العالمية الثانية برزت الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية و استقطبت عددا من الشباب المثقف و الطلبة ، الذي هب للانخراط المكثف في صفوف حزب الشعب " إلا أن بعض هؤلاء الشباب كانوا يخفون ايديلوجيا مغايرة لإيديلوجيا و مبادئ الحركة الوطنية في الصميم النوايا المزروعة داخل الحزب تطالب بالبربرية للجزائر مع رفض الانتماء العربي الإسلامي

[1] مبارك الميلي ،" لعبة التفرقة بين العرب و البربر " مجلة الوطن العربي ، العدد 383 ، السنة الثامنة ، 15-21 جوان ، 1984

[2] مبارك الميلي ، مرجع سبق ذكره

[3] *M^ed Harbi, « Nationalisme Algérien et identité Berbère », In **peuples Méditerranéens**, N° 11, Avril-Juin, 1980. P13*

للشعب الجزائري " [1].كان فصيل من هذا التيار متأثرا بالإيديلوجيا الاستعمارية و بالاتجاه الشيوعي ، الذي كان يرى كما سبق و أن ذكرنا ، بأن الأمة الجزائرية لا تزال في طور التكوين . إلا أن هذا التيار قد قوبل بموجة من الإقصاء و التهميش و حتى التصفية الجسدية . و لكن دون أن يكون ذلك موجها ضد فئة عرقية بعينها و الدليل على ذلك أن " خطباء نجم شمال إفريقيا ، حزب الشعب الجزائري أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، كانوا يستعملون القبائلية في خطبهم أو حتى الأغاني و الأناشيد الوطنية التي كانت تثير الحماسة و النشاط داخل اجتماعات المناضلين أو تجمعات الجماهير "[2] ، و هذا ما يمكن تفسيره على أن هذه النزعة البربرية لم تُواجه على أساس أن دعاتها يتكلمون و يتبنون الثقافة البربرية ، و لكن حينما تحولت من مطالبة ثقافية إلى واجهة سياسية بمضمون ثقافي مغاير لمبادئ الحركة الوطنية ، كما حدث مع حزب الشعب الجزائري ، أو عند العلماء الإصلاحيين الذين كانوا يصفون البربرية كاتجاه رجعي بتدعيم امبريالي " [3] . و هذا يعكس لنا شكل الصراع الايديلوجي الذي كان ضامرا و متغلغلا في دواليب الحركة الوطنية قبل التحرير و بعده . و الجدير بالذكر كما رأينا من قبل أن هذا التيار البربري لم يكن على اتجاه واحد ، فكما كان هنالك معتدلون يؤمنون بكل أبعاد الشخصية الجزائرية المنصهرة عبر التاريخ لتكون المثلث الهوياتي(إسلام ، عروبة و بربرية) ، كان هنالك متطرفون لا يؤمنون أو لا يعترفون بوجود شيء اسمه العربية الإسلامية في الجزائر ، من بينهم بسعود محند أعراب مؤسس الأكاديمية البربرية فيفرنسا و هو من ضباط جيش التحرير الوطني . و يمكننا القول أن هذا التشنج في المواقف كان متبادلا بين المتعصبين للتيار العربي الإسلامي و المتعصبين للتيار البربري، ما كان عائقا للوصول إلى توافق حول المسالة الثقافية بين مختلف أطياف الحقل السياسي و استمر هذا التباين حتى بعد استرجاع السيادة الوطنية.

4- الهجرة إلى فرنسا :

" لقد دمَّر الاحتلال الفرنسي كل البُنَى الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري التي ترتكز في الأساس على وحدة القبيلة و العرش و الكونفدرالية و ذلك دون تمييز بين عرب أو قبائل أو شاوية أو مزاب أو توارڤ .و لقد اضطر السكان للتعامل مع المعمرين " الذين يمثلون الآخر " ليكتشفوا نظام إنتاج مغاير تمامًا للنظام المتداول عندهم و المتوارث جيلا بعد جيل . هذا

[1] أحمد بن نعمان ، مرجع سبق ذكره ، ص 108

[2] أحمد بن نعمان ،المرجع نفسه ، ص 125

[3] *M^ed Harbi , OP.CIT , P 14*

الوضع الجديد ساهم بقسط كبير في التقليص من الأهمية الاقتصادية التي كانت تتمتع بها تلك المناطق الجبلية ، أين كانت تتجمع أعداد هائلة من السكان ، ليزداد بذلك تفاقم الأوضاع المعيشية و تدهور اقتصادياتهم ، مما اضطرهم للهجرة لطلب لقمة العيش ، و هذا ما كانت تهدف إليه تماما الاستراتيجية الاستعمارية و ذلك بالمساهمة في إفقار المنطقة باغتصاب أراضيها و دفع سكانها للانسلاخ عن أراضيهم و النزوح نحو السهول الداخلية أو الهجرة إلى ما وراء البحر ، لاستغلال يدها العاملة الخبيرة و المؤهلة في الزراعة و الصناعة و ذلك لمقارعة الحركات الاحتجاجية للعمال الإيطاليين في المصانع و المزارع الفرنسية .

و في هذه الظروف القاهرة و الأوضاع الجديدة ، سيكتشف هذا الجبلي القادم من جرجرة أناسا من مناطق أخرى من الوطن و حتى من الوطن العربي ككل ، لا يتحدثون لغته و لا ينتمون لنفس ثقافته الفرعية ، و إنما تجمعهم نفس المعاناة مع المستعمر الفرنسي ، نفس الميز العنصري ، نفس مصادرة الأراضي ، فيتشكل لديهم جميعا نوع من الوعي الجمعي ضد هذا المستعمر بغض النظر عن منطقة الانتماء أو اللغة الأم التي يتحدث بها هذا أو ذاك ، و ذلك في عملية نفسية و اجتماعية دقيقة ، و هي الاشتراك في الألم و الأمل ، مما سمح بتقوية الروابط بين مختلف فئات الشعب ضد العدو المشترك الواحد تحت مظلة الثقافة العالمة المشتركة بين جميع الجزائريين و هي العربية الإسلامية في مقابل الفرنسية و المسيحية ." و هذا بالرغم من أن الاستراتيجية " في الايديلوجيا العرقية للاستعمار الفرنسي ، تُقدم القبائلي على أنه " المتوحش الجيد " الجدير بالإدماج "[1] في محاولة لترويضه و تمرير مشروعها الاستعماري . و لكن هذه المجموعات المتلاحقة من ساكنة منطقة القبائل إلى ديار المهجر سرعان ما انخرطت في العمل النقابي و النضالي ف" لقد كانت أغلبية الأعضاء المؤسسين لنجم شمال إفريقيا ، الذي تأسس سنة 1926 ، من منطقة القبائل و تخرجوا من المدرسة الفرنسية[2] ، دون أن يكون لديهم أي تمييز عرقي بين مختلف سكان الجزائر. و الدليل على ذلك في نظرنا ، هو رغم كونهم أغلبية في اللجنة المركزية لنجم شمال إفريقيا ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من انتخاب " مصالي الحاج " على رأس هذا التنظيم الفتي رغم أنه عربي من تلمسان ، و هذا ما ينفي في رأينا وجود هذه الحساسية العرقية لدى مثقفي المنطقة آنذاك حيال إخوانهم في الوطن و الناطقين بالعربية " و ذلك ربما يعود إلى أن النفي

[1] *Gilber Meynier et Pierette Meynier ,* ***« l'immigration Algerienne en France , Histoire et actualité »*** *confluences méditerranéennes , N°77, 2011/2*
[2] *Gilber Meynier , IBID*

خارج البلد يعزز بما لا يدع مجالا للشك الانغلاق حول ذات إثنولغوية معينة ، و تعريض الجزائريين دون تمييز بين البربر و العرب لنفس الاستعباد الاقتصادي و نفس المراقبة البوليسية قد عزز لديهم الشعور بالانتماء لثقافة مشتركة . و لقد تمكنت حركة الهجرة من استعارة آليات النضال السياسي و النقابي التي استحدثتها الحداثة الغربية و الفرنسية بالخصوص من انتظام في أحزاب و جمعيات و نقابات و تجمعات . و لكن مع تبلور فكرة الدولة لدى النخب السياسية الوطنية و على رأسهم الأب الروحي " مصالي الحاج " برزت إلى الوجود أولى بوادر الأزمة الهوياتية و خاصة مع المذكرة التي وجهها لمنظمة الأمم المتحدة في سبتمبر 1948 و التي جعل فيها ميلاد الأمة الجزائرية يتزامن مع الفتوحات العربية الإسلامية، ما أشعل في نظرنا فتيل الحرب على هوية الدولة الجزائرية المراد تشييدها بين مختلف فصائل الساحة السياسية الوطنية آنذاك.

5- مرحلة الشحذ الهوياتي :

إن أولى تجليات المساءلة الهوياتية قد ظهرت مع التيار الثقافوي البربري الذي يستوحي مشروعه النهضوي ، و يتزود من مخزون الثقافة الأمازيغية و من التاريخ البربري ، المجهول أو المتجاهل إلى ذلك الحين . و لقد اعتمد هذا التيار على الشحذ الهوياتي الذي يعتبر :" عملية سياسية تقترن بخلق التزامات جديدة و تمثلات جديدة ، و في بعض الأحيان إعادة تفعيل شرعيات أو تمثلات منسية ، و كذا تجميع أو حشد فاعلين أو جماعات على هذا الأساس في إطار حركة اجتماعية لغرض ترقيتها أو استردادها لغايات جماعية ، بالمواجهة المباشرة و العنيفة احتمالا مع السلطة الحاكمة "[1]. و لقد تم التركيز على الماضي البربري و بالخصوص على الفترة التي سبقت دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا ، لتصبح هذه الحقبة مرجعا لتشكيل الإيديلوجيا الثقافوية لهذا التيار في الجزائر ، و التي دعت إلى أنسنة التاريخ و علمنته و تجريده من القدسية ، و هذا ما خلق صراعا مع التوجه العام للحركة الوطنية التي كانت ترى أن الطبيعة الدينية تهيمن على تاريخ الجزائر ، فنلاحظ أن الموقف من الدين هو ما يحددالتمثلات الهوياتية لكل تيار ، و هذا ما توصلنا إليه في مذكرتنا للماستر ، و لقد كان التيار الثقافوي البربري ، و بالرغم من تجانسه الظاهري ، إلا أنه كان يمثل فسيفساء من التوجهات و الرؤى السياسية و الثقافية ، فهناك فصيل منه فرانكوفيلي و آخر وطني ، الأول تشكل مع تخرج أولى دفعات المثقفين المفرنسين من المدرسة الفرنسية مع بدايات

[1] *Bertrand Badie . **le lexique de la sociologie politique** , Paris , PUF , 1973 , P 73.*

عشرينيات القرن الماضي ، أي بعد جيل كامل من ثمار المدرسة الفرنسية و الذي تأثر لحد كبير بالإثنوية الغربية الكولونيالية ، أما الثاني فقد تبلور مع أربعينيات القرن الماضي ، و يضم أعضاء معربين قريبين من التيار الإصلاحي ، و آخرين من نتاج المدرسة الفرنسية ، ما سيكون تربة خصبة لنشوب الصراعات و الاختلافات في الرؤى حول القضايا الرئيسية فيما بعد . و يكون منظومة مليئة بالتناقضات كما سنرى الآن .

6- بعض الوجوه البارزة في التيار الثقافوي البربري :

1-6 العناصر المسيحية :

1- جان الموهوب عمروش :

عاش ممزقابين عشقه الفطري لمنطقة القبائل و حبه العقلي لفرنسا ، وُلد مسيحيا و كان مثقفا من الطراز العالي ، بحكم أن لغته الأم كانت الفرنسية ، و ترعرع في أحضان " الآباء البيض " في بيت الأيتام في منطقة " إغيل علي " بولاية بجاية ، الذين تكفلوا بأمه بعد أن ضاقت بها السُبل ، و كان مقطوعا كلية عن الثقافة العربية الإسلامية بحكم منشئه ، و لكنه بقي مرتبطا بأجداده البربر ، رغم حبه الشديد لفرنسا و في هذا يقول :" أنا أدين لفرنسا بلدي أكثر من الحياة ، الوعي بالحياة و الكشف عما يصنع ثمنها و المجد المتواضع للإنسان ، و لكني أدين أيضا لمنطقة القبائل بدمي و لموروثٍ روحيٍ رائع ، فإذا كانت عقل روحي ، فإن منطقة القبائل هي روح عقلي "[1] .هذا التمزق بين الضفتين جعل منهلايعترف بالحدود بينهما ، ما دفعه للقول :" أنا الجسر أو السفينة التي تضمن التواصل بين عالمين و لكن نمشي عليه و ندوس عليه و ندهكه ، و سأبقى كذلك حتى نهاية النهايات ، فهذا قدري "[2] . و بحكم مكانته الاجتماعية كمثقف فرنسي مسيحي ، كان متاحا له الدفاع عن المهيمن عليهم في وجه المهيمن ، ما دفعه إلى أخذ مسافة من السياسة الكولونيالية شيئا فشيئا ، خاصة بعد أحداث ماي 45 ، ليحاول حتى تبرير انتفاضة الشعب الجزائري و ذلك في قوله :" لقد استنفذ الجزائريون كل الوسائل السلمية و الشرعية للتعبير بالكلام و بالكتابة و بالتجمعات و الاجتماعات العامة عن مطالبهم الأقل تدميرية ، فقد تم تعليق ممارسة

[1] *Tassadit Yacine . « un algérien s'adresse aux français » in l'Histoire de l'Algérie par les textes (1943-1962) , Paris , l'Harmattan , 1994 , P7.*

[2] *Jean Amrouche **« cathalogue de l'exposition de l'eternel Jugurta** »archives de la ville de Marseille , université , 1985 . P23.*

الحقوق الأولية ، و منعت الاجتماعات و حلت الأحزاب السياسية و طورد الزعماء و المناضلون و صودرت الصحف أو علقت أو منعت "[1] . ثم انخرط كلية في الحركة الوطنية و لو متأخرا ، بعد أن ظهر زيف السياسة الكولونيالية ، و أيد جبهة التحرير الوطني و اعترف بجميلها في إحياء ضمير الأمة الجزائرية و في ذلك يقول :" ما يسمى الشرف أن أكون جزائريا ، مثله مثل الشرف أن يكون هناك فرنسي ، إنجليزي ، روسي أو إيطالي، هذا الشعب يعلم أنه مدين لجبهة التحرير الوطني «***FLN*** » "[2] .نلاحظ أنه و بحكم منشئه المسيحي و تعلمه على يد الآباء البيض ، قد تدرج من الهوية الفرنسية إلى البحث عن إحياء البعد الأمازيغي السابق للفتح الإسلامي ، باستحضار رمز " يوغرطة" الخالد ، ثم التنظير لهوية جزائرية دولتية مواطناتية .

2- <u>بلقاسم إباعزيزان المدعو أوغسطين:</u>

اعتنق المسيحية على يد المبشرين و اعتنق معها حب فرنسا ، لينخرط في مناهضة الايديلوجيا العربية الإسلامية ، و ذلك بالسعي إلى تجفيف منابع الإسلام في منطقة القبائل « ***Désislamisation de la Kabylie*** » ، و هو أيضا كسابقه " جان الموهوب عمروش " ، كان ممزقا بين بلدين ، فيقول أن لديه وطنان :" وطن وجداني و هو منطقة القبائل ، و وطن روحي و اختياري و هو فرنسا "[3]. و لقد عاش صراعا وجدانيا بين المجتمع الواقعي و الحقيقي الذي ترعرع فيه و الذي غرس فيه قيمه التقليدية ، و المجتمع المنشود و المتخيل و الذي يحلم به ، و هو المجتمع الفرنسي ، و هذا الذهاب و الإياب بين المجتمعين أحدث له تمزقا وجدانيا ، و لكنه مع ذلك عمل على إلحاق منطقة القبائل بالحضيرة الفرنسية في وجه عمل جمعية العلماء المسلمين آنذاك ، و حاول أن يُطَهّر منطقة القبائل من كل ما هو عربي إسلامي ، و في هذا يقول :" إن الشباب القبائلي يريد الفرنسة ..... لأن القبائلي ليس ساميا و لكنه متوسطي حصره التاريخ في جبال جرجرة ، فحساسيته أقرب للشعوب اللاتينية ، و لأسباب تاريخية و على خلاف العربي ، فالقبائلي لا إله له و لا حضارة

---

[1] *Tassadit yacine . un algerien ... OP.CIT, P24*

[2] *Jean Amrouche, « ce que parler veut dire » le monde , 1er juillet 1959 , cité par Tassadit Yacine IBID .P 105*

[3] *Augustin Ibazizen* ***<u>. le testament d'un berbère , itinéraire spirituel et politique</u>*** *, Paris , ED : Albatros , 1984.P19*

إسلامية له و لا تقديس لمحمد له "[1]. و هنا أيضا نلاحظ مكانة الديانة في رسم التمثلات الهوياتية لدى هذا المناضل الذي لا يرى من مستقبل للثقافة البربرية إلا عبر نافذة الثقافة الفرنسية و هو يذهب بعيدا في تحامله على التوجه العربي الإسلامي حينيقول :" أنا من أصل قبائلي و بهذا و بكوني فاعلا سأقبل بالموت من أجل المزيد من العدالة في موطني الأصلي ، و لكن أبدا من أجل التأسيس لقومية عربية لا تهم عرقي ..... و الكارثة تكمن هنا ، للقبائل الذين يعادون النظام الاستعماري و لكنهم عرضة لتغيير المستعمر فقط "[2]. حتى أنه في آخر المطاف و بعد الاستقلال نجده قد تأسف لانسلاخ منطقة القبائل عن الجسد الأم فرنسا، و في هذا لم يُخْفِ موقفه من ذلك إذ قال :" بالنسبة لي ، لقد تألمت كثيرا لانتزاع وطني الأصغر " القبائل " من وطني بالتبني فرنسا "[3]. **و من هنا نخلص إلى محاولة الشحذ الهوياتي لهذا المناضل من أجل منطقة قبائل لائكية خالية من الإسلام و العربية و هذا ما التقفه و تبناه في خطه السياسي لاحقا التيار الانفصالي " الماك " .**

2-6 العناصر غير المسيحيين :

1- إماش اعمر :

كان مثقفا من الطراز العالي و يُلَقَّب ب" غرامشي القبائل " بحسب المناضل " رشيد علي يحي " ، نظرا لثقافته الواسعة في الفكر اليساري الثوري . انخرط مبكرا في حزب " نجم شمال إفريقيا " ، حيث تدرج في المسؤوليات حتى أصبح ينازع " مصالي الحاج " مكانته المعنوية آنذاك لدى المنخرطين ، و كان يعتز كثيرا بمنطقته و بالمؤسسات الاجتماعية التي أبدعتها منطقة القبائل ، فاستوحى منها رؤيته لصياغة دولة الغد التي ستعطيها هذه المؤسسات التقليدية كالعرش و ثاجماعث ، دفعا قويا نحو الرقي و التقدم ، و في هذا يقول :" إن أول حكومة بالطابع الجمهوري و الديمقراطي ، قد أُسِّسَت في منطقة القبائل ، في حين أنه في فرنسا و غيرها ، كانوا يجهلون هذه المفاهيم "[4]. و في هذا نجده قد تمايز عن غريمه " مصالي الحاج " الذي جعل من البعد العربي الإسلامي مرجعا لفلسفته ، بينما هو عكف على تراثه التقليدي ليستمد منه فلسفته المستقبلية لفكرة " الجزائر الجزائرية " ***« l'Algérie algérienne »*** ، و معاداته الشديدة لفكرة توظيف الدين الإسلامي

---

[1] *Jean Paul Angelli « **l'opinion française et l'Algérie de 1930** » Thèse Paris x , 1972 . P 251*
[2] *Augustin Ibazizen **. le testament d'un berbère , itinéraire spirituel et politique** , OP.CIT.P 163*
[3] *Augustin Ibazizen , IBID .P130.*
[4] *Amar imache **. l'Algérie au carrefour : la marche vers l'inconnu**, Paris, 1938.P 12*

لأغراض سياسوية و انتخابية ، و كذا معاداة فكرة عبادة الشخص مهما كان ، و في هذا يقول مخاطبا رفاقه في المهجر بعد عودته إلى الجزائر:" لقد حذرناكم من عبادة الشخص و من التعصب ، و أنتم تتجهون نحو خطر أكبر ، لقد حذرناكم من الوثنية و نصحناكم أن تروا كل شيء و أن تفهموا كل شيء و أن تراقبوا كل شيء ، و ها أنتم تركعون على ركبكم بنشوة أمام أصنام جديدة .... دعوا هؤلاء المتلاعبين الضوضائيين الذين يُهدونكم أكاذيب مخيبة و عودوا إلى الحقيقة "[1]. إذن بتركيزه على استحضار النظام الاجتماعي التقليدي لمنطقة القبائل بمؤسساته و قوانينه و قيمه ، و ابتعاده عن توظيف الدين ، يكون قد أسس لنهج استقطب فيما بعد العديد من المنخرطين في التيار الوطني البربري ، و منهم على سبيل المثال لا الحصر " الصادق هجرس " الذي كان أمينا عاما لحزب الطليعة الاشتراكية « ***PAGS*** » ، " بلحسين مبروك " و " يحي هنين " الذين كتبوا بِاسْمٍ مُستعار و هو " إيذير الوطني " وثيقة أو كتيب سموها " الجزائر الحرة ستعيش " ، حيث دافعوا فيها لأول مرة عن فكرة " الجزائر الجزائرية " في مقابل " الجزائر العربية " التي أرادها حزب الشعب آنذاك ، و هم بهذا يكونون قد طرحوا المشكلة الثقافية في معترك النقاش السياسي لأول مرة ، و منه سؤال الهوية الجماعية ، و ينتفضون على العمى الثقافي الذي أصاب النخب السياسية و الثقافية و في هذا يقول " محند أويذير آيت عمران ":" عوضا أن يعلنوا عن شرعانيتنا الكاملة و الشاملة التي أثرتها الثقافة العربية الإسلامية ، التي نعتز بها ، فإنهم حجبوا كلية أصولنا الأمازيغية "[2] . **و هذا ما دفعه لكتابة نشيده الوطني باللغة القبائلية بعنوان " أكر آميس أومازيغ " بمعنى " قم أو انهض يا ابن الأمازيغي " ، و ذلك في محاولة لاستنهاض الوعي الجمعي باستحضار الذاكرة التاريخية الجمعية للقبائل . و هذا ما دفع بهم لتكثيف النشاط السياسي داخل الحزب الذي يعتبر محل السلطة الفعلية و الرمزية ، و يطورون خطابا معاديا للاتجاه العروبي و خاصة بعد بعث مذكرة للأمم المتحدة نهاية 1948 و ذلك** بعد أن تَمَّ في سنة **1947** بالقاهرة إنشاء " لجنة تحرير المغرب العربي " من طرف عبد الكريم الخطابي "، **و التي ترى أن الأمة الجزائرية عربية مسلمة توجد منذ القرن السابع للميلاد ، و هذا ما أثار امتعاض الشباب القبائلي ليطرحوا قضية تسييس الثقافة و علمنة التاريخ و تخليصه من المقدس ، و نظّروا لرؤية لائكية و عصرية للأمة التي تستوحي أفكارها من فلسفة الأنوار التي درسوها في**

[1] *Omar carlier. **Le cri du révolté : un itinéraire militant**. Alger, SNED, 1986, P 37*
[2] *Mohand Idir Ait Amrane. **La langue berbère moderne** (brochure) . P6*

المدارس الفرنسية و في هذا يقولون :" إن الأمة مجموعة أفراد تشكلت بالأحداث التاريخية ... لا تفترض لا مجموعة عرقية و لا دينية و لا لغوية "[1] . و منه وضعوا تصورهم لبناء الأمة الجزائرية وفق المنظور الشيوعي ، بحيث لا ترتكز لا على الدين و لا على العرق و لا على اللغة ، و استدلوا على ذلك بوجود دول تضم عدة إثنيات و أخرى تضم عدة ديانات و أخرى تضم عدة لغات و أخرى تضم كل هذه المكونات في آن واحد ، و هي كلها أمم متقدمة و قوية ، و هم بهذا يرفضون أن تكون هنالك ثوابت لهوية الأمة و يؤمنون بالصياغة الديناميكية للهوية .

إذن يمكن اعتبار المناضل " إماش أعمر" الذي كان المسؤول الثاني لنجم شمال إفريقيا مع مصالي الحاج ، هو الأب الروحي للتيار البربري الوطني ، و ذلك بعد مقولته الشهيرة و التي أكد فيها أن منطقة القبائل قد سبقت الغرب لابتكار النظام الجمهوري الديمقراطي ، و لكن ما يجب أن يُفهم من كلامه هذا و من اعتزازه بالمؤسسات الاجتماعية القبائلية بالخصوص مؤسسة " ثاجماعث " إنما يعود في الأساس إلى السياق الذي قيل فيه ، و هو ذاك السياق الذي كان يعتبر الشعب الجزائري متوحشا و يحمل في جيناته الفوضى و التخلف ليُستثنى من مزايا و محاسن الديمقراطية الفرنسية و في هذا يقول :"كم من رواية قُدمت لنا ، و كم من أعذار وُجدت لتبرير الغزو و تملك بلدنا ..... ليُخفوا عمدا أن أول حكومة جمهورية و ديمقراطية ، قد تأسست في منطقة القبائل في حين أن فرنسا و غيرها يجهلون هذه المفاهيم "[2].إذن بإمكاننا تفسير هذه المقولة بكونها بكل بساطة ، محاولة من " إماش أعمر" إماطة اللثام عن تراث المنطقة الدفين و الاعتزاز به و تذكير العالم الغربي عموما و الفرنسي خصوصا بالعبقرية الوطنية الجزائرية التي لم يتأخر النظام الاستعماري عن محاولة خنقها بالدعاية العرقية التي تنطلق من فكرة المركزية الغربية التي تزدري الأجناس الأخرى .

و لكن رغم نظرته هذه ، إلا أنه لم تكن له أية حساسية عرقية ضد إخوانه في الوطن رغم خلافه المعروف مع زعيم الحركة الوطنية آنذاك " مصالي الحاج " لكونه قد تشبع بالفكر اليساري التقدمي الذي يؤمن بالأممية البروليتارية ، و جدير بالذكر أنه "حتى سنة 1946 كان " إماش أعمر " كباقي القيادات الوطنية ، يُعَرِّف الأمة الجزائرية كأمة عربية "[1].و في

---

[1] *Idir el watani , l'Algérie libre vivra , P 3 (brochure)*

[2] *Yassine Tamlali , **la genèse de la Kabylie aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962**)Ed Barzakh, Alger , 2015 , p 153*

[1] *Yassine Tamlali , OP.CIT , p 154*

تفسيره لفشل سياسة الإدماج الفرنسية يقول :" إن وجود الأمة العربية بمكوناتها المختلفة ظاهريا ، يجمعها رابط قوي و هو الإسلام "[1].

و في هذا يعطي رؤيته للأمة الجزائرية التي يمثل الإسلام فيها الحاضنة الرئيسية و البوتقة التي تنصهر فيها كل الثقافات الفرعية المختلفة و المكونة لفسيفساء الثقافة الجزائرية ، و هو يعي جيدا مكانة الإسلام كبعد أساسي في المخيال السوسيلوجي الشعبي الجزائري ، و لذلك نجده لم يتأخر عن التذكير بأمجاد الإسلام القديمة بهدف تعبئة الجماهير آنذاك ضد الاحتلال ، و أن هذا الإسلام يمثل دائما الرابط القوي الذي تُحاول فرنسا دائما قطعه كلية أو على الأقل إضعافه .و في هذا السياق يقول :" إن أعداء ديننا و جنسنا ، برؤيتهم الإسلام ينهض من جديد بعد قرن من الاحتضار ، اعتقدوا أنه من واجبهم أن يوجهوا له الضربة الأخيرة ، الضربة الأكثر ضراوة و التي ستصيبه في روحه "[2]، و هذا على النقيض من الصورة التي يروجها النشطاء البربريون المعاصرون عنه ، في محاولة لتزييف التاريخ و تشويهه و بناء رأي عام مخدوع. و الجدير بالذكر أيضا أنه " كان الصراع بين إماش اعمر و مصالي الحاج ، و لكن كلاهما كان يُوَقِّر زعيم التيار العروبي الاسلامي "شكيب أرسلان" ، و يتفقان في الأصل على الانتماء العربي للجزائر و على الرابطة القوية التي يمثلها الإسلام "[3] ، كما يجب التمييز بين دعاة البربرية المناضلين الدوغمائيين الذين كانوا قلة قليلة ، و بين البربرو – وطنيين الذين كانوا يأخذون في حسبانهم البربرية دون أن يعزلوا البعد العربي و الإسلامي كمكونين رئيسيين للجزائرية " ***Algerianité*** "، بينما تبنى التيار البربري الدوغمائي خطابات تتغنى بالثقافة البربرية ككينونة عبرت القرون و حافظت على أصالتها دون أن تتعرض للتشويه أو التشويش .

2- حنفي لحمق المدعو "حسناي" لحمق :

كان معاديا للإسلام ، إذ كان يعتبره عائقا لعملية الإدماج ، و كان يعتقد أن البعد العربي الإسلامي يناقض قوام شخصيته ، و كان " يحس أنه أقرب إلى القديس " أوغسطين " منه

[1] *Amar Imache ,« la France devant l'Algérie », in Omar carlier P127, persée.fr*
[2] *Amar Imache ,« la croix contre le croisson », in Omar carlier P72, persée.fr*
[3] *Yassine Tamlali , **la genèse de la Kabylie aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962)** , Editions Barzakh, Alger , 2015 , p21*

إلى " سيدي عقبة " و تَحَسَّر لكون الإسلام قد فُرِض على بلاده "[1]. **و لقد أظهر تحاملا كبيرا على كل ما هو عربي إسلامي إذ يقول أن :" أبشع نتيجة للغزو العربي هو إدخال عامل الموت في بلاد البربر و هو الإسلام ... و باعتماد الإسلام فإن جماهيرا جاهلة ستؤول لا محالة إلى الزوال "**[2]. **و هو موقف تراكمي قد بناه نتيجة لما تلقاه من تعليم لدى الآباء البيض و في المدرسة الفرنسية ، التي تحمل حقدا دفينا للديانة الإسلامية ، و هذه هي الصورة النمطية التي حاولوا غرسها في أذهان أطفال القبائل ، و ذلك بالتركيز على اختلاف عرقهم عن العرق العربي ، و أن ديانتهم ليست الإسلام ، و أن شمال إفريقيا أقرب لأوروبا منه إلى المشرق العربي ، و في هذا يقول صراحة :" بلادالبربر ليت المشرق ، هي بضعة من أوربا ، و في كل الأحوال هي أوروبية أكثر من بعض بلدان أوروبا الشرقية كروسيا مثلا "**[3] . **و كان من دعاة الإدماج الكلي في الجسد الفرنسي و من المتحمسين للائكية العنيفة ، و منه نستشف أن العامل الديني عنده يلعب دورا بارزا في صياغة تمثلاته الهوياتية القبائلية ، وفقا للمركزية الثقافية الفرنسية التي ترى أن العرق القبائلي أسمى من العرق العربي ، و أن الديانة الإسلامية شَرٌّ لا بد من إبادته من المشهد الاجتماعي و الثقافي الجزائري .**

3- **رابح زناتي**:

مارس مهنة التدريس ، و كان من دعاة الإدماج الكلي للجزائر في الجسد الفرنسي ، و لم يكن يرى من مستقبل للجزائر خارج إطار الجسد الفرنسي .ف :" الواجب الحقيقي لكل فرنسي جدير بهذا الإسم ، أن يُحَضِّر للوفاق و التعاون الذين بدونهما لن تعيش الجزائر "[4] . **إذن في نظره ، و لكي تربح الجزائر تحدي العصرنة و الحداثة فعليها أن تذوب في الحضارة الفرنسية ، و لقد ناضل من أجل فرنسة الجزائر في إطار مبادئ اللائكية و كان مناهضا لمشروع جمعية العلماء المسلمين آنذاك ، نظرا لتصادم مشروعيهما في المنطقة ، إذ تحامل عليها كثيرا لكونها تقف عثرة في وجه التقدم و الرقي ، كما اتهمها أنها :" تلغي مشروع التحاق الأهالي الجزائريين بالعصرنة ...و ذلك بمحاولة إعادتهم إلى أربع عشرة قرنا إلى الوراء "**[1]، **و منه نستشف عداءه أيضا للديانة الإسلامية و للبعد العربي ككل ،**

---

[1] *Hesney Lehmek**. Lettres algériennes** , Paris , ED : Jouveet CIE , 1931 . P 73*
[2] *Hesney Lehmek**. Lettres algériennes** , OP.CIT .P 48*
[3] *Hesney Lehmek**. Lettres algériennes ,** IBID . P 48*
[4] *Rabah znati**. Le problème algérien vu par un indigène** , Paris , 1938 , P 58*
[1] *Rabah znati**. Le problème algérien vu par un indigène** , OP.CIT , P 58*

و ظهر ذلك جليا في ردة فعله على النهج الذي انتهجته جمعية العلماء المسلمين و التي كانت تؤمن أن الجزائر أمة عربية مسلمة ، بينما هو كان يرى أنه لا أمة في الجزائر سوى الأمة البربرية ، و هذا ما يفسر هذا الصراع الايديلوجي حول المسألة الهوياتية للأمة الجزائرية بين النخب المفرنسة و تلك المعربة ، تلك المفرنسة التي تغلغلت في النظام الكولونيالي ، و المعربة التي وجدت نفسها مهمشة ، و قد ظهر جليا توجهه الايديلوجي في سعيه لمنع تطبيق القانون الإسلامي و معاداته للرمزيةالتي يتمتع بها المرابطون في منطقة القبائل ، و كان يراهم رأس كل شر ، و هذا ما يطرح الصراع الايديلوجي ، ديني/لائكي و أن المرابطين هم من احتكروا تمثيل المنطقة ، بينما ساكنة المنطقة بعيدون كل البعد عما يطالب به هؤلاء ..

4- <u>سي عمر بن سعيد بوليفة :</u>

يُعتبر الأب الروحيللتيار الثقافوي البربري دون منازع ، و لقد اهتم في دراساته بالتراث القبائلي و البربري الشفهي ، و ساهم بقسط كبير في استفاقة الوعي بالذات البربرية ، و لقد ساهم في إماطة اللثام عن تاريخ البربر و إعادة بعث الثقة و الاعتزاز بالانتماء لتاريخهم إذ يقول :" عندما كان الجنس البربري في أَوَجِّه ، فقد رأينا نساءًا ملكات و أميرات أو ثريات ، يأتين في الصفوف الأمامية و يلعبن الأدوار الرئيسية في إدارة الممالك ، و في الحروب التي تخوضها هذه الممالك ضد أعدائها "[1] . **و هو بهذا حاول أن يدافع من وضعه كمُهَيْمَن عليه ، على ثقافته و أصوله ليجعل من ذلك خزانا يتزود منه لبناء ذات جديدة تُقَوِّض أُسُس الهيمنة الثقافية المفروضة عليهم . و لكنه مع هذا كان يدعو إلى الادماج الكلي في الجسد الفرنسي لأن ذلك هو السبيل الوحيد للتقدم و الرقي و في هذا يقول :" إن البربري المُدَعَّم و المُوجَّه من طرفها (فرنسا) وفقا للروح التقليدية لعرقه ، بإمكانه أن يحمل عاليا و بعيدا راية التقدم و الحضارة و هذا لِشرفِ فرنسا "[2]. و لكنه لم يُخْفِ امتعاضه من كون انعدام ذلك الشعور بالأنا الجماعية للقبائل بسبب الغيرة و الحسد و النزاع بين مختلف القبائل مما منع من تشكيل وحدة قبائلية تضم كافة القبائل في مضلتها ، و لقد ضرب مثلا عن تنازع مملكة " كوكو " و " قلعة آث عباس " ليسمح ذلك بدخول الأتراك فيقول :" في بلاد القبائل ، أ ليس الاختلاف و التنازع بين " كوكو " و " القلعة " هو من صنع قوة " بربروس " و سمح لحفنة من الإسبان الذي رسوا في بجاية**

[1] *Si amar Boulifa. **<u>Receuil de poesies Kabyles</u>** , Awal, Paris , 1990, P 53*
[2] *Si amar Boulifa **<u>. le djurdjura à travers l'Histoire</u>** , Alger , Jourdan , 1925 , P 376*

بالبقاء فيها لأكثر من نصف قرن "[1]. و منه دعا إلى الاندماج في الحضارة الفرنسية للقضاء على هذه النزاعات البالية ، و كذا السعي للمصالحة الفرنسية القبائلية و ذلك بمحاولة تجاوز أحداث 1871 و في هذا يبرر لمسعاه هذا بالتضحيات التي قدمها القبائل في حرب 1914-1918 حيث يقول :" إن قبائل 1914-1918 قد صَحَّحُوابشرف خطأهم في 1871 "[2]. و من هنا سنلاحظ رؤيته في تصوره للهوية البربرية التي لا تخرج عن الإطار الفرنسي و يملؤها التناقض ، فهو من جهة يمقت الخلافات و النزاعات البالية للقبائل ، و من جهة أخرى يطمح إلى إدماج المنطقة في الجسد الفرنسي ، ما يدل على وجود صراع وجداني ثقافي في رؤيته للهوية البربرية بين الأصالة و الحداثة و بين النخبوية و الشعبوية . و يمكن أيضا إدراج كلا من " مولود فرعون " و " مولود معمري " و لكن في التيار الوطني الذي حاول أن يثبت للفرنسيين و بلغتهم ، أن الجزائر ليست فرنسا ، و عكفوا على إيصال صورة المجتمع القروي القبائلي الأصيل إلى القارئ الفرنسي ، كما حاولوا تصوير المعاش اليومي للقبائل بِحُلْوِهِ و مُرِّهِ و إبداعاته و انكساراته ، ليُبيّنوا للعالم أجمع و بلسان المُستَعمِر أن هذا الشعب متميز عن الشعب الفرنسي ، له عاداته و تقاليده و أعرافه و ثقافته و لغته و أدبه و فنونه و قوانينه ... و هم بذلك يحاولون صَدَّ حملة المسخ الهوياتي التي سُلِّطت على الجماهير المقهورة ، رغم أنهم انتقدوا بعض الأوضاع المختلة في المجتمع القبائلي ، كالعقلية الأبوية و الفكر الذكوري الذي يقهر المرأة و الذي يعتبر :" عالم الرجال و عالم النساء مختلفان كالشمس و القمر "[3]. **رغم تعرض كتاباته للنقد من طرف فاعلي التيار الوطني ، خاصة كتاب " الهضبة المنسية " فنجد مثلا " مصطفى لشرف " يقول :" هناك في هذا الكتاب دعوة للجهوية ، لحب وطن صغير و بطريقة عنيفة و غير عادلة و التي عُزلت بها منطقة عن باقي الوطن "[4].**

3-6النخبة المعربة :

لقد ألف أحمد توفيق المدني سنة 1931 كتابه القيم " كتاب الجزائر " و ألف مبارك بن محمد الميلي كتابه الموسوعي " تاريخ الجزائر القديم و الحديث" ليميطوا اللثام بذلك عن جزء كبير من تاريخ الجزائر ما قبل الإسلامي لشرائح عريضة من المثقفين العرب . و هذا ما

---

[1] *Si amar Boulifa* ***. le djurdjura à travers l'Histoire****, OP.CIT, P 353*
[2] *Si amar Boulifa . IBID , P378*
[3] *Mouloud Mammeri.* ***La colline oubliée*** *, Paris , 1952 , P24*
[4] *Mustapha lacheraf . « la colline oubliée ou les consciences anachroniques », jeune musulman, fev 1953, N°13/ www.algerie ancienne .dz*

ينفي بوضوح فكرة أن النخبة المثقفة القبائلية كانت مُفَرنسة بأكملها ، فلقد قدمت المنطقة جيوشا من المثقفين بالعربية منهم على سبيل المثال لا الحصر: فضيل الورتلاني ، سعيد صالحي ، أرزقي شرفاوي ، سعيد أو يجار ، ربيع بوشامة إلخ و الذين طوروا خطابا مضادا تماما لخطاب النخبة المفرنسة و في هذا تقول « ***Yidir Plantade*** »: " لقد طوروا خطابا (يقصد المثقفين المعربين) باتجاه النخب العربية الإسلامية ، مبني على المعارضة الكاملة للخطاب الذي تبناه القبائل المفرنسون و الموجه للنخب الفرنسية ، هذه المقاربة تلح على تحمس القبائل لدينهم الإسلامي و تدعو لإفشال ما يعتبرونه مؤامرة فرنسية لتنصير منطقة القبائل أو دفعها للكفر "[1].و هذا ما جعل من نضال التيار الإصلاحي من أجل التعليم الحر للغة العربية بصورة متشددة ، رغم أنهم لم يكونوا أبدا يقصدون تعريب أو عوربة المناطق الناطقة بالأمازيغية بكل مكوناتها ، نظرا لكون اللغة العربية بالنسبة لهذا التيار يمثل لغة الثقافة المشتركة لكل الجزائريين غير الأوروبيين بغض النظر عن لغاتهم الأم ، و إنما لقناعتهم الراسخة بأن الهزيمة الثقافية أخطر من الهزيمة العسكرية ، و لكن دون أن يمنع ذلك من ظهور نوع من الغلو في تقديس اللغة و الثقافة العربية و ازدراء اللغات الشعبية و الثقافات المحلية ، و هذا " الموقف السلبي لجمعية العلماء حيال اللغات الشعبية لا ينم عن قناعات عنصرية بأكثر ما ينم عن انتماء أغلبهم للطبقات الحضرية و الريفية الراقية ، هذه الأصول الاجتماعية تجعلهم يميلون لكره الطبقات الخطرة "[2].و في هذا نتحسس هذا الاستعلاء « ***Hégémonie*** » لدى مثقفي جمعية العلماء المسلمين إزاء الثقافات الشعبية الشفهية و التي لا ترقى في نظرهم إلى مصاف الثقافات العالمة.

إذن هذه النخب المعربة كانت ثمرة جهود التيار الإصلاحي الباديسي ، و الذي انتهج سبيل المقاومة الثقافية للاستلاب الاستعماري ، و ذلك بمحاولة نشر التعليم في قرى و مداشر البلاد ، و كانت منطقة القبائل من بين هذه المناطق التي حظيت بهذا التعليم. و هم يدافعون عن رؤية مغايرة تماما للهوية البربرية ، و هم و برغم اعترافهم بالماضي الأمازيغي للجزائر ، إي أنهم ينادون بعروبة البربر ، و انتماء القبائل للدائرة العربية الإسلامية فهذا " بعزيز بن عمر " و المدعو " الفتى الزواوي " يقول :" إن العروبة كلمة تنبض بها قلوب الملايين

[1] - *Yidi plantade , « laïcité et athéisme en Kabylie, mythes et ambigüités », la revue Meria, **journal des études des relations internationales au moyen orient** ,vol2, N°1, janvier 2007 , p 81*

[2] - *Mohamed Harbi, **1954 la guerre commence en Algérie**, op.cit, p119*

التي تتحدث لغة الضاد ، و اليوم كالبارحة تحس بدم العروبة يجري في عروقها "[1] ، **و هو على نقيض المثقفين المفرنسين ، أبدى وَلَعَه بالثقافة العربية الإسلامية لحد الاستلاب الهوياتي و نكران الذات و إلحاقها بالأصول العربية ، و جعل الإسلام البوتقة التي تنصهر فيها الإثنيات و العرقيات ، بمعنى جعل التمثلات الهوياتية يحددها الدين الإسلامي بثقافته و لغته العربية ، و هذا رغم محاولاته القليلة للتغني بمنطقة القبائل ، رغم أنه كان يكتب باسم مستعار و هو " الفتى الزواوي " إلا أنه نحى منحى مغايرا تماما للرؤية الفراكفونية لأقرانه من المنطقة ، و هذا ما يوضح جليا الصراع الإيديلوجي للشحذ الهوياتي ،و الذي تمثل فيه لغة التعليم رأس الحربة في تحديد هذا الاتجاه أو ذاك ، كما يمكن ذكر العلامة " الفضيل الورتلاني " الذي لا يختلف كثيرا عن سابقه ، و الذين كلهم يمثلون انعكاسا للرؤية التربوية التوعوية التي حددتها جمعية العلماء المسلمين في مشروعها الثقافي ، و هذا ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك مدى تأثير لغة التعليم و المدرسة في تحديد التمثلات الهوياتية لدى المتلقي أو المتعلم** . و يمكننا ذكر مثقفين آخرين ك" أبي يعلى الزواوي " " عبد الرحمان شيبان " " مولود قاسم نايت بلقاسم " و المعاصرين منهم كالدكتور " أحمد بن نعمان " و الأستاذ الدكتور " صالح بلعيد " الذي يترأس حاليا المجلس الأعلى للغة العربية ، و هذا له دلالته الكبرى .

7- <u>الأزمة البربرية 1949 :</u>

لقد رأينا فيما سبق ، أن النخب القبائلية قد أسست لإثنوية (قومية) قبائلية« ***ethnicité Kabyle***» ، أما على الصعيد الثقافي فقد نادوا و على العكس مما كنا نعتقد ، بتوسيع مجال استعمال اللغة العربية الفصحى ، إلى جانب تطوير اللغات و الثقافات الشعبية وفاءا للمنظور الشيوعي للثقافة و الذي يهتم بالطبقات الشعبية و لغاتها و ثقافاتها كنوع من الانتصار للطبقات المحرومة ضد نظرة الطبقة الحاكمة التي تفرض ثقافتها الرسمية و لغتها و منظومتها القيمية التي ليست بالضرورة مطابقة للواقع الاجتماعي الشعبي. و لقد كانوا ضد فكرة ثبات الهوية الثقافية للأمة الجزائرية التي كانت في طور التشكل في نظرهم و بالتالي فهم يؤمنون بديناميتها و حركيتها ، و أنه لا توجد هوية ناجزة و جاهزة ، و إنما الهوية في تحرك مستمر و في تغير مستمر ، تَنْمَحي منها ملامح و تُضَاف إليها

[1] جريدة الشهاب ، ماي 1936، ص 54 من موقع جمعية العلماء المسلمين

أخرى ، و بالتالي هي بناء لا ينتهي أبدا ، فكل جيل سَيَضَع بَصْمَته و لَبِنَتَه في هذا البناء دون أن يؤثر على الصورة الكلية لهذا الهيكل ككل .

و لكن في وجه هذه الإثنوية الجديدة و تسييس الثقافة من قِبَل هذه النخب القبائلية ، نجد أنه قد أُغلقت كل أبواب الحوار مع هياكل الحزب آنذاك ، مما منع أي طرح موضوعي للمسائل الثقافية و اللغوية و علاقتها بالسياسي ، هذا ما أدى إلى الاحتقان الشديد و التطرف في المواقف و الإقصاء المتبادل إلى حد التصفيات الجسدية ، ما أدى إلى ظهور ما سمي بالأزمة البربرية . هذه الأزمة التي تترجم عجز النخب السياسية آنذاك بكل أطيافها ، على مطارحة تصور واضح و موضوعي لجملة من المفاهيم التي استحدثت في الحقل الاجتماعي و الثقافي و السياسي على غرار مفهوم : الأمة ، الدولة ، المواطنة و الهوية بشكل أدق ، و هذا ما يدل على غياب ثقافة سياسية ناضجة لدى معظمهم ، و في هذا يشير المؤرخ و المجاهد " محمد حربي " إلى أن :" ما تكشف عنه الأزمة البربرية ، هو الصعوبة التي واجهها التيار الوطني الجزائري للتأسيس سويا و توضيح التمفصلات القائمة بين مفهوم الأمة و المواطنة ، فحقيقة أن المنطق الموضوعي الذي سيفرض على المناضلين القبائليين سيكون منطق الاثنوية ، و بدون علمهم ، سيتم وصمهم بالجهوية من طرف خصومهم في حركة انتصار الحريات ما يدل على سيادة الفكر الطائفي في الحقل السياسي "[1] .و تجدر بنا الإشارة ، أنه ابتداءًا من سنة 1948 ، أخذ الشحذ السياسي لصالح الهوية البربرية في التزايد ، و لقد كان المهجر تربة خصبة لانتشار هذا التوجه ، و ذلك نظرا لتواجد أعداد كبيرة من القبائل في فرنسا مُؤَطَّرِين في الحركة الوطنية ، و لقد ركزوا على استقطاب أكبر عدد منهم في العاصمة باريس حيث :" أن هذا التيار ممثل بقوة في الضاحية الباريسية و في كل المناطق التي يتواجد فيها المهاجرون المنحدرون من منطقة لاربعا ناث يراثن و عين الحمام " [2] .في صيف 1949 تَمَّ نشر بيان " الجزائر الحرة ستعيش " ***l'Algérie libre vivra*** و في هذه الأوساط حاول الطالب محند سيد على يحي المدعو رشيد الاستثمار لنشر أفكاره حول " الجزائر الجزائرية " و مناهضة و مقارعة مشروع الجزائر " العربية الإسلامية " الذي في نظره يتم اجتراره من طرف الجميع ، حتى وصل بهم الأمر إلى رفض مساعدة فلسطين ، ما أثار سخط قيادات الحزب ضد فدرالية فرنسا آنذاك ، و اتهام النشطاء

[1] *Mohamed Harbi **« l'Algérie et son destin . croyants ou citoyens** ». Alger : Medias associés , 1994.P 81.*

[2] *Mohamed Harbi **. le FLN : mirage et réalité** . 2eme ED. Alger: ENA/NAQD, 1993 , P 64 .*

البربريين بالوقوع لعبة في يد الاستعمار ، لتبدأ التصفيات في المهجر و في أرض الوطن ، و يتم الوشاية بأهم العناصر ك" عمر ولد حمودة ، السعيد أوبوزار و عمر أوصديق و عمر بوداود " . ثم تم تأجيل الفصل في هذه القضية للتفرغ لتفجير ثورة التحرير ، دون البت النهائي في الموضوع و عوض معالجة المسألة الهوياتية نجد أن النخب الوطنية آنذاك قد عمدت إلى المسكنات لإيقاف الألم و لم تداوي المرض، و لقد كان كريم بلقاسم من بين المعادين لهذا التيار البربري .

8- المسألة البربرية بعد الاستقلال :

إن الناظر بتمعُّنٍ في الصيرورة التاريخية للمجتمع الجزائري ، سيتفطَّن إلى أن المسألة البربرية في جزائر ما بعد الاستقلال ، لا يمكن اختزالها في أحداث ما اصطُلِح على تسميته " الربيع الأمازيغي " في العشرين من أفريل سنة 1980 بمدينة تيزي وزو ، و إنما تمتد جذورها لفترة الحركة الوطنية ، إذ كانت كردة فعل لتبلور مفهوم الدولة لدى النخب الوطنية و ما يستدعيه ذلك من تصور هوية معينة لهذه الدولة المراد تشييدها ، فكانت النزعة البربرية كردة فعل رافضة للتوجه العربي الإسلامي للحركة الوطنية آنذاك ، و لكن تم احتواء هذا الصراع للتفرغ لمواجهة الاستعمار ، و هذا ما ذهب إليه معظم الملاحظين ، و لكن في تقديرنا فإن السبب في انحسار تلك الحركة يعود في الأساس إلى طابعها النخبوي ، و ثانيا إلى كون المشروع الذي طرحوه لا يَمُتُّ بصلة للواقع السوسيو ثقافي لمنطقة القبائل ، و بالتالي فهو مشروع يحمل في طياته بذور فنائه ، و نظرا لأن منطقة القبائل كانت من أكثر المناطق الجزائرية استبسالا في محاربة الاستعمار الفرنسي. و لقد طفت على السطح مباشرة بعد الاستقلال بصفة ضمنية مع أول أزمة مؤسساتية مع " جبهة القوى الاشتراكية " حيث " تحولت إلى انشقاق مسلح بقيادة " آيت أحمد " ، و التي استمرت من سبتمبر 1963 إلى جوان 1965 ، خاصة في منطقة القبائل . هذه الحلقة تظل غامضة من حيث علاقتها بالفكرة البربرية ....فعلى مستوى الحركة الشعبية فهي أكيد قد لعبت الخصوصية البربرية دورا محددا للانفجار المبدئي ...و بالتالي يمكن اعتبار الأزمة البربرية لسنة 1963 على الأقل و لو جزئيا " محاولة بربرية " غير معلنة و خجولة "[1]. و إذا كانت هذه الحركة العسكرية و التي

[1] *S.Chaker , **« l'émergence du fait Berbère en Algérie »,** In AAN, 1980, ed CNRS , Paris , P482*

لم تُفصح عن مطالبها الثقافية قد تم إجهاضها ، إلا أنها استمرت في التبلور و النمو لتأخذ أبعادا أخرى ، في شكل أبعاد ثقافوية بالخصوص مع إنشاء جمعية " الأكاديمية البربرية " في باريس سنة **1967**مع الضابط السابق في جيش التحرير الوطني " بسعود محند أعراپ" ، و هذا ما يُكَرِّس تسييس الثقافة في الحقل الاجتماعي الجزائري . إذ كانت المسألة الثقافية حصان طروادة بين المعسكرين المتنازعين : العربي الإسلامي /البربري . حيث كان التيار العربي الإسلامي يناضل لنصرة توجهه بما تمليه " الماكيافيلية الدولتية " التي تبحث عن التأحيد في كل شيء و ترى في المسألة البربرية تهديدا للوحدة ، بينما كان التيار البربري يرى أن البربرية صاحبة حق و آن الأوان أن يتصالح الشعب الجزائري مع ذاته و شخصيته. و مع التجاذبات السياسيوية آنذاك تم إلغاء " كرسي البربرية الذي كان الباحث " مولود معمري " مسؤولا عنه ، لتغادر مسألة الهوية الثقافية مقاعد الجامعة ليحتضنها الشارع ، فتصبح اللغة في قلب الصراع بين السلطة و الشارع البربري الذي فرض استعمال القبائلية و الفرنسية للتخاطب في الأماكن العمومية و الرسمية كالمقاهي و الفنادق و المطاعم ، و بعض الإدارات المحلية على غرار المجلس الشعبي البلدي و المجلس الشعبي الولائي . و في هذه الأثناء أيضا تم توظيف الرياضة كوسيلة من وسائل المطالبة الثقافية ، إذ تحول نادي " الشباب الرياضي القبائلي " « ***JSK*** » إلى وسيلة لاستقطاب الجماهير القبائلية الغاضبة للتعبير عن رفضها لسياسة السلطة الحاكمة و امتعاضها منها و ذلك باغتنام فرص احتلال مدرجات الملاعب كفضاء عام تنتزعه من سلطة الدولة لاتخاذها منابر تنوب عن قنوات الحوار الرسمية المسدودة بسبب غياب الحريات الفردية و الجماعية ، و استُغلت هذه الحشود للشحذ الهوياتي الجماعي و التأسيس لضمير جمعي قبائلي و شخصية قبائلية متميزة ،" ففي ماي 1977 ، و في ملعب الجزائر ، تعلو الهتافات بالمطالب الثقافية البربرية أمام مرأى و مسمع المسؤولين الرسميين و الرئيس هواري بومدين ، لتصبح بعد ذلك مُعلَنةً و تَطْبع كل سخط أو احتجاج ضد القبضة الحديدية التي خنقت المجتمع "[1] . **كما تزامن هذا مع ميلاد حركة فنية في الثانويات و الجامعات ، من خلال المسرح الملتزم و الأغنية العصرية الملتزمة التي ساهمت بقسط كبير فيعملية " إيقاظ الوعي الهوياتي " لشباب المنطقة و ذلك بتبني طبوع غنائية عصرية غربية مغايرة تماما للموسيقى الجزائرية فسطع نجم مجموعة من الفرق الغنائية التي كانت تسمى " مجاهدي الأغنية**

[1] *M^ed Harbi , OP.CIT , P 15*

المطالباتية « ***les maquisards de la chanson contestataire*** » نذكر منها : " **فرقة إمازيغن إيمولا ، إيذفلاون ، إيغوذار ، إيناصلييان** ، يوغرثن ، إيسولاس إلخ " و الذين كانوا يؤدون أغاني تحمل كلمات نضالية بالأساس، تستجيب لخطاب سياسي مرسوم ، تجعل المستمع لها يُسافر عبر التاريخ ليتزود منه و يبني أفكارا جديدة ، تفتح له آفاقا جديدة و تنير له طريق الحرية و المعرفة . كل هذا الزخم النضالي و التراكم أدى إلى انفجار أحداث " الربيع البربري " أفريل 1980 بمدينة " تيزي وزو" و التي جاءت لتُكَرِّس أدلجة المسألة الثقافية في الجزائر و هيمنة السياسي على الثقافي . و من خلال هذه الأحداث و تعامل السلطة معها ، تتجلى المفارقة بين الواقع و السياسة فيما يخص المسألة الثقافية . فقضية الهوية الوطنية لم تُطرح بتاتا على طاولة النقاش الرسمي ، ليؤدي ذلك إلى ظهورها بشكل حركة ثقافية تحمل اسم " الحركة الثقافية البربرية "« MCB» و التي عقدت لقاءها الأول في منطقة " إعكوران " بولاية " تيزي وزو" ، لتخرج بتوصياتها و التي ركزت فيها على ضرورة الاهتمام بالثقافات الشعبية و باللغات الشعبية الجزائرية منها الأمازيغية و العربية الدارجة بالإضافة إلى العربية الفصحى و اللغات الأجنبية في نظرة أقرب ما تكون إلى وثيقة " الجزائر الحرة ستعيش " . ثم تلاها قمع المظاهرات في بجاية 1981 ، ثم تأسيس " الرابطة الوطنية للدفاع عن حقوق الإنسان " بقيادة علي يحي عبد النور لتُطرح القضية البربرية من منظور حقوق الإنسان ، و مع الانفتاح السياسي الذي شهدته الجزائر مع أحداث أكتوبر 1988 ، ظهرت أحزاب سياسية متجذرة في منطقة القبائل تبنت طرح مسألة الهوية البربرية في برامجها الانتخابية دون غيرها من الأحزاب الوطنية الأخرى ، مما عمَّق من الهوة بين الرؤى و المذاهب السياسية حول هذه القضية لنشهد اندثار **" الحركة الثقافية البربرية "** الذي يعود في مفهومنا ، إلى طغيان السياسي على الثقافي ، و في الموسم الدراسي 94-95 قاطع التلاميذ مقاعد الدراسة لتُفرج السلطة عن قرار إدراج اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية . و تستمر الحركة المطالباتية مع موسم كل ربيع ، لتنفجر الأحداث الدامية في ربيع 2001 في منطقة القبائل و الذي سُمِّي " الربيع الأسود " و التي تمخض عنها ميلاد " حركة لعروش " و التي تحولت فيما بعد إلى " حركة المواطنة " التي حاولت أن تستعيد المسألة الثقافية من الحقل السياسي باستحضار البُنى الاجتماعية الرمزية لمنطقة القبائل و محاولة إحيائها في الواقع الاجتماعي ، في مفارقة عجيبة و غريبة تحاول أن تُلبس الأصالة لباس الحداثة و تنقل بنية " العرش " التقليدية من فضاء القرية إلى فضاء المدينة

نظرا لكون المدينة هي الفضاء الذي تتجسد فيه السلطة الفعلية بعكس القرية التي تنعدم فيها تجليات السلطة الرسمية في جدلية شائكة . و مع هذه الأحداث ظهرت إلى الوجود " الحركة من أجل الحكم الذاتي لمنطقة القبائل " ***Mouvement pour l'autonomie de*** » ***la Kabylie M.A.K***« بقيادة المناضل البربري " فرحات مهني " و هي تجسيد لفكرة " الوهم القبائلي " بكل أبعاده و أهدافه ،التي كانت تحالفا بين مناضلين في "الحركة الثقافية البربرية " و " الحركة من أجل منطقة القبائل الحرة " بقيادة عبد السلام عبد النور و فيما يلي سنحاول التعرض لهذه الحركات كل واحدة على حدة.

9- الحركة الثقافية البربرية MCB :

بعد النكسة التي مُنِي بها حزب "جبهة القوى الاشتراكية" في المنطقة من طرف النظام ، انتقلت الحركة البربرية إلى السِرّية مع جمعية " الأكاديمية البربرية" في باريس ، و لكن مع انفجار أحداث الربيع البربري أفريل 1980 ، ظهرت إلى العلن المطالبة الثقافوية باللغة و الثقافة البربرية ، و من خلال ميلاد الحركة الثقافية البربرية التي انبثقت عن ملتقى " إعكوران " أوت 1980، و التي طرحت مسألة الثقافة في الجزائر ، و هي مسألة غاية في التعقيد و المشاكلة لا يمكن طرحها في ملتقى واحد ، و من طرف غير المتخصصين . و لقد حاول المؤتمرون في هذا الملتقى توضيح بعض المفاهيم ، بالخصوص مفهوم " العربي - الإسلامي " إذ يقولون " ليست العروبية« ***arabité*** » كحدث ثقافي بنفس الدرجة مع بربرية« ***berbérité*** » شعبنا هي المقصودة ، و لا البعد الإسلامي للبلاد هو المقصود ، و الذي يبقى الإسمنت الباقي الذي استُدمج إيجابيا من طرف الجماهير ، إذا لم يتم تشويهه بممارسات ظلامية طائفية (كل عبارة غير سنية فهي منبوذة عندنا و حال الإباظيين عندنا هو أحسن مثال) و نحن هنا نتحدث عن الخلط العربي – الإسلامي كبعد ايديلوجي "[1]. و لقد كانت أحداث الربيع البربري بمثابة الأرضية التي بنت عليها هذه الحركة مطالبها الثقافية المتمثلة في" البحث عن الهوية الجزائرية الفعلية و الرغبة في تطوير لغتي الأمة ، الأمازيغية و العربية الجزائرية ، و التعطش للثقافة و الحق في حرية التعبير "[1] ، في محاولة للرد على التساؤلات التي لم تكن لتطرح في تلك الظروف المغلقة سياسيا و محاولة الرد على

[1] *Séminaire de Yakouren du 1er au 31 Aout 1980, Dossier culturel , C/O revue ESPRIT , 19 rue Jacob , paris , p3*

[1] *Séminaire de Yakouren du 1er au 31 Aout 1980 , op.cit , p 4*

الاتهامات التي تكيلها الصحافة بالتشويه والتلفيق و محاولة بعث الحوار حول قضايا اعتُبِرَت لذلك الحين طابوهات لا يمكن نقاشها ديمقراطيا . و لقد ضمَّنت الحركة مشكلة الثقافة في الجزائر في ثلاث محاور رئيسية كما أشرنا إليه من قبل .

1 – مشكلة الهوية الثقافية للشعب الجزائري : تعتبر الحركة أن الرؤية الرسمية لهوية الشعب الجزائري قد أقصت البعد الأمازيغي ، و يعود هذا الإقصاء إلى الحركة الوطنية الجزائرية التي كرَّست سيطرة الايديلوجيا العربية الإسلامية على حساب أي بعد أمازيغي للأمة ، و نفس الشيء تبنته بعد الاستقلال ، فأصبح الخلط بين العروبة كحدث ثقافي جزائري و بين العوربة أو القومية العربية يسيطر على كامل مفاصل الحياة السياسية الوطنية ، حتى غطى على كل تحليل للهوية الجزائرية ، و هذا ما أدى في نظر الحركة إلى عدم الاعتراف بلغات الشعب الجزائري المتمثلة في الأمازيغية بكل لهجاتها و العربية الجزائرية في كل متغيراتها ، و اتهامهما بالعجز عن حمل الثقافة العالمة ، التي تمثلها الثقافة العربية الإسلامية ، و بالتالي عارضت الحركة الفكرة القائلة بأن هناك لغات كبرى و لغات صغرى ، فما يضمن وجود لغة ما ، هو مدى تواجدها في الحقل اللغوي اليومي لشعب ما ، و أي لغة يمكن أن نقول بها أي شيء ، بشرط أن نوفر لها الإمكانات ، و هنا طرحت الحركة قضية الإرادة السياسية في تطوير لغة من اللغات أو اضطهادها . و في هذا الصدد شددت الحركة على ضرورة ضمان التعليم على الأقل في مراحله الأولى باللغة الأم للتلميذ لتجنب الاضطرابات الناجمة عن عدم التأقلم اللغوي لضمان تمدرس منسجم للتلميذ ، و في هذا الإطار أيضا و عن طريق المدرسة دعت الحركة إلى الكف عن تهميش اللغات الشعبية و فلكلرتها « *folklorisation* » ، و كذا تشويه التاريخ وفق الانتماء العربي الإسلامي ، الذي يكشف أن هناك " إرادة حجب رسمي أو تشويه لأي حدث أو شخصية ، قد تعيد للبلد حقيقته التاريخية " [1] ، و محاولة التخلص من عقدة الدولة- الأمة و التخلص من عقدة المستعمَر ، و استثمار التنوع الموجود في المجتمع لصياغة الهوية الثقافية الجزائرية بكل رزانة و موضوعية ، و لقد ركزت الحركة في هذا الملتقى على حقيقة " إقصاء أغلبية الشعب الجزائري من الثقافة و الذي يبقى رهينة نخب تعلمت ثم أتقنت الفرنسية أو العربية الكلاسيكية ، فطالما استمرت هذه الحالة فإن الشعب سيكون الغائب الأكبر أو الضيف للحياة الثقافية الرسمية " [1] .

[1] *Séminaire de Yakouren du 1er au 31 Aout 1980, ibid, p 7*
[1] *ibid*

2 – مشكلة حريات التعبير الثقافية : ترى الحركة أن غياب حرية التعبير الثقافي قد أدى إلى خنق الثقافة الشعبية الجزائرية و حصرها في الفلكلور و تكريس الفراغ الثقافي و النمط الاستهلاكي في كل شيء ، هذا ما أدى في نظرها إلى فشل المحاولات المتكررة لطرح ثقافة وطنية عربية إسلامية ترتكز على العصر الذهبي للإسلام ، و في هذا الإطار طرحت الحركة" مشكلة التضييق على المسرح و الإنتاج السنمائي و النشر باللغة الأمازيغية أو العربية الشعبية و التضييق على الأغنية الثورية القبائلية " [1] ، و ينصب كل هذا في خانة تحطيم كل محاولة إبداعية للشعب الجزائري في ميدان الثقافة و بالتالي فإن الحركة قد نادت بالحرية في التعبير و الإبداع و رفع الرقابة عليهما .

3 – الثقافة في سياسة التنمية : في هذه النقطة بالذات طرحت الحركة إشكالية اللغة و علاقتها بالتنمية ، و هنا انتقدت السياسة الثقافية الجزائرية التي تعتمد أساسا على التعريف العربي الإسلامي الذي" ينفي أي عبارة أمازيغية و التي اعتمدت في الميدان على التعريب الذي يحدث قطيعة بين المثقف الجزائري و شعبه ، إذا اعتبرنا أن اللغة العربية الفصحى ليست اللغة الأم لأي جزائري ، و بهذا فإن المدرسة عوض أن تكون امتدادا و نقطة تلقيح للوسط العائلي و لمحيط الطفولة الجزائرية ، تصبح إطارا للقطيعة و الصراع " [2] ، و تستطرد الحركة و تقول أن حركة التعريب التي تبنتها الدولة " ذريعة لنفي لغات الشعب .....و أنها تحمل ايديلوجيا لا تتلاءم و مصالحنا في الديمقراطية و الاشتراكية ، و لا قيمنا الخاصة "[3] . و هنا يمكننا ملاحظة تسييس الثقافة و اتخاذها مركبا للتعبير عن المعارضة السياسية للسلطة ، في انتهاجها لسياسة التعريب في المدرسة الجزائرية ، هذا ما يطرح مشكلة صراع النخب في الجزائر ، بين المعربة منها و المفرنسة ، و كخلاصة يمكننا القول أن هذه الحركة قد دعت إلى " الحد من تهميش ثقافة الشعب الجزائري ، و إعادة تعريف الثقافة الوطنية وفقا للثقافة الشعبية بكل تنوعاتها و هذا يستدعي الاعتراف المؤسساتي بلغات الشعب الجزائري الأمازيغية و العربية الجزائرية كلغات وطنية .....و توفير الإمكانات العمومية لتنمية الثقافة الجزائرية "[1] ، و هذا يتطلب إدماج العربية الجزائرية و الأمازيغية في الإذاعة و التلفزيون و الجرائد و المسرح و السينما و دور النشر و بالخصوص في المنظومة التعليمية وفي الجامعات . إذن من خلال ما رأينا يمكننا مقاربة هذه الرؤية مع

[1] *ibid , p 8*
[2] *ibid , p 9*
[3] *ibid*
[1] *ibid , p 11*

الرؤية التي طرحتها مجموعة البربريين الأوائل الذين طرحوا فكرة " الجزائر الحرة ستعيش " بمنظور يساري ثوري يعادي الايديلوجيا العربية الإسلامية و ينتصر للطبقات الشعبية و الثقافات الشعبية المقهورة من طرف الايديلوجيا الغالبة ، و " الجدير بالذكر أن هذه الحركة في نضالها في الجامعات قد تحالفت مع حزب " الطليعة الاشتراكية " «***PAGS***» ضد الحركة الإسلامية في الثمانينات "[1] . و في محاولة لتكريس التوجه السياسي الحقوقي لهذه الحركة تأسست الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان كمنبر للتعبير عن التوجه المطالباتي لهذه الحركة و للدفاع عن المناضلين البربريين ضد مساءلات الدولة .

إذن يمكننا القول أنه و منذ ظهورها إلى الوجود ، بداية الثمانينات ، انصبَّت نضالات الحركة الثقافية البربرية من أجل الاعتراف بالثقافات و اللغات الشعبية منها الأمازيغية ، العربية الدارجة و حقوق الإنسان و الديمقراطية ف :" منذ تظاهراتها الأولى الملحوظة على الساحة السياسية و حتى الوقت الراهن حُمِلَت الأمازيغوية من قبل مجموعات صغيرة من المثقفين ، شرائح شعبية (عمال محليين ، مهاجرين ، سكان الأرياف) و طبقات سفلى للبرجوازية الصغيرة"[2] . و على ضوء التحقيق الأمني الذي أجري مع مجموعة من الأشخاص عقب مظاهرات 1980 ، استطاع سالم شاكر أن يضع ملمحا سوسيلوجيا لهم ، فوجدهم : " ثانويين ، و طلبة شباب ، ينحدرون من وسط ريفي ، مكونين كلية في إطار المنظومة التربوية الجزائرية ، عمال و تقنيين ، بعض الأطباء الشباب العاملين في القطاع العام ، و بعض الجامعيين الشباب و لا وجود لأي تقنوقراطي أو برجوازي و لا أي جامعي معروف "[3] .و هذا يعود في نظر المؤلف إلى كون " ....النخب المثقفة التيقنوقراطية أو البرجوازية مرتبطة بشكل قوي بالسلطة المركزية التي تحافظ على مراكزها ، مما جعلها تتخوف من المجازفة بإحداث القطيعة ، حتى و إن كانت قطيعة ايديلوجية ، و النزول إلى ميدان النضال من أجل الأمازيغية "[1] .و لقد تبنت الحركة منذ نشأتها منهجا سلميا في تجنيد المناضلين و استقطاب المتعاطفين ، و ذلك من خلال التجمعات و المسيرات ، و الحفلات و

---

[1] شهادة المناضل في الحركة الثقافية البربرية مرزوق عبد النور ، يوم 2016/11/16 في مكتب جريدة ليبرتي – البويرة على الساعةالواحدة زوالا .

[2] شاكر سالم ، **الأمازيغ و قضيتهم في بلاد المغرب المعاصر**، ترجمة : حبيب الله منصوري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2003 ، ص 100

[3] شاكر سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص 101

[1] نفس المرجع ، ص 102

المسرح ، و المحاضرات و الندوات ، في محاولة لبناء وعي هوياتي ثقافي بالانتماء العرقي و الثقافي للأمازيغ .

و هذا لا ينفي أن تكون هناك محاولات للجوء إلى العنف ، كما حدث مع المناضل " محند أوهارون " و لكنها كانت قليلة جدا و لا تكاد تذكر. أما في مواجهتها مع السلطة فقد تبنت الحركة خطابا معاديا و رافضا لمنطق السلطة اليعقوبي الرافض للتعددية الثقافية و اللغوية في نظرهم .و هذا لا يمنع وجود مجموعات من المناضلين قد استثمروا في العرقية و الجهوية ، واصفين السلطة أنها عنصرية و استعمار عربي إسلامي[1]. و لكن من نقائصها أنها اقتصرت على منطقة القبائل فقط ، و على القبائل أينما حلوا أو ارتحلوا ، و لم تستطع أن تستقطب إلى صفوفها أعضاء من مناطق أخرى ، كما أنها عرفت اختلالا تنظيميا في هيكلتها مما عرضها للانقسامات و الاصطفافات الحزبية خاصة بعد الانفتاح السياسي الذي عرفته الجزائر ، لتظهر فيها تشكيلتان و هما التنسيقية مع حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية و اللجان مع جبهة القوى الاشتراكية و هما تابعتان للحزبين الرئيسيين في المنطقة ، مما عجل بتآكل هذه الحركة و اندثارها . و انحلالها في الصراعات السياسية بين الحزبين الغريمين .

و مع الأحداث الدامية لربيع 2001 التي أدت إلى مقتل 128 شابا قبائلي ، و أمام عجز الأحزاب السياسية المتجذرة في المنطقة في التعامل مع الأحداث ظهرت حركة " لعروش " التي تحولت فيما بعد إلى " حركة المواطنة " كما رأينا من قبل ثم ظهرت إلى الوجود " الحركة من أجل الحكم الذاتي في منطقة القبائل " .

10- " الحركة من أجل الحكم الذاتي في منطقة القبائل ثم من أجل تقرير مصيرها"« MAK » :

تجدر الإشارة إلى أن ظهور هذه الحركة كان عقب الأحداث الدامية التي هزت منطقة القبائل و التي راح ضحيتها 128 من شباب منطقة القبائل العُزَّل و انسداد الأفق السياسي ، فاستثمرت في استثارة العاطفة القبائلية لتطرح مشروعها السياسي المثير للجدل ، و لكي نغوص في فكر هذه الحركة ارتأينا أن نعتمد مشروعها للدولة القبائلية « PEK » المنشور على موقع الحكومة القبائلية المؤقتة «***www.makabylie.com*** »كما اعتمدنا بعض مداخلات رئيسها " فرحات مهني " و " بوعزيز آيت شبيب " و ذلك تَحَرِّيًا منا للموضوعية في

[1] فرحات مهني ، موقع " يو تيوب "

مطارحة أفكار هذه الحركة.تحاول هذه الحركة تكريس فكرة الشعب القبائلي المتميز و التي نادت بها " الأسطورة القبائلية " و نادى بها الرعيل الأول من المثقفين الفرانكوفيليين القبائل الأوائل ، ففي إحدى المداخلات يقول فرحات مهني : " إن الجزائر دولة بلا أمة و القبائل أمة بلا دولة "[1] و هو بذلك ينطلق من فكرة أن شخصية و هوية الشعب القبائلي قد تَشَكَّلت على مَرِّ القرون عبر لغته و ثقافته و حضارته النابعة من العائلة الأمازيغية الكبرى ، و ضَميرٍ جمعي و تاريخٍ مشترك و تنظيمٍ سوسيو-سياسي و تَعَلُّقٍ عضويٍ و علمانِيٍ بِقِيَمِ الديمقراطية ، الحرية ، اللائكية ، التضامن و احترام الآخر " [2] . و هو ينطلق من فرضية أن منطقة القبائل كانت حرة قبل 1857 و أنه حتى مع الجزائر المستعمرة التي تَمَّ إنشاؤها بمرسوم وزاري للجنرال " شنايدر " وزير الحرب الفرنسي في 1839/10/14 و الذي بموجبه تَمَّ إلحاق منطقة القبائل عُنْوَةً بهذا الكيان الكولونيالي ، و تحاول هذه الحركة الاستثمار في أمجاد منطقة القبائل ، بتمجيد معركة " إشريظن " 1857 لفاظمة نسومر ، ثم ثورة المقراني 1871 ، ثم حرب التحرير 1954-1962 ، ثم ثورتها ضد جزائر ما بعد الاستعمار ، و كل ذلك لاستعادة حريتها ، هذه الفترة لما بعد الاستقلال تصفها هذه الحركة و تقف عند محطات بعينها تمجد فيها النضال القبائلي ، فتقف عند أحداث صائفة 62 بثورة القبائل على النظام المركزي ، ثم أحداث " لاربعا ناث يراثن " في جوان 1974 ، ثم الربيع البربري 1980 ، و تأسيس الحركة الثقافية البربرية ، ثم قمع أحداث بجاية 1981 ، ثم إنشاء الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان 1985 ، ثم مقاطعة " المحفظة " للسنة الدراسية 1994-1995 ، ثم اغتيال المطرب " معطوب الوناس " 1998 ، ثم أحداث الربيع الأسود 2001-2003 ، كل هذه الأحداث بَنَى عليها بعض نشطاء الحركة الثقافية البربرية مشروعهم للمرور من المطالبة الثقافوية بترسيم اللغة الأمازيغية ، إلى مشروع سياسوي واضح المعالم ، يُبنى على الإثنوية ***ethnicité*** التي ستكون المحرك الرئيس للمنطقة . و لقد كانت هذه العملية نتيجةً لعملٍ دؤوب على الميدان السوسيو-ثقافي للمنطقة ، تضافرت فيه جهود الفنانين و السياسيين و الكتاب و الشعراء و الأدباء نذكر منهم المطرب " معطوب الوناس " المعروف بتوجهه الثوري المناهض للايديلوجيا العربية الإسلامية ، إذ يقول في إحدى مداخلاته :" أُفَضِّل أن أقول رغمًا عن البعض أنني قبائلي ، و ليس وَهْمًا إذا قلنا أننا

[1] *Ferhat mhenni , youtube . com*
[2] *PEK (Projet pour un Etat Kabyle) , P1 sur le site web : www.makabylie.org*

نريد جمهورية قبائلية في بلاد القبائل "[1] . و لقد كان لهذا الفنان الأثر الكبير في استنهاض الشباب القبائلي و تجنيده ضد الايديلوجيا العربية – الإسلامية بكل الأشكال ، و لقد أثر كثيرا على مؤسس حركة الماك إذ يقول " فرحات مهني " :" نحن نسير على خطى "معطوب الوناس" الذي قال في إحدى أغنياته أن الحل هو تمزيق البلاد "[2] .

من الاطلاع على أدبيات هذه الحركة تتجلى لنا محاولة توظيف التاريخ لنصرة القضية القبائلية ، و ذلك بالتركيز على مساهمة القبائل في تحرير أوربا من النازية و الفاشية ، " و نضال نُخَبِها في فرنسا ضد السياسة المعادية للسامية لحكومة " فيشي " و هذا عكس الموروث الشعبي القبائلي تماما الذي كوّن صورة ذهنية نمطية تحتقر اليهودي و تنبذه و نجد هذا في الكثير من الأمثال و الأقوال المتداولة " اليهودي عليه اللعنة أوذاي آث يخزو ربي " و عندما نستنكر عمل أحد ما يقال له " أ يوذاي يا يهويدي " إلخ ، و كذا التركيز على مؤتمر " الصومام " الذي كَرَّس بِحَسَبِهم استقلالية المناطق و منها الولاية الثالثة (منطقة القبائل) و أن ¾ ضحايا حرب التحرير هم من القبائل ، و أن القبائل هم من انتفضوا ضد الحكم في 1962 ليقولوا أنهم هم من حرروا البلاد و من حقهم أن يحكموا البلد ، لتفقد المنطقة أكثر من 400 شهيد من رجالاتها "[3]. كما استثمرت هذه الحركة في نفي الدولة الجزائرية لمكوّن " القبائلية " و صهرها في " الجزأرة ***Algérianité*** " العربية الإسلامية ، كما استثمرت في معارضة السياسة الخارجية للدولة الجزائرية التي في نظرها تعادي قيم و تطلعات الشعب القبائلي و مصالح منطقة القبائل في إحالة إلى التوجه العربي الإسلامي للدولة الجزائرية ومعاداة إسرائيل . هذه الأحداث كلها أَدَّت في نظر نشطاء هذه الحركة إلى انقراط العقد الاجتماعي مع النظام الجزائري ، ما دفع بهم إلى التأسيس لمشروعهم السياسي و الثقافي على أساس إثنوي بحت ، ففي هذا يقول فرحات مهني :" نحن القبايل لدينا لغتناالخاصة ، حيزناالجغرافي الخاص ، عاداتنا الخاصة ، و شعورنا بالانتماء إلى منطقة القبائل أقوى من أي شعور آخر ، فنحن بهذا شعبٌ بكل المعايير و لنا الحق في الوجود على صرح الأمم "[1].و بالتالي فإن هذه الحركة قد وضعت نُصْبَ أعينها " ضمان استمرارية و رفاهية منطقة القبائل كأمة ، و المُهَدَّدَة حاليا من قِبَل السياسات العنصرية و

[1] *Matoub lounes , youtube.com*
[2] *Ferhat mhenni , sur france24 TV le 15/04/2016 à 20h00- 21h00*

[3] فرحات مهني على قناة المغاربية ، على موقع يوتيوب.كوم
[1] فرحات مهني على قناة المغاربية ، على موقع يوتيوب.كوم

العدمية للدولة الجزائرية ، و وضع حد للمواجهة الدائمة و الدورية و الكارثية أكثر فأكثر بين منطقة القبائل و الدولة الجزائرية التي تبقى بالطابع الاستعماري "[1]. و لقد ركَّزت هذه الحركة في مشروعها على دور المدرسة و التربية في تشكيل مواطن الغد و دورها الخطير في تجسيد مشروع المجتمع و تطبيعه لدى الناشئة ، و لهذا فهي تولي المدرسة القبائلية مهمة " المساهمة في تكوين و ازدهار شبيبة قبائلية تعتز بهويتها ، و متشبعة بالقيم العالمية من حرية و ديمقراطية و لائكية و التي توجد في تلاؤم تام مع الأسس الهوياتية الأمازيغية عبر القرون "[2]. مع التركيز على حرية المعتقد و حرية العبادة ، بحيث تكون اللائكية مكرّسة وفق قيم الحرية و الاحترام الذي يؤكده مفهوم القسم " چماع ليمان " ، و أن الدين و المعتقدات شأن خاص و شخصي ، و هنا نفتح قوسا لشرح هذا المفهوم " چماع ليمان " بالنسبة لهذه الحركة فإنها تبنّت المقولة التي مفادها لأن القبائل يحلفون بكل الأديان و يقدسونها و هذا رأي يبقى نظريا و يجب التأكد منه ، إذا علمنا أن الديانات كلها بقيت برغم محاولات التنصير ، و حتى الديانة افسلامية تغلغلت في المنطقة وفق منظور صوفي بحت وفق الطريقة الرحمانية الخلواتية التي لا تتدخل كثيرا في شؤون الناس و إنما تنعزل في الجبال بعيدا عن التجمعات السكانية ، بينما هناك العديد من الشهادات ترى أن القسم ب " چماع ليمان " يعني القسم ب " جماعة الإيمان " و هم جماعة المرابطين المعروفين بتدينهم و صلاحهم الذين يأتون جماعة و يتوسطون لإقامة الصلح بين المتخاصمين سواء بينعائلتين أو قريتين أو عرشين ، و يحضرون مناسبات الزواج و المآتم و الأعمال المشتركة في القرية ليضفوا بركاتهم على القرية ،" فيحلف الناس بهم بما لهم من قدر و احترام لدى ساكنة منطقة القبائل "[3]، و بالموازاة مع هذا فإننا نستشف من خلال أدبيات الحركة أنها تعتمد على " إستراتيجية الضحياتية ***victimisme*** " و ذلك لاستمالة الشباب إليها ، مقرونة " بالأسطورة القبائلية " التي تؤسس لتفوق الجنس القبائلي على العربي ، و ذلك بالتركيز على تميز القبائلي بمنظومته القيمية و نظامه السياسي و الاقتصادي . و لقد دعت الحركة إلى " إعادة تنظيمات العرش و الكونفدرالية التي حلَّتها السلطة الاستعمارية بعد انتفاضة 1871 ، لتستعيدا مكانتهما في النظام السوسيو- سياسي في بلاد القبائل ، و ستحل هذه التنظيمات محل المؤسسات المفروضة من قبل الحكم العنصري الجزائري و التي أخذت

[1] *PEK (Projet pour un Etat Kabyle) , P3 sur le site web : www.makabylie.org*
[2] *PEK (Projet pour un Etat Kabyle) , P4 sur le site web : www.makabylie.org*
[3] شهادة تسعيني ، عضو في جمعية قرية ثاوريرث ناث منصور ، في المسجد يوم 20 أفريل 2016 على الساعة 15 و 30 د

مكان المكاتب الإدارية لشؤون الأهالي لما قبل الاستقلال الذي تمت مصادرته "[1] . أما على الصعيد الميداني ، فإن الحركة قد استثمرت في الشباب المثقف و استهدفت بذلك الشباب الجامعي بالخصوص، إيمانا منها بأن الجامعة هي قاطرة التغيير السياسي و الاجتماعي و الثقافي ، ففي هذا الصدد يقول " بوعزيز آي تشبيب " و هو رئيس الحركة :" منذ مؤتمرنا التأسيسي ، فإننا جعلنا من الجامعة معقلا لحركتنا ، و ذلك بتنصيب المجالس الجامعية الثلاث ، في جامعة آكلي محند ولحاج بالبويرة و جامعة مولود معمري بتيزي وزو و جامعة عبد الرحمان ميرة ببجاية ، فالمجتمع الطلابي منخرط بقوة في حركتنا رغم أنف الذين يريدون تدجين الجامعة القبائلية " [2] .و كل هذا يدعونا لإثارة تساؤلات تمس صلب الدولة الجزائرية و كيانها.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن حركة " الماك " لا تعترف في منطقة القبائل من حيث التمثيل السياسي سوى بالحزبين المتجذرين في المنطقة و المتبنيين للقضية البربرية و هما حزبا ***RCD*** و ***FFS*** ، و هذا في نظرنا ، هو من ناحية ممارسة لإقصاء و انتقائية مناقض لما تدعيه الحركة من قبول بالآخر و بالديمقراطية و الحرية و حقوق الإنسان ، و من ناحية أخرى هو تقاسم للأدوار في الحقل السياسي القبائلي ، بحيث أن فكرة الإستقلال لمنطقة القبائل قد طرحت من قبل هذين الحزبين و لكن بصور مختلفة و محتشمة و في إطار مقترحات لإصلاح الدولة الجزائرية و هما الحكم الفيدرالي« ***fédéralisme*** » الذي طرحة الأفافاس و الجهوية « ***régionalisation*** » و لكن لكل مناطقالجزائر و ذلك باحترام الحدود الثقافية الطبيعية لكل منطقة و ليس الحدود الإدارية ، إذن فمشروع " الماك" يُعتبر حوصلة صريحة و جريئة لما طُرح على الساحة السياسية في منطقة القبائل .أما فيما يخص علاقة هذه الحركة بالدين الإسلامي ، فإن الحركة لا تخفي موقفها المعادي الصريح ، ففي هذا السياق يقول رئيس الحركة " بوعزيز آي تشبيب " دائما لموقع " ثامازغة " :" في وجه محاولات " سولفة ***salafisation*** " منطقة القبائل ، فإن الماك لم يبق مكتوف الأيدي ، و لا أحد إلا الماك يسافر عبر كل المنطقة ، في القرى و المدن ، عن قرب من الشعب القبائلي ، ليناهض التطبيع مع سولفة المجتمع القبائلي ، إن مناضلي الماك هم من نظموا الإفطار الجماعي في 03 أوت 2013 في شهر رمضان ، للدفاع عن حرية العبادة و الضمير و

[1] *PEK (Projet pour un Etat Kabyle) , P6 sur le site web : www.makabylie.org*
[2] *Bouaziz Ait chebib , interview du 16/03/2016 au site Tamazgha.org*

مناضلو الماك هم من يدافعون عن الذين يرفضون الصيام "[1] ، و هنا تكمن المفارقة فهذه الحركة تعمل على اجتثاث كل آثار العربية و الإسلام في منطقة القبائل و تحاول أن تفرض رؤية نخبوية بايديلوجيا معينة ، ضاربة عرض الحائط الواقع السوسيلوجي لساكنة المنطقة التي انصهرت مع الدين الإسلامي منذ قرون و التحمت مع الحضارة العربية الإسلامية و ساهمت فيها بقسط كبير.

أما على الصعيد السياسي الخارجي ، فإن الحركة لا تجد مانعا في التشويش على السياسة الخارجية الجزائرية و التحالف مع أعدائها شعبا و دولة إقليميا و دوليا ، ففي إحدى حوارات " فرحات مهني " لقناة تلفزيونية إسرائيلية يقول :" إن دولة إسرائيل تستلهمنا بتفتحها ، و تعدديتها و عصرنتها و استثمارها في البحث العلمي و ليس في الأصولية "[2] .و هذا يمثل تجسيدا للرغبة القائمة في تمزيق الشعب الجزائري و التعدي على عاطفته الجمعية و حسه المشترك، كما أكد في نفس السياق إرادته في استجداء العون و المساعدة الفرنسية و ذلك بتحذيرها من التقاعس عن نصرة منطقة القبائل فيقول :" إن منطقة القبائل هي معقل الفرانكفونية ، و إذا ما خسرتها فرنسا فإنها لن تخسرها هي وحدها و لا الجزائر وحدها و لكنها ستخسر كامل الشمال الإفريقي الذي تُعتير منطقة القبائل محوره الرئيسي "[3] .و هذا الاستقواء بالخارج من أجل نصرة قضيته ، قد يجعله بيدقافي لعبة الكبار ، لتنفيذ مخططات أكبر منه و من مشروعه ، لأنه لم يُخف إمكانية اللجوء للعنف المسلح ضمنيا إذ قال لنفس القناة الإسرائيلية :" نحن تبنينا منذ البداية نضالا سياسيا ، و سنواصل على هذا المنوال حتى النهاية ، و لكن هذا لا ينفي أنه يمكن للشبيبة القبائلية أن تتخذ مواقف متطرفة "[4]. خاصة إذا علمنا أن الحركة قد استثمرت في الشحذ الإثنوي ضد كل ما هو جزائري عربي إسلامي ، فمنذ نشأتها في 05 جوان 2001 و تنصيب مكتبها الرسمي في 14 أوت 2007 في منطقة "إيغيل علي" ببجاية ، ثم تنصيب الحكومة المؤقتة القبائلية في المنفى في 10 جوان 2010 ، ما فتأت تستفز نظام الحكم و الدولة الجزائرية بإطلاق مشروع بطاقة الهوية القبائلية في 27 نوفمبر 2010 ثم تنظيم انتخابات لاختيار العلم القبائلي في منطقة القبائل و فرنسا و كندا و أمريكا في شهر أفريل 2014 ، و رفع العلم القبائلي في ساحة الشهداء بالبويرة يوم 20 أفريل 2015 مع أداء القسم الجماعي الذي أداه

[1] *Bouaziz Ait chebib , interview du 16/03/2016 au site Tamazgha.org*
[2] *Ferhat Mhenni , interview sur la chaine TV GUYENTV / youtube.com*
[3] *Ferhat Mhenni , ibid*
[4] *Ferhat Mhenni , ibid*

فرحات مهني عند تنصيبه رئيسا ل ***GPK***، و الاستماع للنشيد القومي القبائلي ، ثم رفع العلم القبائلي أمام مقر هيئة الأمم المتحدة ينيويورك في 11 أكتوبر 2015 . كل هذا ينصب في إطار تكريس الدولتين (القبائلية و الجزائرية) ما سيؤدي حتما إلى تمزيق الشعب الواحد على أساس إثني لغوي هوياتي . و في نظرنا فإن هذه الحركة قد طرحت مشكلة الهوية الثقافية القبائلية مع مشكلة طبيعة الدولة الجزائرية المركزية ، فطرحت مفهوم تقرير المصير عوض الحكم الفيدرالي أو الجهوي اللامركزي الذي تداولته الأحزاب المتجذرة في المنطقة ، و على ضوء كل ما سبق يمكننا القول أن هذه الحركة تتويج و استكمال لحلقة " الأسطورة القبائلية " مقرونة باستراتيجية " الضحياتية " و تقاسم الأدوار في المنطقة على أساس هوياتي عرقي و تبني نظرية الفوضى التي تؤمن أن الهدم هو من يحرك عجلة التاريخ و الرجوع إلى " قبلنة ***tribalisation*** " المجتمع في وجه مؤسسات الدولة الحديثة ، بهدف تمزيق المنطقة و تطهيرها من البعد العربي الإسلامي ، و هذا ما يشكل في نظرنا خطرا داهما على الجزائر دولة و شعبا و على المنطقة بأكملها ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التحولات السياسية الحاصلة في العالم و مشروع الشرق الأوسط الجديد وفق نظرية الفوضى الخلاقة .

11- علاقة اللغة بالهوية :

مما لا شك فيه أن اللغة هي أرقى نظام رمزي ابتكره الإنسان للتعبير عن فكره و حاجاته و ميوله و آرائه ، و لقد أجمعت العلوم الإنسانية أن للغة وظائف رئيسية هي : أنها وعاء للفكر و أداة للتفكير ، و وسيلة للتفاهم و التواصل الاجتماعي ، و عنوان الهوية للفرد و المجتمع ، و ترتبط بالثقافة و القيم الحضارية "[1]. إذن يمكننا القول أن اللغة هي المحدد الرئيس لعدة منظومات منها الثقافة و الهوية ، و " تُشَكل القانون الأول الذي يفرض نفسه على كل فرد داخل المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، التي تنقله من الطبيعة إلى الثقافة ، و عبر اللغة و الثقافة يتبادل الخضوع للقانون ، في مقابل الحصول على الهوية في إطار علاقة الجزء بالكل "[1] . من هنا نستخلص أن اللغة هي الجسر الذي يضمن الانتقال بالإنسان من مستوى عالم الأشياء إلى مستوى عالم الأفكار بتعبير " مالك

[1] عز الدين إبراهيم " **اللغة في مؤسسات التعليم العام و العالي و الأعلى** " مجلة التاريخ العربي ، العدد 43 ، شتاء 2008 ، ص 09

[1] جون جوزيف، **اللغة و الهوية** . تر : عبد النور خرافي ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 342 ، الكويت ، 2007 ، ص 25

بن نبي "، حيث أن اللغة هي عنوان التنشئة الاجتماعية و الثقافية التي ترقى بالفرد من مستوى الفردانية و الحاجات البيولوجية إلى مستوى إنتاج الفكر و الإحساس بالذات و التعبير عنها و السعي لتحقيقها ، و منه تشكيل صورة عن الذات و الهوية ، و بالتالي فإن اللغة تلعب دورا رئيسا و محوريا في بلورة مفهوم الهوية " و لذلك تُفهم ظاهرة الهوية بوصفها ظاهرة لغوية " [1] . كما أن اللغة هي التي تصوغ مخيال المجتمع ، و الضمير الجمعي للأمة و تحفظ الذاكرة الجماعية لها ، و بالتالي فإن اللغة مرتبطة شديد الارتباط بنسيج الهوية ككل ، من تشكلها إلى الإحساس بها و الوعي بها ، إلى التعبير عنها ثم إلى الدفاع عنها وفق ما يسميه المختصون باستراتيجيات الهوية.

و تعتبر اللغة وعاءًا لقيم المجتمع و تعبيرًا عن روحه ، كما تساهم في فهم الواقع و بناء تمثلاته في أذهان الأفراد ، و بالتالي فإن تمثلات الواقع تتعدد بتعدد اللغات التي تعبر عنه و تفسره ، فكل فرد يتكلم بالطريقة التي يفكر بها و يفكر بالطريقة التي يتكلم بها. كما أن كل مجتمع ينقل قيمه و ثقافته و قوانينه و فنونه إلى الناشئة عبر قوالب لغوية يتواضع الناس عليها ، و بالتالي فإن هذه القوالب اللغوية تُكيف الفرد للتفكير بطريقة محددة ، و تبني تمثلات محددة عن الواقع الاجتماعي ، ما يخلق تقاربا أحيانا و تعايشا بين الجماعات ، أو صراعا و تنافرا في أحايين كثيرة أخرى ، و ذلك يعود في إلى كون " الهوية الذاتية تتكون و تُبنى داخل الصراع ، و ضمن العلاقة مع هويات أخرى مختلفة "[2].

هذا الصراع أو التدافع الهوياتي يفرض ثنائيات متضادة عديدة منها التحول / السكون أو الثابت / المتحول ، الأصالة / الحداثة ، الثقافة العالمة / الثقافة الشعبية ، الثقافة المكتوبة / الثقافة الشفهية ، ثقافة المُهيمِن / ثقافة المُهَيمَن عليه إلى غير ذلك من الثنائيات التي ترافق مطارحة سؤال الهوية في تشكلاتها و تمظهراتها في الحقل الثقافي و الاجتماعي و السياسي لأي مجتمع. و من هنا نفهم وجود تصورات مختلفة لإشكالية الهوية في الجزائر ، فهناك من حيث الدلالة ، من يرى أنه لا معنى لسؤال الهوية في الجزائر و أنها سؤال عقيم يمكن إدراجه ضمن الترف الثقافي لا جدوى منه ، و هناك من يرى على النقيض تماما أن سؤال الهوية هو المحور الأساس الذي يجب مطارحته و نقاشه و التواضع عليه ، لأن بناء أي مشروع مجتمع لابد أن يعبِّر عن صورة المجتمع الذي نريد بناءه و بالتالي

[1] جون جوزيف ، مرجع سبق ذكره ، ص 20

[2] محمد نور الدين أقاية ، في الهوية و الاختلاف في المرأة و الكتابة و الهامش ، الدار البيضاء ، إفريقيا الشرق ، 1998، ص22

لا مفر من حسم قضية الهوية الجماعية للمجتمع قبل الخوض في بناء أي مشروع مجتمع و إلا سيكون كمن يبني على رمال متحركة . أما من حيث الحركية و السكون ، فهناك من يتبنى النظرة السكونية الماضوية للهوية و يعتبرها بناءًا ناجزا و بشكل نهائي و مُقَوْلَب ، بينما نجد من يرى أن الهوية بناء مستمر يساهم فيه كل جيل بإبداعاته و إسهاماته لطرح النموذج الأمثل لزمانه و عصره و واقعه.

و الهوية في عصرنا الحالي لا يمكن إلا أن تكون تعددية و ذلك نظرا لتعدد الأدوار الاجتماعية للفرد المعاصر بعكس المجتمعات التقليدية ، فهو بذلك يتبنى البنية الدائرية المتراكزة للهوية ، بمعنى النظرة التي طرحها " أمين معلوف " في كتابه " الهويات القاتلة " و التي يرى فيها أن الهوية مجموعة من الدوائر المتراكزة و المتراتبة ، كلما هُدِّدَت منها دائرة ، استجاب الفرد بالدفاع عن تلك الدائرة فقط دون غيرها سواء كانت الدائرة الشخصية ، أو العرق ، أو اللغة أو الدين [1]

12- اللغة والهوية الوطنية:

إن المدرسة ،كونها مكانا للتثقيف و التنوير ، يتوجب عليها أن تكون همزة وصل بين الأسرة و باقي المؤسسات الاجتماعية، ولكن في أغلب الأحيان، ليست كذلك، لأن " الطفل سيعيش تمزقا وانكسارا بين ثقافة الأسرة و خاصة ثقافة الأم وبين ثقافة المدرسة ... وبالتالي فإن الطفلسيجد نفسه في هُوَّة لا يستطيع ملأها بين لغة الأم التي تسمح له بعلاقة تعبيرية وعاطفية، توفر له الأمن و التقدير مع الأم، ولغة المدرسة التي يكتشفها.[2]

للتذكير بعجالة، أن بن بلة وفي سنة 1962وهو أول رئيس للجزائر الحرة بوقت قليل قبل الاستقلال قال "من هنا فصاعدا ،ستكون الجزائر عربية ومسلمة واللغة الوطنية هي العربية الفصحى، والبحث عن الشرعية يمر عبر البعدين العربي الإسلامي على حساب الطابع البربري و الفرانكفوني".[1]فأصبحت تتعايش في الجزائر أربعة لغات***(Idiomes)*** وهي الأمازيغية و العربية الدارجة، العربية الفصحى أو الكلاسيكية والفرنسية ، التي تعتبر

[1] أمين معلوف ، **الهويات القاتلة " قراءات في الانتماء و العولمة**، تر: د نبيل محسن ، ورد للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1999 ، ص ص 19-24 بتصرف

[2] *- Dalila Arezki, **l'identité berbère de la frustration à la violence** , Séguier, pays basques, 18 aller Main , p 20.*

[1] *- Benrabah, M **, langue et pouvoir en Algérie histoire d'un traumatisme linguistique**, Paris les colonnes d'hercule Séguier, 1999, p6*

غنيمة حرب على قول "كاتب ياسين" وهي من مخلفات الاستعمار، وهذا حسب إدراك و إحساس هؤلاء وهؤلاء.

إن الحد من قيمة لهجات مجموعات الانتماء (البربرية والعربية الدارجة)و التي تمثل اللغات اليومية للطفل ثم استبدالها باللغات الرسمية، قد أفقده (للطفل) معالمه الأولى التي توفر له الأمن ... ويتعلق الأمر هنا بالآليات الأولى للتعلم. ومنه فإن الطفل سيفقد توازنه في أولى معالم هويته مما يؤدي إلى زعزعة شخصيته وجعله عرضة لاضطرابات معرفية وعاطفية و علائقية.إن الطفل ينمو لغويا في النطاق اللغوي الذي يرتاح فيه، ولكن في حالة العكس فانه لن يتحكم في أيَّة لغة . فعندما تكون اللغة مقطوعة من إمكانية التفكير والتصور فإنها ستعيق النمو الذهني للطفل علما أن "من بين الحاجات الأساسية للإنسان هو أن تكون له لغة ... تسمح له بفهم الرسائل المنقولة في كل عملية تواصلية والتي يستعملها بكل ارتياح وبدون مجهود ...لغة سيحس من خلالها بالراحة ويمكن إن يبدع بها"[1]

فعندما لا يُسْمَح للطفل بالتعددية اللغوية فإنه لن يتحكم لا في لغته الأم ولا في اللغة الرسمية للبلد الذي يعيش فيه ، ومنه فإن الطفل لن يتحكم في أي شيء حتى في العلم والمعرفة، مّما يؤدي إلى طمس شخصيته و ينتزع منه هويته الحقيقية ، لأن منع أو قطع اللغة هو قطع للتخاطب وتكميم للفرد وبالتالي توقيف طفرته الطبيعيةوذلك السيل من الكلمات ، ما يُعتبر إضرارا بعفويته في التعبير و إبداعيته، وهذا ما ينتج عند الفرد ذلك اليأس والإحباط والعنف ضد الذات وضد الغير. و هذا ما من شأنه أن يؤدي إلى إحساس الفرد بالاغتراب الوجداني و بالظلم الثقافي مما سيؤثر سلبا على انسجامه في المجتمع بصورة إيجابية.

ولقد أكدت الدراسات علي دور اللغة في تحسين جودة الفهم والرفع من مستوى الاستيعاب للمعارف التي يتضمنها الخطاب التربوي، كما تناولت هذه الدراسات العلاقة بين الوسائل التربوية خاصة (السمعية البصرية) منها في توصيل المحتوى ، فتأكد أن أهم وسيلة في توصيل الرسالة هي اللغة .لقد ظهرت الحاجة لبحوث جديدة تتعلق بطبيعة اللهجة في الأوساط الاجتماعية التي يعيش فيها هؤلاء الأطفال، قصد إبراز الفوارق بين اللغة المدرسية

[1] - *Benrabah, M , op cit , p177*

واللهجة، و ما هي بنية هذه الأخيرة و ما هي العراقيل التي تقف دون اكتساب اللغة السائدة فتوصلوا إلى ما يلي:

هناك فرقا كبيرا بين اللغة و اللهجة فيما يخص الرسم و النطق ***Phone/Graphique*** ، هذا الفرق يؤدى إلى فقدان الثقة في الأبجدية (الأحرف) مما يُحدث نوعا من الكف أمام هذا المشكل (***Inhibition***) .

لكن رغم هذا فإن النتيجة لا تتوقف عند الفوارق في الجوانب اللغوية المحضة و أن السبب الرئيسي لهذا التأخر هو أن الفوارق اللغوية تؤثر على المسار المدرسي لأنها تعبر عن **صراع اجتماعي** بمعني أن هذه الفوارق بين اللهجات لا تؤثر على المسار المدرسي إلا لكونها تمثل صراعا اجتماعيا. ولقد ذهب الباحث « ***Basil Bernstein*** » في كتابه « ***Langage restreint et langage élaboré*** » إلى القول أن اللغة من أكثر المؤشرات وضوحا على مستوى التلاميذ، لذا يجب استخدام اللغة الأصلية كوسيلة لتعليم اللغة المدرسية بمعني في حالتنا هذه ، استخدام اللهجة في تعليم اللغة الأمازيغية ، كما نصح بمعالجة المواضيع التي لها علاقة مباشرة ووثيقة بالحياة اليومية، وهذا محاولة منه إبعاد عائق **الصراع الاجتماعي** و التقليص من الفوارق الثقافية.وهذا إذا ما حاولنا إسقاطه على واقع الجزائر، فإننا سيمكن لنا أن نفهم هذا الصراع بين الأمازيغية والعربية الدارجة وبين العربية التي تدرس في المدرسة وربما هذا أساس الاختلافات الشوفينية بين العرب والبربر، لأن الاختلاف في اللغة يرمز إلى الانتساب النرجسي البدائي إلى الأم ، و إلى لغة الأم و هي تتجذَّر في هويتنا في نفس الوقت الذي نتعلم فيه الكلام. و بالتالي عندما يطالب البربر بلغة غير العربية فهذا تعبير عن اختلافهم و اختلاف هويتهم ، وهذا رغم أن السكان الأصليين للمغرب " ***Maghreb*** " هم البربر، و أن لغتهم البربرية قديمة بـ 5000 سنة إلا أنهم فَضَّلوا استعمال لغات مختلف الغزاة، الذين تعاقبوا على هذه البلاد .

ولكن مع وصول العرب الفاتحين، ودخول البربر في الإسلام، نجدهم قد ارتضوا اللغة العربية طوعا ، وتعلموها لأنها الوسيلة لفهم الدين والقرآن والسُنَّة، فحدث ذلك التلاحم الأمازيغي العربي الذي دام أكثر من 14 قرن ، فلا يشعر الأفراد بينهم بفروق تُذكر، فلقد «عرفت الجزائر سلسلة من الأُسر التي انحدرت من أصول غير عربية ... فلم يلجأ حكامها إلى التوغل في الوضع اللغوي بفرض سياسة لغوية مخالفة لما كان معروفا وسائدا فيجل أقطار

العالم الإسلامي »[1] . فلم يُطرح الصدام بين العربية و الأمازيغية إلا مع دخول فرنسا ، حيث عملت المدرسة الاستعمارية على بث التشكيك في لغة وهوية و عرق الشعب الجزائري وحاولت أن تعيده إلى البربرية الوحشية حيث الصراع بين الأهالي بسبب من هو الأصيل ؟ من هو البربري ؟ من هو العربي؟ من صفا عرقه.[2] وهذا في رأينا عملا بنظرية التطورية الداروينية و نظرية تحسين النسل التي تطرق لها العديد من الفلاسفة على غرار "نيتشيه"، مما بث الفتنة في صفوف النخبة المثقفة القبائلية، لكي يعتقدوا أنهم جنس مختلف عن العرب وأنهم قريبون من الأوروبيين ليتساموا بذلك عن العرب، وجاء عهد الاستقلال ليُفرَض التعريب بجرة قلم، ومحاولة سياسوية لدولنة اللغة العربية مما أنتج رد فعل عنيف من طرف الناطقين باللغة الأمازيغية ودعاتها ليتجلى الصراع في عدة تمظهرات ، منها السياسية و منها الثقافية و منها الاجتماعية ، و سنركز في الفصل القادم على التمظهرات اللغوية للصراع الثقافي في المجتمع الجزائري .

13- ملخص الفصل:

لقد حاولنا من خلال هذا الفصل استعراض كافة حيثيات المشكلة الهوياتية الجزائرية و بالخصوص المسألة البربرية ، فوجدنا أن إشكالات التاريخ و الدولة و الثقافة و الدين و اللغة كانت في صلب هذه القضية فلقد كان التاريخ المحرك الرئيس للتنظير لهذه الهوية . إذ لا يمكن تخيل حاضر أمة ما أو استشراف مستقبلها بدون فهم تاريخها و ماضيها، فالتاريخ عنصر مهم في تكوين الشخصيات و صياغة سلوك الإنسان و لذلك يتوجب علينا ضبط علاقتنا بالتاريخ كتجربة بشرية.و لكن هل نفهم التاريخ من زاوية زمنية أم زاوية الوعي أم من زاوية الايديلوجيا ؟ إذا اتفقنا أن التاريخ هو الفعل الإنساني في الوجود فهذا معناه أن الحدث التاريخي يصنعه الإنسان ، و لكن هل هذا الإنسان يتحرك في حلبة التاريخ دون ضوابط تحكمه ؟ إذن الذي يصنع التاريخ و الذي يكتب التاريخ و الذي يفهم التاريخ هو الإنسان، و لكن هل الذي يصنع التاريخ ينطلق من نفس دوافع الذي يكتب التاريخ و من نفس الدوافع مع الذي يفهم التاريخ ؟ و الجواب بالنفي ، لأن من صنع التاريخ قد تحركه قيم أو مثُل عليا قد تكون محل جدل و اختلاف ، أما الذي يكتب التاريخ فقد تحركه دوافع أخرى ، قد تكون مادية كإغراءات من السلطة أو تماهيا مع ايديلوجيا معينة

[1]-صالح بلعيد : **في الهوية الوطنية** ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005 ، ص50.

[2]- عبد العلي الودغيري : **الهوية المغربية و المشكل اللغوي**. مطبوعات الأكاديمية الملكية المغرب: 1988. ص 150

أو نصرة لمذهب ديني معين و لكن النقطة المركزية هي كيف نفهم التاريخ ؟ هل نفهمه بوعينا الآني اللاحق و بالمدارك العقلية المعاصرة أم بوعينا السابق .و نحن هنا نتحدث عن التاريخ بكونه صناعة لا مجموعةسرديات لحوادث الماضي و هو عمود كيان الأمة و ثروة يستغلها المنتصر لإرساء دعائم ملكه و إضفاء الشرعية على حكمه. و في الحالة البربرية، فإنه لا شهود على تاريخ البربر و إنما هناك شواهد على استمرارية هذا الجنس عبر الزمن و أهمها هو محافظة هذه الشعوب على لسانها و تميزها عبر العصور و ذلك رغم التدافع و الصراع الدائم مع الدخلاء. و الواقع أن جزءا كبيرا من تاريخ البربر لم يخضع للتوثيق ، و هذا ما يدفعنا للقول أنهم شعب " غير تاريخي " بتعبير عبد الله العروي ، و نقصد بذلك انعدام الوعي التاريخي أو الوعي بالذات ككيان له هويته و أصالته رغم أنه يعيش التاريخ بعفوية ، و هذا علما أن الوعي بالتاريخ لا يكون إلا في عصور التقدم و الازدهار.و رغم تعدد الروايات التي تناولت التأريخ لهذا الشعب ، إلا أنها لا تعدو أن تكون محاولات لتدوين التاريخ من طرف الغالب ، بينما المعنيون بصناعة تاريخهم و عيش مساراته و مآلاته لم يهتموا يوما بالتأريخ لجنسهم ، و كأنهم بذلك يقولون لا نريد شهودا علينا ، فنحن الشواهد على تراثنا ، نحن التاريخ في هذه الرقعة الجغرافية و غيرنا فيها الحدث ، في فلسفة مجابهاتية للعيش و البقاء ، لا يهمهم تدوين مخزونهم التراثي بقدر ما يهمهم تطوير مهارات البقاء في وجه المستعمر الغازي في كل مرة. علما أن أحداث الماضي تتناقلها البشرية إما عبر أساطيرها لتغذية المخيال السوسيلوجي للذاكرة الجمعية للشعوب ، أو عبر أخبار موثقة، و التاريخ بذلك هو الخبر بأحوال الماضي المحفوظة في وجدان المؤرخ و وعيه و يعطيها الأزلية بتدوينها و إيصالها للأجيال المتلاحقة لتنهل منه و تنمي وعيها بذاتها و بتاريخها.

و من هنا لاحظنا أندعاة الهوية البربرية ينادون بتصحيح التاريخ أو على الأقل إعادة قراءته و يرون أنه ليس هناك تاريخا واحدا في الأمة الجزائرية و إنما تواريخ فهناك تاريخ البربر ، تاريخ العرب ، تاريخ اليهود ، تاريخ المسيحيين ، تاريخ المسلمين إلخ و هو غالبا ما يُقدم في نظرهم سرديا على أنه الحقيقة المطلقة و بلون وردي لا أخطاء فيه و لا جراحات و لا انكسارات ، في حين أنه حين ندقق النظر و نقارب النصوص فيما بينها نكتشف أن هذا التاريخ لم يكن بهذا القدر من الوحدة و النقاء و الشفافية . و يرى المؤرخون أن للتاريخ ثلاثة قراءات ، تاريخ ينقل الأخبار و تاريخ يدوّن تراجم البشر و تاريخ يرتبط بحركة الدولة و

الأمة ، و الذي كتب التاريخ على مر العصور هم دول الاستبداد و دول الاستعمار أي المنتصر دائما الذي يقوم بتشويه ذاكرة الشعوب بآليات الحجب و التمرير ، للتأثير على صناعة القرار بخلخلة الذاكرة التاريخية لهذا الشعب أو ذاك لأنه لا مستقبل واعد لمن لم تنتظم ذاكرته التاريخية ، فالناس لا تُمسح ذاكرتهم و إنما تُشوه عبر الحجب و التمرير . و بقدر ما تكون الذاكرة مشوهة بقدر ما تكون القدرة على بناء المستقبل مأزومة و منه فالتاريخ ليس مجرد أحداث مضت و إنما يُشكل واقعنا و حاضرنا الذي نعيش فيه و هو الذي يمكن أن يصادر مستقبلنا إذا لم ننتبه و ذلك بإعادة إنتاج نفس إشكالات الماضي. و لقد اتُخذ التاريخ كمحور لصراع الهوية في الجزائر فاتخذت الحركة البربرية رموزا و أبطالا لها من رحم التاريخ كالكاهنة و كسيلا و ماسينيسا و يوغرطة في وجه أبطال آخرين دخلاء في نظرهم كعقبة بن نافع و كل من سار في نهجه و هذا ما يجعل من التاريخ حلبة تغترف منها كل فئة برموزها و أبطالها لتكرس التصادم في المخيال الجمعي لكل فئة ، و هنا تطرح مسألة المشروعيات التاريخية فالحركة البربرية ترى أن رموزها و أبطالها هم من رَحِم هذه الأرض بينما الرموز الرسمية هي دخيلة على المجتمع ، بينما ترى الفئة الأخرى أن عقبة هو البطل و الرموز البربرية على أقل تقدير رموز جاهلية و لا تنتمي إليها روحيا و من هنا يكون التاريخ حصان الطروادة في المعركة الهوياتية ما يشكل خطرا في توحيد الرؤية المجتمعية و التصالح مع الذات التاريخية للمجتمع الجزائري بتثمين التعدد الثقافي و التاريخي ، لأن إغفال التعددية المجتمعية يوقعنا في الثنائيات القاتلة التي أجهزت على الفكر الجزائري ككل و التي تحول بينه و بين رؤية سُلَّم الخيارات ، فنحن نرى بثنائية أبيض/أسود و لا شيء بينهما ، بينما هناك مساحة كبيرة من الخيارات يمكن الانطلاق منها لبناء توافق اجتماعي منشود و صرح حضاري مبدع ، و هذه الثنائيات تمنعنا من استيعاب التعددية و الاختلاف مما ينتج تشنجات مجتمعية و توترات ثقافية و سياسية تعوق التنمية و التوافق الاجتماعي. و هذا ما جعل العقلية الجزائرية تخضع لسلطة القديم و سلطة القائم مما يجعلها تهاب السؤال لأنه يهدد استقرارهاو ينزع عنها قناع الأدلجة .

.و الإشكال الثاني هو إشكال الدولة و الثقافة و الدينمن حيث التَشَكُّل و التَمَثُّل ، فالجدير

بالذكر أن أول تجلٍّ لأزمة الهوية اقترن بهوية الدولة الجزائرية المنتظرة، إذ أرادها أب الوطنية الجزائرية " مصالي الحاج " عربية إسلامية أي عربية الثقافة و إسلامية الديانة ، مما دفع جماعة البربريين لطرح رؤية لائكية للدولة تختلف في شكلها و مضمونها عن الدولة العربية الإسلامية. فنحن حين نتحدث عن الدولة الجزائرية نتحدث عنها و كأنها تمثيل صادق يستغرق كل المجتمع و كذلك حين نتحدث عن الثقافة فإننا نتوهَم بأنها تطابق مجتمعها و أن الدولة تعبر عنها أفضل تعبير. فالدولة بوصفها لا فقط جهازا بل نوعا من التعبير السياسي عن روح أو عن تشكل ثقافي يمكن أن يتخذ شكل الدولة-الأمة التي تمثل المثال الأبرز لتشكله بمعنى أنه يمكن للدولة أن تمثل الأمة. بينما الحقيقة هو أننا حين نتحدث عن الدولة فإننا نتحدث عن كيان إداري سياسي قانوني له شكله الخاص و منظومته القانونية الخاصة ،بينما حين نتحدث عن الأمة فإننا نتحدث عن تشكل ثقافي يمكن أن يكون أكثر ديمومة تاريخيا و أكثر رسوخا و تجذرا اجتماعيا مما يجعل فكرة التطابق بين الدولة و الأمة قابلة للنقض و بالتالي هناك فرق كبير بين التشكل الثقافي و بناء الدولة. يرى "ماكس فيبر" في وصفه للدولة أنها تنظيم إداري سياسي أساسه احتكار ممارسة العنف الشرعي ، أما "إرنست جالنير" الآنثروبولوجي فقد ميز بين التشكل الوطني و بين بناء الدولة و الإثنان يعتمدان على الأسطورة في المخيال الجماعي ،أما عند ابن خلدون فالدولة صراع بين الفضيلة و الرذيلة و الحاجة للدولة نابعة من الحاجة لتربية المجتمع لتقريبهم من الفضيلة و ترتكز على بعدين : الشوكة لتنفيذ القانون و التربية لتقليل اللجوء للشوكة. إذن عندما نكون في مجال البناء الوطني نكون في صدد التَشَكُّل، بمعنى أن العناصر التي يمكن أن يتشكل منها هذا البناء الوطني هي أساسا عناصر ثقافية تتعلق باللغة العادات و التقاليد بمكونات الثقافة بشكل عام و خاصة في معناها الآنثروبولوجي في سياق الهوية كما يتشكل مما يجمع أفراد أمة ما من سمات ثقافية يرمزون بها إلى وحدتهم في مستوى روحي ثقافي و رمزي ٍ إذن التَشَكُّل الوطني هو من مجال ثقافي أساسا و لذلك فهو ممتد في الزمن يطول في التاريخ و يمكن أن ييتخذ عدة أشكال و يمر بعدة مراحل تعرف إثراءات و صراعات و تعرجات و تشنجات لتعطي في كل مرة بناءا غير ناجز و قابل للتغيير

عبر مسارات طويلة جدا و ممتدة في التاريخ.و على غير ذلك يكون بناء الدولة الذي يمكن أن يكون ناتجا عن قرار سياسي تتخذه بعض الجماعات التي تشترك في مصلحة سياسية معينة أو بقوة إجتماعية لها عمقها و امتدادها في المجتمع و يمكن أن تكون طبقة أو تحالفا طبقيا إلخ ..يقرر إنشاء الجهاز أولا على مستوى النصوص ثم يتم تجسيد ذلك على أرض الواقع في مؤسسات الدولة و بالتالي نلاحظ أن مجال بناء الدولة لا يتوافق بشكل كلي مع المجال الثقافي الخاص بالتَشَكُّل الوطني ، و بالتالي هناك فارق بين التشكل الوطني من جهة و بين بناء الدولة من جهة أخرى . و هذا ما حدث مع صدمة فكرة الدولة الجزائرية الحديثة ما بعد استعمارية المأزومة إذكانت هي دولة قطرية تتحكم في أجزاء من الرقعة الجغرافية التي يفترض أن الأمة الجزائرية تمتد عليها . إذن التَشَكُّل الهوياتي الجزائري في معناه الوطني هو مديد في التاريخ في حين أن الدولة القطرية الجزائرية وجودها ضعيف و قصير في المسار التاريخي و تمتد على رقاع جغرافية لا يتوافق مع الامتداد الجغرافي لتشكل الأمة الجزائرية بكل مكوناتها أو ما يمثل الأمة، مما يُضعف شرعية الدولة بالنسبة إلى حدودها الإدارية على أرض الواقع. و هذا ما حدث بالفعل مع أول محاولة لطرح تصور للدولة الجزائرية المراد بناؤها و تم بعد ذلك التأصيل لهذه المسألة و ما أفرزته من تجاذبات و تشنجات في أوساط الحركة الوطنية ثم المجتمع ككل فيما بعد الاستقلال. إذن كلما عجزت الدولة عن استيعاب التنوع الثقافي الاجتماعي لمجتمعها كلما ظهرت البناءات ما دون الدولة (القبلية العشائرية و الجهوية) للوجود كآلية و حاضنة للمطالب الاجتماعية . و كل هذا يندرج ضمن إعادة تركيب التوازن بين ما هو مجتمع (دون الدولة) و الدولة و الثقافي (فوق الدولة) مما يبشر بنهاية الدولة ما بعد استعمارية لأنها عجزت عن إنتاج مسارات انصهار جديدة تستوعب الفسيفساء الاجتماعية الثقافية للمجتمع . و الملاحظ أن الحركة البربرية و في منطق " المتمرد أسير المنطق الذي يتمرد عليه " قد حاولت أسطرة هويتها باستحضار نموذج ماضوي منقطع عن الواقع القبائلي المعاش و يتصادم مع البعدين العربي و الإسلامي و ذلك بالاستعانة بالأساطير المؤسسة للمجتمعات كتحويل " يناير " من تقويم فلاحي إلى تاريخ بطولي اقترن باعتلاء " شاشناق " للعرش في مصر و بدء التأريخ من

هذه الحادثة و ذلك من طرف " جمعية الأكاديمية البربرية " في فرنسا . و كذا محاولة تضخيم بعض الرموز البربرية التاريخية دون غيرها في محاولة لبعث الثقة في النفس و الإعلاء الوهمي للذات في المخيال الجمعي للمجتمعكأحد ميكانيزمات الدفاع عن الذات باحتقار الآخر و إعلاء صيغة نظرية تخالف الواقع و لكنها تغني عنه. و استمرت الحركة في شحذها السياسي و الايديلوجي بمقارعة و محاولة تطهير منطقة القبائل من كل ما هو عربي إسلامي كمحاربة تعريب المحيط و الإدارة و يتجلى ذلك في محو اللوائح المكتوبة بالعربية و ترك الفرنسية ، و تجلى ذلك أيضا في الموسيقى الملتزمة التي تبنتها كل الفرق البربرية المناضلة إذ كانت غربية بامتياز و كذا المواضيع التي تحملها و القيم التي تبشر بها من تحرير للمرأة و تنظير لقيم تحررية يسارية في أغلبها لتحدث بذلك قطيعة بين الواقع المعاش للمجتمع القبائلي بمنظومة قيمه المحافظة و بين الصورة التي يراد تثبيتها من طرف النخبة البربرية. و من بين الأبعاد التي تم التركيز عليها أيضا هو عامل " اللغة البربرية " التي قاومت عبر التاريخ لتبقى شاهدا على أصالة هذا الشعب و عامل تمايز و اختصاص عن اللغة الرسمية الدولتية . رغم أن الغالبية العظمى من نشطاء الحركة البربرية ينافحون و يناطحون عن لغتهم الأمازيغية بالفرنسية في مفارقة كبيرة ، فتقريبا كل النشاطات التي تدور حول الأمازيغية من محاضرات أو نقاشات أو مداخلات علمية أو تلفزيونية تكون بالفرنسية . و في الفصل القادم سنتعرض للوضع اللغوي الجزائري بكل حيثياته .

الفصل الرابع

****

الوضعية اللغوية في الجزائر

1- الوضعية اللغوية في الجزائر :

في الجزائر ، و بعد خمس و خمسين عاما من استرجاع السيادة الوطنية ، و بعد تضحيات جسام في حرب بشعة ضد الدمار الاستعماري الفرنسي ، نجد أن عدد الناطقين بالفرنسية يفوق بكثير عدد المتحدثين بها من الجزائريين إبّان " الجزائر الفرنسية " ، و هذا رغم مباشرة عملية التعريب ، التي انتهجتها الدولة الجزائرية منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي في المنظومة التعليمية ، إلا أن ما يقارب نصف الصحف في الجزائر تصدر باللغة الفرنسية ، و بالفرنسية يخاطبنا المسؤولون الرسميون السياسيون منهم و العسكريون في استمرار لإعادة إنتاج النمط الثقافي الكولونيالي .

هذه الوضعية المفارقاتية تَنِمُّ عن انقسام عميق في الموقف تجاه وضعية اللغة الفرنسية في المجتمع و الدولة الجزائرية ، فمن شريحة تتأسف على زوال الاستعمار و تتباكى على انحسار دور اللغة الفرنسية ، و تُعَلِّق أسباب التخلف على شماعة التخلي عن استعمال اللغة الفرنسية ، إلى شريحة تعتبرها " غنيمة حرب " يجب الاستمتاع بكل ما تجود به هذه اللغة من مزايا و محاسن ، إلى من يعتبرها من مزايا ورثة الحقبة الاستعمارية ، ما أدى إلى بلورة استراتيجيات متباينة للتعامل مع هذا المعطى السوسيوثقافي .

إن التفوق الاستعماري حضاريا و ثقافيا و عسكريا ، قد فرض واقعا جديدا على الجزائريين ، واقع يفرض منطقين لا ثالث لهما ، إما الرضوخ و إما الإبادة ، فكان للذين اختاروا الرضوخ ، و لكي يتسلقوا السلم الاجتماعي في النظام الاستعماري ، أن يتعلموا و يتمكنوا من اللغة الفرنسية و يُعَلِّموها لأبنائهم ، لأن الفرنسية كانت تمثل آنذاك لغة الخبز و العلم و الأنوار و وسيلة لإحداث الحراك الاجتماعي و الترقي من طبقة الأهالي إلى طبقة أعلى في سلّم الإدارة الاستعمارية ، فكان على من يعمل مباشرة عند الأسياد و الأجانب أو المعمرين أو عند العائلات الكبيرة الموالية لفرنسا ، أن يتعلم الفرنسية ، و كذا الموظفين الصغار في التجارة و في الإدارة لترتبط بذلك الفرنسية لديهم ارتباطا عضويا بكسب الرزق و المعاش اليومي ، إذن عملية التنمية الاقتصادية قد ساهمت في نشر اللغة الفرنسية لدى شرائح عريضة من السكان الذين يعملون لدى المعمرين الأوربيين ، و ذلك بكثرة في المدن و الضواحي المجاورة لها .فأصبح إتقان اللغة الفرنسية غاية كل عامل حريص على إيصال صوته لسيده و الفهم عنه و ليأخذ عنه أوامره و توجيهاته .

و مع انتصار اليساريين في الانتخابات و مجيء « ***Jules ferry*** » ، استطاع أن يصدر قانونا حول التعليم المجاني و الإجباري ، فمنذ 1883 تقرر تطبيق هذا القانون في الجزائر ، و ذلك بخلفية أن تعليم الفرنسية سيساهم في " تمدين العرب " رغم الفصل بين المدارس الموجهة لأبناء الأوربيين ، و تلك الموجهة لأبناء العرب .و لقد أثار هذا القرار استنكار المعمرين بصحفهم و منابرهم السياسية ، إذ نَدَّدوا غيرما مرة بهذا القرار ، منتقدين هذه الخطوة التي ترمي إلى تعليم الأهالي فيقول أحد الصحفيين :" إن القبائل يعتادون المدارس بكثرة ، يتعلمون جيدا و بسرعة ، و نحن مذعورون برؤية هذا الكمّ الهائل من العرب المتعلمين و نتساءل عما سيفعلونه عندما يصبحون كبارا " [1] . هذه المعارضة الهائلة من الأوروبيين لتعليم الفرنسية لأبناء الأهالي ، كانت في الحقيقة صحوة للوعي السياسي لدى المُهيمِن كما لدى المُهيمَن عليه ، بأن استخدام الفرنسية بالنسبة للمهيمِن هو أداة و عنوان الهيمنة السياسية ، بينما للمهيمَن عليه هو مجرد ترقية اجتماعية بسيطة لافتكاك بعض الحقوق .فنجد أن فرنسيي الجزائر قد نجحوا إلى حد ما في منع إنشاء المدارس في المدن و في معظم النواحي لفائدة التلاميذ ذوي الثقافة الإسلامية : " في 1892 ، 1.7 % فقط متمدرسين ، 1914 5.7 % ، ثم بلغت هذه النسبة 12.7 % سنة 1954 "[2]. و هذا ما يفند المقولة الشائعة بأن فرنسا قد فضلت هذه المناطق و حابت ساكنتها بمنحهم المناصب و المزايا الاجتماعية و الاقتصادية .

2- <u>الازدواجية اللغوية :</u>

يرى « ***ferguson*** » أن ازدواجية اللسان أو الازدواجية اللغوية تُعتبر آلية مفاهيمية تُستخدم في التحليل السوسيولساني ، و ذلك لتمييز الطابع التنافسي بين متغيرين للغة واحدة ، و اللتين تتمتعان بوضعية مختلفة ، إحداهما تكون لغة الاستعمالات اليومية و التواصلات العادية (سفلى L) ، و الأخر أكثر رسمانية و تتعلق بالأنظمة : التعليمية و الاقتصادية و الإعلامية (عليا H)[3] . و منه نلاحظ أن اللغة في وظيفيتها تنتشر في مجالين

---

[1] *Yves Lacoste : **« enjeux politiques et géopolitiques de la langue française en Algérie , contradictions coloniales et postcoloniales »** , IN : la découverte /Hérodote , 2007 / 3 , N° 126 ,P8*

[2] *Yves Lacoste , OP.CIT ,P 10*

[3] *Boyer H : **éléments de sociolinguistique, langue communication et société**, Paris , Dunod , 1991 , P 68*

متمايزين ، أحدهما ذاتي يعبر عن الحاجات الأساسية العفوية للمجتمع ، و الثاني يُعبِّر عن المجال الرسمي المُتَوَاضَع عليه من قِبَل الشعب و الحكومة ، و في هذا الاتجاه يقول « ***louis Calvet*** »: " إن مستقبل اللغات يتعلق في جزء منه بالعلاقة ما بين الحاجة الاجتماعية (الطلب) و قدرات اللغات المتوفرة أو المتواجدة (العرض) " [1] .و دائما بخصوص الازدواجية اللغوية ، نلاحظ أنه قد تدرجت الآراء حولها من متغيرات للغة واحدة بمكانات متفاوتة ، إلى لغتين مختلفتين تماما . و يمكننا القول أن الازدواجية وضعية سوسيو لسانية ، أين تكون لغتان أو لهجتان من وضعيتين سوسيو ثقافيتين مختلفتين ، بحيث تكون الأولى عامية أو محلية« ***vernaculaire*** » ، و الثانية مفروضة من طرف السلطات في إطار سياساتها اللغوية ، بحيث تتولى العامية حقل الاحتياجات اليومية ، و الثانية العالمة أو الناقلة « ***vehiculaire*** » تتولى التعبير عن الرؤية المؤسساتية للدولة ، و لا يُحسّ بالصراع بين هاتين اللغتين إلا من كان يتحدث بهما في آن واحد ، فيحس بالمستوى الأدنى للغة العامية في مقابل اللغة المُمَجَدَة و القوية التي تستمد قوتها من قوة الدولة بإيديلوجيتها و مؤسساتها و قوانينها و إمكاناتها المادية و المعنوية.

3- السياسة اللغوية :

نعني بالسياسة اللغوية ، مجموع الخيارات و التدابير الواعية و المقصودة ، التي تتخذها السلطة الحاكمة لتحديد و إدارة العلاقات بين مختلف لغات الحقل اللغوي المجتمعي بالحياة الاجتماعية للمجتمع . أما التخطيط اللغوي فنعني به تنفيذ هذه السياسة اللغوية و تجسيدها على أرض الواقع. هاتان العبارتان، السياسة اللغوية و التخطيط اللغوي يسمحان بتمييز مستويين لتأثير السياسي على اللغات المستعملة في مجتمع ما. فالتخطيط اللغوي هو بمثابة المرور للفعل القانوني و الإداري و التجسيد الفعلي على المستوى المؤسساتي لخيارات و تطلعات الدولة و المجتمع و المصوغة في السياسة اللغوية . و الأهداف اللغوية عادة ما تُستشف من الأهداف العامة للمجتمع و التي تتمثل أساسا في تحقيق الوحدة الوطنية ، و توجيه الاقتصاد و الثقافة و العلاقات الدولية . و بخصوص هاتين العبارتين يقول «***HENRI Boyer***»: " غالبا ما تُستخدم عبارة سياسة لغوية مقرونةً

[1] *Calvet , L .J : **pour une écologie des langues du monde** , Plon , Paris , 1999 , P105*

بعبارة التخطيط اللغوي ، فتارة تؤخذان على أنهما كوجهين لعملة واحدة ، و تارة أخرى تسمحان بالتمييز بين مستويين من تأثير السياسي على اللغات المستعملة إلى المرور للفعل القانوني ، و التجسيد على الصعيد المؤسساتي (الحكومية ، الجهوية و حتى الدولية) لخيارات و تصورات هي تلك التي تتضمنها السياسة اللغوية "[1]. إذن هذه السياسة اللغوية ترتكز على توجهات سياسية ايديلوجية بسيطة ، و تندرج في إطار مضامين السوق اللغوية ، و يمكن لهذه الديناميكية المزدوجة اللغة أو المتعددة اللغات أن تنتقل من التعايش السلمي إلى الصراع المفتوح مرورا بكل تجليات التنافس و التنازع على أساس الاختلال الوظيفي و اللامساواة في المكانة ، و بالتالي فإن الأسباب غير اللغوية للهيمنة و بالتالي للصراع ليس من السهل تحديدها و لعل الأكثر ترددا هي : الديمغرافية، السياسية ، الاقتصادية ، العسكرية و الاجتماعية .

أما " جان لويس كالفي " فيعرفها بقوله :" نحن نعتبر السياسة اللغوية مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة و الحياة الاجتماعية و بالتحديد بين اللغة و الحياة في الوطن "[2]. و حين نتحدث عن علاقة اللغة بالوطن فإننا حتما سنتطرق إلى مكانة هذه اللغة في مؤسسات الدولة و علاقتها باللغات الأخرى و وظائفها السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي يُراد لها أن تضطلع بها من خلال أهداف " السياسة اللغوية التي تتدخل لمعالجة مشكلات تعترض اللغة من قبيل التدخلات على متن اللغة ، كالتدخل مثلا في صورة اللغة بابتكار الكتابة ، أو بتوليد قاموصها المعجمي ، أو من قبيل التدخل على منزلة اللغة بالتدخلات على وظائف اللغة و منزلتها الاجتماعية و علاقتها باللغات الأخرى ، فبهذه السياسة اللغوية يكمن تغيير المفردات و توليد الكلمات الجديدة و مكافحة الاقتراض ، كما يمكن تغيير منزلة اللغة بترقيتها إلى مصاف اللغات الرسمية مثلا "[3]. و لقد تجلت السياسة اللغوية في الجزائر الفتية في عملية التعريب للمنظومة التعليمية منذ ميثاق 1976 ، و التي جاءت ضمن مشروع كامل يهدف إلى استرجاع مقومات الشخصية الوطنية التي يجب أن تكون على النقيض تماما من مقومات الشخصية الاستعمارية الغربية التي

[1] *BOYER H : **Sociolinguistique, Territoires et objets**, De lachaux et Niestlé,Paris, 1996, P.23*
[2] *Louis- Jean Calvet: **La Guerre des Langues et les politiques linguistiques**, Hachette Littératures, France, 1999, p154- 155.*
[3] - لويس جان كالفي : **السياسات اللغوية** ، ترجمة محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 23

فرضها الاحتلال الفرنسي و ذلك بما تقتضيه ضرورة بناء الدولة بكل حتمياتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية .

4- عن اللغة العربية و التعريب :

لقد عرف العالم الإسلامي عامة حالة الثنائية اللغوية« ***diglossie*** » ، حيث اتُخِذت اللغة العربية كلغة رسمية لدولة الامبراطورية الإسلامية في اقتصادها و سياستها و علومها و ديانتها بالخصوص، ما جعل منها لغة الدين و الدنيا ، دون أن يمنع ذلك من تعايشها مع مختلف اللغات المحلية الأعجمية للمجتمعات التي تم فتحها كالكردية ، الفارسية و البربرية دون أدنى مشكلة . و جدير بالذكر أن الحضائر الكبرى هي التي تتعرض للصراع اللغوي بشدة ، بين لغة الغالب و لغة المغلوب ، و ذلك منذ الفينيقيين، الرومان، العرب وصولا إلى الفرنسيين، فلا شك أن انتشار اللغة العربية بين النخب البربرية مثله مثل الظاهرة التي نتجت فيما بعد مع التعليم الفرنسي الذي ولّد نوعا من الشعور بالاعتزاز بالأصل البربري و نوعا من الاهتمام بالتاريخ الأمازيغي .

و " بكونها لغة القرآن ، فإن اللغة العربية قد تمتعت بالطابع المقدس ، هذه الوضعية المميزة سمحت لها بابتلاع حقول كبيرة للغة الأمازيغية غير المقدسة و غير المثمنة "[1] ، و لكن مع وصول قبائل بني هلال و بني سليم ، بدأت عملية العَوْرَبَة خارج المنظور الديني ، و ذلك بإقامة تحالفات آنية مصلحية مع مختلف القبائل و السلالات البربرية المتناحرة و المتقاتلة ضد بعضها البعض ، و كمكافأة لنصرتهم لهذه القبيلة أو تلك ضد أختها ، يتم التنازل لهم عن الأراضي و الممتلكات لضمان ولائهم و دوام تحالفهم ، مما أعطى الفرصة للوافدين الجدد باكتساح مساحات كبيرة بين القبائل البربرية التي أصبح حيزها الجغرافي يتقلص شيئا فشيئا بفعل ما يفرضه الصراع من أجل البقاء ضد القبائل المعادية .

هذا المد الهلالي الذي قلب البنية الاجتماعية و الاقتصادية للمناطق التي اكتسحها فَحَوَّلَها إلى مناطق بدوية رعوية بالأساس و هذا ما يفسر أو يعطي دلالة تاريخية لانتشار نمط البداوة الهلالية في العديد من المناطق البربرية سابقا، و تقمص اللسان العربي في مكان اللسان البربري.فتشكل الكيان الثقافي الجزائري بتزاوج العناصر العربية و البربرية في بوتقة الدين الإسلامي . و مما لا شك فيه، أن هذه الثقافة الجزائرية قد تَعَرَّضت للصراع مع

[1] *Mouloud lounaouci, « la question berbère en Algérie , âpres luttes , acquis réversibles » el watan , 15 avril , 2010*

الآلة الايديلوجية التي فرضها الاحتلال الفرنسي ، و ذلك بمحاولة طمس معالمها كالمواسم الدينية و الاجتماعية ، و التاريخ و اللغة و الدين ، و حُوّلت المساجد إلى كنائس أو مستشفيات . أما الإنسان الجزائري فقد تعرض لهذه الصدمة الحضارية بدوره ، فأحدث ذلك ارتجاجا في بنيته الذهنية و تصوراته و تمثلاته للواقع فنجد أن :" المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب و المدارس بلغتهم ، أما الفلاحين فقد تُركوا للخرافات و الجهل ، و قد كانت اللغة العربية أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة " [1] و منه يمكننا القول بأن وضعية اللغة العربية كمُقَوِّم رئيس للشخصية الجزائرية قد تمت محاربتها و التضييق عليها بشتى الوسائل ، و الهدف الرئيس وراء تلك الحملة عليها " هو القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية و بالتالي القضاء على الشخصيةالجزائرية " [2]. و من هنا يمكننا القول أن الثقافة العربية الإسلامية بهذا الشكل هي الثقافة القومية للمجتمع الجزائري و هي المقوم الرئيس للشخصية الجزائرية ، بحيث ترتكز على الثقافة العربية التي تمثل فيه اللغة العربية الإطار المرجعي الذي ساهم في إثراء الحقل الثقافي بمختلف الإنتاجات الأدبية و الفلسفية و العلمية في عصور الرقي الإسلامي ، و هي مرتبطة أشد الارتباط " بالقرآن و الدين و الشريعة التي تعتبر محك المجتمع ، و أساس ما كان يُلَقَّن و يُدَرَّس في حلقات و أطوار التعليم المختلفة "[3]. هذه الثقافة المُتجَذِّرة و المُتأَصِّلة في المجتمع آنذاك هي نتيجة لصيرورة تاريخية قد لعبت المساجد و المدارس و الكتاتيب و الزوايا الدور الرئيس في تعليم المجتمع و تثقيفه . و لقد كان التعليم منتشرا في كل أمصار الجزائر و ذلك بشهادة المستعمر الفرنسي إذ يقول أحد إداريهم لقد كان :" التعليم الابتدائي منتشرا بينهم بمقدار انتشاره عندنا ، فتوجد المدارس للقراءة و الكتابة في معظم الحواضر و القرى " [4]. و هذا التعليم العربي (باللغة العربية) هو أهم دعائم الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع ككل و هو في نفس الوقت يُكرِّس دور الدين الإسلامي كمقوم رئيس في تكوين الشخصية الجزائرية . بهذه الطريقة استطاع التعليم باللغة العربية أن يحافظ على ديمومة الثقافة العربية الإسلامية من خلال برامج تحفيظ القرآن و تفسير السنة النبوية و تعليم الشريعة و الفقه و اللغة و

[1] سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930** ، بيروت ، مارس 1969 ، ط1 ، ص 71

[2] تركي (رابح) ، **التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1930-1956** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1975 ، ص 325

[3] إبراهيم مهديد ، **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران 1850-1912** ، منشورات دار الأديب ، ص 7

[4] *Rinn (Louis), **« Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie »,** Fevrier 1882 , p 10.*

ذلك عبر المدارس و الزوايا و المساجد التي كانت مراكز إشعاع علمي و حضاري. و لكن حتى الاستقلال ، لم تكن أبدا اللغة العربية شرعية رغم كونها اللغة العالمة للبلد منذ قرون طويلة ، و هذا العنف اللغوي و الثقافي الذي سُلّط عليها هو الذي يُفَسر إلى حَدٍّ ما تلك الهواجس الهوياتية العربية الإسلامية ، التي استنفرت و استدعت المقومات التي تعرضت للخطر لتتخذ منها ملاذا و حصنا و عنوانا لهويتها .

5- وضعية اللغة العربية :

إن اللغة العربية تتمتع بطابعها الرسمي منذ الاستقلال ، و انتزعت صفة لغة الأمة بكل ما تحمله هذه الصفة من دلالات رمزية ، و هذا ما ذهب إليه " فضيل شريڤان " حين يقول :" (العربية) هي اللغة التي تحاول الدولة فرضها منذ استقلال الجزائر منذ 1962 ، باعتبار انضمامها للجامعة العربية ، فإن المسؤولين الجزائريين قد أسرعوا للتأكيد على عروبة الجزائر ، و اعتبار العربية من بين المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري " [1] .و لقد كانت اللغة العربية إبان الاحتلال الفرنسي ، تهدف إلى توحيد كافة الجزائريين كشعب عربي مسلم ، في وجه المحاولات المتتالية لفرنسته من قِبَل الإدارة الاستعمارية ، هذا الصراع كانت فيه اللغة العربية المحرك الأساس فكانت بذلك عنوانا للعديد من الثورات الشعبية الرامية لاسترجاع السيادة الوطنية ، و تشييد دولة مستقلة ، و في هذا تقول " خولة طالب الابراهيمي " واصفة الدوافع التي تشحن النخب الوطنية للقيام بالثورات و تلخصها في :" .... رغبتها في استرجاع دولة عربية و التي بإمكانها قيادة مقاومة ضد المحتل الأجنبي ، و كذلك النداءات للجهاد المقدس لبوعمامة و المقراني ، و التي كانت بغرض الحفاظ على الدين ، العادات ، الحقوق و القيم التقليدية و منها اللغة التي لا تقل رمزية "[2].

هذا المطلب لإقحام اللغة العربية في الصراع الفكري و الثقافي ضد الفرنسة و الإدماج ، لم يتوقف على القادة الأوائل للثورات الشعبية ، و إنما تعداهم ليتبلور في أدبيات جميع أحزاب الحركة الوطنية دون استثناء :" جميع الأحزاب (مكونات الحركة الوطنية) مهما كان انتماؤها السياسي أو الايديلوجي ، قد أدرجوها في برامجهم ، ، الشباب الجزائري ، فيدرالية المنتخبين ، ***AML , UDMA*** ، نجم شمال افريقيا ، حزب الشعب الجزائري و حتى

---

[1] *Cheriguen Foudil* ***, politiques linguistiques en Algérie****, In : Mots , septembre 97 , p 62*

[2] *Khaoula Taleb Ibrahimi ,* ***les Algériens et leurs langues*** *, edition al Hikma , Alger , 2011 , p 18*

الحزب الشيوعي الجزائري ... و لكن جمعية العلماء المسلمين هي من وضعت برنامجا ثقافيا شاملا لاسترجاع جميع مقومات هوية الأمة الجزائرية "[1] .

و تجدر الإشارة إلى أن السلطات الاستعمارية قد عكفت على إزالة اللثام عن اللغة و الثقافة و التاريخ البربري و لكن رغم ذلك ف " إذا كانت الدراسات البربرية ، خلال الاحتلال الفرنسي قد عرفت تطورا غير مسبوق ، فإن تطوير اللغات البربرية لم يكن أبدا يُمَثِّل اهتمام الإدارة الفرنسية ، ففي سنة 1885 تم استحداث مَنْبر أو مقعد للغة القبائلية في المدرسة التحضيرية للتعليم العالي للآداب ، و لكن هذه التجربة لم تَدُم طويلا نظرا لقلة المترشحين ، لأن هذه الشهادة لا يستفاد منها ، ما أدى بتعليم القبائلية للتعرض للتشويه اللاذع ، لكن في المقابل كانت الحرب على انتشار العربية الكلاسيكية في منطقة القبائل من ثوابت المشاريع الاستعمارية . و لقد اتخذت هذه الحرب من إضعاف سلطة الزوايا التي تعتبر حصنا للحفاظ و لتعليم اللغة العربية ، أداة لها . و بذلك نجد أن الحكومة العامة قد أمرت سنة 1906 أن تُدَوَّن كل العقود القضائية الصادرة في منطقة القبائل باللغة الفرنسية و ذلك بهدف الاستبدال التدريجي للغة العربية باللغة الفرنسية في كل العقود التي تُستصدر في هذه المنطقة "[2] ". و بالتالي يمكن القول أن الاحتلال قد عمد إلى القضاء المُمنهج على العربية «***désarabisation***»في منطقة القبائل إلا أن هذهالعملية قد أتت بنتائج عكسية ، إذ عزَّزت ارتباط طبقات جِدُّ معتبرة من نُخبها المتعلمة باللغة العربية الكلاسيكية ، بل و أكثر من ذلك فقد جعلت من هذه اللغة العريقة الممجدة ، راية لتوحيد الجزائريين المسلمين " . و مع استرجاع السيادة الوطنية 1962 ، و بقصد استكمال التحرر الثقافي أعلنت السلطة الحاكمة اللغة العربية لغة رسمية للدولة الجزائرية الفتية ، و لكن رغم القرار السياسي القاضي بجعلها لغة الدولة ، لغة المدرسة و التعاملات الرسمية ، إلا أن ذلك لم يمنعها من المواجهة الشرسة مع الفرنسية التي احتفظت بوضعها المميز كلغة العلم و التكنلوجيا و الرقي الاجتماعي لتكريس نوع من التراتبية الاجتماعية و كذا صراعها مع اللهجات المحلية التي تتقاسم معها الحقل الوظيفي اليومي ، و ذلك بإشباع حاجات الناطقين بها من حيث التعبير عن أحاسيسهم و حاجاتهم اليومية الضرورية ، فتكون بذلك قد انتزعت من اللغة العربية المعيارية مهمة التعبير عن الفطرة و الحاجات الأساسية للإنسان الجزائري و عن الوعي الجمعي لأفراد المجتمع ككل.

---

[1] *Khaoula Taleb Ibrahimi , OP.CIT , P45*

[2] *Charles Robet Ageron , la France a-t-elle eu une politique Kabyle, p 28, persée .fr*

و لكن رغم هذا الصراع ، فإن عملية التعريب لم تتوقف ، فقد مست قطاعات السيادة كالشرطة و الجيش و الدرك و القضاء و المدرسة ، من دون أن تتمكن من التغلغل في قطاعات استراتيجية أخرى كالعلوم التقنية و الطب و الصناعة كالتجارة الخارجية و في هذا يرى« ***Grand guillaume*** » :" ... إذا كانت العلاقات مع الخارج كثيفة، فإن التعريب صعب ، فبالنسبة للتجارة الخارجية و الصناعة يمثل التعريب تعقيدا غير مُجْدٍ ، بينما في قطاعات القضاء و الداخلية و التي لا تهم إلا الجمهور المحلي فإن التعريب يمثل إشكالا أخف "[1].

من هنا يمكننا أن نستشف مدى حرص القائمين على الحكم على إدارة الصراع اللغوي بين العربية و الفرنسية بطريقة براغماتية إلى حد ما من خلال سياساتها اللغوية التي تبنتها منذ الاستقلال إلى يومنا هذا .هذا بالإضافة إلى الصراع بين دعاة التعريب و دعاة البربرية ، الذين رفضوا التعريب بحجة الخطر الذي تمثله العربية الرسمية على اللغة البربرية رغم أن اللغة العربية الكلاسيكية لا تنافس اللغات البربرية في الحقل اللغوي الجزائري أو المغاربي عامة ، إذن تقديم اللغة الأمازيغية كضحية لامتداد و انتشار اللغة العربية المدرسية ، يُعتبر ليا لعنق الحقائق و تشويها للفطرة السليمة ، لأنه لا يجب أن نتجاهل كون هذه اللغة -التي تقتصر على الحقل الرسمي فقط - لا تتعارض أبدا مع اللغة الأمازيغية التي تُستعمل في حقول واسعة تشمل المجال الشخصي و اليومي في المناطق الناطقة بالأمازيغية ، و هذا نظرا لعدم تقاسمهما لنفس مجالات الاستخدام "[2] ، و لكن ليس الأمر كذلك بالنسبة للغة الفرنسية ، هذه اللغة الحديثة التي اقتحمت و تجاوزت المجال الوظيفي للعربية الأدبية ، و كذا المجال الوظيفي للقبائلية ، و ذلك بتحولها تدريجيا إلى لغة التبادلات اليومية للمثقفين . و لكن يبقى من المشروع أن نتساءل كيف أن العربية لم تفرض وجودها على اللغات الهند- أوروبية ، بينما فرضت نفسها بسهولة على البلدان التي تتحدث اللغات المنتمية للمجموعة الحامية- السامية « ***chamito-sémitiques*** »؟ يمكننا القول أنه و بالنسبة للغة الأمازيغية فإنها كانت مجموعة من اللهجات المختلفة باختلاف المناطق ، و التي لم تتوحد في لغة معيارية واحدة ، يمكن لها أن تكون اللغة الحاملة « ***véhiculaire*** » لمختلف فنون العلم و السياسة ، ما أدى بالنخب البربرية آنذاك لتبني

---

[1] *Grandguillaume Gilbert , arabisation et politiques linguistiques au Magreb , persée.fr*

[2] *Abderazak Dourari , « pratiques langagières effectives et pratiques postulées en Kabylie », insaniat/إنسانيات, 17-18/2002, pp 17-35*

اللغة العربية العالمة كلغة علم و سياسة و اقتصاد و هذا ما عمق الهوة بين مختلف المناطق البربرية ، بمعنى عِوَض أن تلتقي مختلف النخب البربرية ضمن حاضنتها الثقافية و اللغوية البربرية المشتركة ، صارت تتقمص ثقافة و لغة بديلتين عن ثقافتهم و لغتهم الأصليتين . و في هذا الصدد دائما ، نجد أن إتقان و إجادة التحدث باللغة العربية الذي يقترن غالبا بمستوىَ معين من المعرفة الدينية ، يضمن لصاحبه نوعا من الهيبة الاجتماعية و يتيح له الارتقاء في السلم الاجتماعي لتبوئ مناصب دينية ، قضائية أو إدارية و هذا في نظرنا ما ساهم في اكتساح اللغة العربية للفضاء الوظيفي للغة البربرية شيئا فشيئا لأنها قرنت بين الديني و الدنيوي أو بين المقدس و الزمني .

6- وضعية اللغة الفرنسية :

إن الجزائر على غرار بلدان المغاربية ، لم تحتك بالفرنسية إلا مع الاحتلال الفرنسي 1830 ، و يتشكل حقلها اللغوي من باقة متنوعة من اللغات . هذه التشكيلة اللغوية المعقدة تتشكل أساسا من اللغة العربية الدارجة " الدارجة الجزائرية " و التي تمثل لغة السواد الأعظم من الشعب ، و العربية الفصحى أو المعيارية و التي توظف في المجال الرسمي و الديني ، اللغة الفرنسية للتعليم العلمي و المعرفي و اللغة البربرية أو الأمازيغية بمختلف تنوعاتها المحلية أو الإقليمية و هذا في تواصل و احتكاك دائم مع اللغات المهيمنة (العربية الفصحى و الفرنسية) . هذه الوضعية اللغوية الثرية بكل غموضها ما فتئت تمثل مثارا للتساؤلات و البحوث.

هذا المناخ اللغوي قد عرف "حرب اللغات " حسب " كالفي " بين اللغة العربية و اللغة الفرنسية ، بكونهما لغتا المجال المعرفي و العلمي للدوائر و كذا العلاقات الرسمية . و لكن رغم تعقد هذه الوضعية السوسيولسانية ، إلا أن الجزائر قد تَبَنَّت سياسة التأحيد اللغوي و الذي يدعو لتفضيل لغة واحدة و وحيدة على الصعيد السياسي ، القانوني ، الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي إلخ .

و مطارحة موضوع السياسة اللغوية و التعريب بالخصوص في الجزائر ، ستؤدي بنا حتما لإثارة موضوع وضعية اللغة الفرنسية في هذه السياسة ، هذه اللغة التي تبقى لغة النخبة و بدأت تفقد شيئا فشيئا من مجال تأثيرها أمام اللغة العربية ، و ذلك رغم تمتعها بوضع مفارقاتي غريب . إذْتعتبر اللغة الفرنسية ، اللغة الأجنبية

الأولى رسميا ، و هي " غنيمة حرب " لدى البعض ، و استمرارا للتواجد الاستعماري عند البعض الآخر ، و لكن بعيدا عن الرسميات فهي تحتل مكانة معتبرة في المشهد اللغوي و الثقافي اليومي لشرائح عريضة من الشعب الجزائري ف :" الفرنسية ، تلك اللغة المفروضة على الشعب الجزائري بالحديد و الدم ، و بعنف قل نظيره في تاريخ البشرية ، قد شكلت أحد العناصر الأساسية لفرنسا حيال الجزائر ، "[1]. فكانتبذلك اللغة الفرنسية في قلب الصراع و رأس حربة في يد الإدارة الاستعمارية في صراعها ضد مقومات المجتمع الجزائري، بهدف فرنسته و تنصيره و ذلك لإحكام السيطرة على كافة البلاد و ابتلاعها ثقافيا و اجتماعيا . و بهذه الصورة ، فُرضت اللغة الفرنسية بالقوة ، و اقترنت بالاحتلال ، إذ أنها تعتبر إحدى تجليات الاستعمار و الصدام مع الآخر ثقافيا و لغويا . مما وصمها ب " لغة المستعمر " في الوعي الجمعي الجزائري ككل ، ليترسخ هذا الوصم شيئا فشيئا حتى يصبح فيما بعد الاستقلال وقودا لصراعات سياسوية بين النخب المثقفة في الجزائر .و لقد تأثرت الحضائر الكبرى في الجزائر باللغة الفرنسية أكثر من الأرياف و البوادي و ذلك نظرا لتمركز الإدارة الفرنسية في المدن الكبرى دون غيرها و هذا ما يؤكده « ***Desirat Claude*** » حين يقول :" في جزائر 1892 ، كانت اللغة الفرنسية ، تلك اللغة الأم ، متمركزة أساسا في المدن "[2].و رغم كونها جاءت مقترنة بالاستعمار إلا أن ذلك لم يمنعها من التغلغل في مجال الوظيفية الضرورية للمجتمع الجزائري ، إذ كانت لغة المعرفة و التمدرس و لهذه الفترة تعود أولى إرهاصات عملية الفرنسة .

إذن قبل استرجاع السيادة الوطنية كانت اللغة الفرنسية مفروضة بالحديد و النار ككل السياسات الاستعمارية المفروضة على الجزائريين و لكنها في آن واحد كانت الجسر الواصل بالأنوار و الحضارة الغربية ، إذ تمكن العديد مِمَّن ساعفهم الحظ في مزاولة الدراسة من الغوص في الثقافة الفرنسية خاصة و الغربية عامة ، ليكتشفوا آفاقا جديدة في حياة الشعوب و الأمم ، مما أيقظ لدى العديد منهم الإحساس بالذات الجماعية و تمايزهم عن الجسد الفرنسي ، فاتخذوا من اللغة الفرنسية مطية ليعبروا للفرنسيين أنفسهم و للعالم أجمع أنهم ليسوا فرنسيين ، و أنهم أمة ضاربة في التاريخ و أن ثقافة الأنوار و الديمقراطية تناقض الاستعمار و الظلم و استعباد البشر و الشعوب ، و هذا دون أن ننفي أن هنالك

[1] *Khaoula Taleb Ibrahimi , OP.CIT , P46*
[2] *Desirat Claude : **la langue française au 20 eme siècle** , ED BORDAS , Paris , 1976 , P 85*

مجموعة من المفرنسين الجزائريين، الذين تحت وقع الانبهار بالثقافة المدنية الفرنسية قد نادوا بالاندماج الكلي و الذوبان في الثقافة الفرنسية ، و هذه ظاهرة طبيعية في كل المجتمعات ، تستجيب لثنائية " آرنولد توينبي " " تحدي – إستجابة " .

أما في جزائر السيادة منذ 1962 ، فقد اعتبرت اللغة الفرنسية امتدادا للهيمنة الثقافية الاستعمارية ، مما استدعى التفكير العاجل في وضع آليات لاستكمال الاستقلال السياسي و العسكري باسترجاع الاستقلال الثقافي ، فكان التفكير في استبدال اللغة الفرنسية باللغة العربية الفصحى أمرا لا مفر منه ، و هذا يعود لكون اللغة العربية التي كانت عنوانا لتوحيد الثقافة الجزائرية العالمة في وجه الفرنسة ، قد كانت غريبة و ممنوعة على الجزائريين ، و بالتالي فإن المنطق السيكلوجي لدى القادة الجزائريين و الذي يقضي بأن" المتمرد أسير المنطق الذي يتمرد عليه " ، بمعنى أن الاستعمار في سياسته للسيطرة على الجزائر ، قد فرض منطق " غربة اللغة العربية في وطنها " فنشأ في الضمير الجمعي للنخب الجزائرية نوع من التمرد على هذا المنطق ، فبعد الاستقلال مباشرة طفا هذا التمرد ليتجسد في الواقع في إرادة التمرد على الفرنسية و الانتصار للعربية التي تم استبطانها كمقوم رئيس للحفاظ على الهوية الجزائرية آنذاك و كعامل موحد و معبر عن الثقافة العالمة لكافة الشعب الجزائري ، هذا بالإضافة إلى ما يقتضيه تشييد الدولة الجزائرية الفتية التي لا يعقل أن تتبنى الفرنسية كلغة رسمية لها ، بينما تخلصت من القهر الاستعماري بتضحيات جسام ، و لكن رغم هذه الرغبة الجامحة في القضاء على الفرنسية ، و هذا ربما يعود لطبيعة التشكيلة الحاكمة آنذاك ، إذ كان الرئيس أحمد بن بلة متأثرا كثيرا بشخصية الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بتوجهه القومي العروبي ، و كذا الراحل هواري بومدين الذي تلقى تعليما أزهريا ، قلت رغم هذه الرغبة الجامحة ، إلا أن الشروع في مباشرة عملية التعريب قد تأخرت كثيرا و ذلك لأسباب موضوعية و أخرى سياسوية ، إذ أن عملية كهذه تستوجب إمكانات بشرية و مادية و معرفية و ديداكتكية لا تتوفر عليها الجزائر آنذاك ، أضف إلى ذلك معارضة شرائح عريضة من المثقفين و حتى من داخل جهاز الحكم بدعاوى مختلفة و متباينة لعملية التعريب . و هذا ما صعب من تنفيذ العملية على أرض الواقع ف :" حتى 1978 ، السنة الفعلية لتجسيد المدرسة الأساسية المعربة كلية ، كان الصراع اللغوي يميز النظام التعليمي ، إذ كان التعليم كلية باللغة العربية لثلث الأقسام ، بينما في الثلثين الباقيين كان التعليم يمارس في آن واحد بالعربية و باللغة الفرنسية للمواد العلمية

"[1] .في جزائر الاستقلال ، و بالنسبة للأجيال التي عايشت استرجاع السيادة ، فإن اللغة الفرنسية كانت حديثة عهد لهم ، إذ أن " كلية السكان المولودين إنطلاقا من 1962 قد تحصلوا على تعليم باللغة الفرنسية ، ثم تدريجيا تعليما للفرنسية "[2] .

و هذا ما سمح للغة الفرنسية بتَبَوُّء وضعية خاصة لدى الجزائريين بغض النظر عن التعليمات و المناشير الرسمية و المواثيق التشريعية ، فلقد استمرت اللغة الفرنسية في لعب دور الجسر مع الفضاء الخارجي ، في العلاقات الدبلوماسية و التجارة الخارجية و السياسات الخارجية ، و على الصعيد الداخلي احتكرت المجال العلمي الطبي و التقني و الهندسي و الإدارة و الصناعة ، ليعطي لها ذلك وضعا أكثر رسمية مما أريد لها ف :" باستثناء العلوم الاجتماعية التي عُرِّبت نسبيا مبكرا ، فإن قسما كبيرا من التعليم العالي لا زال بالفرنسية ليومنا هذا ، رغم إدراجها رسميا في صف اللغات الأجنبية ، إلا أن النصوص الرسمية تتفادى الإشارة إليها بوضوح في المواثيق (تتجنب المواثيق بعناية ، الإشارة إلى الفرنسية كلغة أجنبية)[3].إذن بهذا الواقع فإن وضعية الفرنسية تمثل وضعية مفارقاتية بكل المواصفات ، ففي حين تمثل محاربة وجود و استمرار الفرنسية في الحقل اللغوي الرسمي و الشعبي ، أحد أهم عناصر المزايدة و المناورة السياسوية و الايديلوجية لدى البعض ، فإنها في الواقع الموضوعي تمثل أداة هامة في الترقي في السلم الاجتماعي ونافذة تكاد تكون الوحيدة للإطلالة على التقدم العلمي و التكنلوجي في الضفة الأخرى لشرائح عريضة من البحاثة الجزائريين في المجال التقني و الهندسي و الطبي و حتى الاجتماعي و الإنساني .و هذا ما يُكَرِّس هذا الصراع بين الروحي و الوظيفي ، و بين الذاتي و الموضوعي بشكل حاد جدا ... و بالتالي فإن :" وضعها في الجزائر يبقى مُبْهما، فرغم وصفها باللغة الأجنبية ، إلا أنها لا زالت لغة العمل و التواصل في مختلف القطاعات (الحياة الاقتصادية ، عالم الصناعة و التجارة ، التعليم العالي ، مخابر الطب و الصيدلة ، وسائل الإعلام ...)[4].

إذن هذه الوضعية جاءت تتويجا موضوعيا لتراكمية تاريخية ، قد فرضت على الإنسان الجزائري طريقة خاصة للتعاطي مع الفرنسية فأثناء الاستعمار ، كانت الفرنسية لغة الاحتلال بعسكره و إداريه و معلميه و معمريه ، و كانت تتربع على المشهد اللغوي الرسمي

---

[1] *Ibrahimi Khaoula : **les Algériens et leur langues** ,*

[2] *Cheriguene Foudil : « **politique linguistique en Algérie** » , IN , MOTS , septembre 1997 , P 66*

[3] *Cheriguene Foudil : OP.CIT , P 66*

[4] *Bellatrache Houari : l'usage de la langue française en Algérie , cas d'étude : le secteur bancaire , IN : Synergies Algérie , N°8-2009, P107*

لوحدها دون منازع ، إذ كانت العربية أجنبية و غريبة ، فكانت بذلك الفرنسية الداء الذي لا مفر منه بفعل التفوق الذي فرضه الاستعمار على الشعب الجزائري ، أما بعد الاستقلال ، فقد فرضت الحاجة البراغماتية و الواقع الميداني ، استمرار اللغة الفرنسية في التمتع بذلك الوضع الخاص ف :" من دون أن تكون رسمية ، فإن اللغة الفرنسية تحمل الرسمانية « officialité » ، و دون أن تكون لغة التعليم فهي تبقى لغة نقل المعرفة ، و دون أن تكون لغة هوية ، فهي لا زالت تشكل المخيال الثقافي الجمعي بأشكال مختلفة و عبر قنوات مختلفة . و دون أن تكون لغة جامعية فهي لغة الجامعة، فكل الهياكل الرسمية للتسيير و الإدارة و البحث يجري العمل فيها باللغة الفرنسية "[1].إذن نجد أن وضعية الفرنسية قد فرضها الصراع بين ما يفرضه الانتماء الخيالي لهوية وطنية منشودة و غير مكتملة ، و بين ما يفرضه الواقع و المعاش اليومي و الذي يتطلب الانفتاح على العالم الحديث عبر نافذة الثقافة الفرنسية التي تعتبر موروثا تاريخيا لا مناص منه بحكم التراكمات الثقافية و الاجتماعية و السياسية التي خلفتها.و في ظل انقسامية النخب الجزائرية نجد أنالنخب البربرية قد اقترنت بالتوجه الفرنكفوني ، إذ نجد أن التركيبة البشرية لهذه النخبة قد تلقت تكوينها العلمي بالفرنسية و تشربت بالثقافة الفرنسية و الغربية و اصطفت في غالبها مع الطرح الفرنكفوني في الجزائر ، و حاولت أن تجعل من منطقة القبائل حصان الطروادة ضد عملية التعريب و أبدت مقاومة شرسة لها خاصة في الإدارة و الجامعة ، و لعل من أهم أسباب اندلاع أحداث الربيع البربري 1980يعود إلى الرغبة في مقارعة مشروع التعريب الذي كان من المقرر أن يدخل حيز التنفيذ في نفس السنة بعد إضراب 1979 الذي شنه المدافعون عن قانون التعريب من بينهم الدكتور عثمان سعدي الذي كان آنذاك عضوا في البرلمان ، و بالتالي تصدرت منطقة القبائل مشهد الصراع اللغوي بالدفاع عن البربرية تحت رعاية الفرنسية ضد عملية التعريب التي وصموها بالسياسوية ، و من هنا كانت الفرنسية وسيلة للدفاع و المطالبة بالبربرية و مقارعة التعريب في الجزائر و في منطقة القبائل بالخصوص مع الآلة الايديلوجية الكبيرة التي نظرت لهذه الحرب اللغوية ، مما أنتج هذه الصورة النمطية التي نحن عليها الآن و التي يناور بها نشطاء هذه الحركة لتحقيق أهدافهم ففي هذا يقول فرحات معني زعيم الحركة من أجل تقرير مصير منطقة القبائل :" إذا خسرت فرنسا منطقة القبائل ، فإنها لن تخسر

[1] *Sbaa R : **l'Algérie et la langue française , l'altérite partagée** , Oran , Edition Dar el Gharb , 2002 , P 85*

منطقة القبائل فحسب ، و لا الجزائر فحسب ، و إنما ستخسر كل الشمال الإفريقي ، أين تشكل المحرك الأهم على مستوى الأفكار الجمهورية و الديمقراطية ، و سأقول أيضا أن منطقة القبائل هي الحيز أو الدائرة الوحيدة الفرنكفزنية في شمال إفريقيا و على عموم إفريقيا باستثناء السنغال أين مازالت الفرنسية حية ، و لكن هذا لا يمنع أنه و خاصة في شمال إفريقيا قد تم طرد الفرنسية لصالح العربية ، إذن إذا أرادت فرنسا الاحتفاظ بشيء من الحضور و الإشعاع الثقافي فيجب أن تتحالف مع منطقة القبائل ، فمنطقة القبائل هي قارب نجاتها الوحيد ، إما أن تركب و إما أن تغوص للأعماق "[1] ، و من هنا نستشف مدى تشابك الأمور بين ما هو سياسي و ما هو ثقافي بتوظيف اللغة في السجال الهوياتي على مستوى النخب و المجتمع ككل .

7- الفرنسة عن طريق المدرسة :

لا يخفى على أحد أن الهدف الرئيسي للاحتلال الفرنسي ، يكمن في إدماج الأهالي الجزائريين في الثقافة و الحضارة الفرنسية ، و من بين أحد مشاريع أنصار المدرسة الجمهورية لجول فيري " إذا ما صدقنا المجالس المحلية سنة 1880، أن الجزائر الأوروبية ترغب حاليا في رؤية تَمَدْرُس و إدماج السكان الأهالي عن طريق المدرسة الفرنسية "[2] .و" لقد تنبأ المكلف بمهمة لدى جول فيري في الجزائر إيميل ماسكوري سنة 1874، " خلال عشر سنين إذا أردنا ، سيتكلم جميع شباب القبائل بالفرنسية ، في خلال جيلين ، كل منطقة القبائل ستتحول وستصبح فرنسية "[3] . فتم بعث مخططات مدرسة جول فيري سنة 1880 ، و لكنها لاقت معارضة شديدة من طرف المعمرين برفضهم المصادقة على الميزانية ، و كذا الموقف العدائي للقبائل لسياسة القضاء على المؤسسات الدينية ، فكانت المدة ما بين 1880 حتى 1890تسمى عشرية مدرسة الأعراش ***« écoles des tribus »*** ، حيث فتحت في القرى الكبرى في القبائل الكبرى و الصغرى ، و لكن ذلك كان وبالا و فشلا ذريعا ، ما دفع السلطات الاستعمارية للبحث عن بديل ابتداءا من سنة 1906-1907 و ذلك من خلال فتح المدارس البديلة أو المعروفة باسم " المدارس الثقوربي " و التي تم القضاء عليها ابتداءا من

[1] *Farhat Mhenni video sur youtube d'une emission télévisée sur Berbere télévision*
[2] *Charles Robet Ageron , **les Algériens musulmans et la France** , p 332*
[3] *Charles Robet Ageron , la France a-t-elle eu une politique Kabyle, p 28, persée.fr*

سنة 1915 بسبب نقص الموارد المالية . و الجدير بالذكر أن المنطقة لها تقاليدها القديمة مع العملية التعليمية لأن التعليم في المناطق المحرومة اقتصاديا و اجتماعيا ، يُعتبر وسيلة للتخلص من الفقر و فرصة للرقي في السلم الاجتماعي ، فلهذا كان الأمر مُهيأً لتحول الجبل العالم « ***montagne savante*** » التي كانت تعج بالزوايا و المساجد إلى التعليم في المدارس الفرنسية ، بمعنى أن التعامل مع العلم و المعرفة كان أمرا مألوفا لدى ساكنة منطقة القبائل ، أي أن العملية التعليمية و التعاطي العلمي مع شتى فنون المعرفة لم يكن أمرا غريبا في الممارسات اليومية للقبائل ، و لهذا كان التعامل مع المدارس الفرنسية أمرا طبيعيا نوعا ما في حدود أنها مركز إشعاع علمي و حضاري ، و هذا ربما يعود إلى انفتاح هذه المنطقة البراغماتي على كل اللغات و الثقافات التي وفدت عليها .

و لكن رغم الآمال التي يعلقها ساكنة منطقة القبائل على المدرسة الفرنسية إلا أن الواقع جاء مخيبا للآمال فمن " خلال تحقيق أجراه السيد « ***Ardaillon*** » في 31-12-1909 على كافة التلاميذ الذين تخرجوا من منطقة القبائل الكبرى ، فإنه تبين أن التَمَدْرُس قد مَسَّ 13051 فردا من مجموع 420000 نسمة تقريبا ..... و لكن بسبب قانون الأهالي الذي أعاق الرقي الاجتماعي للأهالي ، فإن اعتياد المدرسة لا يسمح إلا لقلة قليلة بالظفر بمناصب رفيعة ، فبحسب هذا التقرير دائما 4 % فقط من مجموع التلاميذ الذين مسهم التحقيق قد حصلوا على مناصب إدارية "[1] . كما تجدر الإشارة إلى أن المدارس الفرنسية لم تكن منتشرة في كل مداشر منطقة القبائل كما يُروَّج له و ذلك بشهادة الفرنسيين أنفسهم إذ يقول أحدهم في هذا الشأن " حتى التمدرس بالفرنسية في منطقة القبائل لم يمس إلا بعض المناطق (منطقة فور ناسيونال أو لربعا ناث ييراثن و وادي الصومام) باستهداف التجمعات السكانية الصغيرة و القرى الكبرى "[2] ، مما يؤكد أن السواد الأعظم من قرى و مداشر القبائل قد استثنتها عملية التدريس و ذلك ما يفسر تشبث القبائل باللغة العربية في مجملهم بفضل الزوايا و المدارس القرآنية المنتشرة في كافة القرى و المداشر القبائلية و التي تحظى باحترام كبير من ساكنتها.

[1] *Ageron , ibid*
[2] *Salem Chaker, ibid , p 113*

8- السياسة التعليمية في القبائل :

بالرغم من كون الإدارة الاستعمارية قد أنشأت عدة مدارس فرنسية في كافة أنحاء الوطن المحتل آنذاك و بالخصوص في الحضائر الكبرى ، إلا أنها قد أولت منطقة القبائل اهتماما خاصا في هذا المجال ، و ذلك رغم طابعها القروي أو الريفي ، و هذا راجع لعدة أسباب موضوعية ، و هي الكثافة السكانية العالية في هذه الجبال التي تشبه خلايا النحل في تجمعاتها السكانية ، و إلى تعطش القبائل للعلم و المعرفة التي تعينهم على تحسين معيشتهم اليومية و الرقي في السلم الاجتماعي . و تجدر الإشارة إلى أن مهمة التعليم في هذه المنطقة قد باشرها في الأول رجال الدين التبشيريين ، و ذلك على حسابهم ، أي بعيدا عن الإدارة الاستعمارية . و لقد كان يملؤهم ذلك الطموح باستعادة الكنيسة الإفريقية إلى حضيرة الديانة المسيحيةكما كانت في عهد القديس « ***Saint Augustin*** » البربري و « ***Donat*** » ، و هذا رغم المعارضة الشديدة لهذا المسعى من طرف العسكر خشية إثارة حساسية الأهالي الأهالي و المخاطرة بالهيمنة الفرنسية "[1]. و لقد رأينا فيما سبق ذلك الصراع و الخلاف حول هذه القضية بالذات بين الكاردينال " لافيجري " و الجنرال " ماك ماهون " . و لعل أولى حملات التبشير قد وُجّهتخصيصا إلى منطقة القبائل ، و ذلك نظرا لما رُوّج له بأن تدينهم في مستوى كبير من السطحية و الفتور ، و أنهم سيسعدون باستقبال الإنجيل وفقا " للوهم القبائلي " ، ما أثار أطماع رئيس معمدية الجزائر آنذاك الذي يؤمن بالماضي المسيحي للمنطقة :" هذا الماضي المسيحي كان أساسيا للآباء البيض الذين كان عليهم أن يُبيّنوا أن هذا الشعب قد كان مسيحيا بدليل بعض الشواهد (وشم الصليب ، أسماء بعض القرى ...) و من هنا فإن إعادة الغزو الديني سيكون أسهل في هذه المنطقة ، منه في المناطق العربية "[2].

و جدير بالذكر أن " اليسوعيين " أو « ***les Jésuites*** » ، هم الأوائل ، من باشروا عملية التبشير في هذه المنطقة ، و ذلك بالاعتماد و التركيز على الجانب الاجتماعي و العمل الخيري ، و ذلك بإقامة المشافي و دور الأيتام ابتداءا ب " لاربعا ناث يراثن " « ***Fort National*** »

---

[1] *Marcel Emerit , « **le problème de la conversion des musulmans d'Algérie** », Revue Historique , Avril-Juin , 1960 , P 65*

[2] *Ugo Colonna , « **la compagnie de Jesus en Algerie (1840-1880) : l'exemple de la mission de la Kabylie 1863-1880 »** , Maghreb-Machrek , Janvier-mars, 1992 , N°135, P69*

آنذاك و الذي كان يمثل أكبر تجمع سكاني في المنطقة ، و لقد اعتمدوا كثيرا على ملاجئ الأيتام ظنًّا منهم أن اليتيم لدى القبائل هو نفسه في فرنسا بينما :" وضعية الطفل مختلفة جذريا ، فالطفل القبائلي مِلْك للعائلة ، و بشكل أوسع لنسب أبيه ، فمن النادر أن نجد طفلا يتيما حقا (دون ولي) ما صعّب عملية استقطاب أطفال لهذه الملاجئ "[1] . و هذا ما أدى إلى فشل هذه الخطة ، ليهتدي اليسوعيون إلى فكرة أخرى أكثر نجاعة في نظرهم ، و هي التعليم كوسيلة مثلى للتنصير ، فكانت أولى المدارس في المنطقة سنة 1873 في قرية " الجمعة نساريج " و في قرية " آث لاربعا " في عرش " آث يني " . و لكن بعد مجيئ " جول فيري " بمشروع المدرسة الجمهورية اللائكية ، تمّ منع اليسوعيين من مزاولة نشاطهم التبشيري بغطاء الخدمات الاجتماعية و الاستشفائية و التعليمية ، ليتولى " الآباء البيض " المهمة بعدهم ، ليفتحوا مدارس أخرى في أمصار أخرى ، و لقد كان " هؤلاء الاباء البيض " -مرابطي الروميين " كما يسميهم القبائل - يتمتعون بسمعة عالية و بتقدير كبير لدى عامة القبائل ، الذين أبدوا تجاوبا كبيرا معهم ، و احتراما كبيرا للمرابطين المسيحيين "[2].

ثم جاءت من بعدهم الحملة البروتستانتية التي واصلت نفس المنهاج ، و تزامن ذلك مع مدرسة " جول فيري " ، و لكن اصطدمت هذه الحملة بواقع مر ، و هو إقبال التلاميذ عليها ، مع رفضهم التنصر و الانقطاع عن عالمهم ، ف :" هم يخافون الانفصال عن شعبهم الذيتربطهم به روابط روحية ، فهم يفضلون أن يبقوا مسلمين "[3]. إذن يمكننا القول أن هدف هذه الحملات ، كان التنصير بالأساس ، و ضرب وحدة المعسكر العربي الإسلامي ، و لكن رغم ذلك فهي ساهمت في نشر التعليم و مهدت الطريق لمدرسة " جول فيري " في المنطقة ككل.

و الجدير بالذكر أنه بعد ثورة المقراني 1871 ، إهتدت الإدارة الاستعمارية إلى خطة العمل على تغيير الثقافات و العقليات عبر الرامج التعليمية ، و لقد تولى " إيميل ماسكوراي " هذه المهمة في المنطقة ، و لقد دعا :" إلى ضرورة مضاعفة المدارس ، و وعد أنه في غضون عشر سنوات فإن جميع شباب القبائل سيتحدثون بالفرنسية ، و في خلال جيلين ، ستتحول منطقة القبائل و ستصبح فرنسية "[1] .

---

[1] *Ugo Colonna , « **la compagnie de Jesus en Algerie (1840-1880) : l'exemple de la mission de la Kabylie 1863-1880 »,** OP.CIT , P70*

[2] *Jean Morizot.**les Kabyles, à propos d'un temoin** , Paris , CHEAM , 1985 . P 151.*

[3] *Mission protestante en Kabylie, Rapport sur l'exercice de 1909-1910 / www.galica .fr*

[1] *Emile Masqueray , « **impression de voyage »** , revue politique et littéraire , 19 fevrier , 1876 , P 18.*

و لقد لاقت هذه المدرسة نجاحا معتبرا ، رغم أنها قد غيرت نهجها و أهدافها من تنصير القبائل إلى إدماجهم ، و لكن :" تقبل القبائل المدرسة الفرنسية كان يترجم تغييرا في موقفهم حيال المدرسة ، فمنذ ذلك ، أصبحت وسيلة للرقي الاجتماعي .... فنجد أن بعض الجماعات الاجتماعية المهيمن عليها ، تحس بنوع من التوق للمدرسة الفرنسية التي يعتبرونها وسيلة للتحرر الاجتماعي و التحرر من الهيمنة التقليدية للمرابطين الذين يحتكرون المعرفة العالمة "[1]. هذا الاعتياد المكثف للمدرسة الفرنسية من طرف أطفال القبائل ، قد أعطى إلى الوجود ، جماعات اجتماعية متشبعة بالثقافة الغربية و تحمل تمثلات النموذج الثقافي الفرنسي و الذي تمثل فيه اللائكية البعد الرئيسي ، في محاكاة الواقع الاجتماعي.

9- الدراسات حول اللغة البربرية :

لقد تعددت الدراسات حول البربر و اللغة البربرية بالخصوص ، و تنوعت منذ وصول الفرنسيين الى الجزائر و لعل أشهرها تلك التي قام بها « ***Adolphe Hanoteau*** » تحت عنوان « ***Essai de grammaire Kabyle*** » و دراسة « ***René Basset*** » تحت عنوان : « ***notes de lexicographie berbère , étude sur la Znatia du Mzab, de ouergla et del'oued ghir*** » ، ثم تأتي دراسة إبنه من بعده « ***André Basset*** » بعنوان :

« ***la langue berbère , morphologie , le verbe , étude de thème et étude de géographie linguistique en Kabylie*** » ، كما نجد دراسة « ***Charles de Foucaud*** » بعنوان « ***Dictionnaire Touareg-Français*** ».

و تجدر الإشارة إلى أن الايديلوجيا قد تدخلت في البحوث اللسانية ، و يتجلى ذلك في مدى حقيقة انتماء اللغة البربرية للمجموعة اللسانية الحامية –السامية كالعربية و العبرية . و في هذا نجد أن البحاثة الفرنسيين قد رفضوا أية صلة قرابة بين البربرية و هذه المجموعة و هذا لخدمة سياستهم الاستعمارية القاضية بتكريس الاختلاف العرقي و اللغوي للجنسين العربي و البربري ، و تماهيا مع سياسة التفريق بين العرب و البربر .

[1] *Fanny Colonna* ***.instituteurs algeriens 1883-1939*** *, Paris , presse de la fondation des sciences politiques , 1975 , P 103.*

و لكن هذه الدراسات كانت باللغة الفرنسية ، ما يعني أنه للتمكن من الاستفادة منها علميا و أكاديميا يجب أولا التمكن من ناصية اللغة الفرنسية ، و هو في حد ذاته نوع من تعريض الجزائري القبائلي للإدمان باللغة و الثقافة الفرنسية قبل أن يستفيق لثقافته المحلية بربرية كانت أو عربية .إذن يمكننا القول أن التمكن من ناصية اللغة الفرنسية ، قد سمح للنخبة المثقفة الجديدة باكتشاف تاريخ ما قبل الاحتلال الفرنسي، ليكتشفوا أن تاريخهم ضارب في الأعماق ، و أن انتماءهم يتعدى حدود منطقتهم الجبلية المعزولة ، ليشمل بلادا أرحب تمتد حدوده من " وادي النيل" شرقا إلى "الأطلنطي" غربا ، ما أيقظ في نفوسهم شعورا بالاعتزاز و الفخر بالذات و بالتاريخ و الجغرافيا ، و أن العروبة و الإسلام في آخر المطاف ، ما هما إلا معطيات تاريخية حديثة ، و أن اللغة البربرية هي اللغة الأولى و الأصيلة في نطاق واسع من الشمال الإفريقي خارج منطقتهم الضيقة، و أن لها رسما و حروفا تُكتب بها كباقي لغات العالم .فأول ما تَشَكَّل لدى هذه النخبة هو الوعي بضرورة الدفاع عن هذا الموروث اللغوي و الثقافي الدفين تحت وطأة الأحداث المتعاقبة ، فشرعوا في استجماع هذا التراث فكان "السعيد بوليفة" من الأوائل الذين أخذوا على عاتقهم هذه المهمة الشاقة و النبيلة ، ثم تلاه مجموعة من المثقفين كمحمد الشريف صالحي و جان الموهوب عمروش و أخته طاوس عمروش ثم مولود فرعون و مولود معمري إلخ " و الذين تباينت رؤاهم حول تصور موحد للثقافة البربرية و القبائلية بالخصوص و علاقتها بمكونات الثقافة الجزائرية ككل . فكان منهم تيار معادي للاحتلال و آخر معادي له إلا أن التيار البربري الموالي للاحتلال لم يتطور بالشكل الجيد و ذلك يعود لسببين رئيسيين :

الأول يعود لاستماتة القبائل في مقاومة المسخ الثقافي و ذلك بمقاومتهم "للرومي" و لثقافة "الرومي" و استهجانهم لكل من ينضم لها في نظام حياته أو ديانته ، و الثاني يعود إلى كون هذه السياسة القبائلية لفرنسا لم تترجم إلى قوانين تفضي إلى وضع سياسي إداري متميز لصالح منطقة القبائل أو عن طريق مخططات تنموية سوسيو-اقتصادية لصالحها و أدنى من ذلك بأدنى مجهود لترقية لغتها .

" و لقد ذكر « ***Guy Pervillé*** » من بين هؤلاء الفاعلين في التيار البربري الموالي للاحتلال و الذين كانوا مبهورين بالتعليم الفرنسي كلا من "أوغسطين سعيد إباعزيزن" و "حنفي لحمق" المدعو "حسناي لحمق" و "أعمر وسعيذ بوليفة" و "محمد الشريف صالحي " و هم من أمثال المثقفين المشارقة كعميد الأدب العربي "طه حسين" و "سلامة موسى" الذين انبهروا

بالثقافة الغربية و اعتقدوا يقينا أن الغرب بثقافته هو المستقبل و الخلاص للأمة العربية من براثن الجهل و الظلام و العبودية ، دون أن يتهمهم أحد بالعمالة للاستعمار الغربي " و مع هذا تجدر الإشارة إلى أن "محمد الشريف صالحي" قد تدرج في مواقفه حتى انضم للتيار الوطني الراديكالي الذي نادى بتحرير التاريخ «***décolonisation de l'Histoire***» ، أين يجب أن يتعايش "الأمير عبد القادر" مع الشيخ "المقراني" و الشيخ "أحداذ" و "يوغرطة " في نظرة توفيقية و تصالحية مع التاريخ و مع الذات الجزائرية التي تتغذى بكل المحطات التاريخية للجزائر دون تهميش لحقبة ما أو الانتقاص منها ، و الاعتزاز بالسيرورة الثقافية للشعب الجزائري على مرِّ العصور و بلغته بعيدا عن الاثنوية المقيتة لأن اللغة و الثقافة تتغلب دائما على العرق .

إذن يمكننا القول أن الدراسات حول البربرية قد استهلَّها الفرنسيون لأغراض أكاديمية و ايديلوجية في آن واحد خدمة للسياسة الكولونيالية التي تقضي بدراسة المجتمع المراد احتلاله ، و استثمار نقاط ضعفه و نقاط قوته، بُغْيَة إحكام السيطرة عليه و ابتلاعه سياسيا و عسكريا و ثقافيا ، و لعل ابتلاعه ثقافيا هو الأخطر على الإطلاق . و لكن كانت النتيجة مغايرة لما استشرفته هذه الدراسات ، إذ أنه و رغم حدوث اليقظة أو الاستفاقة الهوياتية لدى النخب المثقفة القبائلية ، و مسايرة فصيل منها للثقافة الفرنسية على حساب الثقافة العربية الإسلامية ، إلا أن عامة الشعب القبائلي كان يبدي مقاومة ثقافية جذرية للثقافة " الرومية " رغم تعامله البراغماتي مع إيجابيات الحضارة الغربية ، و هذا في نظرنا يعود إلى تأثر البنية الفكرية القبائلية بالتراكيب و المنظومات العرفية المتجذرة في لا وعيه الاجتماعي و التي تتجسد على أرض الواقع في صورة أسوار تحول بين القبائلي و بين النمط الثقافي الغربي المفروض بالقوة .

10- لمحة تاريخية حول تعليم الأمازيغية :

لقد عرف تعليم اللغة الأمازيغية بالمتغير " القبائلي " عدة تجارب ميدانية في أُطر مختلفة و سياقات متعددة و لأهداف و غايات متباينة . و مما لا شك فيه أن أولى هذه التجارب الرسمية كانت إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية للجزائر ، و ذلك في المؤسسات التعليمية الرسمية كالمدرسة العليا لبوزريعة «***Ecole normale de Bouzareah***» و كلية الآداب بجامعة الجزائر.

و لكن هذا لا يمنع فرضية وجود تعليم للغة الأمازيغية قبل الغزو الفرنسي للجزائر ، و ذلك ما أشار إليه الباحث في اللسانيات الأستاذ الدكتور سالم شاكر بقوله :" واضح أن الانتقال إلى الكتابة في حالة المؤلفات الكبيرة يستلزم تعليما و نقلا للمعرفة حول اللغة البربرية "[1] . و **هذا يعني أنه يُفترض أنه كان يوجد تعليم للغة البربرية و لكن بالحرف العربي ، و لكن لا تتوفر لدينا معلومات دقيقة حول هذا الموضوع ، إلا بعض الإشارات التاريخية التي تقول أن هناك مؤلفات الأمازيغية و مراسلات بين ولاة مختلف الإمارات البربرية (خاصة في عهد "يوسف بن تاشفين" و "بن تومرت") باللغة الأمازيغية و بالحرف العربي ، و حتى أنه توجد ترجمة للقرآن الكريم إلى الأمازيغية ، و لكن لا توجد دراسات موثقة بخصوص هذا الموضوع بالذات. و لهذا نعود فنقول أن أول تجسيد لمَأْسَسَة تعليم اللغة الأمازيغية بمتغيرها القبائلي على أرض الواقع ، كان في نهاية القرن التاسع عشر على يد الإدارة الاستعمارية الفرنسية ، إذ فتحت شعبة لتعليم البربرية في جامعة الجزائر كلية** الآداب و ذلك سنة 1880 ، كما استحدثت إجازة «***Brevet*** » للغة القبائلية سنة 1885 ، ثم استحدثت شهادة «***Diplôme*** » للهجات البربرية سنة 1887 ، ثم خصصت منحة سنوية تقدر بثلاثة آلاف فرنك فرنسي قديم للمعلمين الذين يحوزون على الإجازة أو الشهادة في اللغة البربرية . و لقد تدعَم هذا التعليم بأبحاث ثلة كبيرة من الآنتربلوجيين و اللسانيين و المؤرخين ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

1. كتاب " دليل اللغة القبائلية " لكاتبه " روني باسي "
2. كتاب " دروس في اللغة القبائلية " لكاتبه " بن سديرة"
3. كتاب " السنة الأولى للغة القبائلية " لكاتبه " بوليفة "

و استمرت تباعا هذه المؤلفات في الظهور حتى بداية القرن العشرين ، و خاصة مع " **بوليفة** " بعدة عناوين ، ك "منهج اللغة القبائلية" و "السنة الثانية للغة القبائلية" . هذا فيما يخص تعليم اللغة الأمازيغية في الجزائر المستعمرة آنذاك ، أما في فرنسا فقد تم استحداث و إدراج تعليم اللغة البربرية في مدرسة اللغات الشرقية سنة 1913 ، و لقد تولى مهمة التعليم آنذاك فريق من البحاثة ، نذكر منهم : "آندري باسي" و هو نجل "روني باسي" ، و "دالي و بيكارد" الذين التحقوا بالجزائر ليدافعوا عن تعليم الأمازيغية في المحافل الوطنية و المنابر السياسية ، و لكن هذا لا ينفي وجود تعليم اللغة الأمازيغية في مؤسسات

[1] *S.Chaker .**manuel de linguistique Berbère , introduction au domaine Berbère**, 2eme Edition Bouchene, Alger , 1983 .P27*

أخرى قد تكون خارج إطار سلطة الإدارة الاستعمارية ك "مركز سجل المستندات البربرية" الذي أنشأه " الآباء البيض " في عين الحمام سنة 1946 ، و "مركز الدراسات الجهوية لمنطقة القبائل" في "تيزي وزو" سنة 1954 " [1]. هذا فيما يخص تعليم اللغة الأمازيغية خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية للجزائر ، أما بعد استرجاع السيادة الوطنية فلقد نَحَتِ الأمور منحىً آخر تماما. إذ أن السلطات الحاكمة بتوجهها العربي الإسلامي الرسمي ، و انطلاقا من الشبهة اللصيقة باللغة الأمازيغية و توظيفها سياسيا من طرف الإدارة الاستعمارية لكسر جدار الوحدة الوطنية و تمزيق وحدة الشعب الجزائري آنذاك ، فإنها (أي السلطات) قد آثرت تهميش اللغة الأمازيغية و إلغاء تعليمها في جامعة الجزائر ، و ذلك بدعوى أنها تبحث عن عوامل التوحيد القومي ، و لا تريد ما يُفرق وحدة الشعب ، و لكن مع ذلك تمكن الباحث " مولود معمري " أن يلقي دروسا منتظمة و في ظروف استثنائية و قاسية ، في قسم الإثنلوجيا بجامعة الجزائر سنة 1965 ، و لكن سرعان ما تم إلغاؤها مع إصلاحات التعليم العالي لسنة 1971 .. بعد هذه السنة تَوَلَّى النشطاء البربريون مهمة تعليم اللغة الأمازيغية في السرية في المهجر ، و هنا في الجزائر على يد جمعيات منخرطة في التيار البربري عبر قرى و مداشر القبائل التي كانت بعيدة عن الرقابة المركزية للأجهزة الايديلوجية للدولة ، و ذلك نظرا لغياب المؤسسات العمومية في غالبية القرى القبائلية مما يُغلاِّب سلطة العائلة و القبيلة و القرية و العرش على سلطة الدولة المركزية . و منذ أحداث الربيع البربري سنة 1980 ، عرف تعليم الأمازيغية انتشارا واسعا بين صفوف شباب المنطقة ، و ذلك نظرا لتشكل الوعي الجمعي القبائلي بعد تلك الأحداث الدامية و التي نقلت القضية البربرية من المطالبة الثقافوية إلى المطالبة السياسوية ، ما أدى إلى تزايدوتيرة استقطاب المناضلين و المتعاطفين مع القضية البربرية ، هذا بالإضافة إلى ما كانت تقوم به الأكاديمية البربرية في فرنسا ، خاصة عبر مجلتي " ثافسوث " و " إيطيج " . إذن طيلة هذه السنين نجد أنه قد تولى مهمة تعليم اللغة البربرية مناضلون مؤطرون في حركة سياسية سرية ، ليكون بذلك تعليم اللغة البربرية وسيلة سياسية و ثقافية لإثبات الذات ، و التعبير عن وجود " نحن" مخالف لما تُرَوِّج له السلطة الرسمية و تُسَوِّق له عبر أجهزتها الايديلوجية . و بعد الانفتاح السياسي الذي شهدته الجزائر سنة 1988 ، ظهر إلى العلن المطلب البربري لتتبناه الأحزاب السياسية المنحدرة من المنطقة ، فكان أن استجابت الدولة الجزائرية لمطالبها

[1] *Said chemekh « l'enseignement du Berbère »*

الثقافية ففتحت معهدا للغة و الثقافة الأمازيغية في كل من تيزي وزو سنة 1990 و بجاية ثم البويرة ثم مؤخرا تقرر فتح آخر في جامعة باتنة عاصمة الأوراس. و في سنة 1995 تم إدراج تعليم اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية الوطنية و ذلك بعد مقاطعة تلاميذ منطقة القبائل لمقاعد الدراسة لمدة عام كامل 95/94 . ليكون المكسب الثقافي تتويجا لنضال سياسي طويل.

11- تعليم الأمازيغية :

إن موضوع الأمازيغية و كل ما يحوم حولها ، مثارُ جَدَل بين الدولة و المجتمع ، و ذلك يعود للتراكمات التاريخية ، التي كان للسياسة و الايديلوجيا الدور الكبير في تشكيل الرأي العام حول هذا الموضوع. فانقسمت المواقف إلى عدة اتجاهات ، اتجاه تبنته السلطة و حسمت الأمر بعروبة الجزائر و إسلامها و كونها جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي الإسلامي ، و اتجاه يرى بأمازيغية ليس فقط الجزائر و إنما جميع بلاد " البربر " أو " ثامازغا " ، بينما يرى اتجاه ثالث يرى بضرورة الاعتراف و تثمين التنوع الثقافي و اللغوي و العرقي و الديني في الجزائر ، و الارتقاء إلى ثقافة المواطنة بدل التقوقع في الأحادية الإقصائية لهذا الطرف أو ذاك. إذن يمكننا القول أن مجرد طرح موضوع الأمازيغية ، يستدعي استحضار السياسة لمطارحتها و محاولة فهم حيثياتها في ظل غياب الطرح العلمي الموضوعي من طرف الخبراء و ذوي الاختصاص لتسوية هذه الوضعية المفارقاتية.

و تجدر بنا الإشارة إلى أنه: " في الحقيقة، لا يوجد في يومنا هذا لا لغة بربرية بالمعنى الذي تكون فيه انعكاسا لمجموعة بشرية لها وعي بوحدتها، و لا شعب بربري و لا عرق بربري، و مع ذلك كله يوجد البربر "[1]. هذه الوضعية الغريبة للغة البربرية و للبربر ربما تكون فريدة من نوعها ، إذ تعبر عن :" تحول إثنو اجتماعي لسكان من عدة ملايين من البربر من طرف بعض عشرات الآلاف من البدو "[1]. و هذا ما يثير عدة تساؤلات ، من أهمها هو كيف تخلت الأمازيغية عن فضائها و انحسرت و تقلصت في حيزها الجغرافي مقابل اللغة العربية الوافدة بهذا الشكل و بهذه السرعة .

في هذا يمكننا القول أن اللغة الأمازيغية لم تكن يوما ، لغة الحكم و السياسة و الدولة و بالتالي بقيت تنتقل من جيل إلى جيل عبر المشافهة ، و لما تصادمت مع اللغة العربية ، كانت

[1] *G.Camps . **les Berbères** , Edisud , France, 1996, P 44*
[1] *G.Camps . **les Berbères** , OP.CIT.P45*

هذه الأخيرة أقوى منها بكثير ، و ذلك نظرا لكونها لغة الحكم السياسي و العسكري و الاقتصادي و أخطر من ذلك لغة الديانة الجديدة الوافدة ، ما أضفى عليها هالة من القداسة لأنها لغة القرآن و لغة الفقه و الشرع و القضاء، و بالتالي كان تأثيرها على الواقع الاجتماعي و السياسي شديدا ، ما أتاح لها تبوأ مكانة خاصة ، و خاصة بعد قبول البربر بالإسلام، و السبب الثاني يعود في نظرنا لتقارب العائلات اللسانية لكلتا اللغتين ، فالعربية تنتمي إلى عائلة اللغات السامية مع العبرية ، بينما الأمازيغية تنتمي إلى العائلة السامية/الحامية مع المصرية القديمة، و هذا ما سَهَّل من عملية الاحتكاك اللغوي و من التدخل اللغوي من اللغة الغالبة على اللغة المغلوبة .

12- الانتقال من الشفاهية إلى الكتابة :

لا شك أن الكتابة تُعتبر ارتقاءا فكريا و جماليا للمشافهة ، فهي بقدرتها على الترميز الذاتي تستطيع التعبير دون استعمال إشارات الجسد ، و هي تُحوّل النَصَّ المنطوق إلى نصٍّ مكتوب يَعْبُر المكان و الزمان ، لتحفظه كذاكرة جماعية تحفظ النص كتراث ثقافي ذا قيمة ثقافية و تاريخية ، و بهذا فهي وسيلة لحفظ النصوص الشفاهية من الاندثار و الزوال .

و الانتقال من ثقافة تعتمد الارتجال و المشافهة إلى ثقافة تعتمد التوثيق و الكتابة يطرح عدة إشكالات معرفية ، فالشفاهية في المجتمعات التقليدية كانت القناة الوحيدة للتواصل الاجتماعي و الثقافي و الفكري ، و هي تؤرخ بذلك لمجتمعات ما قبل الكتابة التي يكون فيه النص الشفهي أساس البنية الإبداعية. إذن يمكننا القول أن الكتابة هي أساس و دعامة كل لغة ، فالكتابة هي التي بمقدورها اختراق المجال الزمكاني للغة شعب معين ، من جيل إلى جيل ، و من بلاد لأخرى ،و لكن قد تطرح هذه العملية إمكانية ظهور لغة جديدة غير التي جرى التداول عليها ، ما قد يؤدي إلى تدمير اللغة الأصلية الشفهية ، و ذلك لأن اللغة المكتوبة تصبح لغة عالمة ، تُتداول في مؤسسات الدولة الرسمية و تسمح بظهور تصنيف طبقي للمجتمع وفقا لمدى تعلمها من عدمه ، فمن أتقنها ، أتقن اللغة الرسمية و الثقافة الرسمية العالمة و العالية و أصبح بالتالي من الطبقة العالية ، و من لم يتقنها أصبح من الطبقة الدنيا المتشبعة بالثقافة الشعبية الشفاهية .

و بالنسبة للغة القبائلية الشفاهية ، فإنها تمثل امتدادا للتعبير عن حاجات الإنسان القبائلي من المهد إلى بلوغ سن حضور اجتماعات القرية ضمن هيئة " ثاجماعث " التي

تُعتبر الفضاء العمومي المشترك في القرية و بمثابة المدرسة العمومية المفتوحة في القرية لتدارس قضايا القرية و تعلم عادات و تقاليد القرية من ألسنة الكبار و " حدادي الكلمة " ، و لا توجد أية حلقة مفرغة عبر المجال الزمني للفرد ، بمعنى أنها تشبع حاجات الفرد القبائلي كلية في شتى حقول الحياة اليومية ، العملية منها و الاجتماعية و الثقافية و السياسية ، و بالتالي فإن اللغة الشفهية تملء كل المجال الوظيفي للإنسان القبائلي في كل شِعَب الحياة بنفس الوحدة اللغوية ، بمعنى نفس اللغة بتراكيبها و صيغها في شتى المجالات ، و منه لا توجد هوة بين اللغة الأم و لغة " ثاچماعث " . إذن المشكلة الأولى هي إمكانية ظهور لغة أخرى غير اللغة الشفهية الأصلية و ذلك باستحداث المصطلحاتالجديدة « néologismes » بهدف تنقية اللغة الأصلية من الكلمات الدخيلة في عملية ما يسمى " التطهير اللغوي " ، مما يجعل اللغة المكتوبة المتحصل عليها لغة غريبة عن أهلها مما قد يؤدي إلى نفور الناس عنها و اغترابهم عنها و هذا ما نلاحظه مع الكتب الجديدة للغة الأمازيغية ، أين يحس غالبية الناس أنهم غرباء عنها ، و أين لا يمكن للأم أن تفهم ما يقوله ولدها بالأمازيغية ، مما يحدث قطيعة وجدانية بين الأم و ابنها و يخلخل النظام اللغوي الذي اكتسبه الطفل من أمه ، و يقلب الأدوار الاجتماعية بينهما فيصبح الطفل مُلَقِّنًا عالمًا بينما تصبح الأم متلقيةً جاهلة إلى حد ما ، و هذا ما يَكْسِر الصورة المثالية للأم "العارفة" بكل شيء و "القدوة" التي يستقي منها الطفل كل إجاباته عن مختلف تساؤلاته ، ما قد يكون مصدرا لاختلالات في عملية التنشئة الاجتماعية بتخلخل صورة الأم لدى الطفل .

13- مسألة معيرة اللغة البربرية :

إن اللغة البربرية كما هي معروفة اليوم تنقسم إلى عدة متغيرات متباعدة و متوزعة على عدة بلدان ، من غرب " واحة سيوة" في مصر إلى "جزر الكناري" و "النيجر" و "مالي" ، لدرجة أن المتخاطبين بمتغيرين لهذه اللغة الأم ،قد لا يتفاهمان في أغلب الأحيان . هذه الاختلافات في المتغيرات البربرية هي بلا شك حصاد الفعل التاريخي الممتد عبر القرون ، و لكن ما نلاحظه هو وجود هذه الاختلافات حتى في كنف اللغة أو المتغير الواحد للغة البربرية ، و هذا يعود إلى عدم وجود لغة معيارية مُوَحَّدة و مُوَحِّدة، و السبب في ذلك يعود إلى تقاطع عِدَّة عوامل ساهمت في ظهور عدة متغيرات للغة البربرية ، و لعل العامل الأول يعود إلى اتساع الرقعة الجغرافية لمجال انتشار اللغة البربرية ، ما يصعّب الاحتكاك بين مختلف

مكونات الأمة البربرية ، و مع الوقت ينحصر كل متغير في المجال الوظيفي له و لإبداعات الناطقين به و مميزاتهم . و هذا قبل أن يحدث الاحتكاك اللغوي مع اللغات الأخرى التي دخلت عليها تباعا ، إذن فالجغرافيا تؤثر على تشكل متغير ما و نموه بعيدا عن المتغير الآخر ، فمثلا سكان السواحل و بحكم تعاطيهم لصيد السمك فإنهم استحدثوا معجما لغويا لمختلف أنواع الأسماك و كل ما تتطلبه عملية الصيد و كذا مختلف الأكلات الممكنة بهذهالأنواع المختلفة من الأسماك ما قد يغيب أو يتعذر عن سكان منطقة صحراوية مثلا ، و قس على ذلك. فكل منطقة بحسب غلافها النباتي و الزراعي تستحدث معجمها الخاص بها بما تمليه الحاجة الوظيفية، و مع الاحتكاك باللغات الوافدة و بحسب نقاط التماس بين الثقافات نجد تداخلا لغويا بين مختلف اللغات ، فنجد مثلا تأثير اللغة العربية على مناطق الشاوية و بني مزاب و كل المناطق السهلية و الحضرية حتى المغرب الأقصى ، بينما نجد الفرنسية حاضرة أكثر في منطقة القبائل و هذا راجع لتراكمات تاريخية جعلت من اللغة البربرية تنحسر و تتقلص أمام لغة الغالب في كل مرة ، و هو ما يؤدي إلى ضرورة تعلمها و الاقتراض منها (أي من لغة الغالب) ، ما يؤدي إلى إضعاف اللغة البربرية الأم و فقدانها لحيزها الوظيفي شيئا فشيئا أمام اللغات الرسمية الغالبة ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى يرى الدكتور " موسى إمارازن " :" أن احتكاك البربرية بلغات من نفس عائلتها اللغوية (الحامية السامية) كالعربية و الفينيقية قد سهّل من تأثرها بهما "[1] . هذه التحولات التاريخية و الاجتماعية و السياسية التي شهدتها البربرية بالاحتكاك المباشر مع حضارات و ثقافات الفاتحين فرض عليها واقعا متشعبا و غاية في المشاكلة ، كان عليها التعبير عنه في الحين ، ما أدى بها إلى الاقتراض من اللغة الوافدة ، فلا غرابة بالتالي من تقهقرها و فقدانها لمواقع كثيرة أمام اللغات المهيمنة . و لكن البربرية في أيامنا الحالية ، و مع إدراجها في المنظومة التعليمية و الجامعية و الإعلامية ، و دسترتها لغة وطنية و رسمية ، فإنها انتقلت من لغة في طريق الانقراض إلى لغة يجب أن ترفع التحدي لتواجه واقعا معقدا تفرضه المرحلة برهاناتها الثقافية و السياسية ، و لعل أعقد إشكال تواجهه هو إشكال " المعيرة " و التقريب بين مختلف متغيراتها ، هذه المعيرة التي تفرضها عملية الانتقال من الشفهية إلى الكتابة و التدوين .

[1] *Moussa Imarazen , « **variation et normalisation de Tamazight** » In Actes la standardisation de l'écriture Amazigh , Boumerdes du 20-23 / 09 /2010 , HCA , P41*

ففي القديم كانت اللغة البربرية لغة مشافهة ينحصر كل متغير منها على حيز جغرافي محدود ، و كان التواصل و الاحتكاك محدودا جدا بين مختلف التجمعات السكانية الكبرى ، و لم تكن اللغة الواحدة لغة رسمية مكتوبة ، و إنما كانت لغة شعبية تُعبر عن الوجدان الإنساني بكل تجلياته ، و قد نجد في نفس المتغير اللغوي للبربرية اختلافات و تنوعات من منطقة إلى أخرى ، فلغة أقصى شرق بجاية مثلا (الساحلية) تختلف كثيرا عن لغة أقصى غرب تيزي وزو و قس على ذلك ، و لكن يبقى التفاهم و التواصل بها مضمونا . و لعل السِجالات الفكرية و التجاذبات الايديلوجية والاصطفافات السياسية و الثقافية هي التي تلقي بظلالها على مسألة المقاربة المعيارية المتعددة التي تتبنى منظومة مفاهيمية إجرائية تتمحور حول تنوع اللهجات من منظور " الواحد و المتعدد " بمعنى محاولة صهر الخصوصيات الفرعية داخل قالب معياري يشكل مرجعا للكل، و ذلك بهدف ضمان التواصل الشفهي و الكتابي . و هذا ما يخلق إشكالية الازدواجية اللغوية بين اللغة البربرية المعيارية التي تتداولها الأوساط الرسمية في المدرسة و الجامعة و الإعلام ، و بين اللهجة الشعبية التي تتداولها الأُسر الناطقة بإحدى لهجات اللغة البربرية المعيارية ، ما يخلق نوعا من التشنج الثقافي و القطيعة بين ثقافة الأسرة التي تحملها اللهجة الشفهية غير المُمَعْيَرَة و بين الثقافة الرسمية التي ستحملها اللغة البربرية المُمَعْيَرَة ، و هذا لا يتم تجاوزه إلا بانتهاج سياسة لغوية رصينة تضمن مخرجات هذا المشروع المجتمعي . كما يجب الأخذ بعين الاعتبار التنوع النحوي و التنوع الصرفي و كذا المعجمي مع مراعاة الجذر اللغوي الأمازيغي المشترك لكل اللهجات التي تفرعت عنها ، إذا ما أريد المضي قدما في معيرة هذه اللغة على المدى المتوسط و البعيد . و من هنا تتجلى لنا ضرورة التقريب بين مختلف فروع هذه اللغة في المرحلة الأولى بهدف الوصول في نهاية المطاف إلى لغة يتواضع عليها المختصون و الأكاديميون ، و في هذا يجب البحث عن المشترك بين جميع هذه الفروع دون إهمال مناطق الإبداع لكل لهجة ، لأن ذلك يشكل ثراءا و تنوعا محمودا ، و هذا ما من شأنه أن يستقطب كل الناطقين بمختلف اللهجات إلى هذه اللغة المعيارية فيقوى بذلك انتماؤهم إليها كلغة معيارية موحَّدة و موحِّدة و شاملة و معبرة عن كل ألوان الطيف الثقافي و اللساني لكل مكونات اللغة البربرية المعيارية ، و هذا ما من شأنه أن يعزز الشعور بوحدة الضمير و الهوية المشتركة لكافة الناطقين بها.

و لكن ما لاحظناه عبر كافة النصوص التي احتوتها كتب اللغة الأمازيغية عبر الأطوار التعليمية الثلاث للمدرسة الجزائرية ، أن معيرة اللغة البربرية و التقريب بين مختلف لهجاتها غائب تماما ، إذ تم اعتماد المتغير القبائلي دون غيره في غالبية النصوص و هذا إشكال منهجي و بيداغوجي خطير. و هذا ما يحيلنا إلى حقيقة مفادها أن " اللغة المعيار" لم تخضع لعمليات التهيئة اللغوية و التقعيد الأكاديمي و لمحاولة تنميطها وِفْقًا لما تُمليه الضرورة ، و هذه العمليات تقوم بها مؤسسات الدولة المختصة لكي تسمح بانتقال اللغة الأمازيغية من وضعية اللهجات المتداولة في الحقل اللغوي الشفهي إلى وضعية لغة الكتابة و التدوين في المدرسة و الجامعة و الإعلام و كافة دواليب الإدارة و الحكم. و كان من المفروض أن تتم هذه العملية على مرحلتين، المرحلة الأولى تُعنى بتهيئة وضع اللغة الأمازيغية و ذلك بسن قوانين تشريعية تضبط وظائفها في المؤسسات و الفضاءات العامة ، و في المرحلة الثانية نتجه إلى تهيئة مُتْن «***corpus***»هذه اللغة من طرف أكاديميين مختصين في النحو و المعجم و الصِواتة «***la phonétique***» في إطار مؤسسة ترعاها الدولة الجزائرية رسميا. و الجدير بالذكر أن هذه المَعْيَرَة «***Normalisation / standardisation***»هي عملية «***processus***» طويلة المدى تنطلق من جَرْد ما هو مشترك بين مختلف التنوعات اللهجية لتسهيل عملية التوحيد على أساس الجذع المشترك بينها ، ثم جمع اللغة بكل فروعها ، ثم استنباط القواعد و تدقيقها ، ثم العمل على التراكيب اللغوية و في النهاية العمل على جانب الاستحداث المعجمي «***néologie***» إن اقتضى الأمر ، أي استحداث الكلمات الجديدة بذات اللغة استجابة لحاجة التعبير عن مستجدات العصر و لكن بعيدا عن عملية التطهير اللغوي التي تحركه المنطلقات الايديلوجية كما حدث مع عملية "التتريك" في تركيا على سبيل المثال بتطهير اللغة التركية من كافة المفردات العربية من قِبَل حكومة "كمال آتترك " . و لكن ما لاحظناه كما أسلفنا الذكر ، أن شيئا من هذا لم يحدث ، إذ و في ظل تسارع الأحداث و هيمنة السياسي على الثقافي فإنه لم يتم مطارحة الموضوع من طرف الأكاديميين المختصين ، مما اضطر أصحاب القرار السياسي إلى تبني اللهجة القبائلية كلغة أمازيغية في المرحلة الأولى و هذا سيكون مثارا للجدل ، و ستكون له عواقب وخيمة على المدى المتوسط و البعيد ، إذ كان من الأحرى أن يُستقبل التلميذ في سنواته الأولى بلغته الأم بحسب لهجته المحلية (قبائلية ، شاوية ، تارڤية ، مزابية إلخ) ثم ينفتح على اللهجات الأخرى لكي يُلِمَّ بكافة التنوعات اللهجية الأمازيغية و بكافة التغيرات الصوتية و المترادفات المختلفة ، و

قواعد الصرف و النحو و مختلف التراكيب الجملية . و لكن هذا لم يحدث لحد الآن مع اللغة الأمازيغية على ضوء النصوص التي تفحصناها و القراءات التي قمنا بها و المقابلات مع المفتشين في هذا المجال ، و هذا ما يطرح تساؤلات موضوعية يجب على الدولة أن تعمل على تداركها .

14- كتابة الأمازيغية ، بين النفعية و الأدلجة :

لقد اعتمد البربر و المستمزغون « ***bérberisants*** » لنسخ أو رسم اللغة البربرية على ثلاثة أنظمة كتابة مختلفة ، حرف "التيفناغ" كأبجدية شرعية ليبية منذ القدم ، الحرف العربي و ذلك منذ دخول العرب إلى شمال إفريقيا و الحرف اللاتيني منذ نهاية القرن الثامن عشر مع الاستعمار الفرنسي . و في هذا المبحث سنحاول التطرق إلى هذه الخيارات الثلاث التي تُعْتَبَر امتدادا للصراع الثقافي حول سؤال الهوية و تَجَلِّيًا لصراع النُخب في الجزائر حول هذه القضية بالذات ، و حوصلةً لما أفرزته الاصطفافات الايديلوجية القائمة على أساس اللغة و الثقافة و الهوية في الجزائر ، علما أن البحوث الآنتربلوجية قد أشارت إلى فكرة مركزية و هي- المساواة بين الثقافات و اللغات كنتاج إنساني - فَأَقَرَّت بذلك، التعددية الثقافية و التنوع اللساني و نَفَت التأحيد الفكري و التنميط الثقافي مما يشير إلى أهمية التعددية اللغوية و التنوع الثقافي في مصير الشعوب و الأمم ، و منه فإن التكفل بالتنوع الاثنوثقافي يُشَكِّل تَحَدِّيًا لجميع الأمم الديمقراطية . و لكن الحال في الكثير من البلدان النامية مختلف تماما ، أين شَكَّلت فكرة الأحادية وعي غالبية الشعوب عبر آليات الأدلجة .
و بالنسبة للدولة الجزائرية و عبر مقررات اللغة الأمازيغية لجميع الأطوار نجدها قد تبنت الرؤية التوفيقية لجميع الرسوم و هي رؤية غاية في الحكمة و التبَصُّر، دون تفضيل حرف على آخر ، فنجد أن النصوص كلها قد كتبت بالأحرف الثلاث اللاتيني ، التيفناغ و العربي ، و هذا ما قد يفسر أن الدولة لم تكن جاهزة لمطارحة قضية حساسة كهذه و لم تحسم أمرها عبر مؤسسات مختصة و أكاديمية مُخَوَّلة لهذا الغرض و بالتالي فإن الدولة قد أقدمت على هذه الخطوة ربما تحت ضغط الطارئ السياسي و هذا ما يشكل عبئا على تكلفة الكتاب اقتصاديا و تشويشا على الرأي العام لدى التلاميذ بوضعهم أمام هذا الأمر الواقع المشتَت و المشتِت .

فنجد أن منطقة القبائل حاليا قد اعتمدت الحرف اللاتيني و هذا لعدة اعتبارات ، فهناك من يعتبر هذا الخيار موضوعيا نظرا لكون غالبية المستمزغين قد درسوا باللغة الفرنسية و بالتالي فإن كل أبحاثهم جاءت باللغة الفرنسية ، و هناك من يحيل هذا الخيار للتجاذبات الايديلوجية و التي تنم عن اتجاهات المناضلين البربريين المشبعين بالثقافة الفرنسية على حساب الثقافة العربية الإسلامية ، و هناك من يرجعها لترسبات التاريخالاستعماري الذي ألقى بضلاله على كافة مناحي الحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية للمستعمَر ، و لكن بحكم وضعنا كبحاثة يحق لنا أن نثير تساؤلا مركزيا و هو : ما هو الرسم الأمثل لكتابة اللغة الأمازيغية ؟

قبل كل شيء علينا أن نذكر أنه عبر التاريخ ، لجأت العديد من الشعوب إلى كتابة لغاتها بحروف أجنبية " فتاريخ الكتابة منذ العصور القديمة يؤكد لنا أنه لا الأبجدية العربية هي من خلق العرب و لا الأبجدية اللاتينية هي من اختراع الرومان ، و الفروض الأرجح عن أصول هذه الأبجديات تحيلها إلى الأصل الفينيقي "[1] ، و بالتالي فإن أية لغة بالإمكان كتابتها بأية أبجدية مهما كانت ، بشرط تكييفها مع بنيتها الصوتية ، و لاختيار أي نظام ألفبائي للكتابة يجب مراعاة بعض الشروط منها : مدى تلاؤم هذا النظام مع بنية اللغة و مدى تقبل الرأي العام له و مدى استجابته للمقاييس العالمية . و عملية الاختيار تكون توافقية و يتواضع عليها المختصون و الأكاديميون و السياسيون و كل الفاعلين الاجتماعيين .

1-14 الكتابة :

من المعلوم أن " علم اللسانيات قد أكد على أولوية الشفهية على الكتابة "[2] ، بمعنى أن كل اللغات تمر بالنطق قبل تثبيتها في نظم كتابية معينة ، و منه فإن الكتابة هي تمثيل للغة بهدف تثبيتها و الحفاظ عليها . كما أنها تُعتبر نتاجا محوريا للحياة الاجتماعية للفرد ، بحيث أنها تحدد له أبعادا و فضاءات فردية و اجتماعية " باعتبار أن الكتابة تعبير شخصي و وسيلة للعبور إلى الآخر في آن واحد "[1] . كما أنها عملية معرفية نظرا لكونها " وسيلة تفكير و عمل "[2] . و هي بذلك تعبير عن اللغة المنطوقة بواسطة رموز مكتوبة يتواضع الناس على

---

[1] *HIGONNET, CH, **l'écriture** « que sais-je » N° 653, PUF , Paris , 1993*
[2] *CF SAUSSURE , F , **cours de linguistique générale** , ed , Talantukit , Bejaia , 2002, p 34*
[1] *GIPPET . F et AL , **passage à l'écriture : un défi pour les apprenants et les formateurs** , ed PUF , Paris , 2000, p 1*
[2] *Ibid , p 70*

معنى لها ، و تكون تعبيرا وافيا عن حركة صوتية معينة و هذا ما يعطينا نظام الكتابة « ***Système d'écriture*** » .

قبل التفتح السياسي و الاعتراف الرسمي باللغة البربرية ، كان الحقل اللغوي مقتسما بين اللغة العربية الرسمية للدولة الجزائرية و التي كانت عنوانا لاسترجاع الهوية العربية الإسلامية للدولة الجزائرية ، و بين الفرنسية " لغة المستعمِر " و التي كانت تستحوذ على هامش واسع من الحياة الرسمية و الشعبية للمجتمع الجزائري . و مع التفتح السياسي ظهر صوت ثالث نادى بالاعتراف بالتعدد اللغوي و الثقافي للشعب الجزائري و بالخصوص اللغة و الثقافة البربرية .

و لكن ترسيم اللغة البربرية أثار مسألة اختيار الرموز التي ستُكتب بها ، و من هنا خيمت الخيارات الثقافية و السياسية و الايديلوجية على المسالة ككل . و الجدير بالذكر أن الحركة البربرية التي تعبت من النضال السياسي اليساري قد انطوت على النضال من أجل حماية ثقافتها المحلية في وجه التوجه التأحيدي للدولة الجزائرية ، هذه الثقافة المحلية التي بقيت حبيسة الحسابات السياسية الاستعمارية و عنوانا لتهديد الوحدة الوطنية ، هذا ما جعل من أمر التعاطي مع المطالب الأمازيغية أمرا معقدا لتشاكلاته السياسية و تداخلاته مع المشاريع الاستعمارية لعدو الأمس " فرنسا " ، فلقد كان إسم فرنسا لصيقا بقضية الاستفاقة الهوياتية البربرية عن قصد أو غير قصد ، و ساهمت بقدر كبير في إزالة الغبار عن ثقافة بربرية عتيقة و عن وجود كتابة عريقة فكت شفرتها من على الصخور و الألواح في الطاسيلي بما يعرف بالتيفناغ . و لكن مع تطور الأبحاث و الدراسات تم تبني الحرف اللاتيني عوض التيفناغ لأسباب ربما تكون موضوعية و لكنها تشكل عائقا في وجه التوحيد الوجداني للشعب الجزائري ، و فيما يلي سنعرض أهم الكتابات المتبناة للغة الأمازيغية .

14-1-أ – الحرف العربي :

منذ استقلال الجزائر 1962 ، اختارت الانضمام إلى دائرة الوطن العربي الإسلامي و تبنت التعريب لتجسيد سياستها اللغوية و بالتالي كان الحرف العربي هو الحرف الرسمي للدولة و الدين و العلم و الثقافة . و لقد شكل الحرف العربي ركيزة لآثار الكتابات الأولى للغة البربرية منذ الفتح الإسلامي و ذلك بعد التأقلم الثقافي و اللغوي الذي أتقنته " النخب

الدينية و التي طوَّعت الحروف الجديدة لكونها هي من تحتكر فن الكتابة "[1] ، و لقد نقل المؤرخون أنه " منذ أواسط القرن الثامن ، كانت جميع الممالك الاسلاموبربرية في القرون الوسطى تستعمل الألفبائية العربية لتدوين البربرية "[2] و ذلك لتدوين العقود الشرعية و النصوص العلمية و الدينية و حتى ترجمة معاني القرآن الكريم و لكن دون أن يكون ذلك تقليدا عاما أو ظاهرة جماعية و الدليل على ذلك حسب الباحث سالم شاكر " هو غياب منتوج أدبي بربري بالحرف العربي يعود إلى تقاطع عدة عوامل : ضعف تقليد الكتابة منذ القدم ، غياب تشكيلة سياسية بربرية مستقرة و عمق التعريب اللغوي منذ القرن الحادي عشر "[3] و لكن هذا اللجوء للحرف العربي لم يكن الهدف منه خدمة اللغة البربرية و إنما قد يكون لدواعي أمنية و ذلك لضمان السرية في المراسلات و لم تكن تعبيرا عن الإبداع البربري في الأدب و الفن و العلوم " و معظم المخطوطات التي وُجدت كانت حبيسة الزوايا و المدارس في يد النخب الدينية "[4] ، و كان معظمها يحوي أشعارا بربرية في الدين و حب الرسول ، و في عصرنا الحديث استمر بعض المستعربين في كتابة البربرية بالحرف العربي دائما في نفس السياق ، أي في تدوين أشعارهم كالفنان " شريف خدام " و ذلك رغم عدم تلاؤمها مع الصِّواتة البربرية ، إذن كظاهرة شعبية أو ممارسة اجتماعية نتيجة عملية التعريب التي قامت بها المنظومة التعليمية الجزائرية و التي طبعت الإنسان البربري مع الحرف العربي و أزالت ذلك الحاجز النفسي في ذهنيته ، بعيدا عن الخطاب الذي يتبناه نشطاء الحركة البربرية و الذين لا يستسيغون كتابة البربرية بالحرف العربي بل و يستهجنونها نظرا لثقلها الرمزي باعتبار أن العربية لغة مفروضة و دخيلة و هي اللغة التي يحاولون الانتفاض فيوجهها ، و هذا ما يفسر منافسة الحرف العربي بالحرف اللاتيني و تدوين كل البحوث بالحرف اللاتيني لمقارعة أي محاولة للكتابة بالحرف العربي و فرض الأمر الواقع .

1-14 - ب – الحرف اللاتيني :

---

[1] *El Khatir Aboulkacem, , « Nationalisme et construction culturelle de la nation au Maroc : processus et réactions », **thèse de doctorat d'État en anthropologie sociale et ethnologie**, Paris, École des Hautes Études en Sciences Sociales. 2005 , p 85*

[2] *Chaker Salem , , « Écriture (graphie arabe) », **Encyclopédie berbère XVII** : 2580-2583. 1996 , p 145*

[3] *Chaker salem , OP.CIT , p145*

[4] *El Mountassir Abdallah, , « De l'oral à l'écrit, de l'écrit à la lecture, exemple des manuscrits chleuhs en graphie arabe », **Études et Documents Berbères**, Galand Lionel, Paris, IAM , 1994 , pp 149-156*

مما لا شك فيه أن الحرف اللاتيني قرين بالحداثة و التقدم و العصرنة و الحرية و حقوق الإنسان و بالخصوص العالمية ، و لكنه في الوقت ذاته عنوان للهيمنة الاستعمارية و منه ، و بالرغم من مزاياه التقنية إلا أن تبني الحرف اللاتيني للكتابة البربرية ملطخ بالهيمنة السياسية و الثقافية لفرنسا و الغرب ككل ، و لعل أهم الدعاة لهذا الحرف في منطقة القبائل هما الباحثان الأكاديميان " سالم شاكر " و " كمال نايت زراد " المقيمان بفرنسا و يروجان لأطروحتهما المتمثلة في كون الحرف اللاتيني هو الخيار العلمي الأكثر مواءمة و الذي يسمح في الوقت ذاته بالتواصل مع اللغات العالمية المكتوبة باللاتينية . و تجدر الإشارة إلى أن الحرف اللاتيني قد تم إقحامه لكتابة اللغة البربرية مع الاحتلال الفرنسي فقط ، و ذلك بواسطة كوكبة من المبشرين و العسكريين و البحاثة الغربيين من أمثال , ***André Basset*** » ***Lionel Galand etc*** « الذين حاولوا توحيد اللغة البربرية و معيرتها بالاستعانة بجميع فروعها ، إذن يمكننا القول أن أول من لجأ للحرف اللاتيني لكتابة اللغة البربرية هم الإداريون و المبشرون و العسكر في إطار الآنتربلوجيا الاستعمارية و التقطته بعدهم النخب القبائلية المفرنسة من أمثال " بوليفة " و " بن سديرة " الذين حاولوا تهيئة اللغة البربرية (القبائلية) بالحرف اللاتيني لنجد اليوم كل منطقة القبائل تسير في هذا الاتجاه و كافة الأبحاث في الخارج كذلك " هذه الأعمال و مع يقظة الوعي الهوياتي البربري ، قد خلقوا ديناميكية للتقييم اللغوي و الثقافي الذاتي للمجتمع القبائلي و التي بذاتها ألهمت أجيالا كاملة "[1] ، كما أن هذا النظام الكتابي الذي " أسسه الآباء البيض قد أعاد تهيئته سالم شاكر في إطار معهد ***INALCO*** سنة 1982 "[2] و ذلك بقصد توحيد اللهجات في لغة واحدةموحدة ، إذن استعمال الحرف اللاتيني يبقى الوسيلة المثلى لتدوين البحوث بالنسبة للسانيين البربريين في الداخل و الخارج و ذلك في نظرهم لكون الحرف اللاتيني الشرط الأساسي الكفيل بجعل اللغة البربرية عصرية و عابرة لحدود البلاد المغاربية لتصبح بذلك في مصاف اللغات العالمية .

14-1-ج – التيفناغ :

هذا النظام الكتابي المنقوش على صخور الطاسيلي ، عنوان لتَفَرُّد و خصوصية الثقافة البربرية ، و موروث عريق يميز البربر عن غيرهم و يعزز هويتهم ، كما يُكَرِّس تَجَذُّرَهم في

[1] *Salem Chaker, **Hommes et femmes de Kabylie**, Aix en Provence, INA-YAS/Édisud. 2001, p 186*

[2] *Chaker Salem, « Proposition pour une notation usuelle du berbère (kabyle) », Bulletin des Études Africaines de l'INALCO, , 1982 ? PP: 33-47*

التاريخ، و يغرس فيهم تلك الثقة في النفس و في أسلافهم الذين أبدعوا هذا النظام الكتابي مثلهم مثل باقي الشعوب العريقة عبر القرون . هذه الكتابة المشحونة بدلالة رمزية تحمل في طياتها الشرعية و الأصالة ، و تساهم في بناء هوية منفردة مستقلة عن الغرب و الشرق ، و تُكَرِّس تَجَذُّرها في هذا الوطن الشمال إفريقي . هذا النظام يقف في وجه الخيارين الأوليين الحرف العربي و الحرف اللاتيني ، و هو وليد نَبْشٍ في التاريخ و مشحون بهذه الرمزية التي تستسقي من التاريخ شرعيتها و أسبقيتها للحرف العربي و اللاتيني في هذه البقاع ، و هي بعيدة عن أي إيحاءات دينية أو خضوع للاستعمار و بالتالي فهي تعمق الشرعية التاريخية للحضارة البربرية، و بعكس بعض الأصوات التي لا تعترف بوجود حضارة قبل الفتح الإسلامي في هذه البلاد .

و التيفناغ فرع من الكتابة الليبية القديمة " و هي كتابة مشهود بوجودها في شمال إفريقيا منذ منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد ، على مستوى اللوحات و النقوش و التي يستمر لحد الآن تداولها في شكلها (التيفناغ) ، فالكتابة الليبية سابقة في شمال إفريقيا للاتينية و الإغريقية و العبرانية و العربية و بالتالي فهي مستعملة منذ على الأقل 2500 عام "[1] ، و هي **حاليا كثيرة الاستعمال عند التوارڤ ، و هذا ما لاحظه " غابريال غامبس "**حين يقول :" لقد حافظ التوارڤ على الكتابة الليبية إلى أيامنا هذه و يسمونها تيفناغ ، رغم أن رموزها قد تعرضت لتغيرات كثيرة "[2] . و بالتالي توجد عدة أبجديات بالتيفناغ تنوعت عبر الزمان و المكان كما تنوعت اللهجات البربرية ، و لكن هذا التنوع لم يمنع رواد جمعية " الأكاديمية البربرية " في باريس و على رأسهم " محند أعراپ بسعود " و " طاوس عمروش " من المناداة بإحياء التيفناغ في عملية حثيثة لاستعادة الهوية البربرية ككل بتراثها و تاريخها و لغتها و حضارتها ، بما تمثله من رمزية . و ذلك لكون الحرف العربي يمثل لدى الكثير من نشطاء الحركة البربرية رمزا تجب محاربته ، أما الحرف اللاتيني فيحيل أيضا إلى التبعية الثقافية و السياسية للاستعمار الفرنسي و بالتالي فإن تبني التيفناغ سيغنيهم عن كل هذه المشاكلات ، و في هذا يقول " محند أعراپ بسعود " :" لقد علقت أبجدية التيفناغ على جدار مقر

[1] *Ghaki Mansour, « Sur les traces d'une langue et d'une culture en voie d'extinction » (entretien réalisé par Tassadit Yacine), Awal, 2005 , p 4.*

[2] *Gabriel Camps , **Berbères, aux marges de l'histoire**, Toulouse, Hespérides , 1980, p 275*

جمعيتنا لكي أظهر للناس أن لغتنا تُكتب .... و في هذا الوقت فقط تبنيت التيفناغ القديمة و الذي أظفت له حروفا جديدة لأكيفه مع اللهجة القبائلية "[1] . .

و لقد ساهمت جمعية " الأكاديمية البربرية " في نشر هذه الكتابة بين المثقفين و المهاجرين من كل بلدان الشمال الإفريقي عبر " إصدارات مكتوبة بالفرنسية و التيفناغ يجد فيها القُرَّاء معالم لهويتهم ، و براهين مأخوذة من التاريخ ليدافعوا عن لغتهم و ثقافتهم ، و كانوا يرون في هذه الإصدارات دليلا ماديا على أن لغتهم لم تمت .... فالبربر يحسون بفخر كبير حين يكتشفون أن أسلافهم قد كانت لهم كتابة خاصة بهم و هذا ما يشعرهم بالفخر لكونهم بربرا و الشجاعة لإعلانه و البراهين للدفاع عنه "[2] ، و لكن رغم كل هذا نجد أن هناك مَن مِن الباحثين المستمزغين من يعارض هذه الفكرة كالباحث " سالم شاكر " الذي يرى " أن التيفناغ ليس حلا قابلا للحياة ، و قادرا على ضمان مستقبل اللغة البربرية "[3] ، و هو يدعو بذلك للحرف اللاتيني مثله مثل الباحث الدكتور " يوسف عليوي " الذي " أكد لي أنه يفضل في الوقت الحالي**الحرف اللاتيني مع إدراج التيفناغ تدريجيا في المدرسة و الإعلام "[4] . و لكن اختيار التيفناغ يطرح إشكالا عويصا أيضا ، و هو عدم معيرة هذا الرسم " إذ أن هذه الألفبائية لا تمثل جميع المعطيات الصوتية لأي لهجة خاصة ، و هو مصمم لكتابة الأمازيغية المُعيرة ، فهو يسمح بذلك بتهيئة البنية الصوتية للغة البربرية بهدف توحيدها تدريجيا "[5] . هذه التهيئة التي ستؤدي فيما بعد إلى توحيد اللهجات و بالتالي معيرة اللغة البربرية ، مع العلم أنه لحد الآن يمكن كتابة التيفناغ من اليسار إلى اليمين و من اليمين إلى اليسار ، من الأعلى إلى الأسفل و من الأسفل إلى الأعلى ، و هذا ما سيشكل عائقا في وجه تبني** الصيغة المثلى لكتابة التيفناغ ، لتجنب إعادة إنتاج السياسة التأحيدية و التوحيدية التي طالما اشتكى منها المستمزغون أنفسهم ، ليجدوا أنفسهم مجبرين على ممارستها في سبيل معيرة كتاباتهم . لأن الألفبائية البربرية لا تمثل نظاما متجانسا و يعرف عدة متغيرات عبر المكان و الزمان ، و قديما كان هنالك ثلاثة أنواع :"

---

[1] *Aït Kaki Maxime, **De la question berbère au dilemme kabyle à l'aube du XXIe siècle**, Paris, L'Harmattan. 2004, p 73*

[2] *Bessaoud Mohand Aarav, **De petites gens pour une grande cause, ou l'histoire de l'Académie berbère (1966-1978),** Alger, Copyright M. Mohand Aarav Bessaoud. 2000,p8*

[3] *Salem Chaker **, Textes en linguistiques berbères**, éditions du CNRS, Paris, 1984, p 105*

[4] مقابلة في الفيسبوك يوم 2016/12/18 على الساعة السادسة مساءا

[5] *Notice présentant l'Alphabet , document IRCAM , 2003*

الليبي الشرقي ، و الليبي الغربي و الألفبائية الصحراوية أو ما يسمى التيفناغ القديم "[1] . و حتى أصل هذه الكتابة يمثل مثارا للجدل، فهناك من يعيدها لأصول سامية و منهم من يرفض ذلك.

15-ملخص الفصل:

لقد حاولنا طيلة هذا الفصل استعراض المشهد اللغوي الجزائري و الصراع الذي تعرف السوق اللغوية الجزائرية بين مختلف اللغات التي يتداولها المجتمع فيما يشبه " حرب اللغات " بتعبير "كالفي " . و لحظنا أن هذه اللغات تقتسم المجال اللغوي الوظيفي الرسمي و غير الرسمي ، فاحتكرت الفرنسية لحد اليوم العلوم و التجارة و الصناعة و الرياضة و الفن ، بينما احتكرت العربية الدين و التعليم و القضاء و جزءا من الإدارة أما الأمازيغية بكافة تنوعاتها فاحتكرت التعبير عن المعاش اليومي للناطقين بها ، كما خلصنا إلى نتيجة مفادها أن اللغة كانت راية لصراع النخب على الهوية ، فكانت الأمازيغية في واجهة الحدث و كانت رأس حربة في السجال الهوياتي البربري الذي تدرج في سيرورته حتى يومنا هذا لتتحقق مطالبه بدسترة الأمازيغية لغة وطنية و رسمية كخطوة شجاعة من الدولة لاستكمال المصالحة مع الذات الجزائرية و الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري. إذن ترسيم الأمازيغية بعكس ما يراه البعض كالدكتور عثمان سعدي ، أنه خيانة لبيان أول نوفمبر و تدمير للوحدة الوطنية ، هو تتويج لنضال عدة أجيال من المثقفين و البسطاء ، و هو دعم للحمة الوطنية و آخر حلقة في سياسة المصالحة مع الذات الثقافية الجزائرية ، لتكتمل بذلك مواطنة شريحة عريضة من المجتمع الجزائري التي طالما هُمّشت ، و هو تكريس لانتصار صوت العقل على العاطفة . و ترسيمها يعني أنها ستصبح لغة الدولة بكل مؤسساتها ، بمعنى أنها ستُعَمَّم أفقيا عبر كل التراب الوطني ، و عموديا في كل مستويات و مفاصل الدولة و الإدارة ، خاصة في التعليم من الابتدائي إلى الجامعي ، و منه يجب أن تُدرَس كلغة موحدة معيارية و ليس كلهجات.

و لكن ما شد انتباهنا هو أنه رغم دسترة الأمازيغية لغة وطنية في 2002 و لغة رسمية في 2016 إلا أن أنه يبدو أن الإرادة السياسية غير متوفرة و كأن السلطة قد أرغمها الشارع

[1] *S.chaker, « l'ecriture lybico berbere, etat des lieux et perspectives » IN : Actes du colloque sur le lybico berbere ou le tifinagh, ed HCA , 2007, p278*

على الاعتراف بالأمازيغية و إدراجها في الدستور . فحين تفحصنا الدستور لفت انتباهنا مجموعة من المشاكلات تُقوّض هذا المشروع و ترهن مستقبله ، فوجدنا في ديباجة الدستور في الصفحة "2" :" إن الجزائر أرض الإسلام و جزء لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير ، و أرض عربية ، و بلاد متوسطية " مما يثير تساؤلات، و في الصفحة "3" في الباب الأول ، المادة 4 [3] :" تمازيغث هيكذلك لغةوطنية و رسمية . تعمل الدولة لترقيتها و تطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني. يُحدث مجمَع للغة الأمازيغية يوضع لدى رئيس الجمهورية . يستند المجمَع إلى أشغال الخبراء ، و يُكلف بتوفير الشروط اللازمة لترقية تمازيغث قصد تجسيد وضعها كلغة رسمية فيما بعد.تُحدد كيفيات تطبيق هذه المادة بموجب قانون عضوي". و بعيدا في الصفحة "26" و في المادة 212 يستثني الدستور تمازيغث من المواد التي لا يمكن أن يمسها أي تعديل و هي :

- الطابع الجمهوري للدولة
- النظام الديمقراطي القائم على التعددية الحزبية
- الإسلام باعتباره دين الدولة
- العربية باعتبارها اللغة الوطنية و الرسمية
- الحريات الأساسية و حقوق الإنسان و المواطن
- سلامة التراب الوطني و وحدته
- العلم الوطني و النشيد الوطني باعتبارهما من رموز الثورة و الجمهورية
- إعادة انتخاب رئيس الجمهورية مرة واحدة فقط .

و لهذا تتصور السلطة أن مهمتها قد انتهت بهذه الخطوة في حين أن الكثير ما زال ينتظرهاخاصة مع هذه الثغرات التي يكرسها الدستور. و كمثال آخر على هذه المشاكلات الموضوعية و التي لم ينتبه إليها أحد ، نجد أن منصب المحافظ السامي للأمازيغية شاغر منذ سنة 1998 و الأمين العام هو المكلف بتسيير المحافظة السامية للأمازيغية . كما أن الأكاديمية التي نص عليها الدستور لم تنشئ لحد الآن لأن ترقية

الأمازيغية لا يمكن أن تتم إلا في إطار مؤسساتي أكاديمي عبر مخابر بحث و كفاءات و مختصين و ميزانية لائقة ، و هذا ما يجعل من هذا المكسب الدستوري لحد الآن مجرد حبر على ورق ، هذا بالإضافة إلى شح المناصب المالية لتدريس الأمازيغية عبر مختلف الأطوار و عبر كافة التراب الوطني و ذلك للوقوف على تفعيل الأمازيغية بتوحيد قاموسها اللغوي بدلا من تسييس ملفها من خلال السلطة و المعارضة . و القضاء على هذا التشنج في المجتمع بخصوص اللغة الأمازيغية و الذي نتج عن عقود من الأحادية السياسية و الثقافية ، إذ نجد أن هناك من يطرح الأمازيغية في إطار الصراع مع العربية و الإسلام في حين ينبغي طرحها في إطار تكاملي مع هذين المكونين للهوية الجزائرية ، لأن الأمازيغية تفاعلت بإيجابية معهما و أنجبتالعديد من العقول و الأعلام باللغة العربية. بينما الذين يعارضون الأمازيغية يطرحون مشكل توحيد التنوعات اللسانية لهذه اللغة .علما أن التنوع اللغوي ميزة من ميزات كل المجتمعات البشرية و هو نعمة و ثراء ، لكن حين يُطرح كمشكلة فهذا في حد ذاته إشكال عميق لأن هذا يعكس مدى تأزم العقل الجزائري و عجزه عن استيعاب التنوع و التعدد في كل أبعاده و استثماره و تثمينه لتحريك عجلة التنمية الحضارية بكل أبعادها.

و هذا يقودنا للحديث عن السياسة اللغوية ، فمطارحة مشكل الأمازيغية يحتاج إلى رؤية علمية أكاديمية يبعده عن المزايدات السياسيوية ، فالحديث عن السياسة اللغوية في الجزائر حديث ذو شجون يمتد على مدى خمس و ثلاثين سنة من التسيير بمنطق الصراع كما سُيرت باقي عناصر الهوية من إسلام و عربية ، و طُرح مشكل الازدواجية اللغوية فرنسية-عربية على الواقع الجزائري و استبعدت أية لغة أخرى قد تنافس هاتين اللغتين و هذه حالة موروثة عن الاستعمار ، حيث استمرت اللغة الفرنسية في الهيمنة على مفاصل الحياة السياسية الاقتصادية و الثقافية مما دفع بالعربية للنضال من أجل تبوأ مكانة اجتماعية تليق بها ، مما عزل الأمازيغية نهائيا ، و لذلك أخضعت السياسة اللغوية للصراع الايديلوجي و أبعدت عن الحلول العلمية لأن تغذية الصراع على الهوية يخدم جهات معينة ، و بقيت الفرنسية إقصائية رغم كونها

لسانا طارئا على الشعب الجزائري . فالتعامل مع الفرنسية كان ينبغي أن يكون في إطار تصفية آثار الاستعمار و كان عليها أن تنافس اللغات الأجنبية الأخرى و ليس العربية و الأمازيغية في المكانة الاجتماعية و لكن الازدواجية اللغوية التي تبنتها السلطة فرضت الفرنسية في وجه العربية فما بالنا بالأمازيغة التي بقيت تعاني على كل الجبهات معركة غير عادلة .و هذا رغم كون اللغة الأمازيغية حالة آنتروبولوجية و ضاربة جدا في التاريخ و عميقة جدا في المجال السوسيلوجي للمجتمع الجزائري ، و بالتالي في وجه الحصار الذي تعرضت له أصبحت هي أيضا تبحث لها عن موضع قدم ، و عن مكانة لها في وسط هذا الحراك الاجتماعي الثقافي و السياسي و في السوق اللغوية ككل. و كان من المفروض أن تكون الفرنسية من ستبحث لها عن مكانة في هذا المجتمع لكونها أجنبية لا سيما و أن الأمازيغية و العربية تتمتعان بآنتروبولوجيا عميقة جدا و لكن العكس هو الذي حدث ، و هذا خطأ كبير في معالجة السياسة اللغوية . و هذا كله يدخل في إطار إدارة الصراع في المجتمع الجزائري و أن خلق مجتمع صراعي هو مغزى السياسة التي اعتمدت منذ استرجاع السيادة الوطنية 1962 ، و ليس مجتمعا ارتقائيا تطوريا .. إذ كان بالإمكان أن تُطرح المسالة اللغوية على الأكاديميين للبحث عن اللغة الوسطى بين جميع التنوعات الأمازيغية في مفرداتها ، ما دامت اللغة الأمازيغية إحدى مكونات الهوية الجزائرية فلا ينبغي أن تكون مطلبا لفئة معينة أو جهة معينة و لكن لكافة الجزائريين و ذلك لسحب ورقتها من كل المتلاعبين بها و على الدولة أن توفر الآليات و الإمكانات البشرية و المادية لترقيتها و تجسيد ذلك على أرض الواقع. و نحن نرى أن حل المسألة اللغوية لا يمر عبر الأكاديميين وحدهم أو الساسة وحدهم و لكن في إعادة الشرعية الشعبية للمؤسسات التربوية ، فالمؤسسات الثقافية و الشرعية وحدها هي من تستطيع إعطاء هذا الحق التاريخي للأمازيغية و تمنع الحق الطارئ (الفرنسية) ، كما أنه ينبغي أن تطرح المسألة الأمازيغية في إطار الحريات الديمقراطية و الثقافية و السياسية أي في إطار ديمقراطي شامل يعترف بالتعددية السياسية و الثقافية و الدينية.

الفصل الخامس

****

الجانب التطبيقي

1- المقاربة المنهجية :

تجدر الإشارة إلى كون دراستنا استكشافية وصفية تحليلية و هي تندرج ضمن الدراسات الكيفية و هي دراسة تستدعي الاغتراف من العديد من التخصصات العلمية كالتاريخ و السياسة و الانتربلوجيا و علم الاجتماع و اللسانيات.و لقد استعنَّا بتقنية تحليل المضمون .أما العينة فقد اخترنا الكتاب المدرسي لمادة اللغة الأمازيغية بدءا بالسنة الرابعة ابتدائي و انتهاءا بالسنة الثالثة ثانوي.

و لقد تبنينا مقاربتين ، الأولى سوسيو- تاريخية و ذلك لاستنطاق الأدبيات الاثنولوجية التي تناولت بالدراسة منطقة القبائل و ذلك لاستخراج أهم القيم الهوياتية التي تميز ساكنتها و ذلك لتفادي الوقوع في الذاتية قدر المستطاع. و ذلك من حيث أن التاريخ يُعتبر الذاكرة الواعية و اللاواعية ، و التي تتحكم في المجتمع ، بصورة كامنة و تضل تنتج تشنجاتها في أشكال متعددة ، فلذا آثرنا العودة إلى التاريخ في محاولة لاستخراج كافة المؤشرات الدالة في حدود البحث بغية إبراز التطور التاريخي للمطالبة الهوياتية القبائلية و كيف تعامل الاحتلال الفرنسي مع القضية الثقافية الجزائرية و التنوع العرقي و الثقافي و اللغوي لساكنة الجزائر و بالخصوص مع منطقة القبائل . و الثانية هي مقاربة تحليلية مقارنة و ذلك باستخراج جميع القيم المتعلقة بالهوية الواردة في المقرر المدرسي لمادة الأمازيغية ثم إجراء المقارنة و التحليل.

2- تحليل المحتوى:

إن الوقوف على المنظومة المفاهيمية التي أفرزها الخطاب المطالباتي الهوياتي في منطقة القبائل ، يساعد إلى حد كبير على معرفة أنساق التفكير و من ثمّ تجلياتها . و عليه فإن تقنية تحليل المحتوى تساعد على ذلك ، نظرا لكونها تركز على قراءة الأثر و تحليله .و سنركز على تحليل المفاهيم الكبرى للبناء النظري و إحالته إلى جذوره النظرية ، قصد توضيح الوظيفة الأيديلوجية و التبريرية لها[1].

[1] مهدي مبروك : هل نحن أمة ؟ دراسة في أزمة الانتماء لدى النخبة التونسية ، دار البراق للنشر ، 1989 ، ص 10

لقد وقع الاختيار على تحليل المحتوى الكيفي لعدة مبررات منهجية أهمها ، أن التحليل الكمي يتطلب تقنيات جد معقدة ، و حيث أننا سنتعامل مع نصوص يتضمنها الكتاب المدرسي لمادة اللغة الأمازيغية ، فإن التحليل الكيفي يكتسي أهمية بالغة ، لكونه يعتمد حوارا بين الأثر و الدارس بغية وصف و فهم المحتوى الظاهري الصريح و المتخفي الكامن للمادة المكتوبة ، محاولين بذلك إرجاع الأثر المكتوب إلى الخلفية الفكرية و الثقافية و السياسية التي ينبع منها الأثر ، و كذا المقاصد التي يروم الأثر الوصول إليها من خلال الكلمات و الجمل و الرموز و المسكوت عنه[1].

إن العمق في التحليل الذي تتوخاه هذه التقنية ناتج عن طبيعتها ، من حيث أن تحليل المحتوى لا يكتفي بطرح التساؤل : ماذا قيل ؟ بل و أيضا كيف قيل ؟ و لماذا قيل ؟ و ذلك جوهر هذا التحليل . و الضرورة المنهجية لمحاولة الإجابة عن تساؤلات الإشكالية تدفعنا للاعتماد على تحليل المفاهيم من خلال إرجاعها إلى جذورها الأصلية بغية التقرب أكثر من مقاصد و توجهات صانعي هذه النصوص . كما أن الهدف من تحليل المحتوى هو جعل هذه المفاهيم أكثر قابلية للتأويل السوسيلوجي و الآنتربلوجي ، و يبرز هدف تحليل المحتوى كاستدلال عى المعلومات المتعلقة بإنتاج النصوص التي هي موضع التحليل عن طريق بعض المؤشرات كمية كانت أم كيفية[2].

و نحن نهدف من خلال اعتمادنا لهذه التقنية ، تحويل المتوفر النصي " أي النصوص التي بحوزتنا " و المتضمنة في كتب اللغة الأمازيغية ، من الأثر المكتوب إلى الأثر المقروء . و نعتمد في ذلك على المنهج التكويني التاريخي الذي يرصد الفكرة في بوادر نشأتها و المحمول الثقافي و القيمي و التي كانت مشحونة به ، لنصل إلى أرقى التصورات و المضامين لهذه الفكرة [3]

[1] مهدي مبروك ، مرجع سبق ذكره ، ص 11
[2] نواصرية محمد و آخرون : **نظرة المثقفين الجزائريين للأزمة الحالية** ، معهد علم الاجتماع (مذكرة ليسانس) ، جوان 1990 ، ص 10
[3] مهدي مبروك ، مرجع سبق ذكره ، ص 26

3- الخطوات المتبعة في تحليل المحتوى:

3-1 تحليل المحتوى في الدراسة:

إن دراسة محتوى مجموعة من النصوص من كتاب اللغة الأمازيغية للأطوار التعليمية الثلاثة ، يدخل ضمن الدراسات الكيفية العامة ، و في كل دراسة من هذا النوع يجب علينا التركيز على بعض النقاط الأساسية التي لا يمكن تجاوزها و لا تجاهلها باعتبارها عمود التحليل القيمي ، و منه يجد الباحث نفسه مقيدا بالمتغيرات الأساسية في بحثه، و هي بصفة عامة : القيم و الأهداف و النص ، و هذا ما سيمكننا من التحقق من المرمى و المسعى التربوي للكتاب المدرسي الخاص باللغة الأمازيغية بالمدرسة الجزائرية في مختلف أطوارها التعليمية من الابتدائي إلى المتوسط و انتهاءا بالمرحلة الثانوية، ف : " المحتوى ..... هو ما يقوله الفرد أو يكتبه ليحقق من خلاله أهدافا اتصالية مع الآخرين .....و هو عبارة عن رموز لغوية يتم تنظيمها بطريقة معينة ترتبط بشخصية الفرد .... و سماته الاجتماعية ، فيصبح مظهرا من مظاهر السلوك يميزه عن غيره من الأفراد، و يستهدف جمهورا محددا....فيتحقق اللقاء و المشاركة بين المصدر و الجمهور "[1]. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن من أبرز سمات تحي المحتوى هو الاستخدام الكمي للعناصر الكيفية المستخرجة ، و ذلك باستخدام أساليب إحصائية ثم تبويب و تصنيف الفئات و جدولتها و قياسها في محاولة لتحقيق الموضوعية و مجانبة التحيزات و التشيعات الذاتية و التي تفرضها العينة العمدية و تفرضها طبيعة الموضوع ككل.

3-2 الخطوات المتبعة في تحليل عينة النصوص المختارة:

لا يمكن الاعتماد على تحليل عينة النصوص المختارة بطريقة عشوائية و ذلك نظرا لكون لكل تحليل فئاته المعتمدة حسب إشكالية الدراسة ، لذلك اعتمدنا على هذا التحليل الفئوي بعد أن قرأنا النصوص في البداية قراءة عادية ،أي دون محاولة للفهم أو التعمق لاستشفاف الاتجاه العام للنص إن كان سياسيا أو دينيا أو آخر ، محاولين بذلك تفاد الوقوع في الذاتية أو إسقاط أي أفكار شخصية.

[1] - نفس المرجع ، ص 28

ثم أعدنا قراءة النصوص للمرة الثانية لكن مع التركيز أكثر ، و كنا كلما تمعَّنا في قراءة نص ما سطَّرنا بالقلم على عبارة أو جملة تحمل أو توحي بفكرة ذات قيمة من القيم تمكننا من إنجاز التفيئة القيمية للنص. و كانت المراحل المتبعة في تحديد الفئات كالتالي:

- قراءة النصوص قراءة عادية أولية
- إعادة قراءة النصوص بالتركيز على المعاني
- إعادة قراءة النصوص باستخدام القلم و التسطير على العبارات المهمة
- وضع جدول عام للفئات الرئيسية و الفئات المساعدة
- حساب نسب تكرارات القيم و الأهداف

3-3 وحدة التحليل:

يتوقف اختيار وحدة التحليل على نوعية المادة المراد دراستها ، حيث عمدنا في بحثنا هذا إلى اختيار وحدة " **الفقرة**" ، إذ لا يمكننا إلا أن نكتشف القيم الموجودة في النصوص بطرق مباشرة أو إيحائية حسب المعنى الذي تحمله العبارة أو الجملة أو الفقرة ككل . واختيار وحدة التحليل خطوة بالغة الأهمية في تحديد الفئات المستخرجة و كميتها أو عددها فبالتالي هي تساعد كثيرا في إتمام التفيئة.

4-3 جدول الفئات المستخرجة من عينة النصوص:

توضح الجداولأدناهأن تقنية تحليل المحتوى في عينة النصوص المختارة في البحث قد ألزمتنا باستخراج فئات محددة حسب الهدف العام للدراسة، و حسب ما تطلبته إشكالية البحث، لذلك اعتمدنا على فئات معينة بدت لنا أنها ضرورية كمنهج للوصول إلى غاية البحث الرئيسية، و المتمثلة في فئة الشكل ، على أساس الاختلاف الكائن بين النصوص من حيث الشكل الظاهر ، فهناك نصوص شعرية و أخرى نثرية و قد كان لزاما علينا الأخذ بعين الاعتبار كون النصوص الشعرية لديها جاذبية و إقبال كبيرين لدى القارئ و حتى المستمع أو المتلقي لأنها تؤثر عليه من الناحية العاطفية الوجدانية و بالتالي يكون تأثيرها أكثر و أبلغ على العقول و يصبح المعنى أقرب للاستكشاف و التحقق منه و التمعن فيه، و بالتالي يهمنا تصنيف المحتوى العام للنصوص الشعرية و مقارنتها بالمحتوى العام للنصوص النثرية من خلال الفئة الثانية و هي فئة " القيم " و التي تعتبر أهم فئة في الجدول إذ تعتبر

بؤرة الإشكالية التي نحن بصدد البحث فيها و التقصي عنها. و هي مرتبطة ارتباطا وثيقا شكلا و مضمونا بفئة الأهداف التي توضح لنا مكانة كل قيمة مستخرجة من كل نص و أهميتها في التوجه العام و حتى الخاص سواء للدراسة ككل أو للنص في حد ذاته ، فيظهر لنا تكامل الأهداف من خلال تكامل القيم بعضها ببعض ، لينتج لدينا نص محوري ذو توجه واضح من أجل تحقيق هدف أو أكثر من خلال ترسيخ مجموعة من القيم، و هنا نشير إلى أن فئتي القيم و الأهداف تجيبان على سؤالين محوريين هما " ماذا قيل، و بأي تأثير " حسب الأسئلة الأربعة التي طرحها " لازويل " و هي : " ماذا قيل ، كيف قيل، بأية وسيلة و بأي تأثير ؟ " و هذا كأهداف حقيقية في تحليل المضمون.أما الفقرة التي تبنيناها كوحدة إطار مهمة في الدراسة و قد فرضت نفسها من منظور أن معظم القيم المستخلصة من النصوص موجودة ضمنيا أي غير ظاهرة لاستخراجها بطريقة مباشرة ، ففي كل فقرة نجد قيمة أو أكثر نعيد بناءها في فئة القيم ، و تجدر الإشارة هنا إلى كون كل الفئات المعتمدة تظهر في الفقرات.إذن فالتحليل الفئوي يقوم على تحديد عبارات و كلمات أساسية و مفتاحية يبنى بها النص أو الخطاب ، و محاولة فهمها – أي العبارات- تكون بالضرورة في إطار وحدة التحليل هذه و هي " الفقرة".

01 الجدول الأول : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتـــــــاب السنة الرابـــعة ابتدائي

الوحـــــــــدة		القيـمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الرابـــعة ابتدائي	النص1: المقدمة		
	الفقرة1 : « منذ دخولك للمدرسة .....كنت تتحدث بها فقط »	- ثقافية - سياسية	- الانتماء للغة - الشحذ السياسي للانتماء للغة الأم مقابل العربية و الفرنسية
	النص 1: ص8		
	الفقرة 1:« أنا إسمي فورولو .....لكي لا يعاينه الناس »	- ثقافية - اجتماعية - سياسية - ثقافية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الثقافية من خلال تبني التقويم الفلاحي - الانتماء للمنطقة جغرافيا من خلال ذكر اسم القرية و البلدية و العرش - الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الكيان القبائلي [بلاد القبائل] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال تولي الجدة تسمية المولود - الانتماء لعادات المنطقة الثقافية من خلال اختيار أسماء قبيحة لتجنب

			العين الحسودة
النص2: ص12			
	الفقرة 1 :« أنا ينادونني ثيزيري .....أشاهد الرسوم المتحركة على التلفاز »	- اجتماعية - ثقافية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الأسماء - الانتماء لعادات المنطقة الثقافية من خلال الحكايا [ثيموشوها]
	الفقرة 2 :« في أيام الراحة.....و مشاهدة الأقراص المضغوطة التي تصور الحيوانات »	- اجتماعية - جتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال الألعاب التقليدية [لعبة القصور أو المنازل ثيخامين] - الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال الألعاب التقليدية [لعبة الحصيات إلقافن]
النص 3: ص13			
	الفقرة 1:« البلد .....أسكن في بلاد القبائل »	- اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال [تيزي وزو] - الانتماء للعرق الأمازيغي - الانتماء للعرق

		- اجتماعية - سياسية	القبائلي - الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل - الشحذ السياسي من خلال الاحالة الى الكيان السياسي القبائلي
	النص 4: ص17		
	الفقرة 1:« يوغرطة ملك عظيم .....فمات من الجوع و العطش »	- تاريخية - سياسية - اجتماعية - تاريخية - سياسية - تاريخية - سياسية	- الانتماء لتاريخ الأمازيغ [للتاريخ من خلال يوغرطة] - الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بوجود الكيان السياسي الأمازيغي كدولة من زمان - الانتماء للعرق الأمازيغي - الانتماء لتاريخ الأمازيغ [للتاريخ من خلال مدة حكم يوغرطة] - الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بوجود الكيان السياسي الأمازيغي كدولة من زمان ثامازغا - الانتماء للتاريخ الأمازيغي من خلال حربهم ضد الرومان - الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بوجود الكيان

		- تاريخية - اجتماعية	السياسي الأمازيغي كدولة من زمان ثامازغا - الانتماء لتاريخ الأمازيغ [للتاريخ من خلال يوغرطة و بوخوس] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال نبذ الخيانة
	النص 5: ص21		
	الفقرة 1 :« عبان رمضان ثوري كبير.........توفي في 27 ديسمبر 1957 »	- سياسية - تاريخية - اجتماعية - سياسية - تاريخية	- الشحذ السياسي من خلال الانتماء للنضال السياسي و الثوري لمنطقة القبائل من خلال رمزية عبان - الانتماء لتاريخ المنطقة الجهادي ضد الاستعمار - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال أسماء المناطق - الشحذ السياسي من خلال الانتماء للنضال السياسي و الثوري لمنطقة القبائل من خلال رمزية عبان

		- سياسية	- الانتماء لتاريخ المنطقة الجهادي من خلال رمزية مؤتمر الصومام - الشحذ السياسي من خلال الانتماء للنضال السياسي و الثوري لمنطقة القبائل من خلال رمزية عبان و مؤتمر الصومام
	النص 6 : ص 22		
	الفقرة 1:« برد الطقس..... البرنوس »	- اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الزي التقليدي [البرنوس] - الانتماء لقيمة الشرف من خلال رمزية [البرنوس]
	جملة 2:« غير عرشه ..... لقمة الخبز »	- اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة الولاء للعشيرة - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال نبذ خيانة العشيرة
	النص 7: ص 25		

	الفقرة 1 :« أنا أدعى ثاسدا.....التي تتحدث عن الحيوانات »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الأسماء
		- ثقافية	- الانتماء لعادات المنطقة الثقافية من خلال الحكايا [ثيموشوها]
		- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال الألعاب التقليدية [لعبة القصور أو المنازل ثيخامين]
		- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال الألعاب التقليدية [لعبة الحصيات إلقافن]
	الفقرة 2:« مولود آث معمر .....أشعار سي محند و امحند ».»	- اجتماعية	- الانتماء لمنطقة القبائل من خلال شخصية مولود معمري
		- ثقافية	- الانتماء لعادات المنطقة الثقافية من خلال رمزية معمري الثقافية
		- سياسية	- الشحذ السياسي لانتماء للنضال السياسي و الثوري لمنطقة القبائل من خلال رمزية مولود معمري
		- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال أسماء

		- تاريخية - ثقافية - ثقافية - ثقافية - اجتماعية	المناطق - الانتماء لتاريخ المنطقة باستحضار تاريخ معمري - الانتماء للغة الأمازيغية - الانتماء للغة الأمازيغية - الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال رمزية سي محند الثقافية - الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال شخصية سي محند و امحند
النص 8: ص42			
الفقرة1 : « في اللغة الأمازيغية..... أسماء الصفات »		- ثقافية	- الانتماء للغة الأمازيغية
الفقرة2 : « ارتدى برنوسا أبيضا »		- اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الزي التقليدي [البرنوس] - الانتماء لقيمة الشرف من خلال رمزية [البرنوس]
النص 9: ص46			
الفقرة1 : « لعبة		- اجتماعية	- الانتماء للعادات

	الغميضة..... لا يمسك أحدا »		الاجتماعية للمنطقة من خلال الألعاب التقليدية [لعبة الغميضة]
	النص 10: ص50		
	الفقرة 1 :« لعبة التصارع بالأرجل أو [ثيقار].....ثم يجلسون للاستراحة »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية[ثيقار]
	النص 11: ص55		
	الفقرة 1:« حين يحين موعد .....يصبح في مكان المركوب »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية [لعبة أشواري نيغرذاين]
	النص 12: ص59		
	الفقرة 1 :« لعبة الغميضة« زيطوف » ..... ثم تبدأ اللعبة »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية [الغميضة]
	النص 13 : ص 63		
	الفقرة 1:« لعبة النحلة العمياء.....كي يتبين من يغمض عينيه »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية النحلة العمياء]
	النص 14: ص81		
	الفقرة 1:« أوصيك يا ولدي	- اجتماعية	- الانتماء للأصول و

	.....و تموت دون أن تترك أثرا »	- سياسية - اجتماعية - اجتماعية	الأجداد و العرق - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي بالضمير الجمعي - الانتماء و الولاء للأبوين و العرق - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية التي تركز على ضرورة الخِلْفة
	الفقرة 2:« أنا لا أريدك أن تغضب .....و تحكيها لصاحبك »	- اجتماعية - سياسية - سياسية	- الانتماء للأصول و الأجداد و العرق - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي بالضمير الجمعي و الاستفاقة من السبات - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي بالضمير الجمعي و الحفاظ على الذاكرة
	الفقرة 3:« رفعت القلم لأكتب .....كي يعرف هو ابن من »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء للأصول و الأجداد و العرق - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي بالضمير الجمعي و الحفاظ على الذاكرة

02 الجدول الثاني : يمثل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
اجتماعية	34	52.30
سياسية	14	21.53
ثقافية	10	15.38
تاريخية	07	10.76
المجموع	65	99.97

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي:

إن الجدير بالذكر أن اللغة الأمازيغية بدءا من السنة الرابعة ابتدائييطرح إشكالا موضوعيا من حيث المكانة التي أنيطت بهذه اللغة في المنظومة التربوية ، إذ يمكن القول أنها تُعتبر لغة أجنبية إذا ما أمعنا النظر في الحجم الساعي المخصص لها نجده ثلاث [03] ساعات في الأسبوع مقابل ثمان ساعات و ربع للغة العربية [08 سا و 15د] و أربع ساعات و نصف [04 سا و 30 د] للفرنسية و هذا في حد ذاته يمثل إشكالا موضوعيا. و إذا ما استحضرنا الظروف التي أدت إلى الاعتراف بها من قبل السلطات نجدها تراكمية نضالية تُوجت " بسنة المحفظة " و التي قاطع فيها تلاميذ منطقة القبائل المدارس في كل الأطوار للموسم الدراسي 95/94 مما اضطر السلطات إلى اتخاذ قرار إدراج اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية مع ك ما واكبه من مشكلات موضوعية و كذلك الطابع الاختياري لتعليم هذه اللغة يجعل من تعليمها أمرا يصعب التكهن بمستقبله.

إن القراءة الظاهرية للجدول تشير إلى تسجيل أكبر عدد للتكرارات كان لدى القيم الاجتماعية بنسبة 52.30% من مجموع التكرارات و هذا ما يوحي إلى أن التوجه الغالب لهذه النصوص هو اجتماعي، مقابل أصغر تكرار للقيم التاريخية بسبعة تكرارات بما يعادل

10.76 % من مجموع التكرارات. و بينهما سجلنا تكرار القيم السياسية بأربع عشرة تكرارا بما يعادل نسبة 21.53 % من مجموع التكرارات مقابل تكرار القيم الثقافية عشر مرات بنسبة 15.38 % من مجموع التكرارات. إذن من الجدول يبدو جليا أن أكبر نسبة من القيم في النص هي أربعة و ثلاثون قيمة مكررة وهي اجتماعية وهذا يشير إلى أن الفكرة المحورية تصبو إلى نقل مجموعة من الأفكار و التوجهات القيمية العادية التي هدفها هو إعطاء فكرة واسعة عن العادات و السلوكيات التي كانت تصبغ يوميات المجتمع القبائلي في مرحلة ما، ولربما ما تزال بعضها مستمرة حتى الآن في إطار التوارث الثقافي سواء من جهة اللباس أو الألعاب الممارسة أو أي سلوك أو عادة أخرى والتي بعضها ما يزال ممارسا في المرحلة الحالية وكل هذا يعطي انطباعا إلى أن الهدف من وجود هذه النصوص لتلامذة السنة الرابعة ابتدائي يشير إلى وجود توجه فعلي في تنشئة الأطفال على مجموعة من المعايير الاجتماعية التي لا يراد لها أن تندثر كونها تحمل معنى تربويا و تخص أو تعطي خاصية معينة للمجتمع أو المنطقة مهمة في المجتمع ككلو الجدير بالذكر أن كل قيمة اجتماعية من عادات و تقاليد أو حرف أو صناعة تقليدية تحمل زخما كبيرا من المفردات اللغوية التي تحافظ على استمرارية اللغة الأمازيغية . ومع ذلك لا يمكننا أن نتجاهل نسبة تكرارات القيم السياسية والتي تمثل أربعة عشر تكرارا من مجموع خمسة وستين وهي ثاني نسبة بعد القيم الاجتماعية وهو عدد غير هيّن ولو أنه بعيد جدا عن أربعة وثلاثون قيمة اجتماعية إلا أنه لا يجب إغفال حقيقة أنها موجهة إلى أطفال في سن بين التاسعة و العاشرة حيث أن الطفل في مثل هذه السن يعتبر وعاءًا قابلا لاستقبال وتقبل كل ما ننقشه فيه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والقيم السياسية في هذا النص بالرغم من أنه عبارة عن مجرد فقرة واحدة وقصيرة جدا إلا أنها حملت الكثير من القيم التي ستؤثر على الطفل بطريقة أو بأخرى .وجملة القيم السياسية تحمل في طياتها معنى الشحذ والنضال السياسي الذي يمكن اعتباره محاولة إيديولوجية لتحضير جيل سياسي ذو توجه معين وهدف محدد. بينما وجدنا أن تكرار القيم التاريخية منخفض مقارنة بالقيم الاجتماعية و كذا القيم الثقافية .

03 الجدول الثالث : يمثل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	07	10.76
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	07	10.76
الانتماء للعادات الثقافية لمنطقة القبائل	10	15.38
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	20	30.76
الانتماء للعرق القبائلي	07	10.76
الشحذ السياسي	14	21.53
المجموع	65	99.95

تحليل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة ابتدائي:

حرصا منا على الاقتراب أكثر من الأهداف التي تتخفى وراء هذه القيم فقد كان لزاما علينا أن نفككها إلى أبعادها و غاياتها. فمن خلال تفكيكنا للأهداف التي ترمي إليها هذه النصوص تمكننا من بناء الجدول أعلاه، و الذي يبين لنا أن أكبر تكرار للقيم في الجدول الأول (جدول القيم) كان من نصيب القيم الاجتماعية بأربعة و ثلاثين [34] تكرارا و لكن بعد تفكيكها تحصلنا على ثلاث فئات للأهداف التي تندرج ضمن القيم الاجتماعية ،الفئة الأولى بعشرين [20] تكرارا و بنسبة 30.76 % تمثل الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للقيم الاجتماعية لمنطقة القبائل و سبع [07] تكرارات بنسبة 10.76 % للأهداف التي

تعززالانتماء لجغرافيا منطقة القبائل و بنفس التكرار و بنفس النسبة للانتماء للعرق القبائلي ، و الملاحظ أن الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للقيم الاجتماعية منطقة القبائل قد ركزت على أهمية الألعاب التقليدية في بناء شخصية الطفل في هذه المرحلة العمرية من خلال تعلم الأدوار المختلفة و بناء نسيج من العلاقات مع أقرانه و كذا تأكيد التمايز من خلال التركيز على الألعاب المشهورة في المنطقة مما يحيي الذاكرة الجماعية و يرسخها لدى التلاميذ من منطلق أن التلميذ يتعلم باللعب. ثم تأتي الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل بعشر (10) تكرارات و هي نسبة مُرضية جدا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كون الكتاب قيد الدراسة هو تربوي بالأساس ، و لقد تركزت هذه الأهداف على تعزيز الانتماء للغة الأمازيغية و للثقافة السائدة في منطقة القبائل كالاعتماد على الحكايا (ثيموشوها) التي تُعتبر من وسائط نقل الثقافة الشفهية للمنطقة من جيل إلى جيل بما يساهم في بناء مخيال سوسيلوجي خاص للتلاميذ الذين يستبطنون قيمها و يتمثلون أبعادها مع الوقت.

ثم تأتي الأهداف التي ترمي إلى نوع من الشحذ السياسي و التي ركزت في معظمها على الإحالة إلى الكيان السياسي المستقل لمنطقة القبائل و استنهاض الوعي الجمعي للمنطقة و استحضار نضالها السياسي في كل مرة سواء ضد الاستعمار أو فيما بعد الاستقلال. بينما تأتي الأهداف التي ترمي لتعزيز الانتماء لتاريخ منطقة القبائل بسبع (**07**) تكرارات و هي نسبة لا بأس بها إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أهمية التاريخ في بناء شخصية التلاميذ خاصة أن " الأمر الجوهري في تقديمه (التاريخ) أن نجعله محركا و متحركا. فلا ينبغي أن يقدم التاريخ على أنه جهود أو نتائج متراكمة أو عبارات مجردة عما حدث، و لكن على أنه شيء مؤثر مليء بالقوة "[1]

[1] المدرسة و المجتمع ، جون ديوي ، ص 153

04الجدول الرابع : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتـــــــاب السنة الخـــــامسة ابتدائي

الوحـــــــــدة		القيـمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الخـــــــامسة ابتدائي	**النص 1: ص 12 [بائعة الحطب]**		
	الفقرة 1:« ثاميلا صغيرة .....كي تأتي بالنقود »	- اجتماعية - تاريخية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاحتفال برأس السنة الأمازيغية - الانتماء للتاريخ الأمازيغي من خلال رمزية يناير التاريخية
	النص 2: ص 13 [الطريق إلى الكتابة]		
	الفقرة 1 :« عاد جحا .....فأخذوا يضحكون عليه »	- دينية - دينية - اجتماعية - دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال رمزية يوم الجمعة - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال تقدير إمام القرية - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال عادة تقديم البيض [قربان] للجامع - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال رمزية يوم الجمعة

		- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال رمزية الجامع
النص 3: ص 20 [الغراب و الثعلب]			
	الفقرة 1 :« تحية أيها الغراب .....هذا ظاهر للعيان »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال التحية [أزول]
النص 4: ص 26 [الملك و العصفور]			
	الفقرة 1 :« في يوم من الأيام .....أصبح الملك عبدا له »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة [الثأر]
النص 5: ص 28 [ماء نبع * علي*]			
	الفقرة 1 :« آه من يشرب حتى يرتوي .....إن شربتها كاللبن »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة
النص 6: ص 32 [أحمد أومري]			
	الفقرة 1 :« أومري متمرد .....الذي انتشر في السهوب »	- تاريخية - اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ [أومري] - الانتماء لجغرافيا المنطقة من خلال [جرجرة ،آث جيمة، آث بوعدو] - الانتماء لجغرافيا المنطقة من خلال [،آث جيمة، ثيزي نتالا] - الانتماء لعادات

			المنطقة الاجتماعية في اتخاذ مساكن من الأحجار
	الفقرة 2 :« لقد كبر في القرية .....فقتله على القصعة »	- تاريخية - اجتماعية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ هذه الشخصية - الانتماء لقيم المنطقة الاجتماعية و هي نبذ الخيانة
	النص 7: ص 36 [جدنا الأول]		
	الفقرة 1 :« جدنا الأول .....كأنه الأسد في زئيره »	- اجتماعية	- الانتماء لقيم المنطقة الاجتماعية من خلال الافتخار بالأصول
	الفقرة 2 :« حين عادت الأسود .....فثأر لنفسه »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال إبراز الثأر كآلية للحفاظ على الوجود الفردي و الجماعي في المنطقة
	النص 8: ص 38 [بلد أو أرض الأمازيغي]		
	الفقرة 1 :« لا أعلم من أين جئت .....تبا لأنني أنسى »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل استنهاض الوعي بالذاكرة الجماعية و البحث عن الأصل
	الفقرة 2 :« نظرت في وطن الأمازيغي .....ففرحت لكوني إبنا لك »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود

		- تاريخية - اجتماعية	الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر - الانتماء للتاريخ الأمازيغي من خلال رمزية يوغرطة التاريخية - الانتماء لقيم المنطقة الاجتماعية من خلال الافتخار بالأصول
	الفقرة 3 :« وقفت على ربوة فناديت .....فأمرتني بالركوع »	- سياسية	- الشحذ السياسي لنبذ ثقافة الركوع [تلميح للركوع تجاه القبلة]
	الفقرة 4:« سنحفر و ننظر .....لا يمكن تعويضه »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل النضال على الهوية
	النص 9: ص 40 [إيفري ن الضلال]		
	الفقرة 1 :« عندما تتجه نحو إيعزوغن .....هي كتابة التيفناغ »	- اجتماعية - تاريخية - ثقافية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر إعزوزن - الانتماء لتاريخ الأمازيغ - الانتماء للغة الأمازيغية
	الفقرة 2 :« الحجر الذي نقشت عليه .....هو الأكبر في هذه المنطقة »	- ثقافية - اجتماعية - سياسية	- الانتماء للغة الأمازيغية - الانتماء الجغرافي للمنطقة

			- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود وطن القبائل و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر و الربط بين منطقة القبائل و الشأن الكبير للتيفناغ
النص 10: ص 44 [أرزقي البشير]			
الفقرة 1 :« أرزقي البشير .....من ينظر إليه يرتعش خوفا منه »	- تاريخية - اجتماعية		- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ شخصياتها - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال أسماء مناطقها و عروشها
الفقرة 2 :« ثار ضد عدوان الفرنسيسس .....قتلوه في إيعزوغن »	- تاريخية		- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ شخصياتها
النص 11: ص 46 [جبلي]			
الفقرة 1 :« إسمك عزيز عندي .....كل واحد منهم أين هرب »	- اجتماعية		- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بجرجرة
الفقرة 2 :« تذكرت ينابيعنا .....المهد ،الطفل يحبو »	- اجتماعية		- الانتماء للبنى الاجتماعية للمنطقة من خلال استحضار ثاجماعث
النص 12: ص 49 [غابة إعكوران]			

	الفقرة 1 :« بمجرد أن تخرج من مدينة ...ستجد كل نوع من الأشجار »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز أسماء المدن
	الفقرة 2 :« منذ دخولك .....غابة إعكوران و غابة أكفاذو »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال أسماء المدن و الغابات
	النص 13: ص 55 [نوي ثافاث س ووذم]		
	الفقرة 1 :« سهرنا الليل.....يا وطننا العزيز »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر
	الفقرة 2 :« سماؤك جميلة .....منقوش على الأحجار »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الافتخار بشرف المنطقة
	الفقرة 3 :« سهرنا الليل..... يا وطننا العزيز »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر
	الفقرة 4 :« كم أتى من مستعمر .....اقتلعتهم من جذورهم »	- تاريخية - اجتماعية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استعراض تاريخها مع المستعمرين - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الانتماء للأجداد و

			الافتخار بهم
	الفقرة 5 :« سهرنا الليل..... يا وطننا العزيز »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر
	الفقرة 6 :« افرحي فامتدادنا كبير .....ثقولون يا أمنا نحن هنا »	- اجتماعية - اجتماعية - سياسية	- الانتماء الجغرافي لبلاد الأمازيغ من سيوة إلى الأطلس - الانتماء الجغرافي لبلاد الأمازيغ من الزواوة إلى التوارق - الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر
	الفقرة 7 :« سهرنا الليل..... يا وطننا العزيز »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر
	الفقرة 8 :« سهرنا الليل..... يا وطننا العزيز »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر

	الفقرة 10 :« سهرنا الليل..... يا وطننا العزيز »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى وجود الوطن الأمازيغي و إحياء الانتماء إليه في مقابل الآخر
	النص 14: ص 68 [ثينزاغ]		
	الفقرة 1 :« الشرف و الحرمة.....ننكسر و لا ننحني »	- سياسية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي الجمعي باستحضار ألربيع الأمازيغي - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي الجمعي باستحضار نضال الرجال - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي الجمعي باستحضار التمرد على الظلم - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي الجمعي باستحضار النضال من أجل الأمازيغية - الشحذ السياسي لاستنهاض الوعي الجمعي باستحضار الصمود ضد العدو و عدم الركوع

05 الجدول الخامس : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
اجتماعية	23	42.59
سياسية	17	31.48
تاريخية	08	14.81
دينية	04	07.40
ثقافية	02	03.70
المجموع	54	99.98

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي :

تعتبر السنة الخامسة من التعليم الابتدائي تتويجا للطور السابق [السنة الرابعة ابتدائي] و ذلك يعني أن ملمح الدخول إلى السنة الخامسة من التعليم الابتدائي هو ملمح الخروج من السنة الرابعة . و يعتبر تدريس مادة اللغة الأمازيغية في هذه السنة ترسيخا لمكتسبات التلميذ السابقة تعزيزا للقواعد اللغوية الأساسية التي تسمح له بالتحكم في القراءة و الكتابة و التواصل في وضعيات مختلفة، و ذلك قبل مرحلة التعليم المتوسط . و لقد اعتمد الكتاب مجموعة من النصوص النثرية للقراءة كمنطلق في إثارة تفكير المتعلم وفق بنية منسجمة من الأفكار المتماسكة، كما اعتمد جملة من النصوص الشعرية التي تسهل الفهم و الحفظ و التمثل لدى التلاميذ . و من خلال تصفحنا لمختلف النصوص الواردة في الكتاب تمكننا من بناء الجدول أعلاه. .

يعبر هذا الجدول عن تكرارات القيم الواردة في كتاب السنة الخامسة ابتدائي في مادة اللغة الأمازيغية ، و لقد حاولنا التركيز على القيم التي تفي بالغرض بعد تحقيق التشبع إثر قراءات متعددة، و التي تكررت بصورة تشد الانتباه ، و هي التي في اعتقادنا أقرب و أيسر للتمثلات

التي قد يبنيها الأطفال في هذه الفئة العمرية [11 سنة] . و لقد تمكنا من استخراج خمسة قيم واضحة المعالم لا يمكن تجاهلها و هي بطبيعة الحال تكرارات متفاوتة بتفاوت المغزى العام المراد بلوغه عبر هذه النصوص .

و نلاحظ أن الاتجاه العام للجدول يسير في منحى القيم الاجتماعية و ذلك بتسجيل ثلاث و عشرين [23] تكرارا في مجمل النصوص المتضمنة لهذه القيم و التي مجموعها أربع عشرة [14] نصا بمعدل 3.8 قيمة على الأقل في كل نص، مقابل قيمتين ثقافيتين فقط ، بمعنى إذا أخذنا تكرارات القيم بما تمثله من نسب مئوية فإننا سنجد أن أعلى نسبة مئوية قد تحققت لدى القيم الاجتماعية بمقدار 42.59 % مقابل نسبة 03.70 % فقط للقيم الثقافية. و هذا التباين الظاهر للعيان يبدو لنا مقبولا نوعا ما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هذا الكتاب تربوي بالدرجة الأولى و يجب أن يركز على الرسالة التربوية قبل أي شيء آخر.

و لكن بين هاتين النسبتين الحديتين نجد أن تكرار القيم السياسية بسبع عشرة [17] مرة و بنسبة 31.48 % من مجموع القيم المستخرجة من النصوص تمثل نسبة لا يستهان بها ، و هذا يوحي بالتوجه العام الذي يراد من خلاله شحذ الناشئة بمجموعة من الرؤى و القناعات و التوجهات السياسية الضمنية أو الصريحة ، و التي تطرح القضية الهوياتية من منطلق التعدد الثقافي و السياسي الذي يؤسس للتعدد و الاختلاف لا من منطق التنوع الثقافي الذي يدعو للتنوع في إطار الوحدة أي الاعتراف بالجزء في داخل الكل المتكامل.

كما نقرأ نسبة 14.81 % للقيم التاريخية بتكرار ثمان [08] مرات و هذا تكرار ضعيف مقارنة بما ينبغي أن تشتمل عليه هذه النصوص من قيم تاريخية لإعادة بناء الذاكرة الجماعية ، كما أن القيم الدينية الواردة في هذه النصوص مجتمعة أيضا تمثل نسبة ضعيفة و هذا عكس ما ينبغي أن تتضمنه النصوص الموجهة لتلاميذ في هذه الفئة العمرية.

و لقد لاحظنا أن القيم الاجتماعية قد تركزت أكثر على تعزيز الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل و الافتخار بها ، و الاعتزاز بالانتماء للأجداد و للنظم الاجتماعية القائمة في منطقة القبائل كمؤسسة [ثاجماعث] ، كما ركزت على قيمة الثأر كآلية للحفاظ على الوجود الاجتماعي للأفراد و الجماعات. أما القيم الدينية فكانت سطحية جدا ، إذ أشارت فقط إلى رمزية يوم الجمعة و تقدير إمام القرية و هذا توافقا مع الصورة النمطية التي رسمتها الكتابات الفرنسية عن تدين القبائل السطحي ، و هنا يمكننا القول أن هذه النصوص

تتقاطع فيها رؤيتان أو يلتقي فيها توجهان ، توجه اجتماعي في مجمله يحاول أن يعزز الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل و الانتماء لموروثها الاجتماعي كاستحضار قيمة الثأر و الولاء لمؤسسة ثاجماعث و الافتخار بالأصول و الأجداد ، مع التوجه السياسي الذي يحاول أن يؤسس لبناء شخصية متشبعة بمنظومة من القيم و القناعات الايديلوجية و التي هي ليست بالضرورة نفس الإطار الايديلوجي لعامة سكان القبائل العاديين و لا لعامة الشعب الجزائري.

06 الجدول السادس : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	10	18.51
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	05	09.25
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	11	20.37
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	04	07.40
الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي	03	05.55
الانتماء لجغرافيا الوطن الأمازيغي	02	03.70
الانتماء للغة الأمازيغية	02	03.70
الشحذ السياسي	17	31.48
المجموع	54	99.96

تحليل جدول يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الخامسة ابتدائي :

إن فئة الأهداف تكتسي أهمية بالغة في دراستنا و ذلك لطبيعة الموضوع و إشكالية البحث المطروحة، بمعنى أنه لغرض الوقوف على المرمى الحقيقي للنصوص التي اشتمل عليها كتاب السنة الخامسة ابتدائي للغة الأمازيغية ، علينا أن نقترب مما تصبو إليه هذه النصوص من خلال المواضيع المطروحة و ذلك وفق اتساق فكري معين لتحقيق الهدف من الرسالة و هو التأثير في تشكيل و تنميط السلوكيات و الاتجاهات اتجاه قضايا الهوية.

إذن من خلال جدول الأهداف، يتجلى لنا أن التكرار الأعلى أو الأكبر بعد أن كان في جدول القيم من نصيب القيم الاجتماعية، و بعد عملية التفكيك و التحليل لهذه القيم، أصبحت القيم السياسية تتصدر القائمة بسبع عشرة [17] تكرارا، ما يعادل نسبة 31.48 % من مجموع التكرارات . و لقد تمحورت هذه الأهداف حول التركيز على الإحالة إلى الوطن الأمازيغي الكبير [ثامازغا] ككيان سياسي مستقل و مغاير ربما لمفهوم الدولة الجزائرية الحديثة [الدولة- الأمة] ، كما ركزت على الإشادة بالنضال السياسي ضد الظلم و الاستبداد السياسيين و هذا يؤسس لفلسفة همّها الأساسي هو الاحتجاج على تربية القهر في نظرهم والدعوةإلى نوع آخر من التربية وهو التربية للتحرير . و هذا عملا بمقولة باولو فيريري الشهيرة : "التعليم عملية سياسية كما ان السياسة عملية تربوية" و " لا يوجد تعليم محايد فهو إما للقهر وإما للتحرير". و لكن ربما أخطر هدف هو ذلك الذي تضمنه النص الثامن في فقرته الثالثة و التي تشحن ضد ثقافة الركوع و الخنوع السياسي و لكنها في ذات الوقت توحي برفض الركوع للشرق [القبلة] و هو يحمل شحنة و حمولة رمزية يقصد بها الإسلام و العروبة اللذان جاءا من جهةالقبلة و هذا أمر لا يعمل على تعزيز الانتماء للوطن الواحد و للجزائر ككل .كما سجلنا تكرار أحد عشرة [11] مرة للأهداف التيترمي لتعزيز الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل كالاحتفال برأس السنة الأمازيغية و التحية و بالخصوص التركيز على قيمة الثأر و هذه الأبعاد يمكن للتلميذ في هذه الفئة العمرية أن يتمثلها خاصة الاحتفالية منها كالاحتفال بيناير أما التركيز على قيمة الثأر في هذه الظروف التي تمر بها البلد فيبدو مناقضا للسياسية العامة المراد التأسيس لها

اجتماعيا ، سياسيا و ثقافيا من خلال تبني خطاب المصالحة مع الذات و مع تاريخ الجزائر و إعادة الأمور إلى نصابها فيما يخص أبعاد الهوية الوطنية. و تأتي الأهداف التي ترمي لتعزيز الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل بعشر [10] تكرارات أي بنسبة 18.51 % و الأهداف التي تعزز الانتماء للوطن الأمازيغي الكبير [ثامازغا] بتكرارين أي بنسبة 03.70 % و إذا ما دمجنا كلا الهدفين نجد أن الهدف الذي يرمي إلى تعزيز و تكريس الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل باعتبارها جزءا من الوطن الأمازيغي يصبح تكراره إثني عشرة [12] مرة . كما نجد أن الهدف الذي يرمي إلى تعزيز الانتماء لتاريخ منطقة القبائل قد تكرر خمس [05] مرات ، بينما الهدف الذي يبحث عن تعزيز الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي ككل قد تكرر ثلاث [03] مرات ، و بإدماجهما معا نجد أن الهدف الذي يرمي إلى تعزيز و تكريس الانتماء لتاريخ منطقة القبائل باعتبارها جزءا من الوطن الأمازيغي ككل ، قد تكرر ثمان [08] مرات و من هنا تتضح الرؤية أكثر من خلال هذه الأهداف أن هنالك رغبة في البحث عن بناء أو صياغة نوع من الوعي بالذات خاص بمنطقة القبائل و محاولة تشكيل ضمير جمعي خاص بالمنطقة .

07 الجدول السابع : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الأولى متوسط

الوحـــــدة	القيـمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الأولى متوسط	**النص 1: ص8 « الأرملة و العجوز الشريرة [اتساريل] »**	
	الفقرة1 :« في القديم ، كانت هنالك أرملة.....ثم تنتقل للحياكة » - اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاحتطاب و جلب الماء من الينابيع - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال جني الزيتون - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الحصاد - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال طحن القمح و الشعير يدويا في البيت - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الحياكة
	النص 2: ص 11« لأتذكر »	
	الفقرة1 :« هناك أسماء علم.....الحرف الأول منه بالخط الكبير » - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رمزية الملك ماسينيسا - الشحذ السياسي

		- اجتماعية - اجتماعية	من خلال رمزية مولود معمري - الشحذ السياسي من خلال رمزية عبان رمضان - الشحذ السياسي من خلال رمزية معطوب الوناس - الانتماء لجغرافيا المنطقة من خلال [تيزي وزو] - الانتماء لجغرافيا المنطقة من خلال [تيزي وزو]
	النص 3: ص«14 كبد القلمون »		
	الفقرة1 :« عندما يروي القبائل.....رغم اختلافها »	- اجتماعية - ثقافية	- الانتماء للعرق القبائلي - الانتماء لعادات المنطقة الثقافية باستحضار الحكايا [ثيموشوها] التي تساهم في نقل الموروث الثقافي للمنطقة من جيل إلى جيل
	النص 4: ص16 « الذئب و الخروف »		
	الفقرة1 :« لماذا عكرت لي الماء.....أنا هكذا	- اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من

	تربيت »	- اجتماعية	خلال عصبة الدم - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال عصبة العشيرة - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الثأر و كيف يشترك فيه الفرد و العائلة و العشيرة و كل من دخل في الحلف
	النص 5: ص18 « الوقت غير المناسب »		
	الفقرة1 :« يحكى ذات مرة عن عرس.....فقتله بين المتسوقين »	- اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل من خلال [عني] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية بالفصل بين الرجال و النساء في الأعراس - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية بالغيرة على النساء - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية بالقتل من أجل الشرف الذي تمثله المرأة
	النص 6: ص 32 « الكلب و الذئب » أولحلو		

	الفقرة1 :« الذئب شاحب.....لقد ربيت الوجنتين »	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية بمباركة نعمة الله
	الفقرة2 :« فأجابه الذئب.....مستحيل أن أقبل القيود »	- دينية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية بمباركة نعمة الله - الانتماء لقيم المنطقة السياسية من خلال تقديس الحرية - الانتماء لقيم المنطقة السياسية من خلال رفض القيود للتحرر من الاستبداد - الانتماء لقيم المنطقة السياسية من خلال تقديس الحرية كمقوم للتجمع البشري - الانتماء لقيم المنطقة السياسية من خلال رفض القيود للتحرر من الاستبداد
	النص 7: ص 35 « شجاعة محند واعمر » مسعوذ آث عمار		
	الفقرة1 :« الدا شريف هو من حكى لنا.....فأخذوه إلى الجنرال بيجو »	- تاريخية - تاريخية - سياسية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ شخصياتها - الانتماء لتاريخ

			المنطقة من خلال استحضار تاريخها مع الاستعمار الفرنسي - الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان القبائلي
	الفقرة2 :« كانوا يدعونه بيشوح.....مستحيل أن يلتقيا »	- سياسية - سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان القبائلي - الشحذ السياسي من أجل استحضار الذاكرة الجماعية ضد الاستعمار الفرنسي و رفض الجزائر الفرنسية - الشحذ السياسي من أجل استحضار الذاكرة الجماعية ضد الاستعمار الفرنسي و استحالة أن يصبح الجزائري فرنسيا
	<u>النص 8:</u> ص 40 « عن قتال القبائل للروميين في ثاشكيرث » الطاهر أوصديق		
	الفقرة1 :« في يوم 18 يوليو .....غونينت ثاغنيتس إيذذاغ أرا غرانت أمنوغ »	- تاريخية - سياسية - تاريخية - تاريخية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخها مع الاستعمار الفرنسي [معركة ثاشكيرث]

			- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان القبائلي - الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار شخصية فاظمة نسومر - الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار شخصية فاظمة نسومر
	الفقرة2 :« تلبدت السماء يومها.....فانسحبوا إلى الوراء »	- سياسية - اجتماعية	- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان القبائلي - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر اسم القرية [ورجة]
	الفقرة3 :« ولكن أعادوا الكرَّة...و تمكن الفرنسيون من إيجاد الطريق »	- تاريخية - اجتماعية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخها مع الاستعمار الفرنسي - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر أسماء القرى التي تعرضت للحرق من طرف الفرنسيين

	الفقرة 4:« ولكن أعادوا الكرُّة...و تمكن الفرنسيون من إيجاد الطريق »	- تاريخية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار شخصية فاظمة نسومر
	النص 9: ص 42 « تذكر يا قلبي » بن محمد		
	الفقرة1 :« قف يا جبل كي نرى.....بين اليوم و الأمس »	- سياسية	- الشحذ السياسي للانتماء للنضال السياسي للمنطقة عبر الأجيال
	الفقرة2 :« يا ريح اكشفي.....التي كتبت حتى على الحجر»	- تاريخية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار معركة إشريظن
	الفقرة3 :« يا قمر اكسر الظلام.....بهم أنتم أين ما كنتم »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان القبائلي (شعب الصومام) باستحضار رمزية الصومام
	الفقرة4 :« يا قمر أطل علينا.....الجرح إن لم يلتئم يحف »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استحضار رمزية أحداث الربيع الأمازيغي بتيزي وزو
	النص 10: ص 46 « فاظمة نسومر » الطاهر أوصديق		
	الفقرة1 :« فاظمة نسومر محاربة.....فماتت هناك »	- تاريخية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ فاظمة نسومر
	الفقرة2 :« فاظمة نسومر	- اجتماعية	- الانتماء للعرق

	.....ألبسها الحرير الأحمر »	- اجتماعية	القبائلي - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر جبل [جرجر]
	الفقرة3 :« فاظمة نسومر .....تضع الحناء في يديها و قدميها »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية للنساء من خلال الاستياك و وضع الحناء
	النص 11: ص 51 « الشيخ محند و الحسين » مولود معمري		
	الفقرة1 :« يقول الذين يتذكرونه.....عندما يتحدث يهز جسمه »	- دينية - تاريخية	- الانتماء الديني من خلال الرمزية الدينية للشيخ محند و لحسين - الانتماء لتاريخ المنطقة من حيث استحضار شخصية الشيخ محند ولحسين
	النص 12: ص 60 « الموت آنزا » أعمر مزداد		
	الفقرة1 :« الفلاح الذي ربط.....أنت أمازيغي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الانتماء للأصل الأمازيغي
	الفقرة2 :« التاجر الذي يتفقد.....أنت أمازيغي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الانتماء للأصل الأمازيغي
	الفقرة3 :« الطالب الذي على دفتره.....أنت أمازيغي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الانتماء للأصل الأمازيغي

	الفقرة4 :« عندما نشعل في الليل.....أنت أمازيغي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الانتماء للأصل الأمازيغي
	الفقرة5 :« جننت أم ،ي ثمل..... أنت أمازيغي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الانتماء للأصل الأمازيغي
	النص 13: ص 64 « حياكة البرنوس » أعمر و السعيد بوليفة		
	الفقرة1 :« إن القبائل في الربيع....يحيكون البرانس و الجلابيب و الأغطية »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال حياكة الصوف
	الفقرة2 :« لكي نحصل على برنوس جيد.....تحيكه بالقلم إيزدي »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال حياكة الصوف
	الفقرة3 :« المرأة تمشط الصوف.....تلفه حول إطار الحياكة إفقاغن »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال حياكة الصوف
	الفقرة4 :« عندما تشرع المرأة في الحياكة.....تستغرق فيه شهرا »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال حياكة الصوف
	النص 14: ص 70 « لعبة ثيداس » أعمر و السعيد بوليفة		
	الفقرة1 :« لعبة ثيداس تشبه....يرسمون ستة خطوط متوازية و أخرى عمودية »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية المميزة للمنطقة
	النص 15: ص 73 « ثيسمحاي نووشان » مولود فرعون		

	الفقرة1 :« أين هو القبائلي الذي يجهل.....فأجابهم »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء للعرق القبائلي - الشحذ السياسي من خلال رمزية تسمية الذئي باسم محند و هو أحد مشتقات إسم محمد
	الفقرة2 :« ناشدتكم بالله.....عناقيد عنبه و تينه و أزهاره»	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية بالمناشدة باسم الله
	النص 16: ص 81 « أحب قريتي » مولود فرعون		
	الفقرة1 :« أنا لست ممن يكرهون القرية.....أحس بها كثيرا »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال التعلق بالقرية

08 الجدول الثامن : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى متوسط :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
اجتماعية	27	41.53
سياسية	23	35.38
تاريخية	10	15.38
دينية	04	06.15
ثقافية	01	01.53
المجموع	65	99.97

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى متوسط :

يصف هذا الجدول تكرارات القيم المستخرجة من عينة النصوص محل الدراسة ، و نلاحظ التنوع الذي يحمله كل نص. و بما أننا اعتمدنا على استخراج القيم الضمنية و القيم الواضحة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى كون القيم متنوعة و متعددة ، غير أننا و ككل مرة حاولنا حصر تلك القيم التي تكررت بصورة ملفتة للنظر و أيضا أكثر وضوحا بعد عدة قراءات و بعدما تحقق لدينا التشبع، آخذين بعين الاعتبار تناسب الفئة العمرية لهذا الطور [السنة الأولى متوسط] مع نوعية النصوص المقترحة ، و ذلك دائما دون أن نغالي في التعمق لاستكشاف قيم غير ظاهرة و ذلك محاولة منا لتجنب الذاتية قدر المستطاع ، و نظرا لكون الهدف من دراستنا هو الوقوف على ماهية القيم التي تحملها هذه النصوص الموجهة للتلاميذ محاولين رسم الخطوط العريضة لتوجهات أصحاب هذه النصوص و أهدافهم في توجيه الرأي العام و عليه فإننا تمكننا من رصد خمس [05] قيم واضحة و جاءت متفاوتة الأهمية بحسب تكرار كل واحدة منها سواء في النص الواحد أو عبر كل الكتاب.

و هذا ما يعبر عنه هذا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر عدد للتكرارات كانت للقيم الاجتماعية بسبع و عشرين [27] تكرارا أي بنسبة 41.53 % من مجموع التكرارات مقابل أضعف تكرار و الذي سجلناه لدى القيم الثقافية بمرة واحدة [01] أي بنسبة 01.53 % من مجموع التكرارات و هذا يمثل تباينا صارخا و تخلخل واضح و جلي فيما يخص التوفيق بين الاجتماعي و الثقافي في الكتاب المدرسي لبناء الشخصية القويمة للتلميذ، ثم سجلنا تكرار القيم السياسية ثلاثا و عشرين [23] مرة بنسبة 35.38 % من مجموع التكرارات و هذه نسبة مرتفعة جدا، مقابل عشر [10] تكرارات للقيم التاريخية بنسبة 15.38 % و هي نسبة لا بأس بها إذا ما قارناها بالقيم الدينية التي تكررت أربع [04] مرات فقط بنسبة قدرها06.15 % من مجموع نسب التكرارات.

انطلاقا من هنا يمكننا القول أن توزيع القيم في هذه النصوص ليس متعادلا فهناك قيم غالبة تكررت بكثرة و قيم أخرى كانت قليلة الظهور مع العلم أن الكتاب المدرسي التربوي يسعى لتغطية كل أبعاد الهوية اجتماعية كانت أم ثقافية أم دينية أم تاريخية لأن مجموع هذه القيم بجعات متوازنة هو الكفيل بتكوين و نمذجة شخصية متزنة لدى التلاميذ في هكذا فئة عمرية.

09 الجدول التاسع : يمثل تكراراتالأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى متوسط :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	07	10.76
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	10	15.38
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	17	26.15
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	04	06.15
الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة	01	01.53
الانتماء للعرق القبائلي	03	04.61
الشحذ السياسي	23	35.38
المجموع	65	99.96

تحليل جدول تكراراتالأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى متوسط :

تعتبر السنة الأولى متوسط تتويجا لمسار المرحلة الابتدائية و بداية لمرحلة تعليمية أخرى بأهداف و آفاق أوسع و أرحب. و منه أمكننا القول أن ملمح الخروج من السنة الخامسة ابتدائي هو ملمح الدخول في السنة الأولى متوسط ،ويعتبر تدريس مادة اللغة الأمازيغية في هذا الطور ترسيخا لمكتسبات التلميذ السابقة و تعزيزا للقواعد اللغوية الأساسية التي تتيح له التحكم في القراءة و الكتابة و التواصل في مختلف الوضعيات ، قبل مرحلة التعليم المتوسط.

بهدف التعمق في فهم القيم المستخرجة من النصوص و بعد أن قمنا بتفيئتها ، كان لزاما علينا أن نفككها أكثر لنقف على الهدف المقصود وراء كل قيمة لكل فئة، و بعد هذه

العملية تحصلنا على الجدول أعلاه ، حيث سجلنا أكبر تكرار لدى الأهداف التي ترمي إلى الشحذ السياسي و تثبيت القيم السياسية بثلاث و عشرين [23] مرة بنسبة تقارب 35.38 % من مجموع التكرارات ، مقابل سبع عشرة [17] تكرارا بنسبة 26.15 % لدى الأهداف التي ترمي تعزيز الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل، ثم تأتي الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء لتاريخ منطقة القبائل بعشر [10] تكرارات بنسبة 15.38 % ، مقابل سبع [07] تكرارات للأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل بنسبة 10.76 %.

لتأتي الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل بأربع [04] تكرارات بنسبة 06.15 % من مجموع التكرارات . بينما سجلنا ثلاث [03] تكرارات للأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للعرق القبائلي بنسبة 04.61 % و تكرار واحد بالنسبة للهدف الذي يرمي لتعزيز الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل .إذن من خلال هذه العملية التفكيكية التي أجريناها لمجموع القيم المستخرجة من النصوص ، فإنه تبين لنا أن التوجه الغالب على هذه النصوص هو التوجه السياسي و ذلك من خلال التركيز على رمزية الشخصيات المؤثرة في الوعي الجمعي و في الذاكرة الجماعية لمنطقة القبائل [ماسينيسا ، معمري ، عبان ، معطوب إلخ] و كذا التركيز على قيم الحرية و رفض الاستبداد السياسي و الأهم هو الإحالة دائما إلى الكيان القبائلي و الحث على مواصلة النضال السياسي من أجل القضية الهوياتية الأمازيغية و استحضار أحداث الربيع الأمازيغي و استنهاض الوعي بالانتماء للأصل الأمازيغي.

10الجدول العاشر : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الثانية متوسط :

الوحـــــــــدة		القيمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الثانـــية متوســـط	**النص 1: ص 11« ثاغا ثاحرفيث » [نثري]**		
	الفقرة 1:« كلام سي محند و محند.....اسمه و أشعاره تذكر »	- تاريخية - ثقافية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال شخصية الشاعر سي محند و امحند - الانتماء لعادات المنطقة الثقافية بتقدير مكانة الكلمة و الثقافة الشفهية
	الفقرة 2:« جيلا بعد جيل.....أشعار القبائل و كل من يسمعها »	- سياسية - اجتماعية	- الشحذ السياسي بالايحاء بوجود الكيان القبائلي - الانتماء للعرق القبائلي
	النص 2: ص 12« أضريس » [نثري]		
	الفقرة 1:« إنتهى الشتاء.....كأنها قطعان أغنام ترعى في مروج شاسعة »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر [جرجرة]
	النص 3: ص 13« الأديب » [شعري] إيذير		
	الفقرة 1:« ثاوريرث ميمون.....تعلمت	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من

	ثسليغ »		خلال ذكر [ثاوريرث ميمون]
	الفقرة 2:« ما يحكيه لنا الشيوخ.....رغم غيابك فأنت موجود بيننا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الحث على مواصلة نضال مولود معمري و من خلال رمزيته
	النص 4: ص 14« شجرة أواغزنيو » [نثري] طاوس عمروش		
	الفقرة 1:« عندما تذهب إلى كوخها.....احترق الكوخ و معه الوحش »	- ثقافية - اجتماعية - سياسية	- الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال أسطورة[واغزن] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة التضامن ضد العدو - الشحذ السياسي من خلال رمزية الكاتبة طاوس عمروش
	النص 5: ص 17« يا أبي با » [شعري] بن محمد/غناء إيذير		
	الفقرة 1:« الشيخ ملفوف في برنوسه.....تعلمهم الأحداث الماضيات »	- اجتماعية - اجتماعية - ثقافية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية في تقديس العائلة الممتدة من خلال ذكر مختلف الأدوار [الجد ، الإبن ، الجدة ، العروسة و

			الأحفاد] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعيةمن خلال الزي التقليدي (البرنوس) - الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال أسطورة [بابا ينبا]
	الفقرة 2:« الثلج قد سد الأبواب.....التقى أهل الدار ليسمعوا الحكاية »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال استحضار [ثاجماعث و الحياة الاجتماعية القاسية في القرية أثناء الشتاء] - الشحذ السياسي من خلال الرمزية السياسية لكل من بن محمد و إيذير
	النص 6: ص 24« الرؤية » [شعري] سي محند و امحند		
	الفقرة 1:« عندما أحبني الملك [أعساس].....كنا نترافق معا »	- دينية - تاريخية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال الاعتقاد في السادات و الأولياء - الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال رمزية سي محند

			وامحند
	الفقرة 2:« الرجل تسير للجذر.....أينما مشيت يمشي معي »	- سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الحث على البحث على الأصل - الشحذ السياسي من خلال استحضار نضال فرحات مهني من أجل الهوية و الحرية
	النص 7: ص 26« الداهية دائما مع القوي » [نثري]		
	الفقرة 1:« أماشهو.....ف تصبح كالشريط »	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية بافتتاح حكاياتهم باسم الله
	النص 8: ص 29« النملة و الصرصور » [نثري] لافونتين		
	الفقرة 1:« طوال الصيف.....قم لترقص الآن »	- اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الحث على العمل و الادخار الذي يعتبر من مقومات المجتمع القروي القبائلي - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال رمزية الجرة [

			أكوفي]
النص 9: ص 30« المرأة » [شعري] بن محمد			
	الفقرة 1:« كلكم غنيتم عن جمالي .....و حسابي معكم »	- سياسية	- الشحذ السياسي للنضال لتحرير المرأة من قيودها الاجتماعية
	الفقرة 2:« أذكر حين ولدت.....ربي يصبرك يا بنتي »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال التذمر من المولود الأنثى
	الفقرة 3:« عندما بدأت أكبر ..... نفضل إلا الذكور »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الانتماء للفكر الذكوري من خلال امتهان المرأة و مكانتها الدونية في المجتمع مقارنة بالرجل
	الفقرة 4:« إلى متى ستدوم هكذا..... متى ستشرق الشمس »	- سياسية	- الشحذ السياسي للنضال لتحرير المرأة من قيودها الاجتماعية
النص 10: ص 41« حكاية اليمامة » [شعري] مولود معمري			
	الفقرة 1:« قام أصغرهم فقال ..... من أكل فليمسح فمه »	- اجتماعية - ثقافية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الانتماء للعائلة و

			الحفاظ عليها - الانتماء الثقافي للمنطقة من خلال رمزية مولود معمري الثقافية
النص 11: ص 47« يا شبابنا » [شعري] محند أويحي/إيذير			
	الفقرة 1:« هذا خطابي مني لكم ..... نحن بينكم اليوم و غدا »	- سياسية	- الشحذ السياسي لمواصلة النضال الهوياتي و الثبات عليه
	الفقرة 2:« مهما غاب أحدنا..... حذاري أن تنسوا ما فات »	- سياسية	- الشحذ السياسي لمواصلة النضال الهوياتي و الثبات عليه
	الفقرة 3:« كل من يدري..... قولوا ها نحن يا شبابنا »	- سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي لمواصلة النضال الهوياتي و الثبات عليه - الشحذ السياسي من خلال الرمزية السياسية لكل من موحي و إيذير
النص 12: ص 51« صديقتي العزيزة » [نثري]			
	الفقرة 1:« في الربيع القادم ..... أزقتها ملتوية كالثعابين الزاحفة »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الارتباط بالقرية
	الفقرة 2:« سترين ما	- اجتماعية	- الانتماء

	تصنعه..... تروي لنا جدتنا حكايات زمان »		الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بالانتماء للقرية و العيش فيها
	النص 13: ص 57« والدايا العزيزين » [نثري]		
	الفقرة 1:« ها قد حل يناير ..... إلا أنكم تسكنون قلبي »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاحتفال برأس السنة الأمازيغية
	الفقرة 2:« إذن بمناسبة هذا العام الجديد ..... عام سعيد يا أمي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رمزية الاحتفال برأس السنة الأمازيغية
	النص 14: ص 61« لا أدري » [شعري] بن محمد		
	الفقرة 1:« إذا ما نسينا الأمس ..... لا أدري هل سيكون لنا غد »	- سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الهمم من أجل النضال الهوياتي و الثبات عليه
	الفقرة 2:« أن طفت الدموع ..... لا أدري هل سيكون لنا غد »	- سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الهمم من أجل النضال الهوياتي و الثبات عليه
	الفقرة 3:« إذا كنا نختلف ..... لا أدري هل سيكون لنا غد »	- سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الهمم من أجل النضال الهوياتي و الثبات عليه - الشحذ السياسي من خلال

			الرمزية السياسية لبن محمد
النص 15: ص 65« وجه بلادي » [نثري] مولود فرعون			
	الفقرة 1:« إلى الجهة الشمالية ..... تعبره الوديان التي تصب تجاه البحر »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بجبل آث جناد و من خلال رمزية شخصية مولود فرعون
النص 16: ص 65« مسكن ثاحموتس » [نثري] أعمر مزداد			
	الفقرة 1:« مسكن ثاحموتس كباقي ..... النار لم تنطفئ و الدخان ينبعث منها »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بالبيت القبائلي التقليدي
النص 17: ص 76« صناعة الفخار » [نثري] مولود فرعون			
	الفقرة 1:« الفناء دائما مملوء ..... بها يلينون الصحون »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الصناعة التقليدية [الفخار]
النص 18: ص 84« الحياكة » [نثري] مولود فرعون			
	الفقرة 1:« الحياكة صعبة و تأخذ وقتا ..... يقفون من الأرض حتى السقف »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الصناعة التقليدية [الحياكة]
النص 19: ص 86« السجين » [شعري] معطوب الوناس			
	الفقرة 1:« كل هذا أمنيات ..... مقدور عليا طول العمر »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استحضار نضال

		- سياسية	السجين السياسي من أجل القضية الأمازيغية - الشحذ السياسي من خلال الرمزية السياسية لمعطوب الوناس
النص 20: ص 88« استقبال الربيع » [نثري] معطوب الوناس			
	الفقرة 1:« قديما، في بلاد القبائل ..... تفاؤلا بالمحاصيل و أن تزهر حياتهم »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاحتفال بالأعياد و المواسم [عيد الربيع] - الشحذ السياسي من خلال الايحاء بوجود الكيان القبائلي
النص 21: ص 94« لمعينصلا » [نثري]			
	الفقرة 1:« لمعينصلا يخص الفلاحة ..... موسم جني التين و العنب »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاحتفال بالأعياد و المواسم [لمعينصلا]
النص 22: ص 98« تحضير الكسكس » [نثري]			
	الفقرة 1:« قومي بتحضير الأشياء التالية ..... الفلفل الأسود »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية في الأكلات التقليدية
النص 23: ص 104« تحضير البغرير » [نثري]			
	الفقرة 1:« قومي بتحضير الأشياء التالية ..... و الملاعق الخشبية »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية في

			الأكلات التقليدية
النص 24: ص 106« ذلك العصفور » [شعري] محند أو يحي			
	الفقرة 1:« تذكر أيام كان ..... هذا كل ما يتمناه »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل النضال للتحرر
	الفقرة 2:« رغم أن الأشعار لم تفتحه ..... سنفتح باب السجن »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل النضال للتحرر

11 الجدول الحادي عشر : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية متوسط :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
اجتماعية	23	43.39
سياسية	22	41.50
ثقافية	04	07.54
دينية	02	03.77
تاريخية	02	03.77
المجموع	53	99.98

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية متوسط :

تعتبر السنة الثانية متوسط تتويجا لمسار السنة الأولى متوسط و يفترض أن ملمح التلميذ في دخوله هو نفسه ملمحه في خروجه من السنة الأولى متوسط. و من خلال تبويب النتائج المحصل عليها تحصلنا على الجدول أعلاه و الذي يصفتكرارات القيم المستخرجة من عينةالنصوص قد الدراسة و هو كتاب السنة الثانية متوسط ، و لقد لاحظنا مدى تنوع النصوص على كثرتها ،و نظرا لكوننا نبحث عن القيم الضمنية فإنه جدير بنا أن نذكر أن القيم كثيرة ،و لقد اكتفينا بحصر تلك التي تكررت بصورة مثيرة للانتباه و بشكل أكثر جلاءآخذين بعين الاعتبار مستوى الفهم لدى تلاميذ السنة الثانية متوسط بمعنى دون أن نحفر كثيرا لاستخراج قيم تحتاج إلى نضج و وعي أكبر من سن التلاميذ في هكذا مرحلة عمرية ، لأن الهدف العام للتحليل هو التوصل إلى رسم الرسالة المراد ترسيخها في عقول التلاميذ من خلال الحمولة القيمية التي يحملها النص.بمعنى أننا اعتمدنا أكثر على الفهم العام للنصوص داخل الأقسام محاولين بذلك استجلاء التوجهات الخاصة لأصحاب هذه النصوص و أهدافهم التي يراد ترسيخها لدى التلاميذ و توجيه رأيهم العام.

و منه فقد تمكننا من استنطاق خمسة قيم واضحة لا يمكن تجاهلها ، تتباين في أهميتهابحسب تكرار كل واحدة منها سواء في النص الواحد أو في جل النصوص،و هذا ما يتجلى في هذا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر نسبة تكرارات و المتمثلة في القيم الاجتماعية ب [23] تكرارا في جميع النصوص الموجودة بالكتاب المدرسي و التي مجموعها [24] نصا بمعدل قيمة واحدة تقريبا في كل نص. هذا في مقابل تكرارين [02] للقيم الدينية و تكرارين [02] للقيم التاريخية ما يعادل 03.77 % كنسبة لكل واحدة منهما على السواء ، مقابل نسبة 43.39 % للقيم الاجتماعية من مجموع نسب التكرارات،و هذا التفاوت الكبير الظاهر للعيان بين النسب الحدية [الكبرى و الصغرى] لا يمكن تجاوزه باعتبار أن الكتاب المدرسييُفترض أن يحمل قيما تربوية أكثر من أي قيم أخرى و هذا هو الدور الحقيقي للمدرسة. إذن يبدو جليا من خلال القيم الحدية المسجلة في الجدول أن هناك توجها كبيرا لإبراز القيم الاجتماعية على حساب القيم الدينية و التاريخية اللتان تلعبان دورا محوريا في ترسيخ قيم الهوية لدى التلاميذ. و إذا ما لاحظنا الجدول أكثر، وجدنا أن مباشرة وراء القيم الاجتماعية نسجل تكرار القيم السياسية ب [22] مرة بنسبة 41.50 % من مجموع

التكرارات مقابل [04] تكرارات للقيم الثقافية التي سجلت نسبة 07.54 % و هذا الواقع التحليلي يكشف أن كتاب اللغة الأمازيغية لهذا الطور التعليمييعمل على غرس مجموعة من القيم السياسية لدى التلاميذ وفق بناء و توجه ايديلوجي معين ، يتعلم من خلاله التلاميذ أفكارا و مبادئ تنقلهم من عالم الهوية الواقعية المعاشة إلى عالم الهوية المفترضة ، و هذا ما يطرح الصراع بين الرؤية الرسمية و الرؤية النخبوية لمسألة الهوية في منطقة القبائل إذ بهذه الطريقة يتعلم التلاميذ توجهات سياسية ربما أكبر منهم و يتبنونها كمعالم أولى في بناء شخصياتهم الوطنية المستقبلية كأفراد متعلمين و مثقفين و هنا يمكننا الإشارة إلى مدى خطورة هذه الخطوة من خلال ما يراه العالم التربوي " جون ديوي " الذي يقول : " يجب أن نعلم أطفالنا كيف يفكرون و ليس فيما يفكرون " لأن شحن عقول و عواطف تلاميذ في عمر13/12 سنة بقيم سياسية ذات أهداف محددة يعني بناء نخبة سياسوية ما ذات توجه محدد مسبقا و هذا يعني خلق آليات لإعادة إنتاج نفس الأحداث و نفس الأسباب و النتائج ، و بالتالي عدم القدرة على الرقي و النهوض بالمجتمع و تغييره إلى الأفضل و إنما بذلك سنهتم أكثر بتحقيق أهداف ماضوية ربما لم و لن تتحقق أبدا.و هنا تجدر الإشارة إلى أنه إذا كان "التاريخ سجل ماضي الأمة و الذاكرة الجماعية للشعوب و الحافظ لعبرها و تجاربها و كفاحها عبر الأزمنة و العصور و هو نتاج عوامل و تطورات تاريخية أدت إلى ما هو عليه الحال من أوضاع و مشكلات .و الإنسان في حاجة إلى توازن تخلقه تلك الذاكرة و إلى التعبير عن أصالته من خلال تأكيد جذوره العريقة و توظيف سجل ذلك الماضي لاستنباط الدروس و العبر و الاستفادة من خبرة العصور السابقة في معالجة الكثير من القضايا الراهنة المعيشة "[1] ، فإن هذا البعد لم يظهر بالقدر الكافي في هذه النصوص و كذلك البعد الثقافي و الديني اللذين تم تقزيمهما و هذا بعكس ما كان ينبغي نظرا لكون الكتاب تربوي بالدرجة الأولى.

[1] مناهج التعليم للسنة الخامسة

12 الجدول الثاني عشر : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية متوسط :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	06	11.32
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	02	03.77
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	16	30.18
الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة	04	07.54
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	02	03.77
الانتماء للعرق القبائلي	01	01.88
الشحذ السياسي	22	41.50
المجموع	53	99.96

تحليل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية متوسط :

من أجل الوصول إلى المغزى الحقيقي للنصوص المدرسية في كتاب اللغة الأمازيغية الموجه لتلاميذ السنة الثانية متوسط ، و الوقوف على مدى تأثيرها على المتلقي يجب أن نحدد و أن نفهم ما تصبو إليه النصوص من خلال المواضيع التي تطرحها ، لأن التأثير على المتلقي يستلزم قوة معنوية فكرية تحملها الايديلوجيا الموجودة في النصوص و التي تظهر على شكل أفكار و قيم و اتجاهات ، حيث تكمن قوة النص في قدرته على إثارة عواطف و تحريك أفكار التلاميذ ليسهل بالتالي توجيههم و إقناعهم بالأهداف الموسومة.

من خلال الجدول أعلاه، يتبين لنا أن الهدف الرئيس و الأبرز لهذه النصوص المختارة لهذا الطور التعليمي هو " **الشحذ السياسي** "ب [22] تكرارا و بنسبة41.50 % ، وهذا إن دل

على شيء فإنما يدل على أن توجهالتسييس و الأدلجةالمُتَضمن في النصوص هو الذييتحكم في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها في المسار التربوي للتلاميذ بحيث تم التركيز على استحضار النضال السياسي للفاعلين البارزين في منطقة القبائل ، كما تكررت الإحالة إلى الكيان القبائلي المستقل و المتميز دائما و ذلك ربما لبناء وعي جمعي يوحد المنطقة رغم أن جميع الأدبيات تعترف بأن القبائل و الأمازيغ عامة لم يكن لهم أبدا و عبر التاريخ إحساس بالانتماء لهكذا وعي جمعي. كما ركزت على النضال من أجل تحرير المرأة و هذا ما يطرح إشكالا موضوعيا بين ما هو كائن و ما يراد له أن يكون في تصور المجتمع ، إذ في هذه الفكرة بالذات يتجلى الصراع الايديلوجي بين النظرة التقدمية التي تبنتها الحركة الثقافية البربرية و من سار في فلكها و بين النظرة المحافظة لغالبية ساكنة منطقة القبائل التي ما تزال محافظة إلى حد كبير في كثير من مناطقها .و هذا يشير إلى وجود رغبة في تحقيق هدف إيديلوجي معين من خلال ترسيخ قيم و أفكار معينة في أذهان الشباب لبناء وعي جمعي معين لتجهيز نخبة مثقفة مبنية على أساس توجه ايديلوجي مُتَبنى و مُدعَم منذ المسار التربوي و التكويني لهم. و بالتالي يمكن الاعتماد عليهم لتحقيق مشاغل سياسية معينة لم تتحقق قبل الآن ربما بسبب نقص الوعي و ثقافة النخبة و بالتالي تصبح الدعامة أمْتَن إذا توفرت في الجماعة المنتقاة و المكونة لهذا الغرض.و تأتي الأهداف التي ترمي إلى ترسيخ الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل في المركز الثاني ب [16] تكرارا بنسبة 30.18 % من مجموع التكرارات و هذه نسبة لا بأس بها ، إذ في هذه الفئة العمرية يسهل غرس قيم اجتماعية كالتضامن ضد العدو و تقديس العائلة الممتدة و الزي التقليدي من خلال رمزية البرنوس و كذا استحضار المؤسسة الاجتماعية للقرية القبائلية [ثاجماعث] و الحث على الادخار كآلية اقتصادية حافظت على بقاء سكان المنطقة في معركة البقاء .كما سجلنا [06] للأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصيات و أماكن تنتمي للمنطقة و في المقابل نلاحظ أن بعض الأهداف رغم أهميتها كونها تعبر عن انتماءات تاريخية و دينية و عرقية إلا أنها لم تحظ باهتمام يتناسب و أهميتها في العملية التربوية ، إذ أنها لا تحوز على أكثر من نسبة 03.77% في الانتماء لتاريخ منطقة القبائل و نفس النسبة بالنسبة لانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل ، و الانتماء للعرق القبائلي بنسبة 01.88 %.و هنا يمكننا القول أن هذه النصوص قد أهملت ركنين أساسيين في بناء الشخصية المتكاملة و المتوازنة للتلاميذ إذ أهملت البعدين الديني و التاريخي و هذا على

أساس تكريس مقولة أن تدين المنطقة هو تدين سطحي و يجب استبعاد هذه القيم عن الصورة النمطية التي يراد الترويج لها عن منطقة القبائل و ساكنتها و هذا تماشيا مع أدبيات الكتاب و المؤرخين الفرنسيين الذين روجوا لهذه الفكرة ، أما فيما يخص التاريخ فربما يعود إلى الفكرة الرئيسية التي نادت بها الحركة الثقافية البربرية في جمعيتها التأسيسية و التي نادت بفكرة إعادة قراءة تاريخ الجزائر قراءة موضوعية مما يخلق نوعا من الحساسية في التعاطي مع المعطى التاريخي ككل و الذي يطرح جدلية التاريخ بين الرؤية الرسمية و الرؤية المخالفة و المعارضة لها .هذا ما يستدعي التساؤل عما إذا عبرت النسب المسجلة في جدول الأهداف عن المضمون الحقيقي للرسالة التي يجب أن يؤديها الكتاب.و يمكننا الإشارة إلى وجود نوع من الضغط و تحديد الأفكار و توجيهها حيث اهتمت النصوص أكثر بالشحذ السياسي دون المبالاة بالأهداف الأخرى التي تبقى نسبها الضعيفة متقاربة ،و هي أهداف عامة و متشابكة في النصوص المختارة التي هي إنتاج أشخاص معروفين في المجالات الفكرية و الأدبية الوطنية بتوجهاتهم الايديلوجية و السياسية ، و أنهم لم يقوموا بتأليفها من أجل تلاميذ في هذا السن كتدعيم لمسارهم التعليمي و التربوي ، لذلك علينا أن نشير إلى أن الأهداف التي ترمي إليها عينة النصوص هي نفسها الأهداف التي كان المؤلفون يسعون إلى تحقيقها إن على الصعيد الاجتماعي ، السياسي أو الايديلوجي مما يوحي بانتقال الصراع الايديلوجي الهوياتي من الفضاء السياسي إلى إلى الفضاء التربوي و هذا غاية في الخطورة على انسجام المجتمع .

13 الجدول الثالث عشر : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الثالثة متوسط :

الوحـــــــــدة		القيـمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الثالثة متوسط	النص 01: ص 08« السفر إلى غار الوحش » [نثري]		
	الفقرة 1:« كان يا ما كان ..... يطيلها فتصبح كالشريط »	- دينية	- الانتماء للثقافة الدينية للمنطقة التي تبتدئ الحكايات باسم الله
	الفقرة 2:« قديما ، كان هناك ملك ..... تغار البنات من حسنها »	- دينية	- الانتماء للثقافة الدينية للمنطقة التي تعتقد ألا ملك إلا الله
	الفقرة 3:« ذات يوم جاءت عجوز ..... أزوجه ابنتي و أجعله ملكا »	- دينية	- الانتماء للثقافة الدينية للمنطقة التي تعتقد أن الصدقة هي حق الله
	الفقرة 4:« قام أهل البلد ..... إن كانت لك مشكلة فأنا هنا »	- دينية - ثقافية	- الانتماء للثقافة الدينية للمنطقة التي تعتقد أن المناشدة لا تكون إلا بالله - الانتماء للعادات الثقافية للمنطقة من خلال رمزية شخصية [الشيخ الحكيم]
	النص 02: ص 28« ماسينيسا » [نثري] ستيفان جيزال		
	الفقرة 1:« اسم ماسينيسا مضروب	- سياسية	- الشحذ

	على النقود ..... و لحيته طويلة و حادة »	- تاريخية	السياسي من خلال رمزية الملك ماسينيسا السياسية - الانتماء للتاريخ الأمازيغي من خلال رمزية الملك ماسينيسا التاريخية
	الفقرة 2:« ماسينيسا لا يعرف الخوف ..... يأتي الزوار حتى من الإغريق »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الافتخار بشيم الملك ماسينيسا من شجاعة في مقاومة العدو
	الفقرة 3:« المملكة التي حكمها ماسينيسا..... طور الفلاحة و الأراضي السهلية »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رمزية الملك ماسينيسا السياسية و الإحالة إلى مملكته و إنجازاته السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية
	النص 03: ص 36« قرية القبائل » [شعري] إمازيغن إيمولا		
	الفقرة 1:« كالتاج على جبهة الجبل ..... قرية القبائل لا مثيل لها »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاعتزاز بالانتماء للقرية - الشحذ السياسي من خلال

			الايحاء بالكيان القبائلي
	الفقرة 2:« بنيت على أساس الحرية ..... قرية القبائل لا مثيل لها »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال التركيز على قيمة الحرية لدى القبائل
	الفقرة 3:« تسمع أحيانا بالبلدان ..... فوصلت إلى كل مكان »	- تاريخية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار مشاركة القبائل في حرب ألمانيا و الهند الصينية
	الفقرة 4:« سكبت دماء أبنائها ..... في يوم واحد ترملت و طلقت »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بمظلومية بلاد القبائل
	النص 04: ص 40« آنزار إله المطر » [نثري] ر.عاشور		
	الفقرة 1:« شمال إفريقيا ..... كيف يحتفلون به اليوم »	- تاريخية - دينية	- الانتماء لتاريخ الشمال الافريقي - الانتماء لعادات الشمال الافريقي الاجتماعية من خلال ممارسة طقوس آنزار
	الفقرة 2:« قديما قبل وصول دين التوحيد ..... أما في المناطق الأمازيغية الأخرى فهو إسم للمطر »	- دينية - سياسية	- الانتماء للاعتقادات الدينية لمنطقة شمال إفريقيا - الانتماء العرقي

			للأمازيغ من خلال الإحالة لمختلف مكونات الجنس الأمازيغي
	الفقرة 3:« هناك رواية عند القبائل ..... كلما رأته خافت فيتولى عنها »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى القبائل كشعب أو كيان (في مقابل الآخر)
	الفقرة 4:« أدار خاتمه إله الماء ..... تعالى لتأخذ بثأرك »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الثأر
	الفقرة 5:« يوم يحتفلون بآنزار ..... و ترتوي التي في السهول »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال ممارسة طقوس آنزار
	الفقرة 6:« يمرن على ديار القرية ..... أن تحولوا تعبنا فيرى النور »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال ممارسة طقوس آنزار
	النص 05: ص 46« الحكاية » [نثري] ر.عاشور		
	الفقرة 1:« ثاسكلا الأمازيغية ..... و كيف هي بنيتها	- ثقافية	- الانتماء للموروث الثقافي

	«		للمنطقة من خلال تناقل الحكايات من جيل إلى جيل
	النص 06: ص 50« صناعة القرميد الآجر » [نثري] محمد دحماني		
	الفقرة 1:« سأتحدث عن القرميد ..... ليس مسطحا كالقرميد الانجليزي »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الصناعة التقليدية [القرميد المقوس] - الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى القبائل كشعب وبلاد القبائل ككيان (في مقابل الآخر المختلف)
	الفقرة 2:« في بلاد القبائل ..... كل كيف تصنعه »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى القبائل كشعب وبلاد القبائل ككيان (في مقابل الآخر المختلف)
	الفقرة 3:« قديما ، اقتصاد بلاد القبائل ..... بتمسكهم بها واجهوا العالم »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى القبائل كشعب وبلاد القبائل ككيان (في مقابل الآخر المختلف)

	النص 07 : ص 56« صناعة الفخار » [نثري] مولود فرعون		
	الفقرة 1:« فناء الدار دائما مليء ..... به يصنعن الجرات و الصحون »	**- اجتماعية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الصناعة التقليدية [الفخار]**
	النص 08: ص 58« أمي » [شعري] أعمر مزداد		
	الفقرة 1:« أمي مشت حافية ..... تتمنى نصيبها »	**- سياسية**	**- الشحذ السياسي من خلال انتقاد أوضاع المرأة و الظلم الاجتماعي الممارس عليها**
	النص 09: ص 60«لعبة الحصيات إلقافن » [نثري] كهينة حيرش		
	الفقرة 1:« لعبة الحصيات ..... أو مع أقرانه في الزقاق »	**- اجتماعية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال استحضار الألعاب التقليدية**
	النص 10: ص 66-67 « الحرث » [نثري] ع.لونيس		
	الفقرة 1:« الحراثة أساسية في الفلاحة ..... طورها الملك ماسينيسا »	**- اجتماعية** **- اجتماعية** **- تاريخية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاحتفاء بموسم الحرث** **- الانتماء الجغرافي لثامازغا أو بلاد الأمازيغ** **- الانتماء للتاريخ الأمازيغي من خلال رمزية ماسينيسا**

			التاريخية

14 الجدول الرابع عشر : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة متوسط :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
سياسية	12	36.36
اجتماعية	09	27.27
دينية	06	18.18
تاريخية	04	12.12
ثقافية	02	6.06
المجموع	33	99.99

تحليل جدولتكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة متوسط :

إن الجدول الموضح أعلاه ، يبين تكرارات القيم التي تم استخراجها من مجموعة النصوص النثرية و الشعرية التي تضمنها كتاب اللغة الأمازيغية للسنة الثالثة من التعليم المتوسط ، و التي بلغ عددها عشرة [10] نصوص سبعة منها نثرية و ثلاثة شعرية ، و لقد لاحظنا أن كل نص يحمل أكثر من قيمة ، و نظرا لكون هدفنا ي الدراسة هو استخلاص القيم الضمنية فإنه يجدر بنا أن نشير إلى كون هذه القيم كثيرة و متنوعة و لذلك حاولنا حصر تلك التي تكررت بصورة ملفتة للانتباه بعد عدة قراءات ، آخذين بعين الاعتبار وضوحها و قربها لاستيعاب التلاميذ في هذا الطور التعليمي و لهذه الفئة العمرية [13-14] سنة، و

ذلك بغض النظر عن القيم غير الظاهرة لأن هدفنا التحليلي يكمن في الوقوف على الرسالة التي تحملها هذه النصوص عبر مجموعة القيم المراد غرسها و تكريسها في عقول التلاميذ، و محاولة استجلاء التوجهات الخاصة لأصحاب النصوص و أهدافهم في تشكيل أو توجيه أو نمذجة الرأي العام حول قضية الهوية.

و لقد تمكننا من رصد خمسة قيم واضحة ، بتكرارات متفاوتة في كل مرة بحسب الأهمية التي أُعطيت لكل واحدة منها سواء في النص ذاته أو في كامل النصوص.و يوضح لنا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر نسبة تكرارات مسجلة مناصفة بين القيم الاجتماعية و القيم السياسية بأحد عشر [11] مرة ف مجموع العشرة نصوص التي تضمنها الكتاب أي بمعد 1.1 قيمة في كل نص على الأقل ، هذا مقابل تكرارين فقط للقيم الثقافية بنسبة 06.06 من مجموع التكرارات المسجلة ، و هنا أيضا نسجل تباينا صارخا بين النسبتين الحديتين ، و هذا يمثل مفارقة كبيرة باعتبار أن رسالة الكتاب المدرسي تربوية في الأصل ، و يفترض أن يحمل قيما تربوية أكثر من أي قيم أخرى.

كما سجلنا خمس [05] تكرارات للقيم الدينية بنسبة 15.15 من مجموع التكرارات مقابل أربع [04] تكرارات للقيم التاريخية بنسبة 12.12 من مجموع التكرارات، و هذا إن دل على شيء فإنما دل على إغفال قيمتي الدين و التاريخ في بناء شخصية التلميذ في هكذا مرحلة عمرية و محاولة تكريس الدور الهامشي للدين في تشكيل الضمير الجمعي للمجتمع الجزائري عامة و لمنطقة القبائل خاصة و هذا تماشيا مع أدبيات المؤرخين و الآنتروبولوجيين الفرنسيين الذين روجوا لفكرة " لائكية منطقة القبائل " منذ القدم و تدينها السطحي أما بخصوص التاريخ فنعلم يقينا أن هناك صراعا بين النظرة الرسمية و النظرة المعارضة و هذا ربما ما جعل أصحاب هذه المقررات ينأون عن هذه الجدلية.و آثروا بالمقابل شحن عقول و عواطف التلاميذ بقيم سياسية و اجتماعية ذات أهداف موجهة لبناء نخبة سياسوية ذات توجه محدد مسبقا و هذا ، حتى و إن كانت هذه القيم السياسية عالمية إلا أن مطارحتها في هذا الكتاب ترمي إلىإعادة إنتاج نفس المناخ السوسيو-سياسي، مما يعيق تحقيق التوافق الاجتماعي و كذا الرقي و النهوض بالمجتمع و تغييره إلى الأفضل .

إذن كخلاصة يمكننا القول أنه و باعتبار أن النصوص المنتقاة للدراسة في كتاب السنة الثالثة متوسط في مادة اللغة الأمازيغية كان يتوجب أن تكون تربوية تعمل على بناء فرد منسجم مع قيم المجتمع ككل و تتماشى مع المسار التعليمي و التربوي و متكاملة مع القيم التي تسعى إلى ترسيخها المواد التعليمية الأخرى على كثرتها وتنوعها ، إذن هذه النصوص التي بين أيدينا و المعتمدة في عينة الدراسة تحمل قيما متنوعة لكنها متفاوتة الأهمية من خلال التركيز على بعضها و تكرارها لمرات عديدة مقابل إهمال أخرى، وذلك وفق مبررات المجتمع في تقديراته لها و التي تأتي من عوامل عديدة مثل اللغة ، العادات و التقاليد أو حتى الايديولوجيا الخاصة بجماعة ما.

15 الجدول الخامس عشر : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة متوسط :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا الوطن الأمازيغي	01	03.03
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	08	24.24
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	06	18.18
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	01	03.03
الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي	03	09.09
الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة	02	06.06
الشحذ السياسي	12	36.36
المجموع	33	99.99

تحليل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة متوسط :

حرصا منا على تقصي المقاصد الضمنة للنصوص المدرسية في كتاب اللغة الأمازيغية الموجه لتلاميذ السنة الثالثة متوسط ، و الوقوف على نوعية التأثير الذي يراد إحداثه لدى التلاميذ توجب علينا تحديد و فهم ما تصبو إليه النصوص من خلال المواضيع التي تم اختيارها من حيث الكُتاب الذين تم اختيارهم أو نوعية النصوص التي تحمل أفكارا و قيما و اتجاهات ، حيث تكمن قوة النص في قدرته على إثارة عواطف و تحريك أفكار التلاميذ ليسهل بالتالي توجيههم و إقناعهم بالأهداف المرسومة.

من خلال الجدول أعلاه، يتبين لنا أن الهدف الرئيس و الأبرز لهذه النصوص المختارة لهذا الطور التعليمي هو " **الشحذ السياسي** "ب [**11**] تكرارا و بنسبة **33.33%** ، مقابل نسب ضعيفة جدا للأهداف **الأخرى** وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنالتوجهالظاهر و الغالب الذييتحكم في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها هذه النصوص في المسار التربوي للتلاميذ هو الأدلجة و التسييس ، بحيث تم التركيز على استحضار رمزية الملك الأمازيغي " ماسينيسا " السياسية بكونه موحد المملكة النوميدية و الإحالة إلى إنجازاته السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، و التركيز أيضا على إبراز الكيان القبائلي ككيان متميز و مستقل و مغاير للآخر و كذا التركز على قيمة الحرية لدى القبائل و الإيحاء بمظلومية القبائل عبر الزمن ، و كذلك انتقاد أوضاع المرأة و الظلم الاجتماعي المسلط عليها ، و ذلك ربما لبناء وعي جمعي يُوحد المنطقة رغم أن جميع الأدبيات تعترف بأن القبائل و الأمازيغ عامة لم يكن لهم أبدا و عبر التاريخ إحساس بالانتماء لهكذا وعي جمعي. و هذا يطرح عدة مفارقات و جدليات إذ أن السجال الهوياتي يبقى حبيس التجاذبات الايديلوجية التي تتصور الواقع لا كما هو كائن و إنما كما ما يُراد له أن يكون في تصور المجتمع ، و هنا يتجلى الصراع الايديلوجي بين توجهات ثلاث لتصور الهوية في المنطقة فنجدالتصورالذي تبنته الحركة الثقافية البربرية اليسارية في عمومها و من سار في فلكها و التصور الرسمي للدولة و أخيرا التصورالشعبي لغالبية ساكنة منطقة القبائل التي ما تزال محافظة إلى حد كبير في كثير من مناطقها .

و هذا يدل بوضوح على وجود رغبة في التسييس و الأدلجة من خلال ترسيخ قيم و أفكار معينة لدى التلاميذلتشكيل وعي جمعي معين يرمي إلى نمذجة نخبة مثقفة ذات توجه ايديلوجي طيلة مسارهم التربوي و التكويني.

و تأتي الأهداف التي ترمي إلى ترسيخ الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل في المركز الثاني ب [**09**] تكرارا بنسبة **27.27** % من مجموع التكرارات و هذه نسبة لا بأس بها ، إذ في هذه الفئة العمرية يسهل غرس قيم اجتماعية كالاعتزاز بالقرية و ممارسة طقوس آنزار أو الاستسقاء و استحضار الصناعات التقليدية لمنطقة القبائل و كذا الألعاب التقليدية للمنطقة بينما قيمة الثأر يبدو أنها لا تتماشى مع الوضع الراهن الذي تعيشه البلد و يجافي فلسفة الوئام التي تبنتها الدولة رغم أن الثأر قديما كان دائما آلية للحفاظ على وجود و استمرار المنطقة عبر الزمن.

كما سجلنا [05] تكرارات للأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال التذكر بما تواضع عيه القبائل على بدء رواية حكاياتهم باسم الله دائما و الاعتقاد بربوبية الله من حيث الاعتراف بملكه المطلق و قصد وجهه الكريم في كل معروف،في المقابل نلاحظ أن بعض الأهداف رغم أهميتها كونها تعبر عن انتماءات تاريخية و ثقافية و عرقية إلا أنها لم تحظ باهتمام يتناسب و أهميتها في العملية التربوية ، إذ أنها لا تحوز على أكثر من نسبة 03.03% في الانتماء لتاريخ منطقة القبائل و نفس النسبة بالنسبة للانتماء لجغرافيا الوطن الأمازيغي وكذلك نفس النسبة بالنسبة للانتماء للعرق الأمازيغي ، و الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي بنسبة 09.09 %. و هنا يمكننا القول أن هذه النصوص قد ركزت على البعد و التوجه السياسي بدرجة كبيرة و على البعد الاجتماع بدرجة ثانية و أهملت البعد التاريخي و الثقافي و الديني إلى حد ما و هذا على أساس تكريس مقولة أن تدين المنطقة هو تدين سطحي و يجب استبعاد هذه القيم عن الصورة النمطية التي يراد الترويج لها عن منطقة القبائل و ساكنتها اللائكيين و هذا تماشيا مع أدبيات الكتاب و المؤرخين الفرنسيين الذين روجوا لهذه الفكرة ، أما فيما يخص التاريخ فربما يعود إلى الفكرة الرئيسية التي تطرح فكرة أن التاريخ الرسمي مزيف و يجب إعادة قراءة التاريخ الجزائري بنظرة أخرى.وهذا يستدعي التساؤل عما إذا عبرت النسب المسجلة في جدول الأهداف عن المضمون الحقيقي للرسالة التي يجب أن يؤديها الكتاب.و يمكننا الإشارة إلى وجود نوع من الضغط و تحديد الأفكار و توجيهها حيث اهتمت النصوص أكثر

بالشحذ السياسي دون المبالاة بالأهداف الأخرى التي تبقى نسبها الضعيفة متقاربة ،و هي أهداف عامة و متشابكة في النصوص المختارة التي هي إنتاج أشخاص معروفين في المجالات الفكرية و الأدبية الوطنية بتوجهاتهم الايديلوجية و السياسية ، و أنهم لم يقوموا بتأليفها من أجل تلاميذ في هذا السن كتدعيم لمسارهم التعليمي و التربوي ، لذلك علينا أن نشير إلى أن الأهداف التي ترمي إليها عينة النصوص هي نفسها الأهداف التي كان المؤلفون يسعون إلى تحقيقها إن على الصعيد الاجتماعي ، السياسي أو الايديلوجي مما يوحي بانتقال الصراع الايديلوجي الهوياتي من الفضاء السياسي إلى 35.8الفضاء التربوي و هذا غاية في الخطورة على انسجام المجتمع .

16 الجدول السادس عشر : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الرابعة متوسط :

الوحـــــــــدة	القيـمة	الهدف منها و دلالتها	
النص 01: ص 11/10 « مرض صديقي » [نثري] مولود معمري			كتاب السنة الرابعة متوســـــط
الفقرة 1:« إلى جانب فراشه ..... كي ترى ابنها للمرة الأخيرة »	- دينية - دينية	- الانتماء للعادات الدينية الإسلامية للمنطقة من خلال تذكير المحتضر بالشهادة - الانتماء للعادات الدينية الإسلامية للمنطقة من خلال التسبيح	
النص 02: ص 21/20 « مقران أهلكه الجبل » [نثري] مولود معمري			
الفقرة 1:« الرياح تصفر في قمم الجبال ... كي نعطي العلف للثيران »	- دينية - اجتماعية - دينية	- الانتماء للعادات الدينية الإسلامية للمنطقة من خلال التضرع إلى الله وقت الشدة - الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال الاحتراز لفصل الشتاء - الانتماء للعادات الدينية الإسلامية للمنطقة من خلال	

			مناشدة الله بإنزال الثلج
النص 03: ص 27/26 « حداد قرية القالوس » [نثري] مولود معمري			
الفقرة 1:« قرية القالوس قد خربت ..... صادروا كل أملاك الحداد »	- اجتماعية - دينية - اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال استحضار مؤسسة ثاجماعث - الانتماء للعادات الدينية الإسلامية للمنطقة من خلال الاحتكام إلى الشرع الاسلامي في الطلاق و الزواج - الانتماء للعادات الاجتماعية العرفية للمنطقة من خلال الرضوخ لحكم ثاجماعث	
الفقرة 2:« ذات يوم احتاج الظالم ..... يا أولياء الله اصنعوا له يدا »	- دينية	- الانتماء للعادات الدينية الإسلامية للمنطقة من خلال الاعتقاد بالأولياء الصالحين	
الفقرة 3:« ذات ليلة و الريح تقتلع القراميد .....هكذا خلت قرية القالوس »	- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال التركيز على قيمة الثأر للشرف	
النص 03: ص «28يا حداد قرية القالوس » [شعري] هجيرة أو بشير			

	الفقرة 1:« في مسجد القالوس ..... من اعتدى على عرضك »	- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال التركيز على قيمة الثأر للشرف
	الفقرة 2:« اللبؤة التي لم تشتق يوما .....اعتدوا عليه و تجاوزوا الحدود »	- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال التركيز على قيمة الثأر للشرف
	الفقرة 3:« يا يوم سقط منك البرنوس ..... من كسر لك يديك »	- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال التركيز على قيمة الشرف من خلال رمزية البرنوس
	الفقرة 4:« رفعت اسمك لما غرق ..... عن شرفك قد أخذت بثأرك »	- اجتماعية	- الانتماء للعادات الاجتماعية للمنطقة من خلال التركيز على قيمة الثأر للشرف
	النص 04: ص 38«يومَ أَسمي » [شعري] بن محمد		
	الفقرة 1:« عندما تكلم أحدهم ..... ما يحملك لتسلق المرتفع »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل نبذ الخوف الفردي من الانتفاضة في وجه الظلم السياسي
	الفقرة 2:« عندما تكلموا في مائة ..... ستدور عليهم دائرة السوء »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل نبذ الخوف الجماعي من الانتفاضة

			في وجه الظلم السياسي
	الفقرة 3:« عندما يقوم الشعب ..... سيصبح الخونة صيدا »	- سياسية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب للتغيير السياسي - الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب لطرد الظالمين - الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب و زرع الأمل وضع العسكر لأسلحتهم - الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب و زرع الأمل في تحرير السجناء - الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب لمطاردة الخونة
	النص 05: ص 48« أحمذ أومري » [شعري] أعمر مزداد		
	الفقرة 1:« منذ أن بدأ المشي ..... يعيش في الغابة »	- تاريخية - سياسية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار تاريخ أحمذ أومري - الشحذ السياسي من خلال استنهاض الوعي بالانتماء للأصل و اعتباره من الرجولة

	الفقرة 2:« لا يستسيغ الصخب أَدريز..... و الرومي لا يقدر عليه »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب و البحث عن الحرية
	الفقرة 3:« أطلقوا مكافأة كبيرة .....إخوته أم الرومي »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب و نبذ خيانة الإخوة
	الفقرة 4:« مات الأسد مخدوعا ..... وُلد من جديد أحمذ أومري »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل استنهاض الشعب و نبذ خيانة الإخوة
	النص 05: ص 49 « يوما ما » [شعري] بن محمذ		
	الفقرة 1:« يوما ما سينطق التراب ..... كل أحد حياته في جذوره »	- سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الشعب من أجل التحرر من القيود - الشحذ السياسي لاستنهاض الشعب من أجل البحث عن الحياة في الأصول
	الفقرة 2:« يوما ما ستنطق الجدران ..... سنرسم طريقنا بالكتابة »	- سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الشعب من أجل إسقاط القدر المفروض

	الفقرة 3:« يوما ما ستنطق الحدود ..... كل فم ستغلقه يد »	- سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الشعب من أجل توحيد الصفوف نظرا لكون شرف القضية الأمازيغية واحد
	الفقرة 4:« يوما ما ستنطق العظام ..... سيصبح الحلم حقيقة »	- سياسية	- الشحذ السياسي لاستنهاض الشعب من أجل زرع الأمل في تحقق الأمل و تحقيق أهداف القضية الأمازيغية
	النص 06: ص 59«أخرجها من الظل » [شعري] الطيب عبدلي		
	الفقرة 1:« الطفل، المرأة و الرجل..... زوجوها للغراب »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة من خلال انتقاد تزويجها بالغصب
	الفقرة 2:« أخرجوها من الظل ..... كي تراها الشمس »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة من خلال المطالبة بتركها و حريتها
	الفقرة 3:« سلكت طريق النبع ..... أرغموها للزواج بال برورو »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة من خلال انتقاد تزويجها بالغصب
	الفقرة 4:« أخرجوها من الظل ..... كي تراها الشمس »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة من خلال المطالبة بتركها و حريتها

	الفقرة 5:« أخرجوها من الظل ..... كي تراها الشمس »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة من خلال المطالبة بتركها و حريتها
	الفقرة 6:« يا شيوخ و يا عجائز ..... تعلمون أنه جاء من المترهلين إماركا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل التحرر من العادات الظالمة للمرأة
	الفقرة 7:« أخرجوها من الظل ..... كي يشع نورها »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة من خلال المطالبة بتركها و حريتها
	النص 07: ص 66 « الشرف الأسود » [نثري] بروسبير ميريمي		
	الفقرة 1:« إمتلأت عيناه بالدموع ..... فأجهز عليه فقتله »	- اجتماعية - دينية - دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال نبذ الخداع و الغدر - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال الاعتقاد بالسادات و الأولياء الصالحين - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال التذكير بالشهادة عند الموت
	النص 08: ص 68«أسيري أو سجيني » [شعري] معطوب الوناس		
	الفقرة 1:« السجين يحتضر ..... من يكسر الخوف ،	- سياسية	- الشحذ السياسي للتضامن مع السجناء

	سجيني »		السياسيين
	الفقرة 2:« الباطل قد خطى خطوات ..... حاذر أن تشي بأصحابك ، سجيني »	- سياسية	- الشحذ السياسي للثورة على الظلم السياسي
	الفقرة 3:« يا ريحا هزت أشجار الزيتون ..... هل وصاك أم لا، سجيني »	- سياسية	- الشحذ السياسي للثورة على الظلم السياسي
	الفقرة 4:« الفرج المنتظر قد بطل ..... رفض الرضوخ للذل في برواقية ، سجيني »	- سياسية	- الشحذ السياسي للثورة على الظلم السياسي
	النص 09: ص 72 «حضرت حين سرق و آمنت حين أقسم » [نثري] مولود معمري		
	الفقرة 1:« إذا ما نظر المرء للوراء ..... ليس مرة و لا مرتين »	- تاريخية	- الانتماء للتاريخ الأمازيغي
	الفقرة 2:« منذ 3000 سنة مضت ..... كلهم استولوا على الأرض بالقوة »	- تاريخية - سياسية	- الانتماء للتاريخ الأمازيغي - الشحذ السياسي ضد كل المستعمرين الذين دخلوا شمال إفريقيا
	الفقرة 3:« كل واحد منهم ..... و نحن قد همشنا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رفض منطق الاغتراب في بلاد الآباء و الأجداد مقابل الدخلاء
	الفقرة 4:« يبدؤون بالقوة .....فيقصدونكم كإخوة على	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رفض منطق

	حين غفلة »		تحايل الدخلاء باسم الأخوة
	الفقرة 5:« و لكن حين تحين الحقيقة .....ما فائدتك و أنا موجود »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رفض منطق تهميش الأصيل من طرف الدخيل
	الفقرة 6:« وجدناهم يقولون .....ستطفو الحقيقة ذات يوم »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الذاكرة و الوعي بالذات
	الفقرة 7:« منذ 3000 سنة و نحن .....و اليوم الكلمة كلمتنا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الدعوة لإعادة كتابة تاريخ البلاد وفق المنظور الأمازيغي
	النص 10: ص 78 « التيفناغ ، كتابة الأمازيغ » [نثري] ر.ع		
	الفقرة 1:« التيفيناغ هي الكتابة القديمة .....كي يبقى في تاريخنا »	- تاريخية - ثقافية - سياسية	- الانتماء للتاريخ الأمازيغي - الانتماء للغة الأمازيغية - الشحذ السياسي من خلال رمزية الملك ماسينيسا السياسية
	النص 11: ص 81 « الأمازيغ » [شعري] إمازيغن إيمولا		
	الفقرة 1:« سكنوا أمواج الرمال ....سكنوا الأطلس و التل و كبروا فيه »	- تاريخية - اجتماعية	- الانتماء للتاريخ الأمازيغي - الانتماء للجغرافيا الأمازيغية

	الفقرة 2:« سكنوا الغابات ....الصحراء ملأى بالخير و هم لم يروه »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال المطالبة بالانتفاع بخيرات البلد
	الفقرة 3:« سكنوا العطش المفروض عليهم ....لديهم عين ستتفرغ إديسان ن كرا ن وين د إكسان »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال المطالبة برفض التاريخ المزيف الذي تنكر لأصولهم
	الفقرة 4:« سكنوا ذاكرة النسيان ....من شاء كتب التاريخ و لم يقولوا لا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال المطالبة بإعادة كتابة التاريخ الجزائري
	الفقرة 5:« سكنوا الثقافة و اللغات ....اليوم ، الأمازيغ لم يتعبوا و التقوا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال تثمين وحدة الصف لدى مناضلي القضية الأمازيغية
	الفقرة 6:« سكنوا بلاد الجمال ....بالأمازيغية ستسير الديمقراطية »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الدمج بين النضالات من أجل الأمازيغية و الديمقراطية
	النص 12: ص 90 « البرنوس الأبيض » [شعري] طيب عبدلي		
	الفقرة 1:« طالت نظرتي للجبل .....فقال لا يعجبني شيء »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة الشرف التي يرمز إليها البرنوس - الشحذ السياسي من خلال رفض الأوضاع التي آلت إليها منطقة

			القبائل
	الفقرة 2:« البرنوس الذي كان أبيضا .....اليوم أصبح بنيا »	- سياسية - اجتماعية	- الشحذ السياسي من خلال رفض الأوضاع التي آلت إليها منطقة القبائل [رفض الدخيل البرنوس الصوفي الأبيض حل محله البرنوس الوبري البني في إشارة إلى العربي] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة الشرف التي يرمز إليها البرنوس
	الفقرة 3:« أيها البرنوس الأبيض .....تعلم بيديك المنسوجتين »	- سياسية - اجتماعية	- الشحذ السياسي من خلال رفض الأوضاع التي آلت إليها منطقة القبائل [رفض الدخيل البرنوس الصوفي الأبيض حل محله البرنوس الوبري البني في إشارة إلى العربي] - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة الشرف التي يرمز إليها البرنوس
	الفقرة 4:« يحكي لي الناس عن	- اجتماعية	- الانتماء للأصول و

	جدي .....الشرف دائما أنيسه »	- اجتماعية - اجتماعية	الأجداد - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة الشرف التي يرمز إليها البرنوس - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الزي التقليدي [البرنوس]
	الفقرة 5:« أيها البرنوس الأبيض .....ينسون من أين أتيت »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الإحالة إلى الأصل
	الفقرة 6:« يا إخوتي لا تيأسوا .....كاليوم سهل البدر »	- سياسية	- الشحذ السياسي من أجل مواصلة النضال الهوياتي

17 الجدول السابع عشر : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
سياسية	44	59.45
اجتماعية	16	21.62
دينية	08	10.81
تاريخية	05	06.75
ثقافية	01	01.36
المجموع	74	99.9

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط :

لقد تمكننا من حصر اثني عشر (**12**) نصا فقط من مجموع النصوص التي اشتمل عليها كتاب السنة الرابعة من التعليم المتوسط في مادة اللغة الأمازيغية خمسة (**05**) منها نثرية و سبعة (**07**) أخرى شعرية ، و هذا الطور مفصلي باعتباره يفصل بين المرحلة المتوسطة و الثانوية ، و كذا هي مرحلة حرجة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفئة العمرية للتلاميذ (**14**-**15**) سنة . و يُفترض أن يكون ملمح التلميذ عند إكماله لهذا الطور هو حصيلة الملامح السابقة والابتدائي و المتوسط مع ضمان التمفصل بين المراحل التعليمية الثلاث :الابتدائي و المتوسط و الثانوي و مراعاة الفوارق الهامة في التدرج المفاهيمي[1]، و يعتبر تدريس اللغة الأمازيغية في هذه السنة تعزيزا لما اكتسبه التلميذ من قبل و ترسيخا للقواعد اللغوية القاعدية التي تمكن له التحكم في القراءة و الكتابة و التكيف مع وضعيات إدماجية مختلفة ، و ذلك قبل انتقاله إلى مرحلة التعليم الثانوي .

[1] مناهج التعليم للسنة الخامسة.

يصف الجدول المبين أعلاه تكرارات القيم المستخرجة من عينة النصوص قيد الدراسة و هو كتاب السنة الرابعة متوسط ، و لقد سجلنا تنوعافي كل نص ، و نظرا لكوننا نهدف إلى استخلاص القيم الضمنية فإنه يجدر بنا أن نذكر أن القيم متنوعة و كثيرة ، فقد حصرناتلك التي تكررت بصورة كبيرة و بشكل أكثر جلاءا على أساس الأسهل لاستيعاب و تمثل تلاميذ السنة الرابعة متوسط لأن الهدف العام للتحليل هو التوصل إلى فك خيوط الرسالة و استجلاء التوجهات الخاصة لأصحاب هذه النصوص و أهدافهم المراد ترسيخها في عقول التلاميذ من خلال الحمولة القيمية التي يحملها النص توجيه الرأي العام .لهذا توصلنا إلى حصر خمسة قيم ظاهرة و بينة ، بتكرارات مختلفة بحسب أهمية كل واحدة منها سواء في النص الواحد أو في كامل النصوص، و هذا ما ينقله إلينا هذا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر نسبة تكرارات و المتمثلة في القيم السياسية بأربع و أربعين (**44**) تكرارا و بنسبة **59.45 %**في جميع النصوص الموجودة بالكتاب المدرسي و التي مجموعها **12** نصا بمعدل 3.66 قيمة في النص الواحد على الأقل. و في المقابل نجد أن القيمةالثقافية قد ظهرت مرة واحدة فقط و هو ما يعادل نسبة **01.36%**، و هذا يمثل تباينا كبيرا بين النسبتين ، و هذا يس أمرا طبيعيا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الدور الحقيقي للمدرسة ورسالة الكتاب المدرسي التربوية بالأساس،غير أننا اصطدمنا بمعطيات أخرى ، و هي أن كتاب اللغة الأمازيغية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط يرمي إلى شحذ المتمدرسين بقيم و رؤى سياسية تعمل على تشكيل (**configuration**) توجه ايديلوجي معين لديهم، و يتبناه كمنظومة فكرية و بنيات ذهنية أولى في بناء شخصيته اجتماعيا و ثقافيا و سياسيا كفرد متعلم و مثقف ليستشرف بذلك مصيره الفردي و الجماعي في إطاره المجتمعي . و هنا تكمن الخطورة في هذه الخطوة من خلال شحن عقول و عواطف تلاميذ في عمر 14 و 15 سنة بقيم و توجهات سياسية ذات أهداف معينة ، يعني محاولة التأسيس لنُخَب سياسوية قد تحدث شرخا ي جدار الوحدة الوطنية و تخلق قلاقل اجتماعية و سياسية من شأنها أن تقوض الانسجام الاجتماعي المنشود ، و تأتي القيم الاجتماعية بستة عشرة (16) تكرارا بما يعادل نسبة **21.62%**في مقابل ثمان (08) تكرارات قم الدينية بنسبة 10.81 %و خمس **(05)** تكرارات للقيم التاريخية فقط بنسبة 06.75 **%** . و هذهالنسب تبدو معقولة بالنسبة للقيم الاجتماعية و الدينية إلى حد ما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الهدف من العملية التربوية في هذا الطور التعليمي هو محاولة تكريس القيم التربوية و التي

تمثل القيم الاجتماعية و الدينية أهم أبعادها لبناء الشخصية المتوازنة للتلميذ و المنسجمة مع المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري ككل و للمجتمع المحلي بوجه الخصوص.

و رغم الثقافة العريقة و المتنوعة التي تزخر بها الجزائر إلا أنه تم تجاهلها و التغافل عنها و هذا يمثل خللا بيداغوجيا جسيما.أما القيم التاريخية فقد ركزت على الانتماء للتاريخ الأمازيغي و هذا في محاولة لربط الحاضر بالماضي البعيد و هو ما تفتقره مناهج التعليم في المنظومة التربوية الجزائرية و هو ما يمثل نوعا من التصالح مع الذات و مع تاريخ الجزائر العريق الذي تم إغفاله أو تهميشه بفعل ظروف سياسية و اجتماعية معينة .

إذن هذه النصوص التي بين أيدينا و المعتمدة في عينة الدراسة و هي كتاب السنة الرابعة من التعليم المتوسط في مادة اللغة الأمازيغية ، تحمل قيما متنوعة لكنها متفاوتة الأهمية من خلال التركيز على بعضها و تكرارها لمرات عديدة مقابل إهمال أخرى، و كان يفترض أن تكون نصوصا تربوية تعمل على بناء فرد منسجم مع قيم المجتمع ككل و تتماشى مع المسار التعليمي و التربوي و متكاملة مع القيم التي تسعى إلى ترسيخها المواد التعليمية الأخرى على كثرتها وتنوعها و لكن نجدها ركزت أكثر على القيم و الشحذ السياسيين و ذلك يستند إلى تقديرات أصحاب النصوص و التي تأتي من عوامل عديدة مثل اللغة ، العادات و التقاليد أو حتى الايديلوجيا الخاصة بهم.

18 الجدول الثامن عشر : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	01	01.35
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	14	18.91
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	08	10.81
الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي	04	05.40
الانتماء لجغرافيا الوطن الأمازيغي	01	01.35
الانتماء للغة الأمازيغي	01	01.35
الانتماء للعرق القبائلي أو الأمازيغي	01	01.35
الشحذ السياسي	44	59.45
المجموع	74	99.97

جدول تحليل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة الرابعة متوسط :

لقد انصب اهتمامنا في هذا البحث على دراسة الأهداف التربوية التي ترمي إليها النصوص قيد الدراسة ، علما بأن« الأهداف في العملية التعليمية تُشتق من مصادر عدة باختلاف مستويات الأهداف ، فبالنسبة للأهداف التربوية العامة تُشتق و تُخطط السياسة التعليمية في ضوء ما تتضمنه الفلسفة التربوية للمجتمع من مفاهيم و أفكار و قيم مشتقة

من فلسفة المجتمع الفكرية و من احتياجاته الاجتماعية و من منظومته القيمية [1]» ، و من هنا سعينا لاستجلاء القيم و الاتجاهات التي تضمنتها هذه النصوص و التي تجيب عن التساؤلات المطروحة في إشكالية البحث . و ذلك بهدف الوصول إلى المرمى الحقيقي للنصوص المدرسية في كتاب اللغة الأمازيغية الموجه لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ،و التوصل إلى معرفة ما تصبو له النصوص من خلال المواضيع التي تطرحها. لأن التأثير على وجدان التلاميذ يستدعي حمولة و شحنة معنوية و فكرية تحملها الايديلوجياالتي تنقلها النصوصو التي تظهر على شكل أفكار و قيم و اتجاهات قادرةعلى إثارة عواطف و تحريك أفكار التلاميذ ليسهل بالتالي توجيههم و إقناعهم بالأهداف الموسومة.

يتجلى لنا من خلال الجدول المبين أعلاه أن الهدف الرئيس و البارز لهذه النصوص المختارة لهذا الطور التعليمي هو " **الشحذ السياسي** " بنسبة **59.45%** و هي نسبة عالية جدا ، تفوق النصف ما يعني أن هنالك توجها سياسيا و ايديلوجيا للنصوص يتحكم في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها في المسار التربوي ، و لقد تم التركيز على الانتفاضة في وجه الظلم السياسي و و نبذ الخيانة و مناشدة الحرية و كذا المناداة بتحرير المرأة و هي كلها قيم تصب في بوتقة بناء وعي سياسي و ايديلوجي وفق المنظور التقدمي اليساري الذي يتخذ من التربية منظومة لتحرير المواطن من القهر المسلط عليه .و هذا من خلال السعي لترسيخ قيم و أفكار معينة في أذهان الشباب لبناء وعي جمعي معين لإعادة إنتاج نخبة مثقفة تحمل نفس التصورات و التوجهات الايديلوجية المتعلقة بسؤال الهوية .

في المقابل نلاحظ في الجدول أن الأهداف المتعلقة بتعزيز الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل قد تكررت بنسبة 18.91 % ب أربع عشرة" **14** "تكراراو هي نسبة لا بأس بها إذ ركزت على قيمة الانتماء لمؤسسة ثاجماعث و الإصرار على قيمة الثأر للشرف ، نظرا لرمزية الشرف في هذه المنطقة للحفاظ على الوجود و كآلية للضبط الاجتماعي.

أما القيم الدينية فرغم أهميتها في صقل شخصية التلميذ إلا أنها تكررت ثمان " **08** " مرات فقط بنسبة **10.81 %** بالتركيز على أمور سطحية و ذلك ربما لتأكيد مقولة أن القبائل " هم مسيحيون قدامى و مسلمون بأدنى قدر ممكن "[2].

[1] سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، **المنهاج التعليمي** ، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، 2006،ض66

[2]Charles robert ageron,**la France en Kabylie**, tafat edition, 2011, p18

هذا بالإضافة إلى تكرار الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي بأربع "**04**" مرات و هي نسبة ضئيلة إذا ما علمنا مركزية التاريخ في عملية بناء الشخصية المتصلة بجذورها . مع العلم أن باقي الأهداف رغم أهميتها كونها تعبر عن انتماءات تاريخية و عرقية إلا أنها لم تحظ باهتمام يتناسب و أهميتها في العملية التربوية ، إذ أنها لا تحوز على أكثر من نسبة 1.35% في الانتماء لتاريخ منطقة القبائل و نفس النسبة بالنسبة لكل من الانتماء للعرق القبائلي و اللغة الأمازيغية و الانتماء لجغرافيا الوطن الأمازيغي ، و هنا يمكننا القول أن هنالك نوع من الشحذ السياسي و التوجيه الايديلوجي للأفكار، وفق منظور أصحاب النصوص المعروفين في المجالات الفكرية و الأدبية الوطنية بتوجهاتهم الايديلوجية و السياسية ،و التي كانت موجهة في الأساس للجمهور العريض و المتمرس في السجالات السياسية و الثقافية و لم يقوموا بتأليفها من أجل تلاميذ في هذا السن كتدعيم لمسارهم التعليمي و التربوي ، لذلك علينا أن نشير إلى أن الأهداف التي ترمي إليها عينة النصوص هي نفسها الأهداف التي كان المؤلفون يسعون إلى تحقيقها إن على الصعيد الاجتماعي ، السياسي أو الايديلوجي.

19 الجدول التاسع عشر : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الأولى ثانوي :

الوحـــــــــدة		القيمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الأولى ثانـــوي	النص 01: ص 08«رسالة عزي » [نثري] مولود معمري		
	الفقرة 1:« في حرب 45 .....يحس بصوت عزي يقول له »	- تاريخية - سياسية - سياسية	- الانتماء لتاريخ الجزائر من خلال استحضار تاريخ حرب 45 - الشحذ السياسي لرفض منطق تطليق المرأة من طرف أولياء الزوج - الشحذ السياسي لرفض منطق تطليق المرأة العقيمة
	الفقرة 2:« نحن بخير .....فإني ألهي نفسي بالرسائل »	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال مناشدة الله أن يعيد الغرباء سالمين
	الفقرة 3:« على ستة أو خمسة أشهر .....لهذا أغلقت على قلبي »	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال الإقرار بمشيئة الله

النص 02: ص 18«القرية » [نثري] مولود فرعون			
الفقرة 1:« عندما يدخل الزائر بلاد القبائل .....كل ربوة تشبه أختها »	**- سياسية** **- اجتماعية**	**- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان السياسي لمنطقة القبائل من خلال [بلاد القبائل]** **- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بالقرى القبائلية**	
الفقرة 2:« الساحة الكبرى في القرية .....صدت وجهها نحو زريبة »	**- اجتماعية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال استحضار نظام [ثاجماعث]**	
الفقرة 3:« القرية مقسمة إلى ثلاث .....لا جمع أفضل من ساحة الطبالين »	**- اجتماعية** **- اجتماعية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال استحضار نظام العشائر** **- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال استحضار نظام [ثاجماعث]**	

	الفقرة 4:« هناك جامعين.....و المقهى خارج القرية في الخلاء »	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال رمزية الجامع أو المسجد
	النص 03: ص 22 « إثعزوزن » [نثري] خالفة معمري		
	الفقرة 1:« ككل قرى القبائل .....تعطي لكل الفصول وجهها »	- سياسية - اجتماعية - اجتماعية	- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بوجود الكيان القبائلي - الانتماء للعرق القبائلي - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر أسماء القرى
	النص 04: ص 27 « ثاجماعث » [شعري] مالك هود		
	الفقرة 1:« لما كان البلوط طعامنا .....قد مضت الأيام الجميلة »	- اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاعتزاز بالعصبة أو الرجال - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال الاعتزاز بالشرف
	الفقرة 2:« ثاجماعث التي كانت مليئة .....يصلح في أموره يبناون »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال التأسف على زوال نظام ثاجماعث

	النص 05: ص 28 «ثاسدغقا بيت القبائل » [نثري] نذير جيدي		
	الفقرة 1:« يختلف بناء البيوت في بلاد القبائل .....أطاس نتلوفا آم أوماهيل ،أنزوو ذ وانساين »	**- سياسية - اجتماعية**	**- الشحذ السياسي من خلال الايحاء بالكيان القبائلي من خلال بلاد القبائل - الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال كيفية بناء المنازل**
	النص 06: ص 40 «نظرت » [شعري] بن محمد		
	الفقرة 1:« أدرت نظري للتاريخ .....الذي تنطق فيه الأسماء »	**- سياسية**	**- الشحذ السياسي من خلال الدعوة لإعادة قراءة التاريخ**
	الفقرة 2:« نظرت لبلاد الأمازيغي .....فرحت لما كنت إبنك »	**- تاريخية - سياسية**	**- الانتماء لتاريخ الأمازيغ - الشحذ السياسي من خلال استحضار رمزية الملك يوغرطة السياسية**
	الفقرة 3:« يا من أبصرنا به في الظلام .....ستشع الهيبة من وجهه »	**- سياسية**	**- الشحذ السياسي من خلال الدعوة لاتباع وصية يوغرطة**
	الفقرة 4:« قلت لا أقبل القيود .....أفضل الموت على الاستعباد »	**- سياسية**	**- الشحذ السياسي من خلال الدعوة للتحرر و رفض الاستعباد السياسي**
	الفقرة 5:« قلت لي أنا رجل	**- سياسية**	**- الشحذ السياسي**

	.....تذكر أن مازيغ هو جدك »		لاستنهاض الانتماء للأصل الأمازيغي
	الفقرة 6:« لا زلنا سنبحث و سنحفر .....إن ضاع فلا يمكن تعويضه »	- سياسية	- الشحذ السياسي لمواصلة النضال من أجل الانتماء للأصل الأمازيغي
	النص 07: ص 49 «القبائلية » [شعري] سليمان عازم		
	الفقرة 1:« منذ سمعناه يغني .....زاد القبائلية جمالا »	- ثقافية	- الانتماء للغة القبائلية
	الفقرة 2:« نحن نغني فرحين .....سنمحو آثار الباطل »	- سياسية - دينية - سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الاعتزاز بطلوع فجر القبائلية - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال الاعتقاد بالأولياء الصالحين - الشحذ السياسي من خلال الدعوة لمحو الظلم السياسي
	الفقرة 3:« منذ بدأنا الغناء .....اليوم بلغنا مرادنا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال بناء الوعي الجمعي بالاعتزاز بنشوة الانتصار قضية الهوياتية
	الفقرة 4:« قبل التفوه بكلام .....خلفوه لنا كإرث »	- سياسية	- الشحذ السياسي للاعتزاز بالنضال من أجل شرف القبائلية

	الفقرة 5:« عاهدنا والدينا .....لا يهم مهما كثر الكلام »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال تحريض الجيل الصاعد على مواصلة النضال من أجل القبائلية
النص 08: ص 50 «عبان رمضان » [نثري] خالفة معمري			
	الفقرة 1:« ولد عان رمضان .....حتى تحصل على الباكلوريا »	- تاريخية - اجتماعية - سياسية - سياسية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال تاريخية عبان رمضان - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال شخصية عبان و قريته و عرشه - الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بالكيان القبائلي " بلاد القبائل" - الشحذ السياسي من خلال رمزية عبان رمضان السياسية في المنطقة
	الفقرة2 :« التقى قادة الحرب في أوزلاغن .....التي ستبنى عليها جزائر الغد »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال رمزية مؤتمر الصومام السياسية في استشرافها لجزائر الغد
النص 09: ص 59 «يوغرطة » [شعري] ديهية			
	الفقرة 1 :« في الليلة الماضية	- سياسية	- الشحذ السياسي

	جاءني في منامي .....قولي لهم اليوم جاءني يوغرطة »		من خلال استنهاض الوعي بالانتماء للأصل الأمازيغي
	الفقرة2 :« قال لي يا ابنتي أنا قلق .....نادي إخوتك و قولي لهم أنك رأيت يوغرطة »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الوعي بالانتماء لبلاد الأمازيغي
	الفقرة3 :« رفع أشظاظ رداءبرنوسه .....قولي لهم هذه تانفوست ملحمة يوغرطة »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنهاض الوعي بالانتماء للإرث السياسي الأمازيغي
	النص 10 : ص 74«إنتظريني » [شعري] لونيس آيت منقلات		
	الفقرة 1 :« إنتظريني .....خلقوا لنا أعداءا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال معارضة النظام الحاكم في حربه ضد المغرب دون استشارة الشعب
	الفقرة 2 :« إنتظريني .....لست أدري هل سأعود أم لا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال معارضة النظام الحاكم لتجنيده الاجباري للشباب في حربه ضد المغرب دون استشارة الشعب
	الفقرة 3 :« لغني ميلاد طفلتي .....قد تكون فألا جيدا »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال معارضة النظام الحاكم في حربه ضد المغرب دون

			استشارة الشعب و مناشدة السلام
	الفقرة 4 :« سئمنا الحرب .....و إلا رجمنا التراب »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال معارضة الحرب ضد المغرب و مناشدة السلام
	النص 11 : ص 75 «الرسائل » [شعري] لونيس آيت منقلات		
	الفقرة 1 :« سأكلمك بالقبائلية .....من لم يفهم ستفهمه فأنت متعلم »	- ثقافية	- الانتماء للغة القبائلية
	النص 12 : ص 76 «بلاد الزواوة » [نثري] جمال مخناسي		
	الفقرة 1 :« من أراد أن يتعرف على .....كالتين الهندي و الزيتون »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بمنطقة الزواوة و تيزي وزو
	الفقرة 2 :« في الطريق نحو تيقزيرت .....سيجد بواخر الصيد »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بمنطقة تيقزيرت و آزفون
	الفقرة 3 :« حين عودته من آزفون .....هناك ملجأ الوحش واغزن »	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال الاعتزاز بمنطقة إيعزوغن و ميشلي و جرجرة و لالة خديجية
	الفقرة 4 :« خلف قرية ميشلي .....من أراد أن يتعرف على	- اجتماعية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال

	المنطقة »		الاعتزاز بمنطقة لاربعا ناث يراثن و إشريظن و آث يني
	الفقرة 5 :« بلاد الزواوة .....الأساس لناء الغد »	- سياسية	- الشحذ لسياسي من خلال مركزة بلاد الزواوة في ناء المستقبل السياسي للجزائر

20 الجدول العشرون : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى ثانوي :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
سياسية	28	54.90
اجتماعية	14	27.45
دينية	04	07.84
تاريخية	03	05.88
ثقافية	02	03.92
المجموع	51	99.99

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى ثانوي :

يصف الجدول تكرارات القيم المستخرجة من عينة النصوص قد الدراسة و هو كتاب السنة الأولى ثانوي ، و منه نشير إلى التنوع الذي يحمله كل نص ، و لأننا اعتمدنا على استخلاص القيم الضمنية فإنه يجدر بنا أن نذكر أن القيم متنوعة و كثيرة ، غير أننا حاولنا حصر بلك التي تكررت بصورة مثيرة للانتباه و بشكل أكثر جلاءا و وضوحا على أساس الأقرب لفهم لدى تلاميذ السنة الأولى ثانوي أي من دون المغالاة في التعمق لاستكشاف قيم غير ظاهرة ، لأن الهدف العام للتحليل هو التوصل إلى رسم الرسالة المراد ترسيخها في عقول التلاميذ من خلال الحمولة القيمية التي يحملها النص.بمعنى أننا اعتمدنا أكثر على الفهم العام للنصوص داخل الأقسام محاولين بذلك استجلاء التوجهات الخاصة لأصحاب هذه النصوص و أهدافهم التي يراد ترسيخها لدى التلاميذ و توجيه رأيهم العام.

لهذا توصلنا إلى استنطاق خمسة قيم واضحة لا يمكن تجاهلها ، إلا أنها تبدو متفاوتة الأهمية حسب تكرار كل واحدة منها سواء في النص الواحد أو في جل النصوص، و هذا ما ينقله إلينا هذا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر نسبة تكرارات و المتمثلة في القيم السياسية ب 28 تكرارا في جميع النصوص الموجودة بالكتاب المدرسي و التي مجموعها 12 نصا بمعدل قيمتين في كل نص على الأقل .

و في المقابل نجد قيمتن ثقافتين و هو ما يعادل 3.92 %كنسبة تقابل 54.90 % في القيم السياسية ، و هذا التفاوت الكبير بين النسبتين لا يبدو أبدا تفاوتا عاديا باعتبار أن الكتاب المدرسي يحمل قيما تربوية أكثر من أي قيم أخرى و هذا هو الدور الحقيقي للمدرسة ، غير أن الواقع التحليلي لهذا الكتاب يكشف لنا حقيقية أخرى ،و هي أن كتاب اللغة الأمازيغية يعم على تحميل التلاميذ قيما سياسية تعمل على بناء توجه ايديلوجي معين لديهم، يتعلم التلميذ من خلاله أفكارا و مبادئتنقله إلى عالم غير عالمه فينمو فيه الاستطلاع لهذا الجديد و بالتالي يتعلم توجهات سياسية و ايديلوجية ربما أكبر منه و يتبناها كمعالم أولى في بناء شخصيته الوطنية المستقبلية كفرد متعلم و مثقف و هنا يمكننا الإشارة إلى مدى خطورة هذه الخطوة من خلال ما يراه العالم التربوي " جون ديوي " الذي يقول : " يجب أن نعلم أطفالنا كيف يفكرون و ليس فيما يفكرون " لأن شحن عقول و عواطف تلاميذ في عمر 16

و 17 سنة بقيم سياسية ذات أهداف محددة يعني بناء نخبة سياسوية ما ذات توجه محدد مسبقا و هذا يعني خلق آليات لإعادة إنتاج نفس الأحداث و نفس الأسباب و النتائج ، و بالتالي عدم القدرة على الرقي و النهوض بالمجتمع و تغييره إلى الأفضل و إنما بذلك سنهتم أكثر بتحقيق أهداف ماضوية ربما لم و لن تتحقق أبدا.

و يبقى الحديث عن الثقافة التي تزخر بها المنطقة مجرد محاولة لفت الانتباه إليها،و كأنها وسيلة لإثارة انتباه التلاميذ إلى عادات و سلوكيات أو حتى ماديات تستعمل في المنطقة و بالتالي تم حصر القيم الأخرى " اجتماعية، دينية، تاريخية " و التي تمثل الهدف التربوي الحقيقي للكتاب بنسب متفاوتة و متقاربة ما عدا القيم الاجتماعية التي بلغت نسبة 27.45% و هي نسبة لا بأس بها إلا أنها في المضمون لا تفي بالغرض كونها ركزت في مجملها على تصوير كل ما هو مادي من انتماء للمنطقة إما من خلال تصوير شخصية فذة أو وصف جغرافي أو عادات لها علاقة بالماديات مثل طريقة بناء المنازل و قيلا ما نجد وصفا لقيمة اجتماعية معنوية ذات مغزى أو رمزية معنوية مثل وصف نظام ثاجماعث مثلا.

إذن باعتبار أن النصوص المنتقاة للدراسة في كتاب السنة الأولى ثانوي في مادة اللغة الأمازيغية كان يتوجب أن تكون نصوصا تربوية تعمل على بناء فرد منسجم مع قيم المجتمع ككل و تتماشى مع المسار التعليمي و التربوي و متكاملة مع القيم التي تسعى إلى ترسيخها المواد التعليمية الأخرى على كثرتها وتنوعها، إذن هذه النصوص التي بين أيدينا و المعتمدة في عينة الدراسة تحمل قيما متنوعة لكنها متفاوتة الأهمية من خلال التركيز على بعضها و تكرارها لمرات عديدة مقابل إهمال أخرى، و لأن المجتمعات تختلف في تقديرها للشيء الواحد وفقا لمقتضيات ثقافية ، تاريخية و سياسية عاشتها أو خاصة بها ، فإنه يمكننا القول أن القيمة ما هي إلا حكم نابع من الذات من خلال الاهتمام و التفضيل، فيقول حسن حسين الحاج ف هذا الشأن : " إن القيمة في الواقع ما هي إلا اهتمام أو اختيار أو تفضيل يشعر معه صاحبه أن له مبرراته الخلقية أو العقلية أو الجمالية ...."[1] و تستند هذه المبررات إلى المجتمع في تقديراته لها و التي تأتي من عوامل عديدة مثل اللغة ، العادات و التقاليد أو حتى الايديلوجيا الخاصة بجماعة ما.

[1] حسن حسين (الحاج) ، علم الاجتماع الأدبي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1983،ص 205

21 الجدول الحادي و العشرون : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى ثانوي :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	07	13.72
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	01	01.96
الانتماء لتاريخ الجزائر	01	01.96
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	06	11.76
الانتماء للعرق القبائلي	01	01.96
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	04	07.84
الانتماء لتاريخ الوطن الأمازيغي	01	01.96
الانتماء للغة القبائلية	02	03.92
الشحذ السياسي	28	54.90
المجموع	51	99.98

تحليل جدول يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة أولى ثانوي :

تعتبر فئة الأهداف من بين الفئات الأكثر أهمية في دراستنا و ذلك لطبيعة التساؤلات المطروحة، بمعنى أنه و من أجل الوصول إلى المرمى الحقيقي للنصوص المدرسية في كتاب اللغة الأمازيغية الموجه لتلاميذ السنة الأولى ثانوي ، و التوصل إلى معرفة مدى تأثيرها على

المتلقي يجب أن نحدد و أن نفهم ما تصبو له النصوص من خلال المواضيع التي تطرحها ، لأن التأثير على القراء يستلزم قوة معنوية فكرية تحملها الايديلوجية الموجودة في النصوص و التي تظهر على شكل أفكر و قيم ، حيث تكمن قوة النص في قدرته على إثارة عواطف و تحريك أفكار التلاميذ ليسهل بالتالي توجيههم و إقناعهم بالأهداف الموسومة.

يتبين لنا من خلال الجدول أن الهدف الحقيقي و القوي لهذه النصوص المختارة لهذا الطور التعليمي هو " **الشحذ السياسي** " بنسبة **54.90%** و هي نسبة تفوق النصف ما يعني أن التوجه السياسي و الايديلوجيللنصوص هو الذي يتحكم في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها في المسار التربوي ، حيث توازت فئة الأهداف مع فئة القيم و هما فئتان متكاملتان تعملان على تجسيد التوجه الايديلوجي العام للنصوص من خلال المنهج التربوي المتبع ،آخذين بعين الاعتبار في ذلك الفئة العمرية الحساسة التي وجهت إليها هذه النصوص.و هذا يشير إلى هدف إيديلوجي معين يُسعى لتحقيقه من خلال ترسيخ قيم و أفكار معينة في أذهان الشباب لبناء وعي جمعي معين لتجهيز نخبة مثقفة مبنية على أساس توجه ايديلوجي متبناً و مدعَم منذ المسار التربوي و التكويني لهم. و بالتالي يمكن الاعتماد عليهم لتحقيق مشاغل سياسية معينة لم تتحقق قبل الآن ربما بسبب نقص الوعي و ثقافة النخبة و بالتالي تصبح الدعامة أمْتَن إذا توفرت في الجماعة المنتقاة و المكونة لهذا الغرض.

في المقابل نلاحظ في الجدول أن بعض الأهداف رغم أهميتها كونها تعبر عن انتماءات تاريخية و عرقية إلا أنها لم تحظ باهتمام يتناسب و أهميتها في العملية التربوية ، إذ أنها لا تحوز على أكثر من نسبة 1.96 % في الانتماء لتاريخ الجزائر و نفس النسبة بالنسبة لانتماء للعرق القبائلي ، و العادات الدينية لمنطقة القبائل على أساس أنه هدف غير خلاق كونه مرتبط بالقيم الدينية التي لم تتعد في تكراراتها بالجدول السابق نسبة 7.84 % حيث تكتفي النصوص بالإشارة إلى أن المنطقة متدينة دون إسهاب في هذه القضية حتى و إن كانت قيمها تربوية ، إلا أنها لست هدفا مقصودا أمام المسعى الحقيقي لنصوص هذا الكتاب ، لذلك نتساءل حول ما إذا عبرت النسب في جدول الأهداف على المضمون الحقيقي للرسالة التي يجب أن يؤديها الكتاب. و هذا لا يعني أن النصوص تؤثر سلبا على التلميذ و لكن يمكننا الإشارة إلى وجود نوع من الضغط و تحديد الأفكار و توجيهها حيث اهتمت النصوص أكثر بالشحذ السياسي دون المبالاة بالأهداف الأخرى التي تبقى نسبها الضعيفة متقاربة ، و هي أهداف عامة و متشابكة ن النصوص المختارة هي انتاج أشخاص

معروفين في المجالات الفكرية و الأدبية الوطنية بتوجهاتهم الايديلوجية و السياسية ، و أنهم لم يقوموا بتأليفها من أجل تلاميذ في هذا السن كتدعيم لمسارهم التعليمي و التربوي ، لذلك علينا أن نشير إلى أن الأهداف التي ترمي إليها عينة النصوص هي نفسها الأهداف التي كان المؤلفون يسعون إلى تحقيقها إن على الصعيد الاجتماعي ، السياسي أو الايديلوجي.

22 الجدول الثاني و العشرون : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الثانية ثانوي :

الوحـــــــــدة		القيمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الثانية ثـــــانوي	**النص 01 : ص 08«الدا قاسي » [نثري] جمال مخناسي**		
	الفقرة 1 :« ركب الدا قاسي الباخرة .....و أنا أدرى بمصلحتك »	**- اجتماعية** **- اجتماعية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعيية من خلال الأسماء [الدا قاسي]** **- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة احترام الكلمة و العهد**
	النص 02 : ص 14«بلا حدود » [نثري] يوسف أوبليل		
	الفقرة 1 :« سامية و آكلي من شباب ربيع 80 ...ثم درست في ثانوية ثيزي وزو »	**- سياسية**	**- الشحذ السياسي من خلال الاحالة إلى أحداث ربيع 1980 و ما تحمله من شحنة سياسية**
	الفقرة 2 :« العديد ممن يدرسن معهن...و لكنهن وضعن حدودا لكل	**- اجتماعية**	**- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من**

	شيء »		خلال قيمة الحفاظ على شرف البنت
	النص 03 : ص 18«الشابة » [شعري] الحسن زياني		
	الفقرة 1 :« بمجرد أن ربت و نمت .....وهم يخاطبونها بالمعاني »	- سياسية	- الشحذ السياسي لرفض الواقع الذي تعيشه الفتاة في المنطقة من مصادرة للرأي بدعوى العرف
	الفقرة 2 :« عاداتنا أساسها الحرمة .....عشيرة مشهورة في ثيزي »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال قيمة الحفاظ على شرف البنت - الشحذ السياسي لرفض الواقع الذي تعيشه الفتاة في المنطقة من مصادرة للرأي بدعوى الشرف
	الفقرة 3 :« أنت محظوظة جدا .....بالبارود و الطبالين »	- اجتماعية	- الانتماء لعادات المنطقة الاجتماعية من خلال إقامة الأعراس بالبارود و الطبَالين
	الفقرة 4 :« و لما وقعت بين أسنانهم .....هذا ما خلفه لنا الأوائل »	- سياسية	- الشحذ السياسي لرفض الواقع الذي تعيشه الفتاة في المنطقة من ظلم أهل زوجها لها

	الفقرة 5 :« و الآن هي مربوطة بأولادها .....لا ينمكن أن يحلها حتى العاقل »	- سياسية	- الشحذ السياسي لرفض الواقع الذي تعيشه الفتاة في المنطقة من ظلم أهل زوجها لها
	النص 04 : ص 38 «مقبرة الأحياء » [شعري] علي ماكور		
	الفقرة 1 :« وجدتهم كل في قبره .....و لا تعرف الشمس »	- دينية	- الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال استحضار قيمة العمل في الآخرة و جهنم
	الفقرة 2 :« و قال الآخر قل لهم .....و ليكملوا ما بدأناه »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال الدعوة لمواصلة نضال الأوائل في سبيل الأصل
	النص 05 : ص 42«أبو صابر » [نثري] مترجم		
	الفقرة 1 :« السلطان محمود، الذي حكم بجاية .....أخرجهم كلهم ما عدا واحدا »	- تاريخية	- الانتماء لتاريخ المنطقة من خلال استحضار جزء من تاريخ بجاية
	الفقرة 2 :« قال السلطان محمود .....يا أبا صابر ليس لك عقل »	- دينية - سياسية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الصبر لله وقت الشدائد - الشحذ السياسي من خلال استعمال عبارة [إزيكر] كوصم للعربي بنوع

			من الازدراء
	الفقرة 3 :« قال أبو صابر .....فإنك تزيد الحطب للنار »	- دينية - دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الصبر لله وقت الشدائد - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال التسليم بمشيئة الله
	النص 06 : ص 48«أبو صابر 2 » [نثري] مترجم		
	الفقرة 1 :« قال أبو صابر .....جئت من بجاية »	- دينية - اجتماعية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال القسم بالله - الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر اسم بجاية
	الفقرة 2 :« قال أبو صابر .....أمسك رأسه و أجهش بالبكاء »	- دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال المناشدة لوجه بالله
	الفقرة 3 :« قال رب العمل .....السلطان هو من نفاني »	- دينية - دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال استحضار صبر النبي أيوب - الانتماء للقيم

			الدينية للمنطقة من خلال المناشدة لوجه بالله
	الفقرة 4 :« قال أبو صابر ...يستغلون العامة المغلوبون على أمرهم »	- دينية - دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال المناشدة لوجه بالله - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الاستنصار بالمؤمنين ضد الظلم
	الفقرة 5 :« قال رب العمل .....و ينقذ من سقط في الحفرة »	- دينية - دينية - دينية - دينية - دينية - دينية - دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال طلب العفو من الله لمن أصدق القول أو أحسنه - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال رفض القنوط من رحمة الله - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الإقرار بقدرة بالله - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الإقرار بأن الله

			هو الجدير بالحمد - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الإقرار بأن الله وحده هو المعز و المذل - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال المناشدة لوجه بالله - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الإقرار بأن الله هو الخافض و هو الرافع
النص 07 : ص 54«أبو صابر 3 » [نثري] مترجم			
	الفقرة 1 :« فأقبل الحارس مسرعا .....لقد مات ، مات السلطان »	- دينية - دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الاستنصار بالمؤمنين في المصائب - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الاستنصار بالمؤمنين في المصائب
	الفقرة 2 :« صرخ الناس : مابه .....لا غفر الله له »	- دينية - سياسية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال إفراد الحمد لله

			وحده على نعمة زوال الباطل - الشحذ السياسي من خلال بغض الحاكم الظالم و الدعاء عليه
	الفقرة 3 :« قال الشيخ: يا أولادي ....و إن أخطأت فإن الله سيقومني »	- دينية - دينية - دينية - دينية - دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال طلب الرحمة و العفو من الله للميت - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الإقرار أن الميت بين يدي الله و عفوه - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الاقرار بأن الله خير شاهد - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال حمد الله عند إحسان القول - الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال طلب السداد من الله عند الخطأ في القول

	الفقرة 4 :« قال الناس: يصلح .....الحمد لله أنك سلمت »	- دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال حمد الله على أنه أنجى الملك
	الفقرة 5 :« قال أبو صابر: يا أبنائي .....و أنا من دفنته »	- دينية	- الانتماء للقيم الدينية للمنطقة من خلال الافرار أن الميت بين يدي الله و عفوه

23 الجدول الثالث و العشرون : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية ثانوي :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
دينية	27	64.28
سياسية	08	19.04
اجتماعية	06	14.28
تاريخية	01	02.38
المجموع	42	99.98

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية ثانوي :

يصف الجدول المبين أعلاه تكرارات القيم المستخرجة من عينة النصوص قيد الدراسة و المتضمنة في كتاب السنة الثانية ثانوي و هيبمجموعسبعة نصوص ، خمسة منها نثرية و نصان شعريان، و لقد سجلنا تنوعا في كل نص ، و لكوننا نبحث عن استخلاص القيم الضمنية التي يحملها كل نص ، فإنه يجدر بنا أن نشير إلى تنوع و تعدد القيم المستخلصة ،و لقد حاولنا أن نقتصر على تلك التي تكررت بصورة مثيرة للانتباه و بشكل أكثر جلاءا و وضوحاإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأقرب للفهم لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي أي من دون المغالاة في التعمق لاستكشاف قيم غير ظاهرة ، لأن الهدف العام للتحليل هو التوصل إلى رسم الرسالة المراد ترسيخها في عقول التلاميذ من خلال الحمولة القيمية التي يحملها النص.بمعنى أدق أننا اعتمدنا أكثر على الفهم العام للنصوص داخل الأقسام محاولين بذلك استقراء التوجهات الخاصة لأصحاب هذه النصوص و أهدافهم التي يراد ترسيخها لدى التلاميذ و توجيه رأيهم العام.

و لقد خلصنا إلى استنطاق أربعة قيم واضحة لا يمكن تجاهلها ، رغم تفاوتها في الأهمية حسب تكرار كل واحدة منها سواء في النص الواحد أو في جل النصوص، و هذا ما ينقله إلينا هذا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر نسبة تكرارات و المتمثلة في القيم الدينية ب 27 تكرارا بنسبة 64.28 % في جميع النصوص الموجودة بالكتاب المدرسي و التي مجموعها 07 نصا بمعدل 3.85 قيمة في كل نص على الأقل .

في حين نجد القيم التاريخية ظهرت مرة واحدة بما يعادل نسبة 02.38 %، و هذا تباين كبير بين النسبتين رغم أن القيم الدينية هية أساس ما يمكن أن يتضمنه الكتاب المدرسي بحكم وظيفته التربوية بالأساس إلا أن إغفال القيم التاريخية في التأسيس لشخصية التلميذ في هكذا مستوى يُعد قصورا كبيرا، إذ لا يمكن التركيز على جانب دون آخر في محاولة بناء شخصية التلميذ المتوازنة رغم كون الدين هو الركيزة الأساسية في الهوية الثقافية للمجتمعات الإسلامية عامة و للمجتمع الجزائري خاصة.

و لقد سجلنا تكرر القيم السياسية ثمان [08] مرات بنسبة 19.04 % مقابل ست [06] تكرارات للقيم الاجتماعية بنسبة 14.28 % من مجموع التكرارات الواردة في الجدول. و يبقى الحديث عن الثقافة التي تزخر بها الجزائر غائبة بصورة ملفتة للانتباه ،و هذا يعتبر

تقصيرا صارخا و يعبر عن تخبط و عدم وضوح في الرؤية لما يجب أن يحمله كتاب السنة الثانية ثانوي من قيم ثقافية تصل التلميذ بواقعه الثقافي و تعيد رسم المشهد الثقافي الذي تزخر به الجزائر ككل بتنوع ثقافاتها الفرعية و لغاتها الشعبية .و لقد تم حصر القيم " الاجتماعية " و التي تمثل الهدف التربوي الحقيقي للكتاب في مضامين لا تفي بالغرض كونها ركزت في مجملهاعلى تصوير كل ما هو مادي من انتماء للمنطقة إما من خلال تصوير شخصية فذة أو وصف جغرافي أو عادات لها علاقة بالتراث اللامادي كطريقة الاحتفال بالأعراس بالبارود و الطبالين و قليلا ما نجد وصفا لقيمة اجتماعية معنوية ذات مغزى أو رمزية معنوية مثل الحفاظ على شرف البنت و الالتزام بالعهود.

إذن باعتبار أن النصوص المنتقاة للدراسة في كتاب السنة الثانية ثانوي في مادة اللغة الأمازيغية كان يتوجب أن تكون نصوصا تربوية تعمل على بناء فرد منسجم مع قيم المجتمع ككل و تتماشى مع المسار التعليمي و التربوي و متكاملة مع القيم التي تسعى إلى ترسيخها المواد التعليمية الأخرى على كثرتها وتنوعها ، نجد أن النصوص التي بين أيدينا و المعتمدة في عينة الدراسة تحمل قيما متنوعة لكنها متفاوتة الأهمية من خلال التركيز على القيم الدينية بصورة كبيرة مقابل إهمال القيم التاريخية و الثقافية التي لم تظهر أبدا في هذه النصوص و هذا ما يمثل اختلالا في توزيع القيم التي يجب أن تُغرس لدى التلميذ في هكذا فئة عمرية لبناء شخصية متوازنة من كل النواحي في انسجام و تدرج منطقي مع ما تلقاه في المستويات السابقة أي في الأطوار التعليمية السابقة منذ الرابعة ابتدائي.

24 الجدول الرابع و العشرون : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية ثانوي :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	01	02.38
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	01	02.38
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	05	11.90
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	27	64.28
الشحذ السياسي	08	19.04
المجموع	42	99.98

تحليل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثانية ثانوي :

بهدف الوصول إلى المغزى الحقيقي للنصوص المتضمنة في كتاب اللغة الأمازيغية الموجه لتلاميذ السنة الثانية ثانوي ، و نظرا لكون فئة الأهداف هي الأكثر أهمية في دراستنا بالنظر لطبيعة التساؤلات المطروحة،و بغرضالوقوف على مدى تأثير هذه النصوص على المتلقي أو التلميذ في هذه الحالة ، يجب أن نحدد و أن نفهم ما تصبو له من خلال المواضيع التي تطرحها ، لأن التأثير على القراء يستلزم شحنة معنوية و فكرية تحملها الايديلوجية الموجودة في النصوص و التي تظهر على شكل أفكار و قيم و اتجاهات ، لأن قوة النص تكمن في قدرته على إثارة عواطف و تحريك أفكار التلاميذ ليسهل بالتالي توجيههم و إقناعهم بالأهداف المرسومة.

من خلال الجدول المبين أعلاه، يتبين لنا أن الهدف الحقيقي و البارز لهذه النصوص المختارة لهذا الطور التعليمي هو " **هدف ديني** " بسبع و عشرين [27] تكرارا و بنسبة

64.28 %و هي نسبة تفوق النصف بكثير ما يعني أن التوجه الديني للنصوص هو الذي يتحكم في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها في المسار التربوي لهذا الطور، حيث توازت فئة الأهداف مع فئة القيم و هما فئتان متكاملتان تعملان على تجسيد التوجه الديني العام للنصوص من خلال المنهج التربوي المتبعو الموجه لهذه الفئة العمرية الحساسة. و لقد ركزت هذه النصوص في فقراتها المختلفة على بناء رسالة معينة مفادها العمل على ترسيخ عقيدة التوحيد في عقول و قلوب التلاميذ و ذلك من خلال التركيز على مجموعة من الأبعاد الروحية و القيم الاعتقادية التي تصب جميعها في قالب التوحيد . و بعد تفكيك أهداف هذه القيم خلصنا إلى أن هذه النصوص ركزت على قيم استحضار قيمة العمل الصالح الدنيوي في حساب الآخرة ، و التركيز على الصبر و الاحتساب لله وقت الشدائد و الاعتبار بصبر سيدنا أيوب ، ثم التركيز على توحيد الربوبية لله من خلال إفراد القسم بالله وحده و المناشدة لوجهه تعالى فقط ، و الإقرار بقدرة الله و أن الله هو الوحيد الجدير بالحمد على النعم و أنه وحده هو المعز و المذل و الخافض و الرافع ، و أنه خير شاهد على أفعال الناس و كذا السداد منه عند الخطأ في القول و طلب العفو منه لمن أجاد القول بين الناس.و هنا يبدو جليا التوجه الديني العقدي الذي يحاول أن يؤسس لخطاب يربط التلميذ بمنظومته الدينية التي تربطه بخالقه و توحيده في ربوبيته و ألوهيته .

في المقابل نلاحظ في الجدول أن الأهداف التي ترمي إلى ترسيخ الشحذ السياسي قد تكررت ثمان [08] مرات بنسبة 19.04 % من مجموع التكرارات و لقد ركزت على بغض الحاكم الظالم و الدعوة لمواصلة نضال الأوائل في سبيل الدفاع عن الأصول و استحضار أحداث الربيع الأمازيغي و ما تحمله من شحنة سياسية ، و كذا التركيز على رفض الواقع الذي تعيشه الفتاة من ظلم أهل زوجها لها و مصادرة رأيها بدعوى الشرف و لعل أخطر عبارة وردت في النص الخامس الفقرة الثانية و التي تحمل كلمة " إزيكر" كوصم للعربي بنوع من الازدراء و هذا ما يوحي بمحاولة بناء مخيال اجتماعي يقوم على عداء البربر للعرب و هذا ما يمكن أن يحدث شروخا في جدار الوحدة الوطنية و يهدد استقرار المجتمع و انسجامه، و هذا يُظهر مدى تناقض هذه النصوص و افتقادها لمنهجية واضحة و أهداف منسجمة فيما ترمي إليه. و نظرا لكوننا نركز على الوصف الكيفي و لم نستعن بالأرقام إلا استئناسا فإننا يمكننا القول أن هذا التناقض بين التوجه الديني و التوجه السياسي للنصوص التي تضمنها هذا الكتاب إنما يعكس ذلك الصراع الإيديلوجي حول قضية الهوية . هذا إذا علمنا

أن البعد الثقافي قد اختفى تماما في هذه النصوص و كذلك البعد التاريخي الذي ظهر لمرة واحدة فقط علما أن الثقافة و التاريخ هما الركيزتان الأساسيتان لبناء الهوية الثقافية للمجتمعات. بينما ركزت الأهداف الاجتماعية على أبعاد سطحية و اختزالية كالتقوقع على شرف البنت و طريقة الاحتفال بالأعراس دون الغوص في الفلسفة الاجتماعية الحقيقية للجزائر عموما و منطقة القبائل خصوصا و هذا ما يدفعنا للقول أن هنالك تخبطا صارخا من حيث الأهداف التي يراد تحقيقها من خلال النصوص المختارة في كتاب السنة الثانية ثانوي للغة الأمازيغية.

25 الجدول الخامس و العشرون : يمثل أهم القيم و الأهداف منها في كتاب السنة الثالثة ثانوي

الوحـــــــــدة		القيمة	الهدف منها و دلالتها
كتاب السنة الثالثة ثانوي	النص 01 : ص 6/7/8/9«الأدب و التاريخ » [نثري]		
	الفقرة 1 :« في حياتنا الاجتماعية ....مر الأدب القبائلي ثلاث مراحل »	- ثقافية	- الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة
	الفقرة 2 :« المرحلة الأولى بدأت .....ما هي المواضيع التي تعالجها »	- سياسية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من خلال التركيز على استقلالية منطقة القبائل ككيان سياسي منذ القدم - الانتماء للموروث السياسي للمنطقة القبائل من خلال الأحلاف أثناء الحروب - الانتماء للموروث السياسي للمنطقة القبائل من خلال حلف

			العرش - الشحذ السياسي من خلال التركيز على استقلالية منطقة القبائل ككيان سياسي و عدم خضوعها لأي حكم مركزي - الانتماء للموروث السياسي للمنطقة القبائل من خلال مشاركة كل سكان القرية في تسيير شؤونها - الانتماء للموروث السياسي للمنطقة القبائل من خلال تجند كل سكان القرية في الحرب - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال ربط الدين بالمرابطين - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال الإقرار بدور المرابطين في نشر الإسلام في المنطقة - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال
		- دينية - دينية - دينية - دينية - اجتماعية	

			الاعتقاد بالأولياء الصالحين - الانتماء لعادات المنطقة الدينية من خلال الاعتقاد بالإسلام التقليدي - الانتماء للموروث الاجتماعي للمنطقة من خلال التركيز على قوة الفرد في انتمائه للجماعة
	الفقرة 3 :« بعض أشعار القبائل .....و من بينهم يوسف أوقاسي »	- ثقافية - دينية - اجتماعية - اجتماعية - سياسية - اجتماعية - اجتماعية	- الانتماء للموروث الثقافي للقبائل من خلال الشعر القبائلي - الانتماء للموروث الديني للمنطقة من خلال توارث قصص الأنبياء [يوسف،موسى] - الانتماء للموروث الاجتماعي للمنطقة من خلال التركيز العرش و القرية - الانتماء للموروث الاجتماعي للمنطقة من خلال التركيز شخصيات أمين القرية و المرابط و المداح و المحارب - الانتماء السياسي

			للقبيلة و العرش و الأمة الإسلامية - الانتماء للموروث الاجتماعي للمنطقة من خلال التركيز على قيمة الحرمة - الانتماء للموروث الاجتماعي للمنطقة من خلال التركيز على قيمة حماية المستجير
	الفقرة 4 :« المرحلة الثانية .....لا زالت القرى تسير شؤونها بذاتها »	- تاريخية - تاريخية - سياسية - تاريخية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الانتماء لتاريخ الجزائر - الانتماء لتاريخ الجزائر - الشحذ السياسي من خلال التركيز على الكيان القبائلي [بلاد القبائل] - الانتماء لتاريخ المنطقة في حربها مع الاستعمار - الشحذ السياسي من خلال التركيز على الكيان القبائلي [جبل جرجرة] - الشحذ السياسي

			من خلال التركيز على الكيان القبائلي [القبائل] - الشحذ السياسي من خلال التركيز على الكيان القبائلي [القبائل] الرافض للاستعمار - الشحذ السياسي من خلال التركيز على الاستقلال السياسي لقرى القبائل
	الفقرة 5 :« المصيبة الكبرى هي .....كيف كانوا قل دخول الرومي »	- تاريخية - تاريخية - ثقافية	- الانتماء لتاريخ المنطقة في حربها مع الاستعمار 1871 - الانتماء لتاريخ المنطقة في حربها مع الاستعمار - الانتماء للموروث الثقافي للقبائل من خلال رمزية سي محند وامحند الثقافية
	الفقرة 6 :« المرحلة الثالثة .....لعيماش علي و إيذير آيت عمران »	- تاريخية - سياسية - سياسية	- الانتماء لتاريخ الجزائر من خلال استحضار أحداث 1945 - الشحذ السياسي من خلال الإحالة للوطن

		- سياسية - سياسية	الأمازيغي ثامزغا ككيان سياسي - الشحذ السياسي من خلال التذكير بأن مناضلي المنطقة ساهموا في تحرير الجزائر قاطبة - الشحذ السياسي من خلال التذكير بتضحية أبناء المنطقة لا لسبيل عروشهم و إنما للجزائر كاملة - الشحذ السياسي من خلال رمزية لعيماش علي و إيذير آيت عمران [فاعلي الأزمة البربرية 1949]
	الفقرة 7 :« عندما انتهت الحرب مع الرومي .....من لم يكتب اسمه سيمحيه الزمن »	- سياسية - سياسية - سياسية - سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنكار موقف النظام الحاكم باختزال الهوية في العروبة فقط - الشحذ السياسي من خلال استنكار موقف النظام الحاكم من المعارضين له في هذه المسألة بالذات - الشحذ السياسي من خلال استنكار موقف

		- سياسية	النظام الحاكم بانتهاج سياسة التأحيد السياسي
		- سياسية	و الثقافي و الديني
		- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استنكار موقف النظام الحاكم بمصادرة الحريات
		- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل الهوية و الحرية و الحقوق
		- سياسة	- الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل الديمقراطية و الأمازيغية
		- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل الأمازيغية و ضد الظلم السياسي
		- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل شرف القبائلية
		- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل الهوية

			الأمازيغية - الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل التاريخ القديم [الأمازيغي] - الشحذ السياسي من خلال استحضار النضال من أجل حقوق المرأة - الشحذ السياسي من خلال استحضار اغتيال عبان رمضان و رمزيته السياسية للمنطقة - الشحذ السياسي من خلال استحضار مناضلي القضية الأمازيغية [آيت منقلات،موحيا ، بن محمد، فرحات ، إيذير] - الشحذ السياسي من خلال الدعوة لكتابة و صناعة التاريخ الذاتي لا من الغير
	الفقرة 8 :« هذا الطريق الذي سلكه..... أصبح يشبه الأدب العالمي »	- ثقافية - اجتماعية	- الانتماء للثقافة القبائلية - الانتماء للبنى

			الاجتماعية لمنطقة القبائل [العشيرة و الأعراش]
النص 02 : ص 10« يوسف أوقاسي » [نثري] مولود معمري			
	الفقرة 1 :« هو من عرش أث جناد..... إما مع القبائل الأخرى و إما بينهم »	- اجتماعية - ثقافية - دينية	- الانتماء الجغرافي للمنطقة من خلال ذكر عرش آث جناد - الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال استحضار شخصية يوسف أوقاسي - الانتماء للموروث الدن للمنطقة الذي يعظم سلطة المرابطي في فض النزاعات
	الفقرة 2 :« ما هي المعاني التي تحملها..... رجلا لرجل أو جماعة ضد جماعة »	- سياسية	- الشحذ السياسي من خلال التركيز على استقلالية منطقة القبائل ككيان أثناء الحكم العثماني للجزائر
النص 03 : ص 17«سي محند وامحند » [نثري]			
	الفقرة 1 :« سي محند و محند من آث حمادوش..... يعتبرونه مجنونا و منهم من يعتبره وليا »	- اجتماعية - اجتماعية - ثقافية	- الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصية سي محند وامحند - الانتماء الجغرافي

			لمنطقة القبائل من خلال استحضار قريته و عرش آث يراثن - الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال استذكار أشعاره
	النص 04 : ص 20« الشيخ محند و الحسين » [نثري] مولود معمري		
	الفقرة 1 :« ولد محند آث الحسين..... دع عنك التسكع صبح مساء »	- اجتماعية - اجتماعية - دينية - ثقافية	- الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصية الشيخ محند والحسين - الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار قريته و عرش آث يحي - الانتماء للموروث الديني للمنطقة بتقدير المرابطين - الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال حكم الشيخ محند والحسين
	النص 05 : ص 24«آيت منقلات » [شعري] آيت منقلات		
	الفقرة 1 :« أنت لا ترضى ب ثيسغليث..... كل ناسها إخوانك »	- سياسية - سياسية	- الشحذ السياسي من أجل تحقيق المواطنة - الشحذ السياسي من خلال رمزية آيت

			منقلات السياسية في المنطقة
النص 06 : ص 26«معطوب الوناس » [نثري]			
	الفقرة 1 :« ولد معطوب الوناس..... و من بين أشعاره هذا الذي يتغنى بالغربة »	- اجتماعية - اجتماعية - ثقافية - سياسية	- الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصية معطوب الوناس - الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار قريته ثاوريرث موسى - الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال أغاني معطوب - الشحذ السياسي من خلال رمزية معطوب الوناس السياسية في المنطقة
النص 07 : ص 30« بن محمد » [نثري]			
	الفقرة 1 :« ولد بن محمد عام 1944..... تغنى بأشعاره إيذير أعمر سرسور و نوارة »	- اجتماعية - سياسية	- الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصية بن محمد - الشحذ السياسي من خلال استحضار نضاله من أجل القضية الأمازيغية

	النص 08 : ص 32« موحيا » [نثري]		
	الفقرة 1 :« هذا الشعر من نظم..... تغنى به فرحات إمازيغن إيمولا »	**- اجتماعية** **- سياسية**	**- الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصية موحيا و فرحات** **- الشحذ السياسي من خلال رمزية موحيا و فرحات في نضالهما من أجل القضية الأمازيغية**
	النص 09 : ص 33« رمضان آث منصور » [نثري]		
	الفقرة 1 :« كان رمضان آث منصور أستاذا..... كتب عن أشعار الأولين و ترجم القرآن »	**- اجتماعية** **- سياسية**	**- الانتماء الجغرافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار شخصية رمضان آث منصور** **- الشحذ السياسي من خلال رمزية رمضان آث منصور في نضالهمن أجل القضية الأمازيغية**
	النص 10 : ص 35« الضربة » [شعري] آيت منقلات		
	الفقرة 1 :« دلونا يا من تعرفون..... كم هو طويل بناء الأصل »	**- سياسية** **- سياسية**	**- الشحذ السياسي من أجل الحفاظ على اللغة الأمازيغية** **- الشحذ السياسي من أجل النضال في سبيل الأصل القبائلي و الأمازيغي**

26 الجدول السادس و العشرون : يمثل تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة ثانوي :

القيـــــمة	التكـــــرار	النسبة %
سياسية	39	51.31
اجتماعية	16	21.05
ثقافية	08	10.52
دينية	07	09.21
تاريخية	06	07.89
المجموع	76	99.98

تحليل جدول تكرارات القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة ثانوي :

تعتبر السنة الثالثة ثانوي تتويجا للمسار التكويني التربوي للتلميذ خلال الأطوار الثلاثة، ابتدائي متوسط و ثانوي، و يُفترض أن تكون حصيلة التحصيل العلمي و الأدبي و الأخلاقي للأطوار الثلاثة لتحضير التلميذ لمرحلة أوسع و أرحب آفاقا ألا و هي المرحلة الجامعية بكل ما تحمله من تحديات و صراعات معرفية و وجدانية و فضاءات للتناطح الفكري و الايديلوجي ، و نظرا لحرج هذه الفئة العمرية التي تمثل أوج مراحل المراهقة و التي تعرف غالبا ظهور " أزمة الهوية " بتعبير إركسون فإنه ينبغي أن نتوخى الحذر في اختيار النصوص التي نوجهها لهكذا فئة عمرية و ذلك لضمان الانسجام والتماسكفيالأفكار فيما يخص الهويةالوطنية و الاعتزازبالوطن :أرضاوتاريخاواقتصاداوثقافة. و لقد تمكنا من رصد عشرة (10) نصوص ، ثمانية منها نثرية و اثنان شعريان .

أما بخصوص القيم التي تم استخلاصها من هذه النصوص فكانت متنوعة و كثيرة و لقد اقتصرنا على تلك التي تكررت بصورة لافتة للانتباه آخذن بعين الاعتبار تلاؤمها مع النمو المعرفي و الوجداني لتلاميذ في هذه الفئة العمرية و ذلك دون المغالاة في التعمق

لاستكشاف قيم غير ظاهرة ، لأن الهدف العام للتحليل هو التوصل إلى رسم الرسالة المراد ترسيخها في عقول التلاميذ من خلال الحمولة القيمية التي يحملها النص ، بالاعتماد أكثر على الفهم العام للنصوص داخل الأقسام بهدف استجلاء التوجهات الخاصة لأصحاب هذه النصوص و أهدافهم التي يراد ترسيخها لدى التلاميذ و توجيه رأيهم العام.

و لقد توصلنا إلى استنطاق خمسة قيم واضحة لا يمكن تجاهلها ، متفاوتة الأهمية حسب تكرار كل واحدة منها سواء في النص الواحد أو في جل النصوص، و هذا ما ينقله إلينا هذا الجدول الذي يقرأ لنا أكبر نسبة تكرارات و المتمثلة في القيم السياسية بتسعة و ثلاثين (39) تكرارا و بنسبة 51.31 % من مجموع(76) تكرارا للقيم المختلفة التي وردتفي جميع النصوص الموجودة بالكتاب المدرسي و التي مجموعها (10) عشرة نصوص أي بما يعادل 3.9 تكرارا لهذه القيمة في كل نص على الأقل .

في حين نجد أن القيم التاريخية قد تكررت ست (06) مرات فقط بما يعادل نسبة 7.89 % ، و هذا يمثل تباينا كبيرا بين النسبتين و هو غير عادي باعتبار أن الكتاب المدرسي يُفترض به أن يحمل قيما تربوية أكثر من أي قيم أخرى تماشيا مع الدور الحقيقي للمدرسة ،فالواقع التحليلي لهذا الكتاب يكشف لنا حقيقية مفادها ،و هي أن كتاب اللغة الأمازيغية للسنة الثالثة ثانوي يعمل على تحميل و شحن التلاميذ بمجموعة من القيم السياسية التي تعمل على بناء توجهات ايديلوجية معينة لديهم، بحيث يتعلم من خلالها التلاميذ أفكارا و مبادئ تحاول رسم واقع غير الواقع المعاشو تنقلهم إلى عالم غير عالمهم فينمو فيهم حب الاستطلاع لهذا الجديد و بالتالي يتقمصون أدوارا و توجهات سياسية و ايديلوجية ربما أكبر منهم و يتبنونها كمعالم أولى في بناء شخصيتهم الوطنية المستقبلية كأفراد متعلمين و مثقفين ،و هنا يمكننا الإشارة إلى مدى خطورة هذه الخطوة من شحن عقول و عواطف تلاميذ في عمر 17 و 18 سنة بقيم سياسية ذات أهداف محددة يعني بناء نخبة سياسوية ما ذات توجه محدد مسبقا و هذا يعني خلق آليات لإعادة إنتاج نفس الأحداث و نفس الأسباب و النتائج ، و بالتالي عدم القدرة على الرقي و النهوض بالمجتمع و تغييره إلى الأفضل و إنما بذلك سنهتم أكثر بتحقيق أهداف ماضوية ربما لم و لن تتحقق أبدا.

27 الجدول السابع و العشرون : يمثل تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة ثانوي :

الهدف من القيـــمة	التكـــــرار	النسبة %
الشحذ السياسي	39	51.31
الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل	10	13.15
الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل	08	10.52
الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل	07	09.21
الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل	06	07.89
الانتماء لتاريخ الجزائر	03	03.94
الانتماء لتاريخ منطقة القبائل	03	03.94
المجموع	76	99.96

تحليل جدول تكرارات الأهداف من القيم المستخرجة من كتاب السنة ثالثة ثانوي :

إن الجدول الذي بين أيدينا ، يبين لنا أهداف القيم التي وردت في الجدول السابق بتكراراتها و التي تم استخلاصها من كتاب اللغة الأمازيغية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، و هذا باعتبار أن فئة الأهداف من بين الفئات الأكثر أهمية في دراستنا و ذلك لطبيعة التساؤلات المطروحة.و بغرض الوقوف على المرمى الحقيقي لهذه النصوص المدرسية و التوصل إلى معرفة مدى تأثيرها على المتلقي يجب أن نحدد و أن نفهم ما تصبو له النصوص من خلال تفكيك المواضيع التي تطرحها ، لأن التأثير على القراء يستلزم قوة معنوية فكرية تحملها الايديلوجية الموجودة في النصوص و التي تظهر على شكل أفكار و قيم

و اتجاهات،حيث أن الهدف في النهاية هو التمكن من إثارة عواطف و تحريك أفكار التلاميذ ليسهل بالتالي توجيههم و إقناعهم بالأهداف المرسومة.

إذن يتبين لنا جليا من خلال الجدول أن الهدف الحقيقي و البارز لهذه النصوص المختارة لهذا الطور التعليمي هو " **الشحذ السياسي** " بتسعةو ثلاثين تكرارا أي بنسبة **51.31%** و هي نسبة تفوق النصف ما يعني أن التوجه السياسي و الايديلوجي للنصوص هو الذي يغلب على الأهداف التي تسعىإلى تحقيقها في هذا المسار التربوي ، حيث جاءت هذه النسبة لتؤكد نسبة القيم السياسية السابقة في جدول القيم و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على رغبة أصحاب هذه النصوص في تجسيد التوجه الايديلوجي العام من خلال المنهج التربوي المتبع ،آخذين بعين الاعتبار في ذلك الفئة العمرية الحساسة التي وجهت إليها هذه النصوص.و إذا ما قمنا بالحفر في هذه الأهداف التي تم تفكيكها من قبل ، نجد أن هذه النصوص قد ركزت في مجملها على مجموعة من الأهداف من بينها :

التركيز على فكرة الكيان القبائلي المستقل سياسيا و ثقافيا منذ القدم ، و في هذا إحالة و إقرار ضمني بعدم خضوع المنطقة لأي حكم سياسي مركزي و هذا يطرح عدة تساؤلات في المغزى الحقيقي لهذا الهدف بالذات . إضافة إلى التركيز على استهجان اختزال الهوية الجزائرية في العروبة فقط و سياسة التأحيد اللغوي و الثقافي و السياسي التي تبنتها السلطات الجزائرية فجر الاستقلال بما تمليه ضرورة بناء الدولة-الأمة الحديثة على نموذج الدولة اليعقوبية الفرنسية.

كما ركزت على الشحذ من أجل الحفاظ على اللغة الأمازيغية و هذا نظرا لكون " اللغة هي الوعاء الذي تنصهر فيه الهوية ووحدة الوطن و المواطنة و وحدة المشاعر و الفكر ، و وحدة التطلعات ، بدون هذا لن تكون هناك هوية ممتلئة و غنية "[1]. كما ركزت أيضا على النضال من أجل تحقيق قيم المواطنة و حقوق المرأة و الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ بنظرة نقدية .

كما نجد أنها ركزت على استحضار مجموعة من الشخصيات التي تنتمي جميعها إلى منطقة القبائل و لها باع طويل في مسيرة النضال من أجل القضية الأمازيغية نذكر من بينهم الكاتب موحيا و المغني فرحات إمازيغن إيمولا و المغني معطوب الوناس و المغني لونيس آيت

[1] محمد عابد الجابري ، **مواقف إضاءات و شهادات** ، دار النشر المغربية ، ط1 ، 2003 ، ص 107

منقلات و كذا المغني إيذير ، و كذا التركيز على رمزية الرجل التاريخي عبان رمضان و استحضار تاريخيه في محاولة لطرح إشكالية الشرعية التاريخية للدولة الجزائرية المدنية الحديثة التي كان عبان رمضان من بين المنظرين الأوائل لها من خلال أرضية مؤتمر الصومام الذي وضع تصورا لما يجب أن تكون عليه الدولة الجزائرية لأنه " في غياب مشروع مجتمعي وفاقي ديمقراطي و حاسم ، تُحل فيه تشابكات قضايانا العامة "[1].

و هذا يشير إلى هدف إيديلوجي معين يُسعى لتحقيقه من خلال ترسيخ قيم و أفكار معينة في أذهان الشباب لبناء وعي جمعي معين لتجهيز نخبة مثقفة مبنية على أساس توجه ايديلوجي متبناً و مدعَم منذ المسار التربوي و التكويني لهم. و بالتالي يمكن الاعتماد عليهم لتحقيق مشاغل سياسية معينة لم تتحقق قبل الآن ربما بسبب نقص الوعي و ثقافة النخبة و بالتالي تصبح الدعامة أمْتَن إذا توفرت في الجماعة المنتقاة و المكونة لهذا الغرض.

في المقابل نلاحظ في الجدول أن بعض الأهداف رغم أهميتها كونها تعبر عن انتماءات تاريخية إلا أنها لم تحظ باهتمام يتناسب و أهميتها في العملية التربوية ، إذ أنها لا تحوز على أكثر من نسبة 3.94% في الانتماء لتاريخ الجزائر و نفس النسبة بالنسبة للانتماء لتاريخ منطقة القبائلو هذا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك الموقف الايديلوجي من تاريخ الجزائر ككل ،بينما نجد أن الأهداف التي ترمي لتعزيز الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل قد تكررت عشر [10] مرات بنسبة 13.15 % في حين أن الأهداف التي ترمي لتعزيز الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل قد تكرر ثمان [08] مرات و العادات الدينية لمنطقة القبائل على أساس أنه هدف غير خلاق كونه مرتبط بالقيم الدينية التي لم تتعد في تكراراتها بالجدول السابق سبع [07] مرات بنسبة 9.21% حيث تكتفي النصوص بالإشارة إلى أن المنطقة متدينة دون إسهاب في هذه القضية حتى و إن كانت قيمها تربوية في حين نجد أن الأهداف التي ترمي لتعزيز الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل قد تكررت ست [06] مرات بنسبة 7.89 % فقط و قد ركزت على قيم سطحية ، لكونها ليست هدفا مقصودا أمام المسعى الحقيقي لنصوص هذا الكتاب، لذلك نتساءل حول ما إذا عبرت النسب في جدول الأهداف على المضمون الحقيقي للرسالة التي يجب أن يؤديها الكتاب. و هذا لا يعني أن النصوص تؤثر سلبا على التلميذ و لكن يمكننا الإشارة إلى وجود نوع من الضغط و تحديد

[1] محمد عابد الجابري ، مواقف إضاءات و شهادات ، نفس المرجع ، ص 107

الأفكار و توجيهها حيث اهتمت النصوص أكثر بالشحذ السياسي دون المبالاة بالأهداف الأخرى التي تبقى نسبها الضعيفة متقاربة ، و هي أهداف عامة و متشابكة ن النصوص المختارة هي انتاج أشخاص معروفين في المجالات الفكرية و الأدبية الوطنية بتوجهاتهم الايديلوجية و السياسية ، و أنهم لم يقوموا بتأليفها من أجل تلاميذ في هذا السن كتدعيم لمسارهم التعليمي و التربوي ، لذلك علينا أن نشير إلى أن الأهداف التي ترمي إليها عينة النصوص هي نفسها الأهداف التي كان المؤلفون يسعون إلى تحقيقها إن على الصعيد الاجتماعي ، السياسي أو الايديلوجي.

28 الجدول الثامن و العشرون : يمثل الجول العام لتكرارات القيم و الأهداف منها و المستخرجة من مجموع الكتب لمختلف الأطوار:

القيمة	التكرار	النسبة %	الهدف من القيـــــــمة	التكرار	النسبة %
سياسية	206	40.23	الشحذ السياسي من خلال الدعوة إلى التحرر من الظلم السياسي بكل أبعاده	61	29.61
			الشحذ السياسي من خلال الدعوة إلى مواصلة النضال الهوياتي لمنطقة القبائل	46	22.33
			الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بالكيان السياسي القبائلي المتميز	32	15.53
			الشحذ السياسي من خلال الدعوة إلى تحرير المرأة من الظلم المسلط عليها	17	8.25

			الشحذ السياسي من خلال الدعوة إلى النضال للانتماء للأصل القبائلي	16	7.76
			الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بالكيان السياسي الأمازيغي المتميز	10	4.85
			الشحذ السياسي من خلال استحضار النظم السياسية في منطقة القبائل	7	3.39
			الشحذ السياسي من خلال الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الذي تم تزييفه	6	2.91
			الشحذ السياسي من خلال الدعوة إلى مواصلة النضال السياسي الأمازيغي القديم	5	2.42
			الشحذ السياسي من خلال معارضة الحرب مع المغرب و مناشدة السلام	4	1.94
			الشحذ السياسي من خلال تسمية الذئب باسم " امحند "	1	0.48
			الشحذ السياسي من خلال وصم العربي ب " إزيكر"	1	0.48
			المجمـــــــــــــوع	206	99.96

اجتماعية	168	32.81	الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل بكل أبعادها	51	30.35
			الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال المعاش اليومي	26	15.47
			الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال الانتماء لمؤسساتها الاجتماعية	19	11.30
			الانتماء للعرق القبائلي / الأمازيغي	16	9.52
			الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الشرف	14	8.33
			الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية الخاصة بها	11	6.54
			الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال الصناعات التقليدية الخاصة بها	09	5.35
			الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الثأر	08	4.76
			الانتماء لعادات منطقة القبائل	07	4.16

		الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الوفاء و نبذ الخيانة			
		الانتماء لجغرافيا بلاد الأمازيغ بكل أبعادها	04		2.38
		الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال التركيز على الفكر الذكوري السائد في المنطقة	03		1.78
		المجمـــــــــــــوع	168		
دينية	62	الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال الإقرار بوحدانية الله في ألوهيته و ربوبيته و صفاته	39	12.11	62.90
		الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال إجلال السادات و الأولياء و المرابطين	12		19.35
		الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال إجلال الجامع و الجمعة	04		6.45
		الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال الاستنصار بالمؤمنين ضد الظلم	03		4.83
		الانتماء للعادات الدينية	02		3.22

			القديمة لمنطقة القبائل من خلال ممارسة طقوس أنزار	01	1.61
			الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال استحضار قصص الأنبياء على غرار يوسف ، موسى ، أيوب	01	1.61
			الانتماء للعادات الدينية لمنطقة القبائل من خلال الاحتكام للشرع الإسلامي في الزواج و الطلاق	01	1.61
			المجمـــــــــــــوع	62	99.97
تاريخية	46	8.98	الانتماء لتاريخ منطقة القبائل بمختلف أبعاده	27	58.69
			الانتماء للتاريخ الأمازيغي بمختلف أبعاده	15	32.60
			الانتماء لتاريخ الجزائر بمختلف أبعاده	04	8.69
			المجمـــــــــــــوع	46	99.98
ثقافية	30	5.86	الانتماء للغة الأمازيغية / القبائلية	10	33.33
			الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل من خلال رمزية شخصياتها الثقافية	10	33.33

				الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل من خلال الحكايات المتداولة فيها	08	26.66
				الانتماء للموروث الثقافي/ الاجتماعي لمنطقة القبائل من خلال التقويم الفلاحي	01	3.33
				الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل من خلال أولوية الجدة في تسمية المولود الجديد	01	3.33
المجموع	512	99.99		المجمـــــــــــــوع	30	99.98

تحليل نتائج الجدول العام للقيم و الأهداف:

من الأهمية بمكان أن نذكر أن إدراج الأمازيغية في المدرسة قد تم التكفل به في شهر أكتوبر 1995 بعد عام من مقاطعة تلاميذ منطقة القبائل لمقاعد الدراسة ، و لقد " **تمّ فتح عدد من " الأقسام النموذجية " بست عشرة 16 ولاية .تلك أول مرة قامت فيها المدرسة الجزائرية بالتكفل بهذه المادة و بتوظيف نحو 200 من المعلمين باقتراح من المحافظة السامية للأمازيغية بعض هؤلاء المعلمين تخرّجوا من الجمعيات الثقافية الأمازيغية و البعض الآخر تمّ تحويلهم من مادتهم التعليمية الأصلية لتعليم اللغة الأمازيغية . و قد التحق بهذا السلك أيضا بعض الحاملين لشهادة الليسانس**".[1] تجدر الإشارة أيضا إلى أن برامج اللّغة الأمازيغية مخصّصة في آن واحد للناطقين بهذه اللّغة ولغير الناطقين بها بحجم ساعي لا يتعدى ثلاث ساعات في الأسبوع و لا يبدأها التلميذ إلا في السنة الرابعة من التعليم الابتدائي بعد ثلاث سنوات من التعامل مع اللغة العربية و سنتين من التعامل مع اللغة الفرنسية ، و هي موضوعة على أساس توجيهات وزارة التربية الوطنية الخاصة في إطار

[1] منهاج اللغة الأمازيغية السنة الثانية متوسط ص 47

تكفل الدولة الجزائرية بهذه المادة في المنظومة التربوية وفق " **البيداغوجيا الفارقية** " « ***pédagogie différenciée*** » .

و لقد أخذت الدولة الجزائرية احتياطاتها بما تمليه المرحلة الراهنة إذ " **أنّ إعداد برنامج للّغة الأمازيغية في المرحلة الراهنة، ينبغي أن يأخذ في الاعتبار 5 متغيرات لغوية على الأقل، وهي : القبائلية والشاوية والميزابية والشنوية والترقية. وفي الظروف الحالية اقتصرت المجموعة المتخصّصة لهذه المادة على تناول المتغيرات الأربعة الأولى لأسباب تعود إلى عدم توفر الأشخاص** "[1] . و نظرا للصعوبات التي يمليها الواقع ، و بهدف تسهيل تطبيق البرنامج جهويا فإن " **المضامين المعرفية يتمّ تحريرها بالأمازيغية، هناك جدول لمقارنة الأبجديات الثلاثة يقترح كملحق مع العلم بأنّ الأبجدية اللاتينية هي المعمول بها حاليا في الميدان** "[2]. و لكن سرعان ما نجد في برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الأولى متوسط أن " **اللغة المرجعية للبرنامج هي المتغير اللغوي القبائلي** "[3] و هذا ما يطرح انشغالات جَمّة لدى المناطق الأخرى ، إذ يتوجب على كل منطقة أن تكيف البرامج وفقا لمتغيرها اللغوي . و " **يُشَكّل تدريس اللغة الأمازيغية عاملا هاما للانسجام و تعزيز الوحدة الوطنية ... تساهم اللغة الأمازيغية في المدرسة في المهمة العامة لتربية المواطن** "[4] و من هنا يتجلى لنا الدور المنوط بها في تشكيل الفرد المنسجم مع قيم مجتمعه ، المتمسك بوحدة الوطن بالتركيز على قيمة المواطنة ، و هذا ما لمسناه في عدة فقرات من مختلف برامج اللغة الأمازيغية التي وقعت بين أيدينا لمختلف الأطوار التعليمية و بخاصة برامج الطور المتوسط و التي تركز في مجموعها على فكرة رئيسية و محورية و هي " **موازاة مع الإرادة في تطوير اللغة الأمازيغية ، فإن برامج الطور المتوسط يجعلون من تكوين المواطن في هذا المستوى ، الغاية العظمى** "[5] .و في محاولتها لتطوير اللغة الأمازيغية فإنهذه البرامج قد وضعت من بين انشغالاتها قضية إعادة إحياء تراث كافة الجزائريين في إطار نظرة شمولية واحدة و موحدة . لقد حاولنا أن نبني هذا الجدول الذي يلخص أو يختزل جميع جداول القيم التي رأيناها مع الأهداف التي ترمي إليها كل قيمة بحسب موقعها في النص و التي

[1] برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الرابعة ابتدائي ص 3

[2] برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الرابعة ابتدائي ص 4

[3] برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الأولى متوسط ص 7

[4] برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الأولى متوسط ص 8

[5] Document d'accompagnement du programme de la langue amazighe de la 4 eme année moyenne p 6

تخص كتاب اللغة الأمازيغية لكل المستويات التعليمية بدءا بمستوى السنة الرابعة ابتدائي نظرا لكون تدريس اللغة الأمازيغية لا يبدأ إلا في هذه السنة ، وصولا إلى مستوى السنة الثالثة ثانوي و هذا لتقريب الصورة و إيضاحها أكثر و تسهيل عملية الفهم للقارئ.

إذن انطلاقا من الجداول السابقة ، و انطلاقا من هدف البحث الذي ارتأيناه ، فإننا تمكنا من رصد خمسة قيم و هي تمثل الأبعاد الرئيسية للهوية و هي البعد الاجتماعي ، البعد الثقافي ، البعد التاريخي ، البعد الديني و أخيرا البعد السياسي أو الايديلوجي ، هذه الأبعاد التي من المفروض أن تتكرر بنسب متوازنة لا تفريط فيها و لا إفراط ، و ذلك بهدف ضمان بناء شخصية متزنة لدى التلاميذ تراعي التدرج المفاهيمي و الإدراكي لديهم كما تراعي مراحل نموهم السيكولوجي و الوجداني بهدف تحقيق الانسجام الاجتماعي المنشود و تعزيز جدار الوحدة الوطنية بتقوية التلاحم الثقافي و الاجتماعي و ذلك بصهر الفروق الاجتماعية و الثقافية لكافة أفراد المجتمع و هذا هو الهدف الأسمى الذي تسعى لتحقيقه المدرسة و الدور الرئيس الذي تضطلع به المؤسسة التربوية و التعليمية . من خلال تفحص القيم المبينة في الجدول أعلاه يتضح لنا أن الاتجاه العام للجدول قد غلب عليه الشحذ السياسي و ذلك بمائتين و ستة(**206**) تكرارات بنسبة **40.23%** و هي نسبة جد معتبرة، هذا في مقابل ثلاثين (**30**)تكرارا للقيم الثقافية بما يعادل نسبة **5.84 %** فقط من مجموع التكرارات التي بلغت خمس مائة و اثني عشرة **[12]** تكرارا، و هذا يعكس هذه المفارقة الكبيرة بين ما يجب أن تحمله الكتب المدرسية من قيم تربوية تساهم في ترسيخ الثقافة الوطنية لدى الناشئة و إعادة إحياء التراث الثقافي كما لاحظنا ذلك في مناهج اللغة الأمازيغية التي وضعتها وزارة التربية الوطنية و ضمنتها الأهداف الرئيسية لتعليم مادة اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية ، و لكن واقع تحليل النصوص التي تضمنتها الكتب قد بَيّن لنا أن الهدف الرئيس من هذه النصوص هو سياسي ايديلوجي بامتياز ، و هذا ما يوحي بانتقال الصراع الاجتماعي و السياسي بين النخب من فضاءات المجتمع السياسية و الثقافية إلى فضاء المنظومة التربوية نظرا للمكانة الحساسة و الاستراتيجية التي تحتلها المنظومة التربوية في نَمْذَجة و تشكيل مواطن المستقبل و بالتالي كان من الطبيعي أن تتسلل هذه الأفكار الايديلوجية عبر مقررات اللغة الأمازيغية في غفلة من السلطات العليا التي تملك تصورها الشامل للمواطن الذي يراد تنشئته وفق الاتجاهات العامة لنظام الحكم ككل، و هنا تكمن المفارقة بين ما ترمي إليه السياسة العامة للدولة و ما تتضمنه برامج

اللغة الأمازيغية في مختلف الأطوار التعليمية. و قد ركزت النصوص التي تضمنت هذه القيم السياسية على مجموعة من الأهداف الايديلوجية التي تندرج ضمن المنظور العام الذي يراد من خلاله تشكيل (***configuration***) هوية التلميذ و مواطن المستقبل وفق المنظور الثوري ، فنجد أن الشحذ السياسي الذي يهدف إلى الدعوة إلى التحرر من الظلم السياسي بكل أشكاله قد تصدر القائمة ب (**61**) تكرارا من أصل (**206**) و بنسبة **29.61%** ، ثميأتي الشحذ السياسي الذي يدعو إلى مواصلة النضال الهوياتي لمنطقة القبائل باستحضار نضال أهم رجالاتها المعروفين لدى ساكنة منطقة القبائل و ذلك ب (**46**) تكرارا و بنسبة **22.33%** ، في حين نجد أن الشحذ السياسي الذي يهدف إلى إبراز فكرة الكيان السياسي القبائلي المتميز قد ظهر (**32**) مرة أي بنسبة **15.53%**،بينما نجد أن الشحذ السياسي الذي يرمي إلى تحرير المرأة من جميع أنواع الظلم المسلط عليها قد تكرر (**17**) مرة بنسبة **8.25 %**. كما نجد أن الشحذ السياسي الذي يدعو إلى النضال للانتماء للأصل القبائلي قد تكرر (**16**) مرة بنسبة **7.76 %** ، بينما نجد أن الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بالكيان الأمازيغي المتميز منذ القدم قد ظهر (**10**) مرات بنسبة **4.85 %** ، ثم يأتي الشحذ السياسي من خلال استحضار النظم السياسية التي تميز منطقة القبائل عن باقي مناطق البلد ب (**7**) تكرارات أي بنسبة **3.39 %**مقابل (**6**) تكرارات و بنسبة **2.91%** للشحذ السياسي الذي يدعو إلى إعادة كتابة تاريخ الجزائر المزيف في نظر كاتبي النصوص ، ثم يأتي الشحذ السياسي باستحضار النضال السياسي للأمازيغ الأوائل كماسينيسا و يوغرطة ب (**5**) تكرارات بما يعادل **2.42 %** مقابل (**4**) تكرارات للشحذ السياسي الذي يدعو إلى رفض منطق الحر المفروض على الشعب مع المغرب و مناشدة السلام ، و في الأخير ظهر الشحذ السياسي من خلال ظهور تسمية الذئب باسم " امحند " و هو أحد مشتقات إسم " محمد " و ذلك مرة واحدة فقط و هذا له دلالته الرمزية في المخيال الجمعي للمنطقة من خلال رفض " العربي المتحايل" ، كما ورد الشحذ السياسي من خلال وصم العربي ب " إزيكر " و هو نوع من الازدراء للعربي مرة واحدة ، و نظرا لكون دراستنا كيفية فإننا لا نغفل أي تفصيل رغم وروده مرة واحدة فقط نظرا لما يحمله من حمولة ايديلوجية تؤسس لثقافة الحقد و نفي الآخر بدل أن تؤسس لثقافة الحوار و التسامح مع الآخر الذي يتقاسم معهم الوطن بآماله و آلامه .في حين نجد أن القيم التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل قد تكررت مائة و سبعين [

168] مرة بما يعادل نسبة **33.13 %** و هي نسبة مرتفعةأيضا إذا علمنا أن الاجتماعي في هذه الحالة يخدم أكثر التوجه الايديلوجي العام للنصوص و يغفل البعد الاجتماعي الذي يجب أن تتضمنه النصوص التربوية الموجهة للتلاميذ في الأطوار التعليمية المختلفة ، و التي تتعارض في كثير من الأحيان مع التوجه العام للسياسة التعليمية للدولة الجزائرية.و لقد تصدرت الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء إلى جغرافيا منطقة القبائل بكل أبعادها ب (**51**) تكرارا و بنسبة **30.35 %** مقابل **(26**) تكرارا و بنسبة **15.47 %** للأهداف التي تعزز الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال استحضار معاشها اليومي بكل مقوماته . بينما نجد الأهداف التي ترم إلى تعزيز الانتماء للمؤسسات الاجتماعية لمنطقة القبائل قد تكررت (**19**) مرة أي بنسبة **11.30%**مقابل (**16**) مرة و بنسبة **9.52 %**بالنسبة للأهداف الرامية لتعزيز الانتماء للعرق القبائلي الأمازيغي ، كما نجد الأهداف التي تروم تعزيز الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال التركيز على الاستماتة على الحفاظ على الشرف بكل أبعاده قد تكررت (**14**) مرة و بنسبة **8.33 %** و ذلك في مقابل (11) مرة و بنسبة **6.54%** للأهداف الرامية لتعزيز الانتماء للعادات الاجتماعية لمنطقة القبائل من خلال إبراز أهم الألعاب التقليدية التي تختص بها المنطقة نظرا لكون الطفل يتعلم مختلف الأدوار الاجتماعية من خلال اللعب مع الأقران مما يشكل شخصيته و هويته في آن واحد.كما ركزت هذه الأهداف على تعزيز الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الثأر كآلية للحفاظ على التواجد الاجتماعي و ضمان استمرارية النظام الاجتماعي و السياسي للمنطقة و ذلك (**08**) تكرارات مقابل (**07**)تكرارات لقيمة الوفاء و نبذ الخيانة و دلالتها الرمزية لدى ساكنة منطقة القبائل .و أخرا جاءت الأهداف الرامية لتعزيز الانتماء لجغرافيا الوطن الأمازيغي " ثامازغا " لتتكرر (**04**) مرات مقابل (**03**) مرات للأهداف التي ترمي إلى تعزيز الفكر الذكوري السائد في المنطقة كباقي مناطق الوطن الأخرى.

كما نجد أن القيم الدينية و التاريخية قد ظهرتا بصورة محتشمة بما لا يعكس البعد الحقيقي لما يلعبه الدين و التاريخ في صقل شخصية التلميذ في المجتمع الجزائري و في المنطقة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الوطن الجزائري ككل. فنجد أن القيم الدينية قد تكررت إثنتين و ستين **(62)** مرة بما يعادل نسبة **12.11 %** ، مقابل ستة و أربعين **[46]** بنسبة **8.98 %** للقيم التاريخية و هذه نسب ضعيفة جدا إذا ما قارناها بالقيم السياسية و

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأهداف العليا للبرامج التربوية التي من المفروض أن تركز على غرس و ترسيخ قيم تربوية أكثر من أي شيء آخر. فبخصوص القيم الدينيةتجدر الإشارة إلى أن كتاب السنة الثانية ثانوي هو الذي سجل أكبر عدد من التكرارات للقيم الدينية و بصورة ملفتة للانتباه و ذلك ب (27) تكرارا أما فيما عداه فكان ظهور القيم الدينية محتشما جدا.و لقد تصدرت الأهداف الرامية لتعزيز الانتماء للعادات الإسلامية لمنطقة القبائل من خلال الإقرار و التركيز على وحدانية الله في ألوهيته و ربوبيته و صفاته و ذلك ب (39) تكرارا بنسبة **62.90 %** من مجموع تكرارات القيم الدينية (62) ، مقابل (12) تكرارا للأهداف الرامية لتعزيز الانتماء للعادات الدينية الإسلامية لمنطقة القبائل من خلال إجلال السادات و الأولياء الصالحين و المرابطين في محاولة لتكريس الإسلام التقليدي الصوفي للمنطقة ربما في مقابل الصور الأخرى التي يراد تكريسها حديثا في المنطقة.

كما نجد محاولة للتركيز على رمزية الجامع و يوم الجمعة و الإجلال الذي يحظيان به لدى ساكنة منطقة القبائل و ذلك للحرمة التي يتمتع بها الجامع في المخيال الجمعي لديهم و في أدبياتهم بحيث أن المسجد يحوز على تقديس كبير لديهم ، فيكفي أن التعبير عن التَطَيُر بشيء ما يُعَبر عنه صاحبه بالقول " و كأني هدمت الجامع " ، أما بخصوص رمزية الجمعة فلكونه اليوم الأسبوعي الذي غالبا ما يجتمع سكان القرية لمطارحة مشاكل القرية المختلفة و الفض في النزاعات و الخصومات سواء داخل الجامع أو أمامه . بينما نجد الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للقيم الدينية الإسلامية بالتركيز على الاستنصار بالمؤمنين ضد الظلم و الظالمين فقد تكرر (03) مرات مقابل الأهداف التي ترمي إلى تعزيز الانتماء للعادات الدينية القديمة لمنطقة القبائل من خلال ممارسة طقوس الاستسقاء " آنزار " التي تكررت فقط مرتين (02) . في حين نجد أن الأهداف الرامية لتعزيز الانتماء للموروث الديني من خلال استحضار قصص الأنبياء على غرار يوسف ، موسى و أيوب قد ظهرت مرة واحدة و الجدير بالذكر أنه لم يرد إسم رسول الإسلام و لا مرة واحدة . كما تمت الإشارة إلى الاحتكام إلى الشرع الإسلامي فيما يخص قضايا الزواج و الطلاق مرة واحدة كذلك، بينما المعاش الاجتماعي و الديني للمنطقة يركز على هذا التأصيل الشرعي كثيرا في قضايا المصاهرة ، فلا زال سكان المنطقة ف غالبيتهم العظمى يحتكمون إلى أحكام الشريعة الإسلامية في هذه القضية بالذات.

أما فيما يخص القيم التاريخية فلقد حاول أصحاب النصوص تكريس رؤية معينة في قراءتهم للتاريخ و ذلك من خلال التركيز على تعزيز الانتماء لتاريخ منطقة القبائل الحديث بكل أبعاده باستحضار تاريخ أهم شخصيات المنطقة و كذا أهم الأحداث التي شهدتها منطقة القبائل و ذلك ب (27) تكرارا مقابل (15) تكرارا لتعزيز الانتماء للتاريخ الأمازيغي القديم ،بينما جاء تعزيز الانتماء لتاريخ الجزائر ليتكرر (04) مرات فقط ، و هذا ما يكرس الفكرة التي نادت بها الحركة الثقافية البربرية في مؤتمر " إعكوران " و المتمثلة في المطالبة بإعادة قراءة التاريخ و صياغته بطريقة أكثر موضوعية بعيدا عن كل أشكال المصادرة و التزييف .

أما بخصوص القيم الثقافية فلقد جاءت سطحية جدا و لم تتعمق في الموروث الثقافي الغني الذي تزخر به منطقة القبائل إذا علمنا أن أهم المقومات التي حافظت على وجود و تماسك و صمود هذه المنطقة في وجه التاريخ هو خصوصيتها الثقافية.إلا أن أصحاب النصوص - ربما لتعارض الموروث الثقافي الشعبي الخام و المتداول بين الأفراد البسطاء لساكنة منطقة القبائل - مع مشروعهم الثقافي قد آثروا عدم الغوص في و الحفر في الثقافة الشعبية التي تزخر بها المنطقة و هذا في مفارقة كبيرة تضع الثقافة التقليدية في وجه الثقافة النخبوية لمثقفي الطليعة في منطقة القبائل.

و لقد جاءت الأهداف الرامية لتعزيز الانتماء للغة الأمازيغية / القبائلية مناصفة مع تلك التي ترمي لتعزيز الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار رمزية شخصياتها الثقافية المشهورة ، و ذلك ب (10) تكرارات لكل واحدة منهما ، في مقابل (08) تكرارات لتلك التي تهدف لتعزيز الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل من خلال استحضار الحكايات المتداولة فيها من طرف العجائز و الجدات خاصة ، و إشارة واحدة فقط لتبني منطقة القبائل للتقويم الفلاحي الذي لم يعد قائما في أيامنا هذه و الذي تم تحويله إلى وهم مؤسس باستحضار التاريخ و شخصية تاريخية هامة في تاريخ البربر و هي شخصية " شاشناق" الذي أسس العائلة الثانية و العشرين في ملوك مصر و ما يمثله من شحنة رمزية لتعظيم الذات الجمعية ، و كذا الإشارة إلى تولي الجدة عادة تسمية المولود في البيت كنوع من ممارسة السلطة على كافة أفراد العائلة الممتدة آنذاك و التي انحصر دورها في السنوات الأخيرة و ذلك نظرا لانشطار العائلة الممتدة بفعل التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمعات الحديثة و ظهور العائلة النواتية بفعل ظهور التمدين و تقسيم

العمل ، و كذا انتشار العلم و العمل في الإدارات مما قلل من حاجة الفرد لعشيرته و عائلته لإثبات وجوده ، نظرا لتوفر فرص أخرى لتحقيق وجوده الفردي دون الحاجة لقرابته.

الاستنتاج العام :

من خلال المسح الشامل لمقررات كتاب اللغة الأمازيغية لمختلف الأطوار الدراسية ، ابتداءا من السنة الرابعة ابتدائي و انتهاءا بالسنة الثالثة ثانوي ، تمكنا من رصد مجموعة من الملاحظات التي تساهم في بلورة نظرة شاملة حول عملية تدريس اللغة الأمازيغية بكل حيثياتها . و لعله من الجدير بالذكر أننا قدخلصنا إلى استنتاجات تجيب على معظم الأسئلة التي تضمنتها إشكالية بحثنا و أخرى لم تكن مدرجة ضمن تساؤلات البحث ، و هذا في نظرنا، في حد ذاته نوع من الإثراء للدراسة ككل .

1. إن الملاحظة الأولى التي تتبادر إلى الذهن من أول وهلة هي كون تعليم اللغة الأمازيغية ينطلق في السنة الرابعة ابتدائي ، بعد اللغة العربية بثلاث سنوات و الفرنسية بسنة ، و هذا ما يطرح تساؤلا جوهريا حول المكانة الحقيقية التي تحتلها هذه اللغة و الهدف من تدريسها . و هو من المنظور البيداغوجي يطرح إشكالا موضوعيا ، إذ أنه كان ينبغي أن يبدأ تعليمها في الأقسام التحضيرية بدل تأخيرها إلى السنة الرابعة إبتدائي ، و ذلك نظرا لكونها اللغة الأم للناطقين بها في المقام الأول ، علما أن ارتباطهم العاطفي بهذه اللغة الأم يكون أقوى من أي ارتباط لأية لغة يتعلمونها بعدها ،" كونها تشكل الوسط الطبيعي الأول للتعبير عن الانفعالات الصادقة و العواطف و المشاعر لأفراد المجتمع الواحد و لا يمكن أن تقوم لغة أخرى بهذا الدور النفسي مكانها[1]، كما " أن تعلم لغة الأم ضرورة اجتماعية و تربوية ، و ذلك نظرا لكون المتعلم بلغة الأم أكثر استيعابا من المتعلم بغيرها ، و الاستيعاب يساعد على التمثُل ، و تمثُل المعرفة هو السبيل إلى الابتكار و الإبداع "[2].و في المقام الثاني لإتمام المصالحة مع الذات و مع التاريخ و الهوية التي تبنتها الدولة في مبادرتها بدسترة اللغة الأمازيغية لغة وطنية و رسمية مساهمة منها للتكفل بملف الأمازيغية بصفة رسمية بعيدة عن التجاذبات السياسيوية و الايديولوجية ، و ذلك لتعزيز جدار الوحدة الوطنية و حماية

[1] أحمد بن نعمان، **هل نحن أمة** ، ط1، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 1997 ، ص 34

[2] مريم الدمناتي ، " التلعليم و لغة الأم ، مقدمات الأمازيغية : تحديات و رهانات انبعاث " **المجلة المغاربية للكتاب** ، العدد 27 ، صيف 2003 ، ص 91

البلد من أخطار التفتيت على أساس عرقي أو ثقافي و هذا نظرا لكون " الحياة الحقيقية لأية أمة هي أولا الاستمرارية ، الوعي و التكفل بعد ذلك بكل مكوناتها "[1]

2. لاحظنا من حيث الشكل ، أن كتاب اللغة الأمازيغية قد اعتمد الكتابة بثلاثة أحرف ، بالحرف اللاتيني ، الحرف العربي و التيفيناغ و هذا و إن كان مقبولا في السنوات الأولى من بدئ تعليم اللغة الأمازيغية ، إلا أنه لا ينبغي أن يستمر العمل به بهذا الشكل ، لأن ذلك يمكن أن يكون له عواقب سلبية على العملية « **processus** » ككل . فمن حيث التكلفة يكون الكتاب أكثر تكلفة بثلاث مرات منه إذا ما كانت الكتابة بحرف واحد. ثانيا هذا التعدد في الكتابة يعطي صورة أو إنطباعا بأن هذه اللغة تفتقر لمقومات اللغة الأصيلة المستقلة بذاتها ، بينما هي لغة أصيلة و متجذرة في عمق التاريخ. كما أن استمرار هذا الوضع سيكرس الانقسام بين مختلف المناطق التي ينتشر فيها تعليم الأمازيغية ، فمنطقة القبائل تبنت الحرف اللاتيني و الشاوية و بني مزاب الحرف العربي و التوارڤ التيفيناغ عوض السعي إلى التأحيد و حفظ هوية الحرف الأمازيغي.

3. لاحظنا كذلك من خلال مسحنا لكافة النصوص الواردة في الكتاب المدرسي لمادة اللغة الأمازيغية أن غالبية النصوص جاءت بالمتغير اللغوي أو اللهجي القبائلي و هذا من شأنه أن يخلق نوعا من المقاومة لدى الناطقين بالمتغيرات اللهجية الأخرى، مما يخلق مشكلات جديدة تكون الأمازيغية هي الضحية الوحيدة في كل ذلك إذ هي في غنى عنها ، هذا الوضع و إن كان يمكن تقبله و تفهمه نظرا لكون جل الناشطين و الباحثين في الأمازيغية ينحدرون من منطقة القبائل و بالتالي كل الدراسات تقريبا كانت من هذه المنطقة و باللغة الفرنسية ، إلا أن التأحيد اللغوي و السعي نحو لغة أمازيغية معيارية لا يمكن اجتنابه إذا أُريد لها أن تستمر بكل المقومات البيداغوجية المتعارف عليها و ذلك لتفادي السقوط في مغبة **" الشرعية التاريخية "** لفرض منطق الأسبقية النضالية في مسألة هي ملك للمجتمع الجزائري ككل دولةً و شعبًا بكل مقوماته.

4. من الناحية البيداغوجية البحتة ، لاحظنا أنه لم يتم التنويع في وسائل الإيضاح البيداغوجية المختلفة كالصور و ما شابه ، كما أننا لاحظنا ورود كمٍّ هائل من الألفاظ غير المتداولة و المستحدثة « **néologismes** » دون أن يتم شرحها للتلميذ ، و هذا قد يُفسَّر بتَعدُّد مؤلفي الكتاب الواحد مما يجعل من الوحدة و التناسق في المفردات أمرا صعب

[1] عبد الوهاب الإدريسي ،" تعليم الطب بلغة الأم [التجربة السودانية] " ، **مجلة اللسان العربي** ، العدد 43 ، شركة بابل ، الرباط ، المغرب ، 1997، ص 97

المنال ، إذ أن كل واحد منهم قد وظَّف معجمه الخاص به و بمنطقته التي ينتمي إليها، و هذا ما من شأنه أن يصعب من عملية التعاطي مع هذه اللغة ، و يعطي الانطباع بالاغتراب تجاهها من طرف الناطقين بها مما يخلق نوعا من التوجس النفسي حيالها و هذا ما يكرس تعليمها كلغة أجنبية و ليس كلغة أولى أو كلغة الأم .

5. لاحظنا عدم التدرج في اختيار النصوص من السهل إلى الصعب و من البسيط إلى المركب في مختلف الأطوار التعليمية ، إذ لاحظنا تذبذبا و تخبطا لدى أصحاب هذه النصوص دون مراعاة النمو المعرفي و الإدراكي للتلميذ ، فوجدنا نصوصا في المستوى الابتدائي أكثر صعوبة من نصوص في المستوى الثانوي ، و نصوصا في بداية الكتاب أصعب من نصوص في نهايته ، و هذا قد يشكل عائقا في العملية التعليمية / التعلمية للتلميذ، و لم نقم بجردها نظرا لكون ذلك لا يندرج ضمن هدف الدراسة .

6. مما يؤخذ على هذا الكتاب أيضا ، هو عند استعراضه للتقاليد الاجتماعية و الثقافية و كذا الحِرَف التقليدية و اليديوية التي تزخر بها الثقافة الأمازيغية ، نجده قد اكتفى بسرد النصوص التي تتضمن هذه الأفكار فقط دون التأكيد على تشجيع التلميذ على احترامها و المساهمة في تطويرها و تجسيدها في بيئته و على أرض الواقع.فاكتفوا بعرضها كنصوص أدبية يتعاطى من خلالها التلميذ مع موروثه الثقافي و الاجتماعي كمادة أدبية لا غير.أما من حيث القيم الهوياتية التي ركزت النصوص المتضمنة في الكتاب المدرسي للغة الأمازيغية فقد اقتصرت على خمسة قيم تمثل الهوية في أبعادها الثقافية و الاجتماعية و الدينية و التاريخية و السياسية . و لقد كانت الغلبة للبعد السياسي بصورة لافتة للانتباه ، و هذا يمكن تفسيره أنه في قرار إدراج تعليم اللغة الأمازيغية كان تتويجا لنضال سياسي طويل ، كان آخره ما عرف ب " مقاطعة المحفظة " لمدة سنة كاملة في مدارس منطقة القبائل كاملة ، و في ظل التسرع الذي شاب العملية فإن القائمين على العملية قد اصطدموا بواقع يفرض عليهم مجموعة من الحتميات ، من بينها أن المنتوج الأكاديمي حول الثقافة و اللغة الأمازيغية كان شحيحا جدا ، و القليل الذي وُجد كان باللغة الفرنسية ، بينما معظم الكتابات حول اللغة و الثقافة الأمازيغية كانت تندرج ضمن ما يمكن تسميته" الكتابات المناضلة " و هي كتابات مشحونة بحمولة سياسوية و ايديلوجية يمليها السياق العام السوسيو ثقافي و السوسيوسياسي لتلك الفترة من تاريخ الجزائر، إذ كانت المطالبة الهوياتية في المنطقة قد استثمرت جهودها في عدة مجالات منها الكتابة في المجلات و الصحف ،

الاستعانة بالمسرح و الأغنية الملتزمة و خاصة في الحرم الجامعي ، و ذلك بهدف استنهاض الضمير الجمعي و استحضار الذاكرة الجماعية للمنطقة و حشد أكبر عدد من الجماهير لنصرة القضية الثقافية الأمازيغية. فمن خلال المسرح نجد أن الحركة المطالباتية الثقافية قد أدركت مدى تأثير المسرح على تشكيل الضمير الجمعي عملا بالمقولة المشهورة " أعطني مسرحا أعطيك شعبا عظيما " وفق منظور يساري تحرري فكان التركيز على أعمال" كاتب ياسين " كمسرحية " محمد خذ حقيبتك " ، أو الترجمات العديدة « adaptations » التي قام بها " موحيا " و هي في مجملها تصب في بوتقة الأدب التحرري . و كذلك الأغنية الملتزمة التي انتشرت آنذاك على يد مجموعة من الفنانين الذين كرسوا التمايز و الاختلاف الثقافي من خلال تبني مقامات و طبوع موسيقية غربية بحتة تقصي ما يعرف ب " ربع النغمة " « quart de temps »الذي تتميز به الموسيقى العربية ، و هذا باستثناء الفنانين "لونيس آيت منڤلات " و " شريف خدام " و هذا في محاولة للتأسيس لفن مختلف و مغاير شكلا و مضمونا لما هو سائد في " الحقل الفني " الجزائري و حتى القبائلي . و بالتالي عندما قامت الدولة بهذه الخطوة الجريئة نحو المصالحة مع الذات و الهوية و التاريخ بالتكفل بإدراج اللغة الأمازيغية لأول مرة في المنظومة التربوية الجزائرية ، فإن القائمين على تسطير البرامج لم يجدوا أمامهم سوى هذا التراكم الأدبي و الفني الذي كان منتشرا آنذاك لينهلوا منه و الاستعانة بمجموعة من النشطاء في الحركة الثقافية البربرية لتأطير العملية بكل ما تحمله العملية من تحديات . فكانت الفرصة سانحة لهؤلاء النشطاء للانتقال من المطالبة السياسية الثقافية في الحقول الاجتماعية و الثقافية و السياسية غير الرسمية إلى الحقل التربوي الرسمي باعتبار أن المدرسة هي من بين الأجهزة الايديلوجية للدولة و الانتقال من المناورة و المعارضة من الخارج و على هوامش السلطة إلى المعارضة من داخلها و عبر أخطر جهاز لتشكيل و تنميط البنيات الفكرية للأفراد . و لقد ظهر هذا جليا في مضامين النصوص التي تناولناها إذ ركزت في نظرنا على محاور ثلاث : * الشحذ السياسي للتحرر من كل مظاهر القهر و الاستعباد السياسي أيا كان مصدره و ذلك بالتركيز بصورة ملحة على استقلالية و حرية منطقة القبائل منذ القدم ،* الشحذ السياسي من أجل قيم المواطنة ، و هنا نطرح إشكال مدى توافق هذا الطرح مع المخيال السوسيولوجي لساكنة منطقة القبائل أو بالأحرى إشكالية الهوية النخبوية المنشودة أو المفترضة و الهوية الشعبية المعاشة ، * ثم الشحذ السياسي من أجل تحرير المرأة و هنا أيضا يطرح إشكال الصراع

بين ما هو كائن في المعاش اليومي و في الضمير الجمعي لساكنة منطقة القبائل و كذا باقي مكونات البعد الأمازيغي تجاه قضية المرأة و ما يراد التأسيس له من خلال هذا المشروع النخبوي السياسوي الذي هو باختصار مشروع المجتمع لما يعرف بالتيار الديمقراطي اللائكي الذي أخذ على عاتقه الدفاع و النضال في سبيل القضية الأمازيغية و الذي يندرج ضمن الاتجاه الثوري التحرري اليساري .و هذا كله يندرج ضمن مسعى شامل للتوعية و التحرير « conscientisation – libération» من خلال المدرسة التي دخلت معترك التجاذبات السياسية و الايديلوجية بالمهمة الحساسة التي تضطلع عليها و هي التربية لتحسيس التلاميذ كي يصبحوا فاعلين اجتماعيين بغرض بناء المجتمع الديمقراطي المنشود ، لأن المدرسة هي الوعاء الذي يتم من خلاله فرض القيم المعيارية للمجتمع و تكريس هيمنة الثقافة الرسمية على الثقافة الشعبية و سيطرة **طبقة القاهرين الذين يمسكون بمقاليد السلطة، على طبقة المقهورين الذين يرضخون لها وحتى أنهم يساهمون في ديمومة مجتمع القهر من دون وعي منهم** . فالتربية وحدها هي السبيل الوحيد للتحرر على المدى الطويل و القضاء على " ثقافة الصمت " التي تسود في مجتمعات القهر ، و هي وحدها الكفيلة بالقضاء على الصراعات الاجتماعية و الثقافية و تحقيق العيش المشترك بين مختلف مكونات المجتمع نظرا لكون " التربية لا تشكل المجتمع و إنما المجتمع هو الذي يشكل التربية وفقا لمصالح أولائك الذين يمسكون بزمام السلطة فيه "[1]. و بالتالي وجب التحرير عملا بمقولة الروائي و المربي الروسي " تولستوي "" إن الحرية شرط كل تعليم حقيقي " ، و كل هذا باستحضار مفاهيم و أبعاد النظرية النقدية في التربية التي تؤمن بأن العالم يمكن تغييره و إعادة ابتكاره من جديد بواسطة التربية النقدية « la pédagogie critique» التي تسعى للثورة على القهر و بناء " أفراد فاعلين " ، فالقول أننا قد أدركنا " نهاية التاريخ " و أن زمن التناقضات و النزاعات و الايديلوجيات قد ولى ، هو قول يُجانب الصحة لأن العلم وسيلة للهيمنة و التضليل الثقافي ، و في هذا يقول المناضل و المفكر التربوي «باولو فريري»: «إن قرار تعليم الشعب القراءة والكتابة هو نفسه قرار سياسي. ومهما يحدث فإنه يجب علينا أن نحذر من التلميحات التي تقال بذكاء أحياناً وخبث أحياناً لإقناعنا بأن تعليم القراءة والكتابة عمل فني محض ولا يجوز خلطه

[1] علي، د. سعيد اسماعيل، **فلسفات تربوية معاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، 1995، العدد198، ص165.

بالسياسة. ذلك أن تعليم القراءة والكتابة لا يمكن أن يكون عملاً حياديًا. فكل ضرب من التعليم يقتضي بطبيعته أن يكون له قصد سياسي »[1] . و بالتالي فالتعليم عملية سياسية كما أن السياسة عملية تربوية، و لا يوجد أبدا تعليم محايد فهو إما للتحرير وإما للقهر.و تحاول هذه النصوص أن تنشئ مواطنا تحرريا وفق المنظور اليساري الذي يرفض كل أشكال السلطة، عملا بالشعار الرائج في ستينيات القرن الماضي، الذي ينادي برفض أي تحجيم أو تقييد للحرية و القائل " المنع ممنوع " « Il est interdit d'interdire » و يرفض كل وضعية لم يشارك في صياغتها، كما يرفض أن تفرض عليه ، في محاولة بناء فكر ناقد تحرري بدل الفكر الخاضع للسلطة ، و التأسيس لوعي إبداعي عوض الوعي الموغل في التقليد و هذا ما يطرح إشكالية الصراع بين الحداثة و الأصالة فيما يخص مسألة الهوية الأمازيغية المنشودة أو التي يراد الترويج لها في تصور أصحاب هذه النصوص و الهوية الأمازيغية الموضوعية التي تتجلى في المعاش اليومي لعامة المجتمع ، بكل تشعباتها و تفرعاتها و مناهلها .و لكن هنا نلاحظ أن هنالك عملا لبناء "مجتمع- مضاد " -contre « sociétéمغلق على نفسه يتبني منظومة معيارية مغايرة أو حتى في قطيعة مع المنظومة المعيارية للمجتمع الجزائري ككل في محاولة لبناء هوية بديلة تكون الملجأ. و كل هذا يأتي في خضم النضال الحقوقي الديمقراطي الشامل الذي تُمثل فيه القضية الأمازيغية رأس الحربة للعملية المطالباتية و المجابهاتية مع السلطة الحاكمة، إذ من البديهي أنه من الحقوق الأساسية للإنسان أن يمارس انتماءه الحضاري و التاريخي و اللغوي ، و يعيشه في مجتمعه و وطنه دون أدنى حرج أو حيف ، و أن يمارس حياته الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية دون أدنى تمييز بين مختلف مكونات المجتمع ، و هذا كله لتعزيز الانتماء للوطن الواحد ، و القضاء على الإحساس بالمظلومية الهوياتية و القهر الثقافي و ثقافة الاستلاب المفروضة في ظل العدالة الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي تضمنها الدولة العادلة لكافة مواطنيها دون تمييز.إذن يمكننا القول أن النصوص المتضمنة في كتاب اللغة الأمازيغية لكافة الأطوار التعليمية قد ركزت في المقام الأول على تحرير الفرد من القهر بكل أشكاله بهدف إنشاء مواطن الغد وفق المنظور التقدمي و ذلك لإحداث التغير الاجتماعي المنشود و ذلك لكون التربية ركيزة من ركائز التحرير الاجتماعي و التغيير الجذري ،

[1]http://almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=408&Model=M&SubModel=148&ID=1905&ShowAll=On

و كل هذا بهدف بناء وعي جمعي صحيح يقضي على القهر الثقافي بطرح موضوع غاية في الأهمية ألا و هو قضية الهوية الأمازيغية لأنهمن " اخطر وسائل القهر الثقافي هو ما يقوم به بعض المتخصصين الذين يركزون فكرهم في قضايا جانبية وجزئية يحجبون بها الناس عن رؤية الواقع في صورته الشاملة". [1]

7. استنتجنا من خلال القيم التي تم استخلاصها من النصوص و كذا من الأهداف التي ترمي إليها هذه القيم ، أن هذه النصوص تصب جميعها في اتجاه واحد ، قد تجلى واضحا في مختلف الجداول التي بنيناها ، أن هنالك تركيزا مفرطا على تعزيز الانتماء لمنطقة القبائل إن سياسيا ، اجتماعيا ، دينيا ، تاريخيا أو ثقافيا. فلقد جاءت القيم السياسية لتركز بصورة لافتة للانتباه على الشحذ السياسي من خلال الإيحاء بالكيان السياسي القبائلي المتميز ، الدعوة إلى مواصلة النضال الهوياتي لمنطقة القبائل ، الدعوة إلى النضال للانتماء للأصل القبائلي و استحضار النظم السياسية في منطقة القبائل و هذا بما مجموعه (101) تكرارا من أصل (206) مجموع تكرارات القيم السياسية . بينما جاءت القيم الاجتماعية لتركز بدورها على تعزيز الانتماء لجغرافيا منطقة القبائل بكل أبعادها باستحضار أسماء قراها و مدنها و كذا شخصياتها المشهورة ، الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال المعاش اليومي بما فيها الأكلات التقليدية المشهورة فيها ، و هذا نظرا لكون نوعية الطبق و الطريقة التي يحضر بها و الطقوس التي يقدم بها للضيف تدخل في إطار هوية المنطقة ، الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال الانتماء لمؤسساتها الاجتماعية باستحضار نظام " ثاجماعث " و العلاقة الدموية العائلية ، الانتماء للعرق القبائلي / الأمازيغي ، الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال التركيز على قيمة الشرف و الثأر و الوفاء و أخيرا الانتماء لعادات منطقة القبائل الاجتماعية من خلال الألعاب التقليدية الخاصة بها و كذا الصناعات التقليدية الخاصة بها . أما القيم الدينية و أهدافها فقد جاءت تكرس المنظور النمطي المعروف عن المنطقة و الذي تم الترويج له من طرف البحاثة الفرنسيين و الذي مفاده أن المنطقة سطحية التدين و تميل إلى التدين الصوفي الزاهد و ذلك بالتركيز على توحيد الله في ألوهيته و ربوبيته و صفاته و كذا التركيز على ثقافة إجلال السادات و الأولياء الصالحين و

[1] فريري، باولو، تعليم المقهورين، ترجمة الدكتور يوسف نور عوض، دار القلم،1980، ص .106

المرابطين ، و المفارقة التي بدت لنا في هذه النصوص أنها لم تذكر نبي الإسلام و لا مرة واحدة بينما ذكرت النبي موسى ، يوسف و أيوب هذا ما يثير عدة تساؤلات ، هل هو مجرد صدفة ، أم هو محاولة لتكريس منطق " **جماع الإيمان** " التي يقسم بها ساكنة المنطقة في القديم و هي حمالة أوجه ، فهناك من يرى أن مفادها إجلال كل الأديان دون تمييز بين أحد منها و هذا في نظرنا مجانب للصحة ، إذ أن منطقة القبائل بقيت منذ القدم منعزلة و مغلوقة في وجه الغزاة فلم يستقروا بها إلا مع دخول الإسلام بواسطة المرابطين الذين أسسوا لتدين صوفي خاص و جاء بعد ذلك الفرنسيون الذين رغم استقرارهم في المنطقة إلا أنهم فشلوا في تنصير ساكنتها و هذا بشهادتهم ، و هناك من يرى أن مفادها جميع الأَيمان (جمع يمين) أي قسم بمعنى جميع ما يُقسم به بما في ذلك الله و الأولياء و السادات إلخ و هذا ما يذهب إليه نشطاء الحركة البربرية بينما معناها الأقرب في نظرنا هو " **جماعة الإيمان** "التي توحي إلى جماعة المرابطين الذين يحضرون في كل مرة لفك النزاعات و فض الخصومات و مباركة الأعمال المشتركة في القرية و ذلك لكونهم جماعات غريبة عن القرى القبائلية و معروفة أكثر بتدينها و انعزالها في زواياها في أول الأمر فتم وصمها ب " **جماعة الإيمان** "و الدليل على ذلك أنها عبارة مستعارة أو مقترضة من اللغة العربية و ليست كلمة قبائلية صرفة . أما القيم التاريخية و أهدافها فقد جاءت لتعزز الانتماء لتاريخ منطقة القبائل بكل أبعاده و ذلك بالتركيز على استحضار شخصيات محورية في تاريخ المنطقة كشخصية " عبان رمضان " و كريم بلقاسم و كذا أحداث قد طبعت تاريخ منطقة القبائل الحديث على غرار " مؤتمر الصومام " الذي يعتبر في نظر نشطاء الحركة الثقافية البربرية نقطة تحول لبناء تصور للدولة الجزائرية الحديثة في محاولة لطرح رؤية مغايرة و قراءة مختلفة " **لتاريخ الجزائر الذي تم تشويهه وفقا لهيمنة الايديلوجيا العربية-الاسلامية ، لأنه توجد إرادة على مستوى التأريخ الرسمي لحجب أو تشويه أحداث و شخصيات " عديدة " تحاول أن تعيد إعطاء الوطن حقيقته التاريخية "**[1] ، كمانجدهاركزت على تعزيز الانتماء للتاريخ الأمازيغي بكل أبعاده و لكن بمنسوب أقل ، بينما جاءت الإشارة إلى تاريخ الجزائر محتشمة بأربعة تكرارات فقط من أصل 46 تكرارا و هذا ما يكرس هذا التوجه لتعزيز الانتماء لتاريخ منطقة القبائل أولا و باستحضار تاريخها الحديث

[1] *Rapport de synthèse , séminaire de Yakouren du 1 er au 31 Aout 1980 , dossier culturel ,comité de défense des droits culturels en Algérie , c/o revue esprit , 19 rue Jacob 75006, Paris , p (7-8)*

ثم تعزيز الانتماء لها باستحضار التاريخ الأمازيغي القديم نظرا لكون المنطقة و تاريخها جزء لا يتجزأ من التاريخ الأمازيغي ككل . و نلاحظ هنا جليا الانتقائية في اختيار المواضيع التاريخية و ممارسة نوع من التقطيع « ***tronquage*** » في التعاطي مع تاريخ الجزائر إذ تم التركيز على الحقبة التاريخية ما قبل الإسلام و الصمت على الحقبة الإسلامية ثم القفز مباشرة إلى التاريخ الحديث و هذا في نظرنا كمحاولة لتكريس الصراع القائم بين الطرح الرسمي للتأريخ و الطرح الثقافوي المعارض . و يكفي هنا أن نشير إلى المكانة الرمزية للملكة الأمازيغية " ديهيا " أو الكاهنة كما سماها العرب الفاتحون ، و المكانة الرمزية لابنها " كسيلا " مقابل المكانة الرمزية للفاتح العربي " عقبة بن نافع " لكي يتبين لنا مدى الصراع في محاولة طرح انتقائي إقصائي لتاريخ الجزائر بدل الطرح التوافقي الذي يعترف بالسيرورة التاريخية للجزائر منذ فجر التاريخ و يتصالح مع الذات التاريخية للجزائر ، فلا يعتبر التاريخ الأمازيغي القديم حقبة جاهلية ، كما لا يعتبر الحقبة الإسلامية حقبة غزو و اعتداء على الأرض و سبي للنساء . أما بخصوص القيم الثقافية و أهدافها فجاءت محتشمة جدا بعكس ما كان متوقعا ، إذ ركزت على تعزيز الانتماء للغة القبائلية و الانتماء للموروث الثقافي لمنطقة القبائل من خلال رمزية شخصياتها الثقافية كمولود معمري و غيرهم ، و كذا تعزيز الانتماء للموروث الثقافي للمنطقة من خلال استحضار الحكايات المتداولة فيها أبا عن جد . و هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الثراء الثقافي الذي تزخر به الجزائر عامة و منطقة القبائل خاصة ، فإن التعاطي مع البعد الثقافي للهوية قد شابه نوع من القصور و ذلك في نظرنا يعود للصراع الخفي بين الثقافة الشعبية الحقيقية التي يعيشها الناس في أبسط ممارساتهم اليومية و بين الثقافة الرسمية التي تحاول الدولة فرضها عبر أجهزتها الإيديلوجية و بين الثقافة النخبوية البربرية التي تطرح رؤية مخالفة لكلتا الرؤيتين السابقتين ، و هذا ما يدل في نظرنا على عدم وجود تصور موحد للهوية الجزائرية بين مختلف الطروحات الرسمية و النخبوية . فرغم تأكيد ورقة أعمال ملتقى " إعكوران " التي أفضت إلى ميلاد " الحركة الثقافية البربرية MCB " على " **البحث على الهوية الجزائرية الحقيقية ، على الرغبة أو المطالبة بترقية لغات الأمة [الأمازيغية و العربية الجزائرية] ، و العطش للثقافة و الحق في حرية التعبير**"[1] ، و اعتبارها أن ثقافة الشعب

[1] *Rapport de synthèse , séminaire de Yakouren du 1 er au 31 Aout 1980 , dossier culturel ,comité de défense des droits culturels en Algérie , c/o revue esprit , 19 rue Jacob 75006, Paris , p (5)*

الجزائري قد تم خنقها و تم تبني ثقافة بديلة "وطنية عربية إسلامية " تعتمد على العصر الذهبي للإسلام ما أحدث قطيعة بين المثقف الجزائري و شعبه على اعتبار أن اللغة العربية الفصحى أو الكلاسيكية ليست لغة الأم لأي جزائري . و في هذا ، **"عوض أن تكون المدرسة امتدادا و نقطة تلقيح للوسط العائلي و لمحيط الطفولة الجزائرية ، أصبحت إطارا للقطيعة و الصراع "**[1] ، و في نظرنا هذا ما جعل أصحاب نصوص كتاب اللغة الأمازيغية يهملون البعد الثقافي رغم دوره الرئيس في تشكيل هوية التلميذ و هذا نظرا للصراع الحاد بين المطارحتين ، الرسمية منها و المعارضة ما يمثل خطرا على الانسجام الاجتماعي و الثقافي للمجتمع الجزائري بطرح مسألة التعدد الثقافي بدل التنوع الثقافي التبادلي « ***multiculturalisme et interculturalisme*** » .

8. لاحظنا من خلال كل ما سبق ، مدى توغل الايديلوجيا في هذه النصوص و ذلك من خلال التركيز على أولوية السياسي في تصور هوية التلميذ التي يراد بناؤها ، من خلال البعد النضالي من أجل التحرر و الديمقراطية و حقوق الإنسان و المرأة و تحقيق المواطنة ، و هذا ما من شأنه أن يساهم في تكريس هويات هلامية مصطنعة بعيدة عن الواقع . إذ كان من المفروض أن تشتمل نصوص كتاب اللغة الأمازيغية على قيم تربوية تركز على البعد الاجتماعي و الثقافي و الديني للهوية الجزائرية و التشجيع على تكريسها على أرض الواقع لدى الناشئة ، ضمن رؤية موضوعية تستلهم الواقع السوسيو ثقافي و تحاول استشراف المستقبل بالارتكاز على مكونات التاريخ و الاجتماع و الثقافة و الدين التي تشكل الشخصية الجزائرية بهدف تحقيق الانسجام و التناغم الاجتماعي . خاصة و أنه من بين مهام المدرسة الرئيسية هو القضاء على التمايزات المختلفة في المجتمع و تحقيق التوافق الاجتماعي . و هنا نلاحظ أن المدرسة عبر هذا الكتاب قد كُرست لأداء دور ايديلوجي محض و جُعلت مسرحا للصراع بدل النظام و التوافق . فوقعت رهينة للطرح الرسمي التأحيدي الذي أغفل جانبا هاما من مكونات الهوية الجزائرية و الطرح البربري الذي ألغى كذلك بعدا أو مكونا رئيسا في الهوية الجزائرية ، بينما كان حريا بأصحاب هذه النصوص أن يصوبوا الخطأ و يطرحوا رؤية أكثر واقعية و موضوعية و شمولية لمسألة الهوية و يتحاشوا الانفعالية أو ردود الفعل لأنه لا يمكن البناء الحضاري على ردود أفعال فالمتمرد أسير المنطق الذي يتمرد عليه و

[1] *Ibid p 10*

بالتالي لاحظنا أنه لا يوجد تصور موحد للهوية التي يراد ترسيخها لدى التلاميذ من خلال هذه المضامين للغة الأمازيغية .

9. لقد وردت في كتاب السنة الأولى متوسط صفحة 70 في نص لمولود فرعون ، عبارة " أمحند أوشان " أي أمحند الذئب ، فإذا علمنا أن الذئب في المخيال الشعبي القبائلي يرمز إلى الحيلة و الغدر و عدم الأمان و أن " أمحند" هو أحد مشتقات الإسم " محمد " فهذا يدفعنا للقول أن هذه العبارة حمَالة أوجه ، قد يكون الهدف من ورودها في هذا النص تكريس المنطق الذي يقول أن " العربي " الذي يشير إليه الإسم " أمحند " يجب الحذر منه و التوجس منه لأنه لا أمان له و لأنه يغش و يخدع الناس باسم الدعوة إلى الله ، و هذا في حد ذاته تكريس لمنطق الفرقة و تسخير المدرسة لتعميق هذه المعتقدات القديمة و إعادة إحيائها في غير مصلحة الانسجام الاجتماعي . لأن إعادة إيقاظ هكذا نماذج فكرية «***stéréotypes***»كفيل بزعزعة التوافق الاجتماعي بتغذية الصراع العرقي و الديني ، في حين كان يجب تهذيب هذه الأنماط الفكرية غير السليمة ، لأن أول مهمة للمدرسة هي التربية و التهذيب و التنقية و التقويم .

10. كما وردت عبارة " إزيكر" أي الشُرَّط في كتاب السنة الثانية ثانوي الصفحة 42 ، في إشارة إلى العربي الدخيل و بنظرة فيها الكثير من الازدراء و هي رغم ورودها مرة واحدة فقط ، إلا أننا لا يمكن أن نغفلها نظرا لكون دراستنا كيفية بالأساس، و ما استعانتنا بالتكرارات و النسب إلا للاستئناس . إذن قلنا هذه العبارة تحمل شحنة ازدرائية للعربي كجنس أجنبي و هي تنتمي إلى جيش من الأفكار الميتة و القاتلة في آن واحد، قد تُقَوِّض البنيان الاجتماعي ككل ، و ما كان ينبغي أبدا أن تتسلل هكذا أفكار و توجهات إلى المنظومة التربوية ، ما يدل على أن هنالك إشكالا كبيرا في الكيفية التي تم اختيار النصوص و هل الوزارة الوصية على علم بهذا ، أم أنها في ظل الضغوط السياسية قد تنازلت عن التكفل بالمناهج و البرامج و أوكلتها إلى من هم من غير ذوي الاختصاص فحدث المحضور ، لأنه لا يعقل أبدا أن نلقن أبناءنا هكذا توجهات ، و هذا إن دَلَّ على شيئ فإنما يدل على أن من اختاروا هذه النصوص يفكرون بمنطق محدود جدا لا يتعدى ربما فكر قريتهم متناسين بذلك أن هذه النصوص موجهة لتلاميذ المدرسة الجزائرية بكل أطيافه منهم القبائلي و الشاوي و المزابي و الترقي و العربي فكيف سيتم تلقي هكذا أفكار من طرف مختلف التلاميذ بحسب انتماءاتهم .

:

الخاتمة

لقد سمح لنا هذا البحث بإلقاء نظرة على قضية غايةٍ في المشاكلة و التعقيد ، عمَقنا فيها معلوماتنا بخصوص مجموعة من المفاهيم و الأحكام و صححنا فيها أخرى كنا لوقت قريب نعتبرها صحيحة بنوع من الوثوقية العمياء ، صححنا مفاهيم كانت خاطئة و رؤًى كانت من قبيل المسلمات فاتضح أنه لا شيء مسلم به . و لعل مطارحتنا لسؤال الهوية ليس من باب الترف الفكري و لا المغامرة المعرفية و إنما إيمانا منا أن سؤال الهوية من بين القضايا المحورية التي تؤرق البحاثة و المفكرين و لأن انعكاسات أزمتها ترهن مستقبل الأمة ككل ، و لأن عدم الفصل فيها يعني المزيد من التشنجات و التوترات الاجتماعية نحن في غنى عنها . لقد طُرح هذا السؤال بإلحاح في منطقة القبائل منذ عقود عدة لكونها المنطقة الوحيدة المهيكلة سياسيا و التي تملك رصيدا في ثقافة المناوءة و المناورة ، مما يعكس تشنجا فكريا و قلقا اجتماعيا و تراجعا فكريا و حضاريا في بناء المجتمع الحداثي . مما استدعى مراجعة التاريخ و الماضي في خضم واقع متأزم و مستقبل غير مضمون ، و ذلك لما يمثله التاريخ من عمق حضاري للمجتمع ، و نظرا لكون الهوية أيضا في تشكلها تستجيب لصيرورة زمكانية معينة ،إذ لا تستطيع أن تتشكل خارج التاريخ و الجغرافيا. و التأمل في التاريخ يُعتبر ضرورة لاستحضار الماضي و استلهام أمجاده، و ذلك لفهم الحاضر و استشراف المستقبل لأن من لا ماضي له لا مستقبل له،و من المفروض أن النخبة المثقفة هي التي تستشعر حركية التاريخ و تبتكر مفاهيم جديدة بعيدا عن التقوقع الدوغمائي ،و من هنا رأينا أن المهمة الرئيسية لنا كباحثين في علم الاجتماع و الانتروبولوجيا هي إنتاج خطاب عن الوضع المجتمعي الذي يعيشه المجتمع الجزائري في هذه الظروف التي تتسم بشكل عام بتأخر تاريخي و ذلك في مقاربة نقدية ترمي لبناء تصور فكري متراصن يمكن الاعتماد عليه لإعادة بناء المجتمع بعيدا عن الأدلجة و الوصم و الأحكام المسبقة. هذا المجتمع الذي يجب أن يعيد استحضار تاريخه و يخرجه من غياهب النسيان لأن نسيان التاريخ إشكال عميق يكرَس الانهزامية الحضارية كما قال المؤرخ اليوناني سيمونيدوس حين هزمت اليونان سبارتا:" لقد هزمناهم ليس حين غزوناهم و لكن حين أنسيناهم تاريخهم و حضارتهم "[1] .

[1] وسيم السيسي : قناة القاهرة و الناس ، حصة صباح الخير يا مصر ، الخميس 06 أكتوبر 2016 من الساعة 09 إلى الساعة الحادية عشر

الخاتمة

:

و لقد حاولنا خلال هذا البحث طرح إشكال ملتهب و هو إشكالية سؤال الهوية في الجزائر عامة و في منطقة القبائل بالخصوص ، فوجدنا أنها تقترن بمفاهيم عديدة تحكمها براديغمات معينة و حقول معرفية معينة انطلاقا من مفهوم الدولة إلى تصنيفات الدولة إلى بعض المفاهيم المحايثة لها كمفهوم الثقافة و المجتمع و الدين و الديمقراطية و المواطنة و هذا إشكال فكري و تاريخي يهم النخب بشكل خاص . فعندما نتكلم عن الدولة فنحن نرجع في التاريخ إلى مرجعيات متعددة و هي كلها متعلقة بالحداثة الأوروبية، فنحن نتحدث عن الدولة كشكل سياسي فلسفي عميق مع "طوماس هوبز" و هذا إشكال لا زال راهنا حين نتحدث عن الحداثة و التخلص من منطق القبيلة و الزاوية و الانقسامية فالدولة عنده حيوان سياسي أو آلة صناعية لبناء شخص سياسي دون أن نشخصن هذا الشخص كيفما كان، و عندنا تصنيف آخر هو المستوى التعاقدي الذي طرحه "روسو" الإرادة العامة في نهاية المطاف هي المجتمع المدني و السيادة الشعبية إلخ . و هناك نظرية "هيجل" في الدولة الذي يرى أن وظيفة الدولة هي الرعاية و هي ضرورة تاريخية مبنية على تجاوز ما يسمى الانقسامية و تجاوز الصراعات الاثنية و الفئات و الطبقات و التحول إلى روح الأمة في كتابه " مبادئ فلسفة القانون " « ***les principes dela philosophie du droit*** » حيث طرح فكرة أن الدولة تنظر إلى روح الأمة و ليس إلى الانقسامات ، أما "ماكس فيبر" فطرح فكرة الدولة العقلانية البيروقراطية بالمعنى الايجابي مع أحقية العنف المشروع المبني على أخلاقيات و على دولة القانون(الدولة و العنف) التي طرحها ماركس، و الدولة الحديثة هي الدولة التي يقتضي وجودها احتكار كل وسائل القوة بما في ذلك القوة الرمزية و لعل أكبر مصدر من مصادر القوة الرمزية هو الدين الذي يمثل محورا لنزاع المشروعيات بين الدين و الدولة . و لاحظنا أن المجتمع المدني لا يقابل الدين لأن هناك منافسا للدين على الدولة و هي العلمانية لأن فاعلية العلمانية إما أن تكون سياسية كمساهِمة في الحكم أو بالمجتمع المدني كمعدِّلة للحكم. أما ما يقابل الدين فليس المجتمع المدني لأن هذا الأخير يحولنا إلى المدنية نسبةً إلى المدينة في حين أن ما يقابل الدين هو المجتمع الأهلي أو المحلي نسبة إلى سكان الدولة أو أهلها ، و نفي الدين عن الدولة يستلزم نفي المجتمع الأهلي و

:

تعويضه بالمجتمع المدني و أن يكون لهذا الأخير مرجعية علمانية عوض المرجعية الدينية إذن المرجعية الدينية أداة فاعليتها هي المجتمع الأهلي أما المرجعية العلمانية فأداة فاعليتها المجتمع المدني. و حينما حاولت العلمانية الحلول مكان الدين و استبدال المجتمع الأهلي بالمجتمع المدني فقد هذا الأخير خصوصية المجتمع الأهلي و عناصر قوته التي تمكن المواطن من الحرية و موارد عيشه فأصبح المجتمع المدني مطلبيا فقط لا يسهم لا في الإنتاج المادي و لا المعنوي الرمزي و اقتصر على المطالبة الحقوقية الاجتماعية النقابية و الحقوق السياسية . و المجتمع الأهلي لا يعترف بالمجتمع المدني خاصة في الرموز المقدسة و هو أحد تجليات صراع الحضارات الداخلي بين المرجعية الدينية و المرجعية العلمانية داخل المجتمع الواحد . فكما عرفه " هيجل " فالمجتمع المدني هو ميدان الصراع حول المصالح الاقتصادية أو القيم المعنوية الرمزية و هو بالضرورة ناتج عن الصراع الطبقي و المصالح في حين أن المجتمع الأهلي ليس مبنيا على صراع المصالح و لا على الصراع القيمي بل على وحدة المرجعية و على التضامن و في موضوع بحثنا لاحظنا هذا التناقض بين الصورة النمطية التي يراد إلصاقها بالمجتمع القبائلي كمجتمع مدني حداثي يصوغ نظامه الفكري و القيمي وفق المنظور الحداثي و واقعه الأهلي الذي لا زال الدين يمثل مصدرا رئيسا لتشكيل البنى الفكرية لعامة المواطنين بخلاف النظرة النخبوية التي يراد التسويق لها. و من المعلوم أن بوادر ما يعرف فيما بعد بالدولة الوطنية أو الدولة-الأمة قد ظهرت في منتصف خمسينيات القرن الماضي (الدولة ما بعد استعمارية) و من بينها دولة الجزائر و التي تشكلت على مقاس التقسيم الغربي التي وردت في معاهدة سايكس بيكو و هذا يمثل إشكالا يتمثل في كون الدولة ما بعد استعمارية أو هذا الكيان الدولوي بُنى على أساس إختزال الآخر حيث أنها لم تأخذ بعين الاعتبار وجود تعدد إثني لغوي ديني مذهبي و طبقي . بينما كان من المفروض على التشكل الوطني أثناء إنشاء الدولة أن يأخذ بعين الاعتبار هذا التنوع الإثني و العرقي و الديني و اللغوي و الثقافي و اللغوي إلخ. فالدولة أعلنت أنها مسلمة بفكرة سنية و قامت بنوع من الاختزال الاجتماعي كما أن هذه الدولة ما بعد استعمارية استحدثت ايديلوجيا وطنية لكي تحسم في تلك الإشكالات التي يطرحها التشكل الثقافي الوطني. بمعنى

:

أن هذه الدولة بمحدوديتها القطرية قدَّمت نفسها على أنها امتداد لمسار من البناء الوطني الذي يمكن العودة فيه إلى ما قبل الاستعمار وفق بناءات ايديلوجية تُلَمِّع فترات من تاريخ الأمة و تتغاضى عن أخرى مما يجعلها تصطدم بحقائق الواقع السوسيولوجي . و لقد تبنت الدولة الجزائرية ما بعد استعمارية مشروعا تحديثيا أفرز عدم التطابق بين التشكل الوطني الثقافي و بين بناء الدولة مما جعل أن المطالب الاجتماعية للحركة البربرية تكون مطالب احتجاجية و في نفس الوقت مطلبية ، احتجاجية على هدر الكرامة الشخصية و الجماعية للناس و منه النيل من شرعية الدولة . و لقدجاءت الدولة ما بعد الكولونيالية لتتجاوز البنى ما تحت الدولة (القبيلة العائلة و العرش و الجهة) و هي أطر الانتساب الأولية التي تتحول إلى محرك في وجه عدم وفاء الدولة بتحقيق العدالة الاجتماعية لتعيد ترسيخ هذه التشكلات القبلية ما دون الدولة ، مما فجر قضية السؤال الهوياتي في منطقة القبائل بعد مسار تاريخي طويل كان للآلة الاستعمارية الدور المحوري في بلورة خطوط هذا المشروع و ذلك عبر السياسة الاستعمارية التي انتهجها لإحكام السيطرة على الجزائر ، و استثمر في المدرسة لتفكيك البنى الذهنية التقليدية للقبائل و تخريج نخبة مثقفة و مشبعة بالثقافة الفرنسية و الغربية و متمثلة لقيمها التقدمية و التحررية و ملتفتة إلى تاريخها و هويتها المتمايزة عن اللهوية التي أريدت للدولة الجزائرية المستقلة.هذه الدولة التي تبنت سياسة كان ينبغي أن تكون ضمن سياقات الحركات الاجتماعية و التي تتخذ من العدالة الاجتماعيةو المساواة و الإنصاف عنوانا لها ، إلا أنها تفادتها فأصبحت لا تمثل نقاطا هامة في سياسات الدولة مما خلق مناطق رمادية غير واضحة مثلت عبءا على الدولة و نتيجة ذلك فإن الدولة وقعت في تناقض اجتماعي حداثة/عدالة اجتماعية ، مواطنة/مشاركة ديمقراطية ، و لم توفر بذلك آليات المشاركة السياسية التي تسمح لمختلف المكونات الاجتماعية بالمشاركة في الحراك السياسي مما جعل من تلك السياسة غير صاهرة للتنوع الاجتماعي في هذه الحالة ، فظهرت هذه المطالبات الهوياتية و التي تعتبر تعبيرا عن حالات التناقض بين شعارات الدولة الحديثة و الواقع المغاير ، و عوض أن يشكل مشروع الدولة بوتقة للانصهار الاجتماعي و الثقافي أصبح عاملا للانكسار و التشظي .إذن في الأخير عدم

:

التطابق بين التشكل الثقافي– و بين بناء الدولة أدى إلى ظهور هذه المطالبات الاجتماعية بالديمقراطية و الحرية و العدالة و بمعنى آخر أن عدم وجود التطابق بين التشكل الوطني الثقافي و بين بناء الدولة جعل أن المطالب الاجتماعية للحركة البربرية تكون مطالب احتجاجية و في نفس الوقت مطلبية على هدر الكرامة الشخصية و الجماعية للناس مما أفقد الدولة أساسا من أسس شرعيتها مما يشير إلى عدم تطابق بناء الدولة مع مكونات انصهار المجتمع الثقافي و الاجتماعي،و عدم إيفاء الدولة بوعودها في تحقيق العدالة أدى بالحركات الاجتماعية للاستناد للبنى التقليدية (القبلية العشائرية و الجِهَوية) لتعلن مطالبها لأن الدولة الحديثة عوض أن تصهر كل المكونات الثقافية الاجتماعية للمجتمع أعادت بناء الانقسامات الاجتماعية و بالتالي أعادت إنتاج نفس البُنَى ما دون الدولة و هذا ما يمثل تعقيدا كبيرا في وجه التنمية. و هذا ما يجرنا للحديث عن الديمقراطية الثقافية و الثقافة الديمقراطية ، باعتبار أن الثقافة آنثروبولوجيا هي نمط للعيش بعاداته و تقاليده أما بمعناها الضيق فهي الفنون و الآداب ،فالديمقراطية الثقافية هي أن تكون لكل الفئات مهما كان انتماؤها الاجتماعي العميق إمكانية التعبير عن هوياتها الثقافية تعبيرا حرا و مواطنيا و مدنيا أما ديمقراطية الثقافة فهي إتاحة الفرصة لمختلف الفئات الاجتماعية في تعاطي مختلف التعبيرات الأدبية و الفنية و توفير الإمكانت المادية اللازمة لذلك و هنا نلاحظ أن هناك أعطابا كثيرة و يتجلى الفشل الذريع للدولة و مشقة كبيرة في التعاطي مع هذين المفهومين . و إضافة إلى ذلك لاحظنا أن السؤال الهوياتي البربري كان مقترنا بجدلية الدين و الدولة من أول وهلة و ذلك مع ظهور الأزمة البربرية و ظهور فكرة الجزائر-الجزائرية Algerie algerienne ، و التي طرحت منظورها لعلاقة الدين بالدولة فإذا كانت العلمانية في العالم الغربي حلا لصراع بين الحقل الديني و الحقل السياسي فإنها في العالم العربي و في الجزائر خاصة كانت مسألة مرتبطة بتحديث الدولة و المجتمع ، و لقد ظهرت في الغرب نتيجة لصراعات و تناطحات همّت مجالات متعددة منها الدينية و السوسيو سياسية و الثقافية لذلك جاءت العلمانية للتأسيس لعلاقة جديدة بين الدين و السياسة كجزء من تغيير شامل في العلاقات (رجل الدين-رجل السياسة –المواطن) و ظهرت العلمانية لتكريس

:

فكرة التسامح و الاعتراف بوجود الآخر و الإقرار بحق الاختلاف و التعدد و بذلك كانت ملازمة لبناء المجتمع المدني الحديث بمؤسساته القوية و الفعالة .أما ظهورها عندنا فكان سبيلا نحو التحديث السياسي و بالخصوص تحديث مؤسسات الدولة و تحقيق التقدم و لكنها لم تجد لها أرضية فكرية تسمح بحق الاختلاف و التعدد و الاعتراف بوجود الآخر و كان متزامنا مع تفكيك البنيات التقليدية و انعدام الدولة المركزية. إذن في الغرب كانت العلمانية ملازمة للحداثة و مواجهة الذات للذات، بينما في عالمنا العربي و في الجزائر خاصة كانت ملازمة للتقليد و مواجهة الذات للآخر و بهذا أصبح التحديث عندنا ينصب على الجانب السياسي و بالدولة تحديدا . مع العلم أن هناك فرقا بين العلمانية و العلمانوية فهذا الأخير له حمولة ايديلوجية متأثرة بالنزعة الوضعية التي تستبعد الدين عن الحياة الاجتماعية ، و من هنا نخلص إلى كون إشكال الدولة هو جوهر ظهور الأزمة الهوياتية البربرية في الجزائر. و بهذا خلصنا إلى أن الصدام مع مفهوم الدولة الحديثة هو من كان وراء تفجر الأزمة الهوياتية البربرية في الجزائر . و انطلاقا من تباين الرؤى بين البربريين و الوطنيين بخصوص الدولة الجزائرية المستقبلية ارتسم مشروعان متمايزان للمجتمع المراد بناؤه في جزائر الاستقلال . فكانت رؤية الدولة الرسمية عربية الثقافة و إسلامية الديانة ، بينما كانت رؤية البربريين ديمقراطية و حداثية تطالب بالتنوع الثقافي و السياسي و الديني و اللغوي، و لقد كانت المدرسة الجزائرية في قلب هذا الصراع الايديلوجي و السياسي و الثقافي و اللغوي و مسرحا للصراع الايديلوجي بين العربية و ما تمثله من امتداد ثقافي و ديني مع الفرنسية و ما تمثله من قيم حداثية .

و مع الانفتاح الديمقراطي و قرار الدولة استكمال المصالحة الوطنية مع الذات الثقافية الجزائرية بدسترة اللغة الأمازيغية لغة وطنية و رسمية ، دخلت هذه الأخيرة معترك السوق اللغوية الرسمية مع العربية و الفرنسية . و من هنا كان هدف دراستنا الوقوف على دراسة مضامين هذه اللغة لمعرفة القيم الهوياتية التي تتضمنها النصوص المتضمنة في جميع كتب اللغة الأمازيغية للأطوار الدراسية الثلاثة و معرفة ما مدى تأثير السياسي في وضع تصور

:

للهوية ، و هل هناك تصور موحد لهذه الهوية التي يراد ترسيخها ثم هل تسعى هذه المضامين لتعزيز الانتماء للوطن ككل أم لمنطقة القبائل فحسب ؟

فتمكنا من حصر خمسة قيم رئيسية هي القيم السياسية و الاجتماعية و الثقافية و التاريخية و الدينية ، و لاحظنا طغيان القيم السياسية على جل هذه المضامين و منه خلصنا إلى التأثير القوي للسياسي على الثقافي ، كما لاحظنا تململا في تصور الهوية بين الهوية الهلامية و المصطنعة التي يريد نشطاء الحركة البربرية من خلال هذه المضامين التسويق لها و بين الهوية الموضوعية التي يعيشها المجتمع القبائلي بعفويته ثم انتهينا إلى كون هذه النصوص في غالبها تعزز الانتماء لمنطقة القبائل فحسب ، و هذا في نظرنا نقص يجب تداركه و إن كان يمكن تقبله مرحليا نظرا للظروف التي حايثت إدراج اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية و التي كان للسياسي فيها الكلمة العليا . و من هنا يتجلى لنا العمل الجبار الذي ينتظر المؤسسات المختصة كالأكاديمية التي تعتزم الدولة إنشاءها عن قريب للنهوض بهذه اللغة و الرقي بها إلى مصاف اللغات الحية و ذلك بفسح المجال للأكاديميين لمباشرة العمل لإثراء هذه اللغة لكونها تحتاج إلى نظام معرفي آنتروبولوجي سوسيولوجي و لساني بعيدا عن الأدلجة و التقوقعات الدوغمائية، بعيدا عن النخبوية و بعيدا عن الحشد لأن المجتمعات لا تتقدم بالحشد ثم إدراجها تدريجيا في الإدارات و التعامل الرسمي بها في مؤسسات الدولة المختلفة .و في نظرنا ينبغي أن تكون الأمازيغية فرصة للتصالح مع الذات الجزائرية و مع تاريخها و ذلك بإعادة قراءة التاريخ قراءة علمية و موضوعية لأن التاريخ يعيش فينا و يشكل ماضينا و حاضرنا و مستقبلنا و لأن من لا تاريخ له لا مستقبل له و الخطورة تكمن في كون التاريخ ماض لا نستطيع اللحاق به لنشطبه بجرة قلم و لا يمكننا كبشر أن نتخلص من الموروث الثقافي و الديني و الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي الذي استبطناه خلال تجربتنا الإنسانية ، و لكن علينا أن نقوم بثورة في تمثَلنا للتاريخ ، لأن هذا التمثل على أن تاريخنا وردي على إطلاقه ليس صحيحا تاريخيا و خطير فكريا و سياسيا . فعندما ندعي أن الفترة الذهبية و الزاهرة من تاريخنا كانت في العهود الماضية ، فهذا يعني

الخاتمة

:

أن مثالنا الحضاري تركناه خلفنا ، بمعنى أننا بقدر تقدمنا إلى الأمام يبتعد المثال الحضاري عنا حتى نصطدم بصخرة الواقع.بينما الشعوب التي تطورت لم تترك مثالها خلفها و إنما استحضرته من المستقبل و هو أفق إنساني تسعى كل الشعوب الحية أن تطاله .و لذلك نجدهم يحسنون و يبدعون في كل شيء على عكس نظرتنا السلفية التي ترى أن المثال تحقق في الماضي و لا يصلح حالنا اليوم إلا بما صلح به أسلافنا ، و بهذا نلوي أعناق النصوص و الظروف لنقيس على الماضي ليصبح كل إبداع بدعة و كل ثورة على الظالم فتنة و كل تقدم ضلالة ، بينما الأمر ليس كذلك فنحن لا نغتسل في النهر مرتين بماء واحد. إذن علينا أن نعيد قراءة التاريخ قراءة علمية جديدة بعيدا عن التقديس أو التدنيس ، بعيدا عن الوثوقية و العطالة الفكرية و بنوع من الشك الإيجابي العقلاني لكي نخرج بمقاربات أقرب للحقيقة و إن كنا لن نطال الحقيقة إطلاقا لأن الحقيقة أفق إنساني يصعب أن نطاله. بهذا فقط يمكننا التأسيس لدولة حديثة تتبنى سياسة ثقافية تقدم الثقافة على السياسة ، لأن الثقافة هي التي ترسم السياسة و ليس العكس، و كذا دولة يكون فيها السوسيولوجي أقوى من التاريخي في ظل التسامح و التنوع الثقافي و الفكري و الاعتراف بالآخر و تقبله و الاعتراف بالتعدد الثقافي الذي يمثل ثراءا و رأس مال يعكس الإبداع الاجتماعي للمجتمع الجزائري عبر كل مناطقه و تميزه بثقافاته الفرعية التي تثري البنية الثقافية الجماعية و التي من شأنها أن تنشئ مواطنا متشبعا بروح الانتماء لوطنه و لشعبه بكل تفاصيله في جو من التسامح و الانسجام و التوافق و يتمثل قيم الإنسانية في أسمى معانيها . و ذلك مساهمة في بناء مجتمع يكون تكتمل فيه ثقافة المراطنة فلا يحس أحد بالاغتراب الثقافي أو الديني أو السياسي مما سيحرك عجلة التنمية و ينشئ أجيلا متوازنة نفسيا و اجتماعيا تسمو بإبداعاتها لتساهم في البناء الحضاري للبشرية جمعاء.

قائمة المراجع العربية

1. بسام العسلي :**محمدالمقراني و ثورة1871** ،دارالنفائس،بيروت،ط 1981 ،1ج
2. سير جيمس فريزر: **الغصن الذهبي** ، ترجمة كمال أحمد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر،الجزءالثاني.
3. منال عبدالمنعم جاد لله : **التصوف في مصر و المغرب** ،نشأة المعارف بالإسكندرية ،ب. ت،
4. إبراهيم أنيس و آخرون : **المعجم الوسيط** ، دار إحياء التراث العربي ، ط2، بيروت ، لبنان ، 1972 .
5. إبراهيم مهديد ، **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران 1850-1912** ، منشورات دار الأديب .
6. أبو يعلى الزواوي : **تاريخ الزواوة** ، منشورات وزارة الثقافة ، الجزائر، ط 1 ، 2005 .
7. أحمد الخطيب ، **حزب الشعب الجزائري** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986 .
8. أحمد بن نعمان ، **فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر** ، منشورات دحلب ، الجزائر، 1991
9. أحمد بن نعمان، **هل نحن أمة** ، ط1، شركة دار الأمة ، الجزائر، 1997 .
10. أمين معلوف ، **الهويات القاتلة " قراءات في الانتماء و العولمة**، تر: د نبيل محسن ، ورد للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1999 .
11. أيان (كريب) ، **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس** ، تر: حسين غلوم (محمد)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، الكويت ، 1978 .
12. برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الأولى متوسط .
13. برنامج اللغة الأمازيغية للسنة الرابعة ابتدائي .
14. برهان غيلون : **اغتيال العقل** ، موقم للنشر، الجزائر، 1990 .
15. بشير خلف « **سؤال الهوية وصدمة العولمة**www. Difaf.net»
16. تركي (رابح) ، **التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1930-1956** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1975 .
17. جون جوزيف، **اللغة و الهوية** . تر: عبد النور خرافي ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 342 ، الكويت ، 2007 .
18. حسن الوزان (ليون الإفريقي) ، **وصف إفريقيا** ، ج1، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،
19. حسن حسين (الحاج) ، **علم الاجتماع الأدبي**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1983.

المراجع

20. د أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الحديث** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر – الطبعة: الثالثة، 1982م .
21. د نهى الزيني : **أيام الأمازيغ** ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر 2011 .
22. د . إمام عبد الفتاح إمام، **المنهج الجدلي عند هيجل** ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 2007 .
23. ريمون بودون و فرانسوا بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع
24. سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930** ، بيروت ، مارس 1969 ، ط1 .
25. سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، **المنهاج التعليمي** ، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، 2006.
26. شاكر سالم ، **الأمازيغ و قضيتهم في بلاد المغرب المعاصر**، ترجمة : حبيب الله منصوري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2003 ،
27. شهادة المناضل في الحركة الثقافية البربرية مرزوق عبد النور ، يوم 2016/11/16 في مكتب جريدة ليبرتي – البويرة على الساعة الواحدة زوالا .
28. شهادة تسعيني ، عضو في جمعية قرية ثاوريرث ناث منصور ، في المسجد يوم 20 أفريل 2016 على الساعة 15 و 30 د
29. شهادة لتسعيني كان من أعضاء جمعية المسلمين في قريتنا و هو يروي كيف كانوا يحاربون الفكر الطرقي.
30. صالح بلعيد : **في الهوية الوطنية** ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005 ..
31. ع مدني: **مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية**، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة.
32. عباس الجراري: **مكونات الهوية الثقافية المغربية** ، كتاب العلم ، السلسلة الجديدة ، ط1 1988،.
33. عباس الطائ. «**آفات اللغة والهوية**» مقالة منقولة عن الموقع www.ahwastudies.org)
34. عبد الحميد (محمد)، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998 .
35. عبد الرحمان إبن خلدون : **موسوعة العلامة ابن خلدون** ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر ، ج 6 ، 1999 .
36. عبد العلي الودغيري : **الهوية المغربية و المشكل اللغوي**. مطبوعات الأكاديمية الملكية المغرب: 1988.
37. عبد المجيد (إبراهيم)، **أسس البحث العلمي**، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2000.

38. عبد المجيد إبراهيم (مروان)، **أسس البحث العلمي** ، مؤسسة الوراق ، عمان ، ط1 ، ص 60

39. عبد الوهاب الإدريسي ،" تعليم الطب بلغة الأم [التجربة السودانية] " ، **مجلة اللسان العربي** ، العدد 43 ، شركة بابل ، الرباط ، المغرب ، 1997.

40. عز الدين إبراهيم **" اللغة في مؤسسات التعليم العام و العالي و الأعلى "** مجلة التاريخ العربي ، العدد 43 ، شتاء 2008 .

41. علي، د. سعيد اسماعيل، **فلسفات تربوية معاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، 1995، العدد198.

42. غيث محمد (عاطف) ، **محاضرات في البحث الاجتماعي** ، بيروت ، مكتبة جردية إخوان ، 1972 .

43. فرحات مهني على قناة المغاربية ، على موقع يوتيوب.كوم

44. فريري، باولو، **تعليم المقهورين**، ترجمة الدكتور يوسف نور عوض، دار القلم،1980.

45. قاموس مصطلحات الاثنلوجيا و الفولكلور، تأليف إيكة هولتراس، ترجمة د .محمد الجوهري و د.حسن النامي ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1973 ،

46. لويس جان كالفي : **السياسات اللغوية** ، ترجمة محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 .

47. ماجد زكي الجلاد : **تعلم القيم و تعليمها** ، دار المسيرة ، الإمارات العربية المتحدة ، 2005 .

48. مبارك الميلي ،" لعبة التفرقة بين العرب و البربر **" مجلة الوطن العربي** ، العدد 383 ، السنة الثامنة ، 15-21 جوان ، 1984

49. محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج** ، الوكالة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1983 .

50. محمدشفيق :**البحث العلمي – الخطوات المنهجية لاعداد البحوث الاجتماعية** ، الإسكندرية ، المكتبة الجامعيةالحديثة، 1998

51. محمد عابد الجابري ، **مواقف إضاءات و شهادات** ، دار النشر المغربية ، ط1 ، 2003 .

52. محمد عماد الدين إسماعيل و آخرون : **التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية** ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، مصر ، 1982 .

53. محمدمحفوظ : **الإسلام،الغربوحوارالمستقبل**،المركزالثقافيالعربي،بيروت،ط1 ، 1998.

54. محمد نور الدين أقاية ، **في الهوية و الاختلاف في المرأة و الكتابة و الهامش** ، الدار البيضاء ، إفريقيا الشرق ، 1998.

55. مريم الدمناتي ، " التلعليم و لغة الأم ، مقدمات الأمازيغية : تحديات و رهانات انبعاث " **المجلة المغاربية للكتاب** ، العدد 27 ، صيف 2003 .
56. مصطفى عليان (ربحي) و محمد غنيم (عثمان) ، "أساليب البحث العلمي "، عن : عبيدات محمد و آخرون ، **منهجية البحث العلمي** ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 2 ، 2008
57. مقابلة في الفيسبوك يوم 2016/12/18 على الساعة السادسة مساءا
58. منهاج اللغة الأمازيغية السنة الثانية متوسط .
59. مهدي مبروك : **هل نحن أمة ؟ دراسة في أزمة الانتماء لدى النخبة التونسية** ، دار البراق للنشر ، 1989 .
60. نواصرية محمد و آخرون : **نظرة المثقفين الجزائريين للأزمة الحالية** ، معهد علم الاجتماع (مذكرة ليسانس) ، جوان 1990 .
61. وعلي م ، **التعليم التبشيري في الجزائر [1830-1904]، دراسة تاريخية تحليلية** ، منشورات دحلب، الجزائر،1997 .
62. ولد خليفة محمد العربي: **المسألة الثقافية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2003 .

قائمة المراجع الفرنسية

1. *A Berbrugger,**voyage au camp d'Abdelkader**,bibliothèque royale, Paris, 1839,*
2. *A pomel, **des races indigènes de l'Algérie, arabes kabyles maures et juifs**, Oran, typographie et lithographie veuve dagorn, Rue trobriand 28,1871 .*
3. *A.Megherbi , **culture et personnalité Algérienne de Massinissa à nos jours** , ed ENAL , Alger, 1986 .*
4. *A.Yefsah **, la question du pouvoir en Algérie** , ed ENAP , Alger, 1991.*
5. *Abderazak Dourari , « pratiques langagières effectives et pratiques postulées en Kabylie », insaniat/إنسانيات, 17-18/2002.*

6. *Ageron Ch R, les **Algériens musulmans et la France (1871-1904**),T1,PUF,..2005*
7. *Ageron Ch-R.: **« l'Algérie algérienne , de napoléon lll à de gaulle** » ,sindbad , 1980.*
8. *Aït Kaki Maxime, **De la question berbère au dilemme kabyle à l'aube du XXIe siècle**, Paris, L'Harmattan. 2004.*
9. *Alexis de Tocqueville, notes sur le coran, p 29 , www. uqac.ca*
10. *Alexis de Tocqueville, travail sur l'Algérie, p 8 , www.uqac.ca*
11. *Amar Imache ,« la croix contre le croisson », in Omar carlier, persée.fr*
12. *Amar Imache ,« la France devant l'Algérie », in Omar carlier, persée.fr*
13. *Amar imache **. l'Algérie au carrefour : la marche vers l'inconnu**, Paris, 1938..*
14. *ARNHEIN (Rudolph), **dynamique de la forme architecturale** ,Bruxelles, Editions, Edition Pierre Mandago, 1977.*
15. *Augustin Ibazizen **. le testament d'un berbère , itinéraire spirituel et politique** , Paris , ED : Albatros , 1984.*
16. *B.BenKhedda, **les origines du 1er Novembre 54** , ed Dahleb, Alger , 1989 .*
17. *B.Etienne, J.Lecas, **culture et société au Maghreb** , CNRS , Paris, 1973 .*
18. *Baunard(M), **le cardinal lavigerie**, T1, librairie poussielgues, Paris, 1898.*
19. *Bellatrache Houari : l'usage de la langue française en Algérie , cas d'étude : le secteur bancaire , IN : Synergies Algérie , N°8-2009.*
20. *Benrabah, M , **langue et pouvoir en Algérie histoire d'un traumatisme linguistique**, Paris les colonnes d'hercule Séguier, 1999.*
21. *Bernard lugan : **« la génétique et les berbères »** youtube.com*
22. *Bertrand Badie . **le lexique de la sociologie politique** , Paris , PUF , 1973 .*

23. *Bessaoud Mohand Aarav, **De petites gens pour une grande cause, ou l'histoire de l'Académie berbère (1966-1978),** Alger, Copyright M. Mohand Aarav Bessaoud. 2000.*
24. *Bouaziz Ait chebib , interview du 16/03/2016 au site Tamazgha.org*
25. *Boudon (R) et autres,**Dictionnaire de sociologie,**Larousse,Paris,3 Ed, 1999.*
26. *BOURDIEU (Pierre), **Le sens pratique,** Paris, Editions de Minuit, 1980. P*
27. *Boutefnouchet Mustapha, **La famille algérienne, évolution et caractéristiques récentes**, Alger, Editions SNED, 1982.*
28. *BOYER H : **Sociolinguistique, Territoires et objets**, De lachaux et Niestlé,Paris, 1996.*
29. *Boyer H : **éléments de sociolinguistique, langue communication et société**, Paris , Dunod , 1991 .*
30. *Calvet , L .J : **pour une écologie des langues du monde** , Plon , Paris , 1999 .*
31. *Camille Lacoste –Dujardin, **« l'invention d'une ethno politique :Kabylie-1844** » , Hérodote , 1986 , N° 42.*
32. *CF SAUSSURE , F , **cours de linguistique générale** , ed , Talantukit , Bejaia , 2002.*
33. *Chaker Salem , , « Écriture (graphie arabe) », **Encyclopédie berbère XVII** : 2580-2583. 1996 .*
34. *Chaker Salem, « Proposition pour une notation usuelle du berbère (kabyle) », Bulletin des Études Africaines de l'INALCO, , 1982 ? .*
35. *Charles Farine : **A travers la Kabylie** ,Ed DUCROCQ,Paris , 1865 .*
36. *Charles robert ageron,**la France en Kabylie**, tafat edition, 2011.*
37. *Charles Robet Ageron , la France a-t-elle eu une politique Kabyle, p 28, persée .fr*
38. *Charles Robet Ageron , la France a-t-elle eu une politique Kabyle, p 28, persée.fr*
39. *Charles Robet Ageron , **les Algériens musulmans et la France**.*

40. *Charveriat (François) : **à travers la Kabylie et les questions kabyles**, paris, librairie plon. 1889 .*
41. *Charveriat francois : **huit jours en kabylie. A travers la kabylieet les questions kabyles**, 1889-paris ,librairie plon.*
42. *Cheriguen Foudil **, politiques linguistiques en Algérie**, In : Mots , septembre 97 .*
43. *Cheriguene Foudil : « **politique linguistique en Algérie** » , IN , MOTS , septembre 1997 .*
44. *Claude Collot , **les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962** , Alger , OPU , 1987 .*
45. *Colonel Corneille Trumelet **: l'Algérie légendaire , en pèlerinage aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'Islam ,Tell et Sahara** ,Jourdan , Alger,1892.*
46. *Dalila Arezki, **l'identité berbère de la frustration à la violence** , Séguier, pays basques, 18 aller Main .*
47. *De Neuveu: **les Khouans ordres religieux chez les Musulmans**، Jourdan ، Alger،1913..*
48. *Depont et X Copollani **: Les confréries religieuses musulmanes**, Alger, Adolphe Jourdan, 1897.*
49. *Desirat Claude : **la langue française au 20 ^{eme} siècle** , ED BORDAS , Paris , 1976 .*
50. *Document d'accompagnement du programme de la langue amazighe de la 4 eme année moyenne .*
51. *El Khatir Aboulkacem, , « Nationalisme et construction culturelle de la nation au Maroc : processus et réactions », **thèse de doctorat d'État en anthropologie sociale et ethnologie**, Paris, École des Hautes Études en Sciences Sociales. 2005 .*
52. *El Mountassir Abdallah, , « De l'oral à l'écrit, de l'écrit à la lecture, exemple des manuscrits chleuhs en graphie arabe », **Études et Documents Berbères**, Galand Lionel, Paris, IAM , 1994 .*
53. *Elie G : **la Kabylie du Djurdjura et les pères blancs**, ED Louis de Soye, Paris, 1923.*
54. *Emile Carrey : **Récits de Kabylie , campagne de 1857** , Paris , Michel Levy frères , 1858 .*
55. *Emile de Carette, **la Kabylie proprement dite** , imprimerie nationale , Paris , 1844 .*

56. *Emile Durkheim* ***, les règles de la méthode sociologique*** *,ed P.U.F , 23 éme édition , Paris , 1987 .*
57. *Emile Durkheim,* ***les formes élémentaires de la vie religieuse****, Ed P.U.F, Paris, 1968.*
58. *Emile Masqueray :* ***formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algerie, Kabyles du Djurdjura , chaouia de l'Aures , Bni Mzab*** *, Ed edisud , Aix en Provence , 1983 .*
59. *Ferhat Mehenni :****Algérie : la question kabyle*** *,2004, Paris, Éditions Michalon.*
60. *Ferhat Mhenni , interview sur la chaine TV GUYENTV / youtube.com*
61. *Ferhat mhenni , sur france24 TV le 15/04/2016 à 20h00-21h00*
62. *Francois Charveriat* ***, à travers la Kabylie et les questions Kabyles*** *, 1980 .*
63. *G.Camps .* ***les Berbères*** *, Edisud , France, 1996.*
64. *Gabriel Camps ,* ***Berbères, aux marges de l'histoire****, Toulouse, Hespérides , 1980.*
65. *Ghaki Mansour, « Sur les traces d'une langue et d'une culture en voie d'extinction » (entretien réalisé par Tassadit Yacine), Awal, 2005 .*
66. *Gilber Meynier et Pierette Meynier ,* ***« l'immigration Algerienne en France , Histoire et actualité »*** *confluences méditerranéennes , N°77, 2011/2*
67. *GIPPET . F et AL ,* ***passage à l'écriture : un défi pour les apprenants et les formateurs*** *, ed PUF , Paris , 2000, p 1*
68. *Goyau G ,* ***un grand missionnaire : le cardinal Lavigerie*** *, librairie plan, Paris,1925*
69. *Grandguillaume Gilbert , arabisation et politiques linguistiques au Magreb , persée.fr*
70. *H.Ait Ahmed,* ***mémoires d'un combattant ,l'esprit d'indépendance 1942-1952****, sylvie messinger editeur, paris, 1983.*
71. *Hanoteau et letoutneux :****la kabylie et les coutumes kabyles****,1893,paris,challamel,3 vol.*
72. *Herbert lady,* ***Algérie contemporaine illustrée****, Victor calmé, rue des saints pères, 76 Paris, 1881.*

73. *Hesney Lehmek**. Lettres algériennes** , Paris , ED : Jouveet CIE , 1931 .*
74. *HIGONNET, CH, **l'écriture** « que sais-je » N° 653, PUF , Paris , 1993*
75. *http://almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=408&Model=M&SubModel=148&ID=1905&ShowAll=On*
76. *Idir el watani , l'Algérie libre vivra , P 3 (brochure)*
77. *J.C Vatin **, l'Algérie politique : Histoire et société** , PFNSP, Paris , 1983 .*
78. *Jean Amrouche **« cathalogue de l'exposition de l'eternel Jugurta** »archives de la ville de Marseille , université , 1985 .*
79. *Jean Morizot **, l'Algerie Kabylisée** , Paris , Pey ronnet , 1962 .*
80. *Jean Morizot.**les Kabyles, à propos d'un temoin** , Paris , CHEAM , 1985 . P 151.*
81. *Jean Paul Angelli « **l'opinion française et l'Algérie de 1930** » Thèse Paris x , 1972 . Jean Perier : **des races dites berbères et de leurs ethnologie ,** Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France , P 41*
82. *Jules Liorel : **Races Berbères Kabylie du Djurdjura** , Paris , Ernest Leroux, 1892 , PP 12-14*
83. *Khaoula Taleb Ibrahimi , **les Algériens et leurs langues** , edition al Hikma , Alger , 2011 .*
84. *LACOSTE – DUJARDIN (Camille), **Le conte kabyle, étude ethnologique**, Alger, Editions Bouchene, 1991.*
85. *Lavigerie (CH) , **œuvres choisies**, T2, librairie poussielgues, Paris, 1884 .*
86. *Le glay,**l'école française et la question berbère** , direction générale de l'instruction publique , des beaux arts et des antiquités , rabat, 1921.*
87. *Liorel (jules) : **Kabylie du Djurdjura**, paris, Ernest Leroux éditeur, 1898 , p 26*
88. *Lipiansky E.M « identité subjective et interaction », In Stratégies identitaires, PUF, Paris, 1990 .*
89. *Louis- Jean Calvet: **La Guerre des Langues et les politiques linguistiques**, Hachette Littératures, France, 1999.*

90. *M.DAUMAS et M.FABAR : **la grande Kabylie , études historiques** , librairie de l'université royale de France , 1847.*
91. *M^ed Harbi, « Nationalisme Algérien et identité Berbère », In **peuples Méditerranéens**, N° 11, Avril-Juin, 1980.*
92. *Mission protestante en Kabylie, Rapport sur l'exercice de 1909-1910 / www.galica .fr*
93. *Mohamed Harbi **. le FLN : mirage et réalité** . 2^eme ED. Alger: ENA/NAQD, 1993 .*
94. *Mohamed Harbi **« l'Algérie et son destin . croyants ou citoyens** ». Alger : Medias associés , 1994..*
95. *Mohand Idir Ait Amrane. **La langue berbère moderne** (brochure) .*
96. *Mohend Khelil, **la Kabylie ou l'ancêtre sacrifié**, ed l'Harmatan , Paris , 1984 .*
97. *Morizot (j) : **l'Algérie kabylisée**, cahiers de l'Afrique et l'Asie, éditions j.peyronnet et cie, paris. 1962.*
98. *Mouloud lounaouci, « la question berbère en Algérie , âpres luttes , acquis réversibles » el watan , 15 avril , 2010*
99. *Mouloud Mammeri. **La colline oubliée** , Paris , 1952 .*
100. *Moussa Imarazen , **« variation et normalisation de Tamazight** » In Actes la standardisation de l'écriture Amazigh , Boumerdes du 20-23 / 09 /2010 , HCA , P41*
101. *Mustapha lacheraf . « la colline oubliée ou les consciences anachroniques », jeune musulman, fev 1953, N°13/ www.algerie ancienne .dz*
102. *N. Bibesco , **« les Kabyles du Djurdjura , la grande Kabylie au temps de la régence d'Alger , importance de la nationalité Kabyle** », revue des deux mondes , Mars 1866 .*
103. *Notice présentant l'Alphabet , document IRCAM , 2003*
104. *Omar Carlier « la production sociale de l'image de soi , note sur la crise berbériste de 1949 » annuaire de l'Afrique du nord , 1984 , P 358*
105. *Omar carlier. **Le cri du révolté : un itinéraire militant**. Alger, SNED, 1986.*
106. *P.Lucas et J.L.Vatin, **l'Algérie des anthropologues** , Ed François Maspero , Paris , 1982 .*
107. *PEK (Projet pour un Etat Kabyle) , P1 sur le site web : www.makabylie.org*

*108. Rabah znati**. Le problème algérien vu par un indigène** , Paris , 1938 .*

109. Rapport de synthèse , séminaire de Yakouren du 1 er au 31 Aout 1980 , dossier culturel ,comité de défense des droits culturels en Algérie , c/o revue esprit , 19 rue Jacob 75006, Paris , .

*110. Renard(edmond), **le cardinal Lavigerie**, Ed spes, Paris,1926.*

*111. Rinn (Louis), **« Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie »,** Fevrier 1882 ..*

*112. S.Chaker , **« l'émergence du fait Berbère en Algérie »,** In AAN, 1980, ed CNRS , Paris .*

*113. S.Chaker .**manuel de linguistique Berbère , introduction au domaine Berbère**, 2eme Edition Bouchene, Alger , 1983 .*

114. S.chaker, « l'ecriture lybico berbere, etat des lieux et perspectives » IN : Actes du colloque sur le lybico berbere ou le tifinagh, ed HCA , 2007.

*115. Saint Aymour Caix (DE) , **arabes et Kabyles** , Paris , 1891 .*

*116. Salem Chaker **, Textes en linguistiques berbères**, éditions du CNRS, Paris, 1984.*

*117. Salem Chaker, **Hommes et femmes de Kabylie**, Aix en Provence, INA-YAS/Édisud. 2001.*

*118. Sbaa R : **l'Algérie et la langue française , l'altérite partagée** , Oran , Edition Dar el Gharb , 2002 .*

119. Séminaire de Yakouren du 1er au 31 Aout 1980, Dossier culturel , C/O revue ESPRIT , 19 rue Jacob , paris .

*120. Si amar Boulifa **. le djurdjura à travers l'Histoire** , Alger , Jourdan , 1925 .*

*121. Si amar Boulifa**. Receuil de poesies Kabyles** , Awal, Paris , 1990, .*

122. Tassadit Yacine . « un algérien s'adresse aux français » in l'Histoire de l'Algérie par les textes (1943-1962) , Paris , l'Harmattan , 1994 .

*123. Tocqueville A, **de la démocratie en Amérique** , Ed Enag , 1991.*

*124. Tocqueville A : **Rapport sur l'Algérie** , http://bibliotheque.uqac.uquebec.ca/index.htm.*

125. *Tocqueville A**, lettre sur l'Algerie**,http://bibliotheque.uqac.uquebec.ca .*

126. *Tournier(CH), **« le cardinal Lavigerie, documents inédits sur le conflit entre le cardinal et Mac mahon »**, R.H.M, 2eme année ,N°1, Mars, 1925.*

127. *Violard (e), **les villages algériens,1870-1890**, 2 tome, imprimerie administrative victor heintz, Alger, 1926.*

128. *Yassine Tamlali , **la genèse de la Kabylie aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962**)Ed Barzakh, Alger , 2015 .*

129. *Yassine Tamlali , **la genèse de la Kabylie aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962)** , Editions Barzakh, Alger , 2015 , p21*

130. *Yidi plantade , « laïcité et athéisme en Kabylie, mythes et ambigüités », la revue Meria**, journal des études des relations internationales au moyen orient** ,vol2, N°1, janvier 2007 .*

131. *Youcef Alioui, **Les Archs tribus Berbères de Kabylie** , Ed l'Harmattan , Paris , France , 2006 .*

132. *Yver George, **Si Hamdan Benothman Khoja** , R.A.L , 1913 .*

133. *Yves Lacoste : **« enjeux politiques et géopolitiques de la langue française en Algérie , contradictions coloniales et postcoloniales »** , IN : la découverte /Hérodote , 2007 / 3 , N° 126 .*